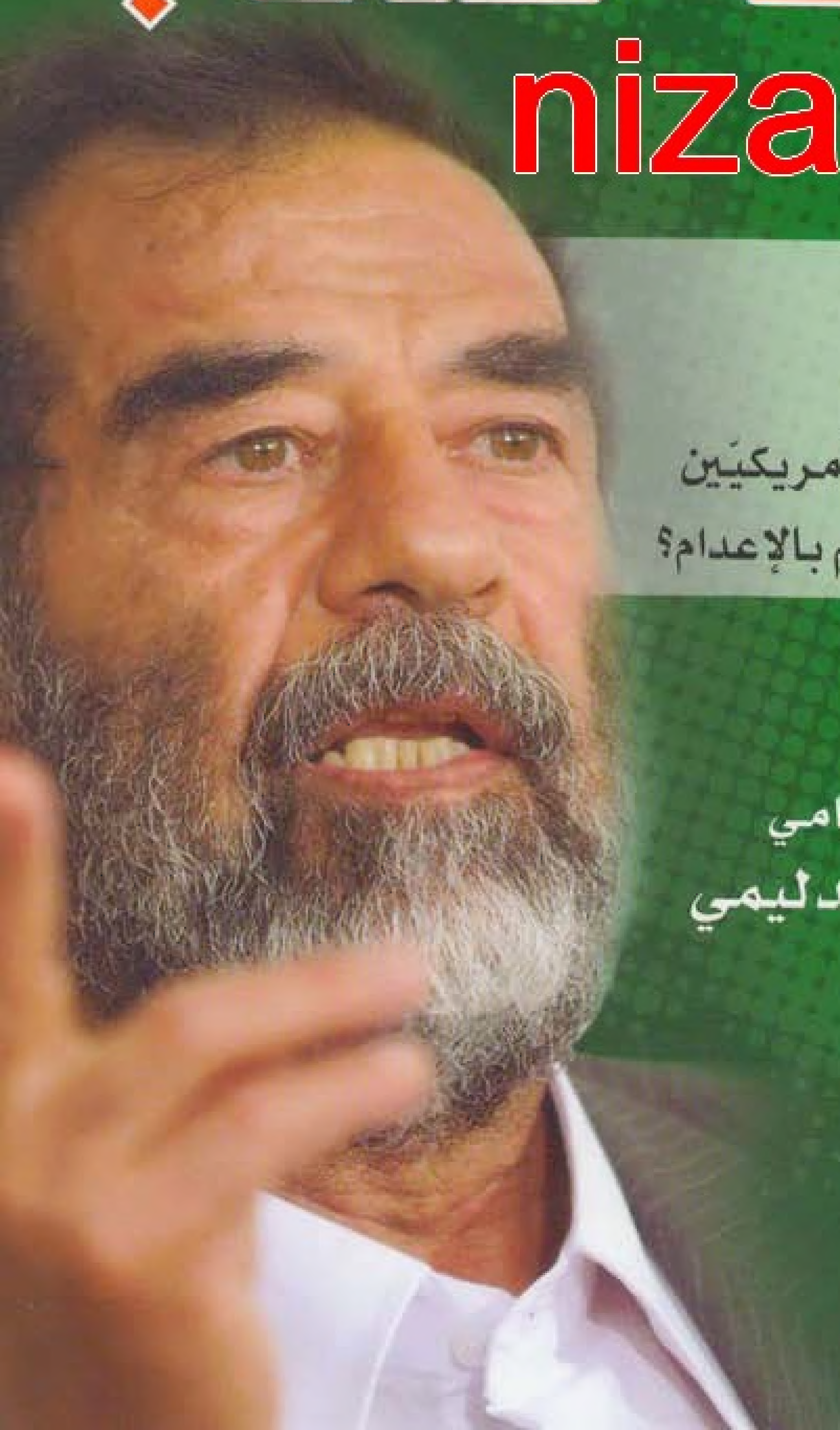


صدّام حسين

من الزنزانة الأمريكية:

هذا ما حَدث!



- كيف احتُلّت بغداد؟
- ما هي قصّة الأسر؟
- أسرار العراق وأكاذيب الأمريكيّين
- لماذا تأخّر إصدار الحكم بالإعدام؟

المحامي
خليل الدليمي



المحامي خليل الدليمي
رئيس هيئة الإسناد
للدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه المعتقلين

صدّام حسين
من الزنزانة الأمريكية:
هذا ما حدث!

تحرير:
إنصاف قلعجي

شركة المنبر
للطباعة المحدودة
الخرطوم

فهرسة المكتبة الوطنية ـ السودان
956.708 خليل عبود الدليمي
خ.ص صدام حسين من الزنزانة الأمريكية: هذا ما حدث!./ خليل عبود الدليمي. ـ الخرطوم 2009م.
480ص ؛ 17 × 24سم.
ردمك: 978-99942-927-8-3
1. العراق ـ تاريخ ـ العصر الحديث ـ صدام حسين.
2. حروب الخليج.
3. صدام حسين ـ المذكرات.
أ. العنوان.

الطبعة الأولى
الخرطوم ـ ٢٠٠٩م

شركة المنبر
للطباعة المحدودة
السودان ـ الخرطوم ـ المقرن ـ شارع الغابة
هاتف: ٧٤٧٨٧٨ ١٨٣ ٠٠٢٤٩ ـ ٧٤٧٨٧٧ ١٨٣ ٠٠٢٤٩ ـ فاكس: ٧٤٧٨٧٦ ١٨٣ ٠٠٢٤٩
البريد الإلكتروني: E-mail: alminbarsd@yahoo.com

الإهداء

إلى وطن ليس كمثله وطن،

إلى دماء ليس كمثلها دماء،

إلى شهداء ليس كمثلهم شهداء،

إلى قامة سامقة كالعراق،

إلى هدير يسقي صرح الكرامة،

إلى مقاومين يعيدون صياغة الحياة ..

ومنهم ومني، إلى شهيد الحج الأكبر .. صدام حسين.

خليل الدليمي

فهرس المحتويات

صدام حسين



أنا رجل دولة حازم ودقيق. سيفي بيميني ولكن بالحقّ. عادل وغيور وشريف. لا أقبل من أحد كبر أو صغر، قرب أو بعد، التلاعب واللعب على الذقون والقانون. وفي نفس الوقت، رؤوف بالناس تملأ الرحمة نفسي، والحزم بالحقّ قلبي، فمن يعين نفسه في العودة عن الخطأ بمثقال، أعينه بما يرفع عنه الأثقال ويمهّد أمامه السبيل بعد عشرة بأرطال. وأشعر بأخوّة وأبوّة خاصة تجاه فقراء الحال من الناس، ليس تطبيقاً لاعتقاد فحسب، وإنما حنوّاً خاصاً إزاءهم.. كريم مع الكرماء، شديد مع اللؤماء.. أفضّل أن أُخدع على أن أخدع أحداً أو أشكّك مسبقاً به، وأن أُظلم على أن أظلم أحداً، حريص على أموال الدولة، وإذ أجمعها بالملعقة، أجزل بها لضرورات وطنية أو إنسانية، وطبقاً لصلاحياتي الدستورية، بالمغراف... أخشى التاريخ أكثر مما أخشى الحاضر، ولا أخطو خطوة في الحاضر إلا وضعتها طبقاً لرؤياي وسط المستقبل. أعرف السياسة الدولية وأساليبها بالتورية والمباشرة في العصر الحاضر، ولكنني لا أحبها حتى وأنا أمارس القسم الأقل نجاسة وأكثر طهارة فيها...

(من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل)

لماذا الكتاب

في البدء، كانت أرض ما بين النهرين، وفي البدء، كانت أرض العراق العظيم. بلاد الحضارات التي أشرقت مع السومريين وحروف الكتابة. حضارات تعاقبت وتركت آثارها القيمة على الأرض، أرض الرافدين. شواهد تحكي قصة شعب عمل وكدّ واجتهد، فاستقى العالم كل معارفه من حضارات قامت على ضفاف هذين النهرين الخالدين، دجلة والفرات. هو العراق بوابة الأمة الشرقية وحارسها، تعاقبت عليه الغزوات من كل حدب وصوب، وشهدت أرضه سقوط ممالك ودول.

وفي العصر الحديث، شهد العراق تطوراً تنموياً هائلاً، اقتصادياً وبشرياً وثقافياً وصحياً وعسكرياً بعد تأميم نفطه الذي أصبح بيد أبنائه بعد أن كان بيد الأجنبي، فقضى على الأمية، وشهد له العالم بإنجازاته في المجال الصحي والعلمي والتكنولوجي، وبنى جيشاً يعتبر رابع جيش في العالم من حيث تجهيزه وكفاءته، وانتصر على ألد أعدائه في حرب لا نظير لها، ونال أبناؤه الكرد أفضل الحقوق قياساً على نظرائهم في الدول المجاورة. وشهدت هذه المرحلة تطوراً صناعياً وثورة علمية هائلة، رغم أن هذه الفترة كانت من أصعب المراحل في تاريخ العراق الحديث، وهي الفترة الممتدة بين الأعوام ١٩٦٨ و ٢٠٠٣. حرب طويلة امتدت لثماني سنوات، وحرب عالمية عام ١٩٩١، وحصار دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، ثم حرب وغزو أمريكي بريطاني صهيوني إيراني .. أحداث دامية .. يرويها الرئيس صدام حسين في هذا الكتاب وفي وثائق لاحقة.

في عام ٢٠٠٥، عرضت على الرئيس الأسير صدام حسين في المعتقل

الأمريكي فكرة تدوين مذكراته لنشرها. وافق الرئيس على الفكرة وشجعني على تنفيذها. غير أن حرس السجن الأمريكيين حرموا علينا تبادل أية أوراق حتى ربيع ٢٠٠٦. ولم يكن الرئيس يثق بأن الأمريكيين سيسمحون له بتدوين مذكراته لنشرها. غير أنه تحمس للفكرة وقال لي: «من الضروري تدوين مذكراتي، فالأعمار بيد الله، وسأروي لك كل ما تسعفني به ذاكرتي، لكي تدونه».

قبل ذلك، وفي إحدى جلسات التحقيق التي يديرها(القاضي) منير حداد، سلّمني الرئيس بعض الأوراق من مذكراته المكتوبة بخط يده، لكن الكابتن مايكل ماكوي(مدير مكتب الارتباط الأمريكي)، طلب من الرئيس إعطاء هذه الأوراق إلى القاضي الذي استلمها ووعد بتسليمها لي حال قراءتها والتأكد من محتواها، لكنه لم يفِ بوعده، وعندما سألني الرئيس عن مصيرها، أخبرته، فغضب. وبعدها اتفقنا على إملاء هذه المذكرات وتمرير الكثير منها بخط الرئيس وتوقيعه.

وهكذا، حمّلت نفسي مثلما حمّلني الرئيس صدام حسين مسؤولية إيصال حقيقة ما جرى في بلدنا الحبيب قبل الغزو والاحتلال وبعده على لسان قائد بلدنا الشرعي، بدءاً من طفولته ثم توليه القيادة، مروراً بمرحلة البناء والمراحل العصيبة التي مر بها العراق وخصوصاً حملة الغزو والاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وما تلا ذلك من أيام لم يشهد لها العراق مثيلاً في كل تاريخه من حيث قسوة الاحتلال وحلفائه وأتباعه ووحشيتهم وإجرامهم وحقدهم على العراق وشعبه من جهة، ومن حيث بسالة شعبنا العراقي وهمته وشجاعته وصموده وتضحياته وبطولات أبنائه في مواجهة الاحتلال من جهة أخرى.

وقد آليت على نفسي أن أكون أميناً على نقل ما يرويه لي مما كان يتذكره ويريد إيصاله إلى شعبه وأمته، فضلا عن إجاباته على تساؤلاتي الكثيرة عن جوانب شتى من هذه المسيرة المباركة. وقد ألحّ عليّ أن أدوّن كل ما يقوله ويرويه، لأنه كان يتوقع أن يصفيه الأمريكيون جسدياً في أي وقت، وترك لي طريقة عرض مذكراته واختيار دار النشر. وسألني عن عنوان الكتاب، فقلت له إن لدي عناوين عدة، أولها «العدالة خلف القضبان». فاقترح هذا العنوان، لكنني أخبرته أنه ربما يكون عنواناً

لكتـاب يتعلق بكل ما حصـل داخل المحكمة. عندهـا ترك لي حرية تسـمية الكتاب الأول المتعلق بالمذكرات التي أملاها عليَّ.

وها أنذا أقـدم ما رواه لي الرئيس صدام حسـين، الرئيس الشـرعي لجمهورية العـراق من ذكرياته عن جوانب أساسـية من حياة العراق ومسـيرة دولتـه الوطنية لما يقرب من أربعة عقود، عبر كل مراحل التحدي والبناء والدفاع عن الوطن التي سبقت عـدوان ١٩٩١ وتلـك التي أعقبتـه وصولاً إلى مرحلـة الغزو والاحتـلال والمقاومة الباسلة لمشروع الاحتلال .

إن هذه الأوراق وثيقة تاريخية مهمة، أقدمها لشعبه العراقي ولأبناء أمته العربية والإسـلامية وللرأي العام العالمي، مثلما أقدمها للتاريـخ ليكونوا جميعاً حكماً على سيرة صدام حسـين القائد التاريخي العراقي العربي المسلم، وصدام حسين الإنسان والمجاهـد والمؤمـن الذي قـدم حياتـه راضياً شـامخاً فـداءً لوطنه وقضيتـه ومبادئه وعقيدته الوطنية العربية الإسلامية .

لقـد أبدى عدد كبير مـن رجال السياسـة والقانون والأدب، أصدقاءً وأشـقاءً، رغبتهـم في أن يكتبوا عن الرئيس الشـهيد صدام حسـين، ولكن الحيـز محدود، ولم يتسـع إلا لكلمـة ذات دلالة ورمزيـة عالية تلخص كثيـراً من الـكلام، كتبها صحافي ومثقف عراقي بارز كان معارضاً للرئيس وللنظام الوطني العراقي.

وملاحظـة إلى القـارىء الكريـم. إن كتاباً واحداً لا يتسـع لمذكـرات الرئيس الشفوية والخطية التي بلغت مئات الصفحات، بالإضافة إلى الشعر الذي ناهز الألف بيت. لذا أكتفي في هذا الكتاب بنشر مذكرات الرئيس الشفوية على أن أنشر مدوناته الخطية لاحقاً.

يقـول أحد الفقهـاء: «لا يكتب إنسـان كتابا في يومـه إلا قال في غـده: لو غيّر هـذا لـكان أحسـن، ولو زيد هـذا لكان يستحسـن، ولـو قدم هـذا لكان أفضـل، ولو تـرك هذا لكان أجمـل. وهذا من أعظـم العبر، وهـو دليل على اسـتيلاء النقص على جملة البشر».

أمـا ما نقدمـه بين دفتي هذا الكتـاب، فهو ليـس تأليفاً أو قصـة أو رواية يمكن

استبدال عباراتها أو كلماتها، لأنها شهادة بل وثيقة لا يمكن أن تفسر أو تؤول أو تغير كلماتها. إنها شهادة على لسان أحد صانعي تاريخها، تاريخ العراق الحديث، وثيقة تتحدث عن الظلم الذي وقع على العراق الحبيب، والدسائس التي حيكت ضده في الخفاء والعلن. أرويها بكل أمانة في هذا الكتاب. ونتحفظ على بعض الأمور المهمه نرويها حين تتغير ظروف العراق. ونستثني من كل ذلك الأمور الخاصة المتعلقة باعتبارات شخصية تتعلق بالرئيس صدام حسين.

ويسعدني هنا أن أسجل أسمى مشاعر الشكر والتقدير والعرفان لكل من أسهم في نشر هذا الكتاب، ولكل من ساعدني بالفكرة النزيهة المخلصة وبالأعمال الفنية المتصلة بالتحرير والمراجعة وترتيب عملية النشر النهائية، وإلى كل الذين تطوعوا جنوداً مجهولين لمساعدتي في إنجاز الكتاب. لهم جميعاً مني ألف تحية وألف شكر. وفقهم الله ووفقنا جميعا لخدمة عراقنا الحبيب وأمتنا العربية المجيدة، والله ولي التوفيق.

المحامي خليل الدليمي

رئيس هيئة الدفاع

من صدّام حسين
إلى محاميه خليل الدليمي

مساء ٦/٣/٢٠٠٥

شحّت أخلّة وتقدّم بها خليل — وكلّ على محتدّه والأصول
من ذي أصل يجبّ الغيبة عنه — وتزهو فروعه به والفضول
وأثرٌ بائنٌ يلحقه بنائلة لا — يتردد في دمه أو يميل
هكذا خليلنا عطرٌ وعافيةٌ ومن — مثله بالمسك مغمّسٌ مأهول
يا دليل المبادىء مجيئك صادق — ماء عذب دونك ماء سحول
للقلب شارة يعطيها عن صاحبه — نغنى به وهو الأمين الدليل
ينبينا القلب لو عزّت تفاصيل — لنا به صول وهو بنا يصول
فما كلّت عواتقه في مهمّة — صبور في الصعب سخيّ حمول
لنا شمعة في كلّ دار شريفة — تعرف الحقّ ولها به صهيل

صدام حسين في ميزان التاريخ[1]

بقلم: أسير من رفاق صدام حسين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ١١ ﴾

سورة القارعة

إذا كتب تاريخ أحداث القرن العشرين بإنصاف وموضوعية، سيُذكر صدام حسين كواحد من أعظم قادة هذه الحقبة. وإذا كتب تاريخ الأمة العربية في هذه المرحلة، سيُذكر صدام حسين كأحد أعظم قائدين عربيين هو وجمال عبد الناصر .

وكما رأينا الكم الهائل من التهم والإساءات التي وجهت إلى جمال عبد الناصر في حياته وبعد مماته، نجد مثلها بل أكثر وأشد ضراوة مما وجه إلى صدام حسين. لقد اتهم صدام حسين بأنه دكتاتور وجلاد وحاكم أغرق بلاده في حروب عديدة قتل فيها مئات الألوف من العراقيين والإيرانيين وغيرهم، كما بدد ثروة بلاده في هذه المغامرات وفي بناء القصور وما شاكل ذلك من التهم المعروفة. ومن

(١) انظر نص الوثيقة الأصلي بيد رفيق صدام حسين، صفحة ٤٦٥.

المعايير التي لا تقبل الخطأ في الحياة وفي تقييم أنظمة الحكم قديماً وحديثاً، هي التعرف أولاً على أولئك الذين وجهوا أو يوجهون مثل هذه التهم من العراقيين والعرب والأجانب. ولعل المعيار الصحيح لمعرفة الحقيقة في هذا الشأن هو القول الشهير لأعظم شعراء العرب أبو الطيب المتنبي الذي قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كاملُ

فمن هم فرسان هذه الحملة الشعواء التي استمرت عدة عقود من الزمن وما تزال مستمرة بعد اغتيال صدام حسين واستشهاده ؟

أول هؤلاء هم اليهود الصهاينة من حكّام إسرائيل ورجال الدعاية فيها وأنصارهم من الأجانب وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا. وإذا عرفت هذه الحقيقة وهي حقيقة ثابتة، يمكنك بسهولة أن تعرف السبب. وينطبق هذا على صدام حسين كما ينطبق على جمال عبد الناصر .

إن اليهود الصهاينة في إسرائيل وحلفاءهم من الأجانب أدركوا بدون أي شك أن جمال عبد الناصر وصدام حسين هما أخطر قائدين عربيين على إسرائيل، فكل واحد منهما في زمانه كان هو العدو رقم واحد لإسرائيل. وإذا كان كذلك، فلا بد من تدمير هذا العدو. سأعطي مثلاً بسيطاً جداً. كان جمال عبد الناصر رجلاً جميل الطلعة وطويلاً ورشيقاً وذا سمات محببة لمن ينظر إليه. وكذلك كان صدام حسين من أجمل الرجال قامة ووجهاً وطلعة. وكانت الصحف الغربية المتصهينة وصحف الأعداء من العرب تنشر اضطراراً صور هذين القائدين في بعض المناسبات .. ولكن كان هناك دائماً سلاح الكاريكاتير. وعبر حياة هذين الرجلين العربيين العظيمين، كانت الصحف إياها تنشر من الكاريكاتير أضعاف أضعاف ما تنشره من صور لهما. ولكنك عندما تنظر إلى الكاريكاتير الذي يصور جمال أو صدام، ستجد رجلاً ذا ملامح وحشية، مترهل الجسم، مرعب النظرة. والكاريكاتير عن جمال وصدام هو ما كان مطلوباً أن يشاهد من قبل الناس وخاصة في الغرب، فالذي يشكل خطراً على إسرائيل والصهيونية، لا بد أن يدمغ بالوحشية والقبح وسوء الطبيعة. وهكذا تحول أجمل قائدين عربيين في عصرهما إلى أبشع رجلين .

وإلى جانب حقد اليهود الذي ذكرناه على صدام حسين وجمال عبد الناصر، كان وما يزال هناك حقد يهودي على العراق يرجع إلى عهد نبوخذ نصر وبابل. وقد يبدو هذا الكلام بعيداً عن الواقع ومتطرفاً ولكنه الحقيقة. إن العملية الإسرائيلية التي قامت بها إسرائيل لتدمير المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١، أطلق عليها بيغن رئيس وزراء إسرائيل آنذاك اسم (بابل) تذكيراً بسبي اليهود إلى بابل في عهد نبوخذ نصر.

وإلى جانب الحقد اليهودي المعروف الأسباب، كان هناك حقد فارسي خاص ضد العراق وبالتالي ضد صدام حسين. لقد كان الفرس يتطلعون عبر التاريخ إلى السيطرة على بلاد وادي الرافدين. وقبل ظهور الإسلام كان الفرس يسيطرون على العراق. وقد حرر العرب المسلمون العراق من الهيمنة الفارسية في معركة القادسية. ولربما يقول البعض ما صلة هذا بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، فأقول إن لذلك صلتين أساسيتين أولهما: النزعة العنصرية الفارسية التوسعية التي عانى منها العراق عبر التاريخ والتي بقيت في بلاد فارس حتى بعد قيام الجمهورية التي سميت بالإسلامية. وثانيهما: طبيعة ما يدعى بالجمهورية الإسلامية الإيرانية. ولربما يظن البعض أن حقد إيران على صدام حسين كان نتيجة للحرب العراقية - الإيرانية. ولكن عندما كان خميني في باريس قبل الثورة، سأله أحد الصحفيين الأجانب من هم أعداؤك ؟ فأجاب خميني .. أعدائي هم أمريكا والشاه وصدام حسين. وكان صدام في ذلك الوقت ما يزال نائباً للرئيس، ولم يكن هناك حرب بين العراق وإيران. فلماذا يستهدف خميني العراق وصدام حسين حتى قبل أن يصبح صدام حسين رئيساً، وإن كان معروفاً آنذاك أنه القائد الفعلي للنظام. والسبب الثاني يعود إلى نظرية خميني التي بنى عليها نظامه وهي (نظرية ولاية الفقيه). إن ولاية الفقيه تعني أن الفقيه الذي يأتي للقيادة (وهو خميني)، سيكون نائب الإمام المهدي المنتظر، وبالتالي قائد المسلمين الشيعة في العالم، وبدون ذلك لا يكون كما يدعي نائباً للإمام المهدي، ولا يمكن لفقيه فارسي أن يكون قائداً للشيعة في العالم حتى لو أصبح حاكم إيران إذا لم يسيطر على المراكز الرئيسية التي تشكل رموز المذهب الشيعي (الجعفري) وهي النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. إن نائب الإمام يجب أن يكون السيد والمرجع في

هذه المواقع الرمزية الأساسية، وهذه المواقع هي مواقع عراقية، ولا بد من السيطرة عليها حتى تكتمل صفات نائب الإمام. إذن لا بد من إزاحة حزب البعث وقيادته من العراق، والسيطرة على هذه الأجزاء من العراق. بل إن هذا الهدف يفسر حالياً كثيراً من المواقف السياسية والتحالف بين الحزبين الشيعيين (الدعوة والمجلس الإسلامي) مع الحزبين الكرديين الديمقراطي والاتحاد الوطني الكردستاني، يفسر هذا الهدف ، فما دام الحزبان الكرديان مستعدين لتسليم السلطة لهذين الحزبين الجعفريين في هذه المواقع الرمزية الأساسية، فلا مانع أن يعطي هذان الحزبان الشيعيان الرئيسيان الحزبين الكرديين ما يطلبانه من بقية العراق، وهذا يفسر المواقف حالياً حول كركوك ونينوى وديالى.

إن المهم بالنسبة لليهود هو أن لا يبقى في العراق من يضع تمثالاً لنبوخذ نصر الذي احتل إسرائيل وسبى اليهود إلى بابل، وأن لا يكون هناك تمثال لصدام حسين الذي كان يقول بأعلى صوته حتى آخر يوم من أيامه (عاشت فلسطين حرة عربية من النهر إلى البحر). والمهم بالنسبة للفرس وأتباعهم، أن يكون المرشد (الذي هو نائب الإمام) السيد بدون منازع في سامراء والكاظمية والنجف وكربلاء. إن هناك حلفاً خفياً بين أمريكا المتصهينة في عهد بوش الصهيوني وبين أتباع خميني من العراقيين.

إن ظروفي الراهنة لا تسمح لي لأسباب عديدة أن أقول كل شيء عمّا ينبغي أن أقول عن جمال وعن صدام بوجه خاص، لأنني كنت من رجاله وكنت قريباً منه وإليه. ولكنني سألفت النظر إلى وجه واحد من الحقيقة وربما أكثر إذا سمح الظرف.. لقد مضى على احتلال العراق وإسقاط نظام صدام حسين أكثر من خمس سنوات. ويقول الذين جاؤوا بعد صدام وحزب البعث من الأمريكان والعراقيين إنهم يبنون عراقاً جديداً بعد إزاحة الديكتاتورية ونظام الحزب الواحد. ولا أقول في ذلك شيئاً سوى أنني أطلب من كل مراقب موضوعي وشريف ليس من أنصار صدام أو رجاله، بل من الناس العراقيين والعرب والأجانب أن يرسموا لوحة مقارنة بين الحال في عهد صدام وحزب البعث وبين هذا العراق الجديد. طبعاً في السياسة هناك الكثير

من الاهتمامات التي يعول عليها السياسيون في إصدار الأحكام، ولكن في الحياة كما في حالات الدول، هناك بعض المعايير التي لا تقبل الخطأ أو الاجتهاد في تقييم الأنظمة ومواقف الدول سواء كان المجتهد شيوعياً أو تقدمياً أو رجعياً، ديمقراطياً أو دكتاتورياً.

لننظر إلى الفرق بين الحالين في عهد صدام حسين وبعده في بعض الأمور التي هي جوهرية في حياة الناس وفي وصف أنظمة الحكم.

أولاً: الأمن الداخلي، إن كل شعوب العالم تطلب أول ما تطلبه من الحكومة أن توفر لها الأمن، أي أن ينام المواطن في بيته ويخرج في الصباح إلى عمله ويعود سالماً. وكذلك إذا ذهب لزيارة صديق أو قريب أو للتمتع بمشاهدة فيلم سينمائي أو مسرحية أو الجلوس في مقهى .. إلخ من الفعاليات الإنسانية العادية .. لا يستطيع أحد أن ينكر الحقيقة في أن الناس في العراق وطيلة أكثر من ثلاثين سنة، تمتعوا بالأمن الكامل عدا فترة قصيرة في بداية الحرب مع إيران، وفي الفترات التي شنت فيها أمريكا الحرب أو الغارات الواسعة على العراق. وبرغم الصراعات السياسية التي قيل عنها الكثير، لم يحصل في العراق في عهد صدام حسين أن يستيقظ العراقيون ليجدوا جثثاً مرمية في الشوارع أو المزابل بأعداد كبيرة تقول عنها السلطة بأنها مجهولة، مع العلم أنه لم يكن هناك في العراق شخص عراقي مجهول، فلكل عراقي سجل في دوائر الدولة، وله هوية تتضمن اسمه وتاريخ ولادته ومكان سكنه ..إلخ من المعلومات الأساسية. وإذا حصل أن واحداً من هؤلاء المواطنين مات فجأة في الشارع بسكتة قلبية أو بحادث سير أو اغتيالاً، كانت الشرطة تستطيع التعرف عليه خلال دقائق أو ساعات في أسوأ الأحوال.

هكذا كان الحال في العراق قبل صدام وفي عهده طيلة أكثر من ثلاثين عاماً.

أما في العهد الجديد الذي جاء بعد صدام وحزب البعث، فإن العراقيين والسلطات الرسمية يجدون يومياً عشرات من الجثث لمواطنين عراقيين مرمية في الشوارع والمزابل، وتقوم السلطات بنقلها إلى ثلاجات الموتى من دون أن يعرف القتيل والقاتل. وبعد أسابيع وأشهر، وعندما تمتلىء الثلاجات تنقل الجثث إلى

مقبرة فـي كربلاء لتدفن في مقبـرة جماعية هي من أكبر المقابـر الجماعية في العراق الذي يدعي فرسـان العهـد الجديد أنـه كان مليئاً بالمقابـر الجماعية فـي عهد صدام وحزب البعث.

ولا يقف الأمر عند الأمن فقط وإن كان في مقدمة ضرورات الحياة الإنسانية.. فبالإضافـة إلى الأمـن الداخلي الذي فقد بعد صدام حسـين، هناك **حاجات أساسـية** بعضها لـكل النـاس والبعض الآخـر اعتاد عليهـا العراقيـون وعاشـوها. صحيح أن العراقيين فقدوا بعض ما كانوا قد اعتادوا عليه، ولكن متى حدث ذلك ؟ حتى في إبان الحرب الطويلة مع إيران التي استمرت ثماني سنوات، بقيت حياة الناس في العراق محتملة. وخير دليل على ذلك أن الشـعب العراقـي صمد في تلك الحرب الضروس وقاتل بشجاعة وكفاءة، وأجبر حكام طهران في النهاية على التوقف ولو الموقت عن أحلامهم المريضة في الإطاحة بالنظام الوطني والسيطرة على العراق. وخرج العراق من تلك الحرب التي راهن كثيرون على أنها ستؤدي إلى تدمير العراق، قوياً معافى.

إن **الصعوبات المعاشـية** التي عانـى منها العراقيون بـدأت بعد فرض الحصار الشـامل على العراق. إن الجميع يعـرف بأن الحصار فرض بعد عـام ١٩٩١ لم يكن له مثيل فـي تاريخ الأمم المتحدة، فلقد سـبق أن فرضت عقوبـات على دول أخرى، ولكـن الحصار الذي فـرض على العـراق كان مشـروعاً هدفه خنق العـراق وتدميره وتسـهيل مهمة إسـقاط نظامه الوطنـي. ولا حاجة لذكر الأدلة والشـواهد على ذلك، فهـي معروفة تماماً للجميع. وبعد سـنوات من فرض هذا الحصار الشـامل، حصلت متغيرات في الموقف الدولي. ففي الوقت الذي بقيت أمريكا وبريطانيا تمارسان هذه السياسـة، تغيرت مواقف فرنسا وروسيا تدريجياً، ولـم تعودا تشاركان في لعبة إسقاط النظـام الوطني. غير أن امتلاك أمريكا وبريطانيـا لامتياز الفيتو في مجلس الأمن حال دون كثيـر من المحاولات التي جرت لتخفيف الحصـار وحصره في إطار الفقرة ٢٢ من القرار ٦٨٧ الخاص بأسـلحة الدمار الشامل. ومع ذلك شهدت السنوات اللاحقة تغيرات في المواقف خففت إلى حد ما من شـدة الحصار. وفي الأعوام الأخيرة بعد عام ١٩٩٧، حصلت تطورات مكنت العراق من التحرك بشـكل أيسر من السابق مما

انعكس بقدر ما على حياة شعب العراق وحكومته. والحقيقة الأساسية في هذا الشأن هـي أن قيـادة العراق برغم هذا الحصار الشـامل القاسـي، كانت تعمـل بجهد يقرب من المسـتحيل على تخفيف العبء عن الشـعب. وأول ما استطاع العراق إنجازه هو الحملـة الوطنية الشـاملة الفريدة من نوعها فـي إعادة إعمار ما تـم تدميره في عدوان ١٩٩١. إن هـذا العدوان الذي لم يكن لـه مثيل دمر كل مـا كان يمتلكه العراق. ومع ذلـك شـرع العراقيون بقيادة صدام حسـين فـي إعادة الإعمـار اعتماداً علـى ما تبقى للعراق من وسائل وقدرات، وعلى إمكانات العراق المحدودة.

لقد دمرت حرب ١٩٩١ الجسور والطرق الرئيسية ومحطات الكهرباء وتنقية الميـاه والمصانع حتى مصنع حليـب الأطفال. ومع ذلك اسـتطاع العراقيون بهمة لا مثيـل لها أن يعيدوا بنـاء الكثير مما دمر. وفـي هذه النقطة تكمـن حقيقة جوهرية عن طبيعة نظام صدام حسين، كما تكمن حقائق جوهرية عن الفرق بينه وبين النظام الذي جاءت به أمريكا إلى العراق بعد ٩/ ٤/ ٢٠٠٣.

إن إعـادة الإعمـار لـم يكن فقـط قراراً أصدرتـه القيـادة، بل كان جهـداً وطنياً شـاملاً شـارك فيه ملايين العراقيين بهمة وحماسـة لا يمكن أن تتأتيا إلا إذا كان هناك صلة صحية بيـن القيادة والشـعب وخاصة الفئـات المتنورة من الشـعب من العلماء والمهندسـين والأطباء وأسـاتذة الجامعات وكل المثقفين العراقيين. فإذا كان النظام الدكتاتوري المتسلط الذي يستخدم القوة قادراً على إجبار الناس على حمل الحجارة لبناء أشياء مثل الأهرامات، لا يستطيع نظام دكتاتوري مكروه يرفضه الشعب أن يعيد بناء المصانع والجسور ومحطات الكهرباء والماء والتلفونات وغير ذلك من المواقع الحاكمة في المجتمع في ظروف حصار دولي قاس وشامل.

إن إعـادة بنـاء كل ذلك يدل علـى الروح الوطنيـة العالية لـدى العراقيين، كما يدل على علاقة صحّية بين الحكومة والشـعب. الآن مثلاً دمر جسـر واحد في بغداد بعمـل إرهابي هو جسـر العراقية. في حين دمرت في عام ١٩٩١ عشـرات الجسـور من بغداد إلـى البصرة. وفي الوقت الذي لا يزال هذا الجسـر مغلقاً أمام المارة، أعيد بناء عشـرات الجسـور المدمرة في العراق. والعراق الآن ليس واقعاً تحت الحصار،

ويدعي الأمريكان أنهم يساعدون العراقيين في بناء بلدهم. وفي الوقت الذي تزداد فيه موارد العراق من النفط بمعدلات خرافية ويستطيع العراق أن يتعامل مع كل العالم بدون أية عوائق مفروضة، تعجز الحكومات الحالية منذ سنوات عن توفير الكهرباء والماء الصالح للشرب والتلفونات، وتتوقف المصانع عن الإنتاج، وتتدهور الجامعات والمراكز العلمية، ويهرب المهندسون والفنيون إلى خارج العراق، بل قتل الكثير منهم واختفت أخباره. ومع ذلك تسمي الحكومة الحالية نفسها بأنها حكومة ديمقراطية انتخبت من قبل الشعب !!

وإذا قارنّا حال الفساد في الإدارة العراقية في عهد صدام حسين بحالة الفساد حالياً، نجد حالات محدودة وصغيرة الحجم في عهد صدام. انتشر الفساد في كل مرافق الدولة في عراق الديمقراطية والتحرير حتى أصبح العراق مضرب الأمثال في حالة الفساد.

إن هذه الأوضاع بين عهدين تضع مقاييس لا تقبل الجدل بين أصحاب هذا الموقف السياسي أو ذاك. إنها اختلافات جوهرية في طبيعة النظام الذي جاءت به أمريكا ومعها أتباعها وعملاؤها ومن اختارتهم هي بنفسها لحكم العراق منذ تشكيل مجلس الحكم في عهد بريمر وحتى هذا اليوم.

ويمكن اعتبار **البطاقة التموينية** معياراً أساسياً آخر لتقييم نظام صدام حسين والنظام الحالي لصلة هذه البطاقة بحياة الشعب وخاصة الفقراء منهم. فبعد صدور قرار الحصار بعد ٢/ ٨/ ١٩٩٠، قرر صدام حسين تأمين حصة تموينية من الأغذية الرئيسية كالأرز والطحين والسكر والشاي وحليب الأطفال والمنظفات وغيرها مما تيسر لدى الدولة. وبرغم الحصار الشامل الجائر وجفاف موارد الدولة، استمرت هذه البطاقة التي زودت لكل إنسان مقيم في العراق من العراقيين والعرب وحتى بعض الأجانب من الفقراء، بحد أدنى من الحاجات الغذائية الأساسية. فلم تحصل حالة مجاعة في العراق. وفي السنوات التي أعقبت تطبيق برنامج النفط مقابل الغذاء والدواء، بلغت الحصة التموينية إلى أكثر من (٢٠٠٠) كالوري [سعر حراري] في اليوم لكل فرد من أفراد الشعب. وقبل الحرب الأخيرة في (٢٠٠٣)، أمر صدام حسين بتوزيع حصة ثلاثة أشهر مقدماً تحسباً لما قد يحصل أثناء العدوان من اضطرابات.

وعندما كان أنصار ما يسمى بالنظام الجديد يرقصون فرحا عندما سحبت الدبابات الأمريكية تمثال صدام في ساحة الفردوس وأسقطته على الأرض، كان هؤلاء وعملاؤهم ما يزالون يأكلون من المواد الغذائية التي زودهم بها صدام. والآن كيف هو الحال !!

أولاً: رفع الحصار عن العراق وصار العراق قادراً على تصدير النفط ومنتجاته والكبريت وكل ما يمكن تصديره، كما أصبح قادراً على شراء كل ما يريد بدون رقابة وتدخل من لجنة العقوبات في مجلس الأمن، وارتفعت أسعار النفط حتى تجاوزت المائة دولار للبرميل الواحد. ويقول المسؤولون في «العراق الجديد» أنفسهم إن عائداتهم من النفط في عام (٢٠٠٨) بلغت ستين مليار دولار، بل وربما مائة وأكثر، مع العلم أن أعلى دخل من النفط العراقي لم يتجاوز ثلاثين مليار دولار بعد الأزمة التي حصلت بعد التغيير في إيران عام ١٩٧٩ وتعطيل تصدير النفط الإيراني.

الآن وبعد خمس سنوات وفي إطار كل هذه الظروف الملائمة للحكومة، **تتعثر البطاقة التموينية**، فلا تصل في أحيان كثيرة إلى مستحقيها، أو عندما تصل إلى البعض منهم تكون ناقصة، وفي أحيان كثيرة تكون المواد فاسدة وغير صالحة للاستهلاك البشري. وهذه ليست أسراراً بل هي معلومات معلنة يعرفها الجميع ويحس بها كل العراقيين. فهل يمكن المقارنة بين نظام يحرص في أحلك الظروف على تأمين الغذاء لشعبه وبين نظام آخر غني قادر على أن يشتري ما يشاء، ولكن لا يهتم بأمر الشعب والفقراء منهم ويسرق موارد الغذاء، ويتلاعب وزراؤه وموظفوه الكبار من أنصار النظام الجديد بالعقود للحصول على الأموال لتتحول إلى أرصدة في البنوك الخارجية ومن ذلك إيران !! ومع ذلك يتحدث هؤلاء بكل صفاقة بالسوء عن صدام حسين ونظامه، ويدّعون أنهم يبنون عراقاً جديداً فيه حكومة منتخبة ديمقراطياً من قبل الشعب.

وهناك معيار أساسي آخر هو كيف يعمل المسؤولون في النظام الجديد، وكيف كان يعمل المسؤولون في عهد صدام حسين وحزب البعث!!

في عهد صدام حسين الطويل عندما كان نائباً للرئيس، وبعد أن أصبح رئيساً، زار صدام حسين كل أنحاء العراق وتجول في شوارع المدن والقرى وأزقتها، والتقى مع الناس العاديين، ودخل بيوتهم وتعرف على أحوالهم المعاشية. وكانت هذه الزيارات واللقاءات تؤدي إلى قرارات وإجراءات لحل المشكلات وتحسين أحوال الناس. وكان رقم تلفون صدام حسين معروفاً للجميع، يستطيع المواطنون التحدث معه هاتفياً في أحيان كثيرة. وكان له مواعيد ثابتة يلتقي فيها المواطنين الذين يطلبون لقاءه. وكانت أعداد هؤلاء بالعشرات أحياناً وبالمئات أحياناً أخرى. وقد ألزم صدام حسين وزراء الحكومة بأن يحددوا مواعيد ثابتة معلنة يلتقون فيها مع طالبي اللقاء من موظفي وزاراتهم ومن المواطنين الذين لهم قضية ما مع وزارة الوزير. وكان الوزير ملزماً بتقديم تقرير إلى الرئاسة عن هذه اللقاءات وعن الإجراءات التي يتخذها..

أما فرسان النظام الديمقراطي الجديد الذين جاؤوا إلى الحكم كما يقولون بانتخابات حرة من الشعب، فإنهم منذ خمس سنوات وأكثر، قابعون في المنطقة الخضراء في حماية القوات الأمريكية، ولا يخرجون منها إلا نادراً، بل إن بعضهم لا يداوم في وزارته، ويدير شؤون الوزارة بالهاتف وبالمقابلات عندما يستدعي موظفيه إلى مكتبه في المنطقة الخضراء.

وخلال الحرب مع إيران، كان صدام حسين القائد العام للقوات المسلحة يزور قطعات الجيش حتى مستوى الفصائل والحضائر، ويلتقي مع الجنود وضباط الصف والضباط كباراً وصغاراً، ويتعرف على أحوالهم وأرزاقهم وحاجاتهم الأساسية. أما رئيس الوزراء المنتخب ديمقراطياً والقائد العام للقوات المسلحة، فإنه عندما شن الحملة العسكرية على مدينة البصرة والموصل، لم يشاهده أحد هناك، فلقد بقي في القاعدة البريطانية في البصرة وفي القاعدة الأمريكية في الموصل، ولم يلتق بأهل البصرة والموصل الذين انتخبوه في الانتخابات (الحرة) ليصبح رئيس الوزراء. وكما كان يفعل صدام حسين، كان يفعل وزراؤه، يقتدون به، فلم يحصل أن وزيراً ما لم يخرج من مكتبه خلال أسبوع ليزور دوائر وزارته، ويلتقي الموظفين، ويزور المشاريع والمواقع التي تعمل فيها وزارته وتبنيها. ويذكر العراقيون أنه في

ظروف الحصار الجائر وتراجع الخدمات بسبب نقص الموارد، كلف صدام حسين كل وزير بأن يكون مسؤولاً عن ناحية من النواحي في العراق يزورها بانتظام ويسعى إلى تحسين الخدمات فيها مستعيناً بموارد وزارته، وبمبالغ زهيدة تم توفيرها من ميزانية الدولة لإنفاقها على بعض الحالات والحاجات الطارئة. وفي الوقت الذي يعلن فيه العهد الديمقراطي الجديد أن بعض الوزارات بل أغلبها لم تنفق حتى المبالغ المخصصة لها في الميزانية للمشاريع وتحسين أحوال الناس، مما يعني أن هؤلاء الوزراء لم يشتغلوا أساساً ولم يعرفوا ما هي مهمات وزاراتهم، وما هي مشاكلها واحتياجاتها. ولكن هؤلاء الوزراء الأشاوس لم يتخلفوا عن حضور الندوات والمؤتمرات في الخارج خاصة في أمريكا والدول الأوربية، وعن الزيارات المتكررة لإيران. وفي الوقت الذي عاشت فيه عوائل المسؤولين معهم في العراق حتى أثناء الحروب والقصف بالطائرات والصواريخ والمدافع، فإن عائلات أغلب المسؤولين، إن لم يكن كلهم، يعيشون خارج العراق ويملكون هناك البيوت والشقق وأحياناً يزورون العراق كما يفعل السواح. وقد قيل الكثير عن مليارات الدولارات التي هربها صدام حسين إلى الخارج. وبعد خمس سنوات من إزاحة نظامه الوطني بالحرب واغتياله بالإعدام، لم يجد فرسان النظام الجديد وحلفاؤهم الأمريكان والإنجليز وغيرهم من الغربيين دولاراً واحداً في بنك من البنوك باسم صدام حسين. وهذا وحده يفضح جانباً آخر من الكذب والتزوير الذي مارسوه ضد صدام حسين ونظامه الوطني.

وأخيراً قالوا إن صداماً يملك قصرين في جنوب فرنسا، وأنهم يسعون إلى المطالبة بالقصرين باعتبارهما أملاكاً للدولة العراقية، في حين يعرف العاملون في وزارة الخارجية العراقية وفي سفارة العراق في فرنسا أن هذين البيتين (وليس القصرين) هما ملك للدولة العراقية أصلاً، ومسجلان باسم السفارة العراقية في فرنسا التي تدفع الرسوم المترتبة عليهما منذ نهاية السبعينيات وحتى اليوم. كما أن أحداً لم ير صداماً يزور فرنسا زيارة خاصة ويسكن في هذين البيتين. وحقيقة الأمر أن أحد أجهزة النظام في عهد صدام اشترى هذين البيتين من مسؤول فرنسي في حينه لقاء خدمات خاصة قدمها للعراق .

وأخيراً تحدثوا عن يخت لصدام حسين. والحقيقة أن صدام حسين لم يمتلك يختاً، واليخت هو ملك للدولة ومخصص لرئيس دولة العراق كما كان هناك يخت لرئيس دولة العراق في العهد الملكي، ولم يستخدمه صدام إطلاقاً خاصة وأن بناء اليخت أنجز بعد نشوب الحرب مع إيران وتعذر وصوله أصلاً إلى البصرة، فبقي في الخارج .

هذه أمثلة قليلة وبسيطة توضح الفرق الجوهري في السلوك والاهتمام بالدولة والشعب في العهدين .. عهد الديكتاتورية والجلاد وعهد الحكومة الديمقراطية المنتخبة من الشعب. ولكن شعب العراق المغلوب على أمره الواقع تحت الاحتلال الأمريكي المعلن والاحتلال الإيراني غير المعلن، يعرف الكثير الكثير عن هذه الحقائق، إذ لم يمض على العدوان والمؤامرة سوى خمس سنوات وبضعة أسابيع .

ويذكر الناس الذين عاشوا في ظل نظام صدام حسين وحزب البعث كيف كانوا يعيشون وكيف كان صدام يتعامل معهم، وكيف كان يتصرف وزراؤه. ويرون الآن فرسان العهد الجديد وكيف يعيشون وماذا يفعلون أو لا يفعلون. والأهم من ذلك أيضا كم يملكون في بنوك أمريكا وأوروبا وإيران !!

إن بضع صفحات عن صدام حسين لا تكفي لإعطاء صورة شاملة عن هذا القائد المتميز. فلقد استمر عهد صدام حسين نائباً للرئيس وقائداً فعلياً للمسيرة ومن ثم رئيساً أكثر من ثلاثة عقود، وهي أطول فترة مرت على قائد للعراق في القرن العشرين. لذلك تقتضي الموضوعية والأمانة الكثير .. الكثير من الكتابات وفي حقول عديدة، دوره كقائد متميز لحزب البعث العربي الاشتراكي ودوره كنائب لرئيس مجلس قيادة الثورة، يتولى بالإضافة إلى دوره القيادي الشامل خلال فترة السبعينيات التركيز على الثقافة والإعلام، وعلى التخطيط والتنمية من خلال قيادته لمجلس التخطيط ودوره القيادي الحاسم في تأميم النفط، وقبلها في إعلان بيان آذار وإقامة الحكم الذاتي في المحافظات التي يشكل الكرد غالبيتها السكانية، ودوره كرئيس للجنة شؤون الشمال لعدة سنوات، وإشرافه المباشر على معالجة تمرد البارزاني بعد

عـام ١٩٧٤، ودوره في اتفاقيـة الجزائر لعـام ١٩٧٥، ودوره في قمة بغـداد الأولى، والتعامل مع موضوع تصرف مصر الإنفرادي في اتفاقية كامب ديفيد، وقضايا عديدة أخرى حزبية أو سياسـية داخلية وخارجية، والمشـاريع العملاقة التي أنجزت بتأثيره وقيادته، وتعامله مع موضوع الجبهة الوطنية والعلاقة مع الشـيوعيين في السبعينيات وغيرهم من الأحزاب والكتل السياسية.

إنها مسـيرة طويلـة حافلة بالأحـداث والأخطـار والأعمال الباهـرة في خدمة الشعب وتطوير العراق وبناء قواته المسـلحة. هذا فضلا عن دوره القيادي كقائد عام للقوات المسـلحة في معركة القادسـية المجيدة التي تعتبر أكبر وأهـم ملحمة عراقية وعربيـة فـي العصـر الحديث، عندمـا خاض بلـد عربي حرباً ضروسـاً دامـت ثماني سـنوات مع دولة تكبر العـراق ثلاث مرات بالمسـاحة وأكثر من الضعف بالسـكان. وانتهت بإنهاء العـدوان الإيراني على العـراق وأطماع نظام خميني فـي الهيمنة على العراق وفق ما ذكرناه سابقاً.

لقـد كان صـدام حسـين طيلـة هـذه السـنوات الطويلـة والأحـداث الجليلـة والأخطـار الكبيـرة، كان دائماً الرجـل والقائد الصامـد .. اليقظ الذهـن .. المبادر .. الحاسـم .. المفكر .. والمتأمل والقائد الذي يستمع إلى الجميع ويلخص المواقف في نهاية المناقشات الطويلة.

إن هذه المسيرة التي كانت حافلة ومجيدة ومتميزة حقاً تحتاج الكثير .. الكثير مـن المعالجات. ولا بد أن يسـهم فيها كثيرون من رفاق صدام حسـين الذين عاشـوا معه تلك الأحداث، وشاركوه في بعضها أو أغلبها.

وليسـت هـذه المحاولة مـن رفيق متواضـع من رفاقـه إلا مقدمة لسـفر طويل وحافزاً لهؤلاء الرفاق أن يتحدثوا وأن يكتبوا .

وأخيراً رحل صدام حسـين، وقد اغتيل غدراً على أيـدي المحتلين الأمريكان والعملاء من العراقيين. وسـيقول التاريخ إنهم كانوا أقزاماً في مواجهة عملاق. رحم الله صدام حسين. لقد كان في حياته قائداً عظيماً، وفي اغتياله رجلاً شجاعاً لا يهاب الموت حتى صار صدام حسين سيد شهداء العصر.

وإذا كان الأقزام من المحتلين الأمريكان وعملائهم العراقيين قد أسقطوا تماثيل صدام حسين ونزعوا صوره وحذفوا اسمه من كثير من المعالم، فإن التاريخ سيعيد اسم صدام .. وذكراه .. ومنجزاته، شامخة لا تطالها أيدي الأقزام الجبناء.

صدّام حسين ...

السطر الأول من كتاب الأسطورة

بقلم علي الصراف[1]

ما كان لمحاكمة رجل، تضاربت فيه التصورات والأقاويل، إلا أن تكون شاهداً تاريخياً آخر على تلك القسمة الأبدية بين الحق والباطل.

كان هناك الكثير من وقائع حياة هذا الرجل التي يمكنها أن تدل على معدنه و«طينته» وتكشف عن جذره وجذوته، إلا أن صدام حسين لم يكن واضحاً وجلياً، في تلك الطينة والجذوة، بقدر ما كان واضحا في سجنه وجلياً في محاكمته.

هناك، فقط، ظهرت حقيقة الرجل عارية كما جبلها الله في روحه .

هناك، فقط، ترك الرئيس هيبة منصبه ليكسب هيبة البطل الأسطوري الذي ما بعده بطل .

وهناك ظهر «الدكتاتور» على حقيقته !

ولقد كان دكتاتوراً عليهم بشموخه وأنفته وكبره على السلاسل والأقفاص والقيود. يدخل عالي القامة، ويخرج أعلى قامة مما دخل. رجل يقول للموت: ها أنا ذا، فتعال، لو تجرؤ أن تأخذني .

(١) الأستاذ علي الصراف كاتب سياسي عراقي تقدمي معروف، كان معارضاً بارزاً للرئيس الشهيد صدام حسين لعدة عقود، لكنه بعد الاحتلال، وقف علناً ليقول بشجاعة وشرف وانحياز مطلق للوطن وللشعب وللضمير، إن كل مواقفه ضد صدام حسين وكل معارضته له وعمله السياسي ضد نظام الحكم الوطني الذي قاده، كان خطأ كبيراً. وعبّر عن ذلك تعبيراً واضحاً وجميلاً جريئاً في عدة مقالات مهمة، ومنها هذه المقالة.

ولم يأخذه موت.

كان الأمر مجرد خدعة صورية، لا أكثر.

نعم، وقف أمام حبل المشنقة، ونطق بالشهادتين.

ونعم، رأيناه يتقدم مكشوف الرأس، مفتوح العينين، ليرتدي ربطة عنق، خشنة قليلاً.

ونعم، رأينا الجسد ينزل، ثم الجثمان ممدداً. ولكن ابتسامته الأخيرة قالت كل شيء.

كان يعرف أنها السطر الأخير في كتاب المناضل والرفيق والرئيس والقائد والأب، ولكنها أيضاً، السطر الأول في كتاب الأسطورة.

ومثلما خدعنا بـ «دكتاتوريّته»، إذ لم يكن على وجه الحق إلا شديد بأس، فقد خدعنا في «موته».

فهو لم يمت. خطا خطوة .. وابتسم، وانتقل إلى رحاب أخرى، مثلما يصعد المرء سلّماً. وكأن المسافة بين الحياة والأبديّة ليست أكثر من تلك العتبة.

نزل الجسد، ولكن الموت لم يأخذه. فابتداءً من تلك اللحظة، ولد صدام الآخر؛ صدام الخالد ؛ صدام الذي لا يمكن لموت أن يأخذه منا أبداً.

بكينا قليلاً، وغمرنا الحزن قليلاً، ولكننا ابتسمنا معاً... لحظة اكتشفنا خدعة البطل. واحتضناه بقلوبنا كما لم تحتضن روح مناضل من قبل. فأودعنا جزءاً منه أمانة بين يدي بارئه، وعدنا، بذلك الجزء الأعز، لنواصل المقاومة.

واكتشفنا أنه، كان يبتسم من ناحية أخرى أيضاً، إبتسامة تلك السلطة الممتلئة. فهو بكل ما كان يبدو من جبروته البابلي، فقد كان إنساناً حليماً ذا بساطة وطيبة يمكن لدموعه أن تسيل على خديه لأي مصاب أو فقدان جلل. وكان يحزن ويضحك ويغضب كما يفعل كل البشر. وكان هش القلب أيضاً، إنما بهيبة الرجل وبطول قامة البطل، اللتين لم يضحِّ بهما أبداً.

كان يريد من «شدة بأسه» أن تؤدي غرضاً وأن توصل إلى هدف. فانقسم الخلق فيه، بين من يرى «الدكتاتوريّة» المزعومة بتفاصيل تكاد تكون بلا معنى، وبين من يرى الغرض والهدف بتفاصيل مذهلة في كل جامعة ومؤسسة ومعمل.

وظل القمر واحداً. فمن أي نصف نظرت إليه، فإنه النصف الآخر أيضاً.

هكذا، ربما ليجعلك حائراً. وهكذا ليظل شاغلاً. وهكذا ليدفع بالعراق قدماً، فقدماً، فقدماً، حتى أغاظ ضده كل الذين في قلوبهم سويداء حقد وأطماع وكراهية عنصرية و... سفل. فالتأموا عليه، وتحالفوا على قتله وعلى تدمير العراق في آن معاً.

بتلك السويداء فقط، حكموا ليدمروا ويقتلوا ويعذبوا ويغتصبوا. وبتلك السويداء حوّلوا العراق إلى مسلخ وبركة دم. ولم يكن لديهم أيّ شيء آخر. كأنهم جاءوا من كوكب مظلم طراً.

وكان لا بد أن يقتل صدام حسين، لأنهم كانوا يريدون أن يقتلوا به طموح العراق إلى القوة والرخاء والمجد.

وكنا نرى ذلك السومري يبني ويقاتل ليلاحق عشبة الخلود. ولكن، مثلما خسرها جلجامش الأول لتقع بين أنياب ثعبان تمكن من التهامها قبل أن يصل المحارب إليها بوقت قصير، فقد خسرها جلجامش الثاني لتقع بين أنياب ثعبان أيضاً.

ولم يكن البطل ساطعاً كما كان ساطعاً في سجنه وفي محاكمته.

في البدء أرادوا أن يهينوه، فأهانهم.

وأرادوا أن يحاكموا «دكتاتوريّته»، فحاكم انحطاطهم ورخصهم وعمالتهم.

وأرادوا أن يروه ضعيفاً، فكشف لهم عن بسالة محارب لا يرف له، في الحق، جفن.

وكان، بفصاحته ووطنيته وثاقب نظرته، هو محامينا الأول، وكل فريق دفاعه كان «فريقاً مساعداً».

صدام في سجنه كان عارياً أيضاً. الإنسان تكشفه وتعريه المحن. وقد كشفه السجن وعراه كما لم يفعل مع أي زعيم آخر من قبل. فكان أجمل بشخصيته، وأكثر إقداماً بشجاعته، وأنبل بكرمه أمام محامين كانوا يستمدّون من «موكلهم» الثبات

والقوة، لا العكس. يواسيهم لا أن يواسوه، ويشد من أزرهم لا أن يشدوا من أزره، ويبقيهم على جادة الحق، لا أن يبحثوا عنها معه.

وقلائل هم الأحرار الذين منحهم القدر شرف الوقوف تجاه الغزاة تلك الوقفة الجليلة. وقلائل هم الذين يجعل التاريخ منهم علماً ومنعطفاً.

وجرياً على بطولته، فقد صار محاموه أبطالاً، يواجهون الموت مثله، ببسالة محارب، لا بمهنية محام، إذ كيف كان يمكن لهذه المهنية أن تواجه ميليشيات ترتدي بزة القضاء في الداخل، وغوغاء ترتدي بزة المليشيات في الخارج؟

في الداخل، القاضي ليس قاضياً محايداً بل طرفاً يجادل ويصيح ويتوتر ويغضب ويطرد كما يفعل الغوغاء، فيما لا يتورع «مغاوير الداخلية» وحراس الاحتلال عن ضرب المتهمين وتعذيبهم أمام المحكمة وفي الممرات وفي السجن.

وفي الخارج، تكمل الميليشيات المهمة بترويع المحامين وملاحقتهم وتهديدهم، حتى قتلت خمسة منهم، بعد التنكيل والتعذيب، بل علقت جثة أحدهم على عمود الكهرباء لتكون شاهداً، ليس على الوحشية وحدها، بل دليلاً، لا تخطئه البصيرة، على الإفلاس الأخلاقي التام للاحتلال وحكومته وميليشياته و... «قضائه».

في ظروف كهذه، لم يكن محامو «فريق الدفاع» محامين إلا خدعة أيضاً. فقد كانوا رجالاً (وامرأة) لا تغني مهنيتهم عن استعداد كل منهم ليكون شهيداً يذهب إلى موته بقدميه. فهم كانوا هناك يخوضون معركة ليس في إطار القانون، سعياً وراء إحقاق الحق وإظهار العدل، بل في إطار اللاقانون، بين أدغال قانون الغابة، بأكثر معانيه بدائية وتخلفاً وتخلياً عن القيم الإنسانية، سعياً للبحث عن سبل للنجاة من حفرة ثعابين وعقارب، يشرف على حوافها ذئاب وضباع ينتظر كل منهم الفوز بحصته من الدم.

لقد أريد لتلك المحكمة أن تكون «محكمة القرن»، ... فكانت. إنما كمهزلة مدوية ستظل تتردد أصداؤها على امتداد القرن كله كنموذج لأسوأ ما عرفته البشرية من إهانة لقيم الحق والعدالة والقانون. وستظل عاراً يلاحق، بالخزي والسخرية، كل الذين تورطوا بتدبيرها.

كان المـوت حاضـراً فـي كل لحظـة، وفـي كل زاويـة ومنعطـف مـن زوايـا تلك «القضية».

ولم يكن هناك سـوى هدف بيّن واحد لكل تلك المهزلة، هو قتل «المتهمين» تحت ستار «قانون» تم تفصيله خصيصاً ليكون دغلاً من أدغال غابة سكاكين تتهاوى وتترنـح لتنهش أجسـاد ضحاياها غـدراً وغيلة وعبثـاً. وكم كان مما «يمـرد» القلب، فـي بيئة كهذه، أن يبحـث المحامون عن اسـتراتيجيات وخطط للدفاع. فالسـكاكين كانت هي سـيد المسـألة، ليسـت ضد رئيس فقد سلطته بقوة وحشـية، وتحت غطاء ظالم، وبناء على أكاذيب وذرائع باطلة، وليست ضد محامين وجدوا أنفسهم ضحايا للتهديد والقتل والتعليق على أعمدة الكهرباء، بل ضد شعب برمته صار ينحر أبرياؤه، نساء وأطفالاً وشيوخاً، نحر الخراف على مرأى العالم كله.

ولكننـا بتلك السـكاكين وبغوغائها، نعرف اليـوم، كم أننا كنا على حـق، وكم أن شهيدنا لم يكن «دكتاتوراً» كافياً، إذا جازت عليه هذه الصفة أصلاً، وكم أن الوجه الآخر، المضيء، من قمر البناء والازدهار والقوة كان هو الوجه الصحيح للعراق في ظله.

وسيكون أولئك الغوغاء هم أنفسهم شهودنا في محكمة المستقبل. فجرائمهم تكفي بنفسها لكي تقف أمام التاريخ لتقول من أي عالم سفلي جاؤوا، وإلى أي تاريخ أسود ينتسبون، ومن أي عالـم، سابق على القانون، استمدوا قانونهم ودولتهم.

فبرغـم أنهـم قتلوا أسـيراً وشـبعوا فـي جثمانـه حقـداً، إلا أنهم ظلـوا يقتلون ويدمّـرون وينهبون ويغتصبون حتى لكأنهم كانوا يرون في كل عراقي وعراقية ضحية مبـررة لحقدهم. والحقيقة، هـي أن لا أخلاقيات العالم السـفلي، القادمة من كوكب الظلام الكلي للنفس البدائية، نفس ما قبل نشـوء القيم والمعايير الإنسانية، كانت هي وحدها الجوهر الذي يتحكم بمهاوي سكاكينهم، ليس على أجساد الأبرياء بل وعلى جسد العراق نفسـه أيضاً، وعلى مستقبله وعلى حق أبنائه في الأمن والرخاء والحرية أيضاً وأيضاً.

في هذا «السياق» الدامي، كان على جمع من الأبطال، قرروا المغامرة بحياتهم، أن يتقدموا كمحامين أحرار، تعلموا في أفضل الجامعات، واكتسبوا الخبرة في أفضل

ساحات العدالة، للدفاع عن شهيد يعرف أنه شهيد سلفاً، وعن رفاق آخرين له كانوا يستظلون بشجاعته، فتنهض شجاعتهم مثلما تنهض النخوة.

ومثل تلك النخوة، كان عمل «هيئة الدفاع» نخوة شرف أكثر منها نخوة قانون. فالقانون لم يكن هو المسألة، بالنسبة لتلك المحكمة، أصلاً.

وإذ لا يمكن النظر إلى تلك المحكمة بمعزل عن بيئة القتل المباح الذي يعم العراق، فإنها كانت شاهداً على موت الضمير نفسه، ودليلاً على انهيار كل المعايير والقيم الإنسانية أيضاً. ومن موت الضمير وانهيار القيم، صارت «حقول القتل» العراقية أوسع سفكاً للدماء من كل «حقول القتل» التي عرفتها الوحشيات السادية السابقة في تاريخ البشرية ... من هتلر إلى بول بوت، إلى بينوشيت.

ولكن، فحيثما كان يبدو أن القضية التي يدافع عنها أولئك المحامون «خاسرة سلفاً»، إلا أنها لم تكن خاسرة أبداً.

هناك، في سجنه، كشفت رجولة الشهيد عن بطل أشد من الفولاذ تماسكاً وصلابة. وكان الإنسان فيه روحاً للخير والتسامح والوطنية الفذة. فلم يسأل عن انتقام، ولا طالب بثأر، وتنزه عن كل سلطة، وظل «العراق العظيم» هو الخيمة التي تلقي بكلكلها على شغاف قلبه، وتحرك نهضته وحريته دوافع ضميره.

وعندما حانت ساعة الرحيل، خطا خطوته واثقاً ومبتسماً.

فلئن كنا خسرناه زعيماً وقائداً، فقد عدنا لنكسبه بطلاً أسطورياً ورمزاً.

ومثله فعل رفاقه الآخرون. ومثلهم سيفعل كل رفاق المسيرة إلى الحرية. فـ «العراق العظيم»، عراق الخير والتسامح والحرية والرخاء هو عراقهم. إنه الشجرة الخالدة التي، إذا خسرت جلجامشاً، فجلجامشاً آخر تلد.

صدّام حسين
من العوجة.. إلى القصر الرئاسي

ما من رجل ملأ الدنيا وشغل الناس، مثل صدام حسين في الهزيع الأخير للقرن العشرين ومفتتح الألفية الثالثة، ولم تكن حياته إلا ذلك المسار المشتعل من التحديات والأهوال والانتصارات والمأساة والفجيعة الخالدة، وتلك هي معالم دروب عظماء التاريخ.

وثمة قبس يسطع في سيرة صدام حسين يعطي حياته هذه الهالة الكبيرة من التوقف والاهتمام، ذلك بأنه خرج من من الفجوات المنسية وتعرجات الحياة الفقيرة ومرارة العيش وغلظته وسار في رحلة قاسية نحو سارية المجد الذي بلغه بروحه ليبقي علامة في وجه الزمان.

وشركة المنبر للطباعة المحدودة في السودان وهي تنشر هذا الكتاب القيّم وهو أهم وأخطر وثيقة سياسية في عالمنا المعاصر، تشعر بالفخر الكامل أن تكون شهادة الرئيس الشهيد صدام حسين هي باكورة إصداراتها وما من قيمة أكبر من هذا.. ولا بدّ هنا من وقوف عند هذا الرجل صدام حسين ....

في كوخ صغير، ورياح صيفية تعصف بقرية العوجة، إحدى نواحي تكريت حوالي ١٧٠ كليومتراً إلى الشمال الغربي من بغداد، ولد في ٢٨/ ٤/ ١٩٣٧م في منزل يتكون من غرفة واحدة، طفل صغير يتيم، لم يشهد والده حسين المجيد ولادته، فقد توفي قبل ستة أشهر، وأطلقت أمه (صبحة طلفاح) عليه اسم (صدام).

العائلة الصغيرة كانت تمتهن الرعي والزراعة وتعيش فقراً مدقعاً، وكان العراق في تلك الفترة يموج بحركة سياسية نشطة واضطراب في مسار النظام الملكي

الحاكم، كأنه يستلهم تاريخه الطويل، وتاريخ العراق مذ وجد، هو تلاطم فوّار لموج الحضارات العريقة ومهد البطولات التاريخية والملاحم الوطنية ومنشأ الحركات السياسية التي تزاحمت في مجرى التاريخ الإسلامي العريض منذ الخلافة الراشدة، والعهد الأموي والعباسي وحتى التاريخ الحديث..

في هذه الاجواء والحرب العالمية الثانية تقرع طبولها، ولد صدام حسين، يتيماً وفقيراً ومعدماً ليس له من الدنيا إلا الصبر الجميل والعيش العسير والآمال المطفأة، تزوجت والدته من زوجها الثاني إبراهيم حسن، وأنجبت إخوته الآخرين (برزان ووطبان وسبعاوي)، وتربى صدام في سنواته الأولى على يد والدته وزوجها الذي كان يمتهن حرفة الرعي في تلك الضواحي من تكريت وعاش الطفل ما بين رعي الأغنام والتجوال في البوادي والفلوات الواسعة وبيع البطيخ في محطة القطار الذي يتوقف في تكريت في طريقه للموصل، لكي يعول أسرته وإخوته الصغار.

شبّ صدام وفي نفسه وروحه بذرة تميز وقيادة، ظهرت معالمها وملامحها الجادة في طفولته الباكرة وبرزت ميزاته القيادية وهو تلميذ يدرس الابتدائية في مدينة تكريت، حيث بانت مثابرته ودأبه الجاد، يعكس فيه حرصه وقوة البيئة الرعوية والخلوية التي عاشها وخالطت دمه وجرت في طبائعه.

برزت بصورة أوضح هذه الميزات والملامح القيادية خلال المرحلة المتوسطة، عندما كانت تيارات فكرية وسياسية تدوي بعنف على طول واتساع الوطن العربي، وانتقل صدام للإقامة مع خاله (خير الله طلفاح) في بغداد لإكمال دراسته الثانوية بالكرخ في العاصمة العراقية، وكانت هذه الفترة هي الأهم في تكوينه السياسي والفكري وتبلور كامل رؤاه الوطنية فقد تأثر صدام بالأفكار القومية ونضالات الحركة الوطنية العراقية المناهضة للاستعمار البريطاني الذي كان يجثم على صدر العراق، وكان منزل خاله خير الله الذي كان مدرّساً، يعجّ بالعديد من نشطاء العمل القومي ورجالات الحركة الوطنية العراقية وبالكتب والمطبوعات التي تحمل الفكر القومي العربي والتاريخ والفلسفة والأدب، وكانت الأفكار السياسية والشعور القومي العربي قد تنامى في فترة الخمسينيات دافقاً قناديلاً من التنوير والاستبصار لدى المثقفين والشباب العرب.

بعد إنهاء دراسته الثانوية، حاول صدام حسين الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية، لكن لأسباب خاصة وأسباب أخرى تتعلق بالأوضاع السياسية في تلك الفترة حالت دون التحاقه بالأكاديمية العسكرية خاصة انتمائه لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٦م وتعرضه لفترات اعتقال متقطعة، استمرت إحداها أكثر من ستة أشهر ما بين عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩م، وكان صدام من القيادات الشابة والناشئة في الحزب واكتسب خلال فترة وجيزة خبرة تنظيمية وسياسية جعلته من أميز كوادر البعثيين صغار السن.

وقع انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق عام ١٩٥٨م كحدث هام في العراق وتغيير أساسي في تركيبة الحكم أنهى الحكم الملكي بقيادة الملك فيصل الثاني، وكان الضباط الذين قادوا الانقلاب ضد الملك من غير البعثيين العراقيين، وكان حزب البعث مناوئاً للسلطة الجديدة التي لم تفلح في توفير الاستقرار ولم تكبح جماح التوترات والاضطراب السياسي ولم تستقر الأوضاع الداخلية، وقرر حزب البعث إحداث التغيير بكوادره وضباطه، وبسبب إصدار قرارات بالحكم بإعدام عدد من الضباط ومن بينهم ضباط بعثيين، جرت محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم نفذتها كوادر حزب البعث وبينهم صدام حسين، وفشلت تلك المحاولة بعد إطلاق النار على موكب الرئيس عبد الكريم قاسم، وأصيب صدام في تلك الحادثة بطلق ناري في ساقه، واستطاع رغم الإصابة عبور نهر دجلة سابحاً وفر إلى بلدته في تكريت ولاحقته الأجهزة الامنية التابعة للرئيس عبد الكريم قاسم ولم تعثر عليه، وبدأ نجم صدام يلمع ويسطع على ساحة حزب البعث وفي الحياة السياسية العراقية.

وكان في تلك الفترة شديد التأثر بأفكار ونتاجات الفكر القومي خاصة كتابات ميشيل عفلق الذي توثقت صلته به منذ تلك الفترة مع اطلالة السنوات الستين من القرن الماضي.

ونتيجة للملاحقات وأعمال البحث الجارية عن صدام وصدور مذكرات توقيف بشأنه كونه أصبح الشغل الشاغل للأجهزة الأمنية آنذاك، شق على الرجل الاختفاء والترحال المستمر وأعمال التنقل الدائمة من مكان لآخر، فقرر الهجرة ومغادرة تكريت والعراق بأكمله.

في أواخر عام ١٩٥٩م في بداية ديسمبر من العام نفسه بدأ صدام رحلة مضنية وطويلة ومحفوفة بالمخاطر عبر الفيافي والصحراء والوهاد وسيراً على الأقدام وأجزاء منها على الدواب، حتى وصل الحدود السورية العراقية، وكانت سوريا في تلك الأثناء أحد المراجل الفوّارة بالقوميين والوحدة العربية.

مكث صدام حسين في دمشق ما يقارب الثلاثة أشهر، في بداية هجرته الأولى، نضجت فيها رؤاه السياسية، خالط العديد من رموز الفكر القومي، وكان على صلة بالحزب داخل العراق وعلى اتصال دائم بما يجري هناك.

كانت القاهرة هي محطته الثانية، وصلها في ٢١ فبراير ١٩٦٠م، وكان هدفه هو مواصلة دراسته وكسبه المعرفي، فالتحق بمدرسة قصر النيل في القاهرة للحصول على الثانوية التوجيهية التي تمهد له دراسة القانون في الجامعة، وكان يقيم في سكن الطلاب من رفاقه البعثيين في حي الدقي بالقاهرة وتدرج في العمل التنظيمي في صفوف الطلاب وقيادتهم الحزبية وارتقى إلى أن اصبح المسؤول الأول عن طلاب الحزب في جمهورية مصر العربية، وعرف وسط الطلاب ورفاقه بأنه لا يميل لحياة السهر واللهو يقضي وقته ما بين القراءة ولعب الشطرنج.

في تلك الأثناء صدر ضده حكم غيابي من المحكمة العسكرية العليا في بغداد بإعدامه وعلى مجموعة من رفاقه الذين فروا بدورهم خارج العراق بتهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم. وكانت المحكمة التي أصدرت حكمها ضد صدام في ديسمبر ١٩٦٠م قد أشعلت صفحة جديدة من المواجهة والصدام بين حزب البعث والسلطة الحاكمة.

وقطع صدام حسين دراسته الجامعية، وكان قد التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٦١م، ولم يكمل دراسته، وعاد للعراق بناء على توجيهات الحزب الذي كان يعد لانقلاب ضد عبد الكريم قاسم، واستطاع الحزب أن يطيح بنظام الحكم في ١٤ تموز / يوليو ١٩٦٣م، وتم تنصيب عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية.

في العام ذاته تزوج صدام من ابنة خاله ساجدة خير الله طلفاح، وتم تعيينه

مشرفاً على التنظيم العسكري لحزب البعث، في أعقاب الانقلاب ضد البعثيين الذي قام به عبد السلام عارف في ١٨/ ١١/ ١٩٦٣م، بعد خلافاته العميقة مع الحزب، وكان من بين المعتقلين من قيادات الحزب صدام حسين، لكنه استطاع الهرب من السجن ومن المعتقل، وكعادته كان ملاحقاً ومطارداً في مناطق العراق المختلفة، وهي تجربة كشفت قدراته التنظيمية ودقة تخطيطه وكان هو المدبر الأول لعمليات التعمية والتمويه والاختفاء لقيادات الحزب وكوادره، وتوثقت صلته في هذه الفترة مع رئيس الوزراء في عهد حكم الحزب القصير مع عبد السلام، أحمد حسن البكر وهو ذا صلة قربى بصدام.

واستطاع صدام حسين في هذه الفترة، تأسيس تنظيم عسكري قوي وفعال، استفاد فيه من تجاربه وقدراته وكان ينسق كافة أعمال الحزب وتحركاته السرية وتأمين كوادره وقياداته العسكرية والدوائر التابعة للحزب داخل صفوف الجيش وينسق عمل الخلايا الحزبية والعسكرية.

في تزاحم الأحداث، غادر صدام العراق إلى سوريا للالتقاء بقيادة الحزب في ١٩٦٣م، والتقى بميشيل عفلق مؤسس الحزب وشارك في نقاشات طويلة وتباحث مع قيادة الحزب حول التطورات والاضطرابات الجارية في العراق وانشقاقات الحزب فرع العراق وصراع الأجنحة المختلفة، واكتسب صدام ثقة عفلق في هذه الرحلة وتوثقت علاقتهما وحقق الكثير للبعثيين العراقيين ونال إعجاب القيادة القومية لحزب البعث التي اختارته عضواً فيها، وتوثقت الأصرة الحزبية بينه وميشيل عفلق ورفاقه في سوريا.

وكان من أبرز سمات هذه العلاقة أن قيادة الحزب في سوريا كانت حريصة على بقاء صدام في دمشق ونصحته بذلك، خوفاً عليه بعد اكتشاف عبد السلام عارف أن أفراد الحزب وكوادره وتنيظمه العسكري، يدبرون محاولة للانقلاب عليه، وكانت نصيحة عفلق والقيادة القومية أن عارف سيبطش بصدام إذا بقي في العراق، ورفض صدام نصيحة الحزب وعاد لبغداد.

وتمكنت الأجهزة الأمنية لنظام عبد السلام عارف بعد تحقيقات ومطاردات،

من إلقاء القبض على صدام في ١٤ أكتوبر (تشرين الأول عام ١٩٦٤م)، وتم اقتياده للسجن في المعتقل الحربي، وأودع زنزانة انفرادية وواجه فيها كل صنوف العسف والتعذيب.

وقررت القيادة القومية لحزب البعث في سوريا والعراق من خلال متابعاتها لأخباره في السجن وصموده في وجه التعذيب الوحشي الذي يتعرض له، اختياره وانتخابه أمين سر الحزب وهو لا يزال في السجن حبيساً.

وظهرت براعته وقوة شكيمته وقدراته التنظيمية الرفيعة في تدبيره المحاولة الثانية للهروب من السجن، وبالفعل استطاع في عملية بطولية محكمة ودقيقة الهروب من السجن بمساعدة بعض رفاقه من كوادر الحزب أثناء اقتياده من محبسه لإحدى جلسات المحاكمة العسكرية التي كانت تجري له لمحاكمته، وكان ذلك في ٢٣ يوليو / تموز ١٩٦٦م. وشكل ذلك الهروب صدمة عنيفة وهزة بالغة لنظام حكم الرئيس عبد السلام عارف، وكثفت الأجهزة الأمنية بحثها عنه في كل اتجاه، في ذلك الأوان كان صدام قد أنشأ بعد هروبه من السجن تنظيماً سرياً يتبع للحزب، وهو الجهاز الأمني داخل الحزب الذي عرف باسم (حنين)، وهو يضم بجانب العمل الأمني وحدة مسؤوليتها الفلاحين والتنظيم النسائي بالحزب.

في هذه الأثناء لقي الرئيس عبد السلام عارف مصرعه في حادث تحطم طائرة عمودية، وتولى السلطة بعده شقيقه عبد الرحمن عارف، وبدأ الحزب يخطط للاستيلاء على السلطة وكان لصدام دور بارز في التخطيط والمتابعة والإشراف على تنفيذ خطة الانقلاب على عبد الرحمن عارف ونجحت ثورة تموز في يوليو ١٩٦٨م في الاطاحة بالنظام الحاكم وكان صدام حسين على رأس المجموعة التي اقتحمت القصر الجمهوري معلنة نهاية النظام وبداية عهد جديد في العراق.

وتكوّن مجلس قيادة الثورة برئاسة الفريق أحمد حسن البكر، ولم يعين صدام نائباً له رغم قيامه بتصريف مهام نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، حتى تم تعيينه رسمياً في هذا المنصب في ٩ نوفمبر ١٩٦٩م، وكان قد بلغ الثانية والثلاثين من عمره، بجانب مسؤوليته كأمين سر الحزب ومسؤول الأمن الداخلي وخلال

عشر سنوات قضاها في منصب نائب الرئيس استطاع صدام أن إسهم اسهاماً كبيراً في بناء مؤسسات الدولة وهياكلها، ابتداءً بالجيش العراقي والأجهزة الأمنية وكافة مؤسسات الحكم والخدمة العامة، وبدأ في الإشراف والتنفيذ للخطط التنموية الشاملة في العراق لتغيير وجه الحياة والاستفادة من الموارد والإمكانيات التي يذخر بها العراق.

وبنى خلال هذه الفترة علاقات جيدة في العالمين العربي والاسلامي، وامتدت علاقاته مع دول العالم المختلفة ومن أهم ما قام به صدام وهو يتولى منصب نائب الرئيس تنفيذه للعديد من المشروعات الاستراتيجية الكبرى، خاصة وقوفه وراء قرار تأميم صناعة النفط العراقية عام ١٩٧٢م، وبدء مشروع التعليم الضخم على مستوى الدولة لمحو الأمية حيث فرض عقوبات تصل إلى السجن ثلاث سنوات لمن يتخلف عن فصول محو الأمية لتعلم القراءة والكتابة، وكان من أكبر ثمار هذا المشروع تعلم مئات الألوف من العراقيين نساء ورجال وأطفالاً القراءة والكتابة.

ووقّع صدّام في ٦ مارس ١٩٧٥م في الجزائر وبعد وساطة ناجحة من الرئيس الجزائري هواري بو مدين، اتفاقاً لترسيم الحدود مع إيران وتم اقتسام شط العرب مع نظام الشاه محمد رضا بهلوي، مقابل أن تكف إيران عن التدخل في الشؤون الداخلية العراقية وزعزعة استقراره وأمنه، ومنها دعمها للتمرد الكردي في شمال العراق.

وزار فرنسا واتفق معها على بناء المشروع التنموي الاستراتيجي العملاق للطاقة النووية السلمية في السبعينات.

وقاد وفد الحكومة العراقية للمفاوضات مع قادة التمرد الكردي في شمال العراق بعد مفاوضات ماراثونية. كان هو المهندس الحقيقي لاتفاقية الحكم الذاتي الذي منح للأقلية الكردية في ١١ مارس ١٩٧٤ الذي لا نظير له في المنطقة التي يتواجد فيها الأكراد وهي إيران وتركيا وسوريا.

وفي ١٦يوليو / حزيران عام ١٩٧٩م، قطعت وسائل الإعلام والإذاعة والتلفزيون في العراق إرسالها، لتعلن بياناً هاماً أعلن فيه رئيس الجمهورية أحمد

حسن البكر استقالته من منصبه، وكان التبرير للاستقالة، تقدم سن الرئيس البكر وتدهور حالته الصحية، وكان نفوذ صدام قوياً، مما دفع للاعتقاد بأن صدام كان وراء استقالة البكر ليفتح الطريق لنفسه لتولي رئاسة الدولة.

وتولى صدام حسين الحكم في العراق وانتخب رئيساً للجمهورية وأميناً عاماً للحزب وقائداً لمجلس قيادة الثورة، وبدأ أولى خطواته في رئاسة الجمهورية بحملات واسعة لإصلاح الحزب والدولة وقيادة عملية الإصلاح والتطهير.. وبدأت صفحة جديدة من تاريخ العراق... وهو ما تكشفه صفحات ومواقع أخرى في هذا الكتاب.

الفصل الأول

البـدايـة

أطلب منكم أن لا تبتئسوا إذا صدر الحكم،
وأن لا تكون أعصابكم مشدودة بانتظار صدوره،
ولا تفرحوا إذا ما أجلوا صدور الحكم،
فأنتم لم تخسروا القضية،
فقد تموت أجساد ولكن القضية حية لا تموت.

(صدام حسين في المعتقل)

كنت وما زلـت مذهولاً بين إعلان العـدو أن الهدف الكبير بـدأ يقترب، وبين سـماع موسـيقى صاخبة تصدح في أحد قصور الرئاسـة بحضور ما يسـمى بمجلس الحكم وبريمر وجوقة قادة جيش الاحتلال الأمريكي .. جو العراق معبأ برائحة البارود والموت واختـلاط قذائف المقاومة مع قذائف العدو ونـاره. هو يوم وأي يوم.. كأن يوم العراق ليس كغيره من الأيام .. يوم طويل واحد لا ينتهي. الشتاء يقترب، والسماء ملبدة بالغيوم مع انحدار الشمس، شمس بغداد نحو المغيب .. كانت عقارب الساعة تتسـارع، وسـاعة الصفر تكاد تدق .. حتى جاء بيان الجيش الأمريكـي بأن هدفاً هاماً تم إلقاء القبض عليه .. حالة ترقّب .. لحظات رهيبة مرت تعج بتوتر الأعصاب. ترى أي هدف سيكون بعد فجيعة احتلال بغداد .. انتظار حارق. ثم تأتي الفاجعة الأخرى بأسر الرئيس صدام حسـين .. الناس هائمون لا يصدقون، يتساءلون: هل هو الرئيس حقاً أم شـبيهه، مع تمنيات في النفس أن يكون هو الشـبيه. وتوسـل الناس بأصحاب المولدات الكهربائية ليراقبوا شاشـات التلفاز. سـرى خبر الشـبيه في كل محافظات العراق خاصة وقد قيل إن الرئيس شـوهد في اليوم الثاني لاعتقاله في مدينة الفلوجة. فانطلقـت العيارات الناريـة في كل مدن العراق وقـراه ابتهاجاً بأن الرئيس لم يؤسـر. وكنت أحد الذين شـاركوا بإطلاق العيـارات النارية .. لكنني، في أعماق نفسـي، لم أكن مقتنعاً بقصة الشـبيه. كريمته رغد تصرح لإحدى الفضائيات بأن الغزاة اصطادوا الأسد وهو مخدر ..

أسئلة كثيرة تجيش في النفس. لماذا أراد الأمريكان إظهار الرئيس بهذه الصورة

المزرية .. ترى هل سيمثل الرئيس أمام محكمة، أي قاض سيجرؤ على محاكمة هذا الزعيم الوطني والقومي .. وتتلاحق الأحداث ..

هيئة الدفاع عن الرئيس

مـاذا يعني أن يقع الرئيس صدام حسـين فـي قبضة الأعداء ؟ حسـب القانون الدولـي والقوانيـن العراقيـة والأعـراف والأخـلاق، فـإن صدام حسـين هـو رئيس جمهوريـة العراق، والقائـد العام للقوات المسـلحة العراقية. وقد أعلـن الأمريكيون أنفسهم أنه أسـير حرب، ويعامل وفق اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرى الحرب. لكن صدام حسين لم يقع أسـيراً في يد عدو يراعي القوانين والمواثيق والأعراف الدولية، وإنما في قبضة مجموعة سياسـية أمريكية متصهينة تحقـد عليه بقدر حقد من تمثلهم على العراق، كياناً وتاريخاً وحضارة، ودوراً رائداً في الحضارة الانسـانية وخصوصاً فـي الحضـارة العربيـة الإسـلامية، وفـي حركـة النهـوض والصمـود العربـي بوجه مخططات الهيمنة والتوسع والاحتلال الاستعمارية والصهيونية، وتحمل بقدر مساو أو أكثر، مشاريع لافتراس العراق وخيراته وأقطار الأمة واحداً بعد الآخر.

في اليوم التالي للقبض على الرئيس صدام حسين، أعلن محامو الأردن الأبطال تطوعهم للدفاع عن الرئيس. وفي الأسـابيع اللاحقة، أسسوا هيئة تضم بالإضافة إلى الأردنييـن، محامياً فرنسـياً للدفاع عن الرئيس صدام حسـين والأسـتاذ طارق عزيز، ومحامين عرباً أبطالاً تتقدمهم المحامية الدكتورة عائشة القذافي. تساءلت مراراً: أين محامو العراق؟ فها هم الأمريكان يسـتفزون مشاعر كل عربي غيور بأسرهم الرئيس وإظهاره بالصورة التي لا تليق بهذا الزعيم الكبير.

فـي اليوم التالـي، توجهـت كالعادة إلـى محكمـة الرمـادي، واجتمعت هناك بالزمـلاء واقترحـت عليهـم تشـكيل هيئـة للدفاع عـن الرئيس بشـكل تطوعـي بدءاً بنفسـي، وقد وافق البعـض وتحفظ آخرون بينما رفض البعـض الآخر. وكان من بين الذين تطوعوا آنذاك للدفاع عن الرئيس صدام حسـين ثـلاث محاميات بينهن واحدة تضررت عائلتها في الماضي، إلا أنها كانت متحمسـة للدفاع عـن الرئيس. أما الذين تحفظوا، فكانـوا يقدرون خطورة الوضـع ومخاطر الطريق، وحسـبوا أن عهد صدام

حسين لن يعود، ولا فائدة بأن يلقوا بأنفسهم في دوامات يعرفون نهايتها. وكان أغلب هؤلاء من الزملاء المهنيين الذين يسعون للعيش بسلام. أما الذين رفضوا الدفاع عن الرئيس، فقد كان أغلبهم ينتمون إلى تيارات وأحزاب مختلفة.

شعرت عندها بأن علينا واجباً كبيراً نقف حياله وقفة واحدة مع الأخوة الأردنيين والعرب. وكنا نأخذ بعين الاعتبار خطورة الوضع الأمني بالنسبة للمحامين العراقيين.

في هذا الاجتماع، تقرر أن تكون الأسماء سرية، وأن يكون نقيب المحامين في الأنبار رئيساً لهذه الهيئة. لكن النقيب كلفني كمؤسس للهيئة أن أكون رئيساً لها.

في صبيحة اليوم التالي، ذهبت إلى نقابة المحامين العراقيين لأخذ الموافقة على تأسيس الهيئة بشكل رسمي. وتمت الموافقة، وكان المحامي الأستاذ ضياء السعدي، أمين سر النقابة يشد على أيدينا، وهو الساعد الأيمن لكل محامي العراق، عربي أصيل وطني لا علاقة له بالرئيس صدام حسين لا من قريب ولا من بعيد.

كانت الفلوجة هي محطتنا في اليوم الثالث. وقد امتنع نقيب المحامين فيها عن إعطاء أسماء المتطوعين خوفاً عليهم. ولأنه كان حريصاً، فإنه لم يصدق نوايانا، ولعله كان محقاً في ذلك. وبعد التداول في الموضوع، تمت الموافقة على الفكرة، وسلمنا الأسماء لاحقاً بعد أن وثقوا بنا.

محطتنا التالية كانت مدينة حديثة، ثم كل مدن محافظة الأنبار. حتى أصبح عدد المحامين (٩٠) محامياً ومحامية، وأسمينا الهيئة «هيئة الدفاع في الأنبار».

أما المحطة الأكثر أهمية في ما بعد، فهي بغداد، إذ تطوع عشرات المحامين والمحاميات، ووصل العدد بعد ذلك إلى المئات بمن فيهم السني والشيعي والمسيحي والكردي والتركماني. ثم في ما بعد، عقد مؤتمر في نقابة المحامين، وتم بالإجماع انتخاب المحامي خليل الدليمي رئيساً لهيئة الدفاع في العراق، والمحامي الشهيد خميس العبيدي نائباً للرئيس، والدكتور مجيد السعدون ناطقاً رسمياً باسم الهيئة .

في الأيام الأولى من تشكيل الهيئة، كان يؤازرني في بغداد زملائي في الأنبار.

وقـد تم عزل جميـع المحامين لاحقاً بكتـاب موجّه إلى المحكمة مـن عائلة الرئيس صدام حسين باستثنائي، بنـاءً علـى مشـورة المستشـار القانوني للعائلـة لأغراض تنظيمية.

بعـد أن انتُخبـت رئيسـاً للهيئة، بـدأت المهمة الصعبـة، إذ كان علـي الذهاب باستمرار إلى نقابة المحامين في بغداد، والمهمة شـبه سرية. وعلى الصعيد العائلي، لـم يعلم أحد بأننـي أصبحت رئيس هيئـة الدفاع عـن الرئيس صدام حسـين ورفاقه، سـوى أحد أشـقائي الذي تربطني به صلة حميمة. وكانت عائلتي تسـألني باسـتمرار عن سـبب ذهابي إلـى بغداد تقريباً بشـكل يومـي، وتركي لمهنتي كمحـام، بالإضافة إلى تردي أوضاعنا المادية بسـبب اضطراري لتـرك مهنتي، كنت أجيب أن لدي دورة تدريبية في نقابة المحامين.

أحد أشـقائي الذي يكبرني، وكان يسـكن بعيـداً عن مكاني، كان يسـألني بعد أن تسـرب الخبر بتوكلي لهذه المهمة، عن حقيقة هذا الخبر، فكنت أنفي نفياً قاطعاً، إذ كان طيب القلب، غير كتوم. فكان سـؤاله الآخـر: إذن من هو خليل الدليمي هذا؟ فكنت أؤكد له بأنه ذاك المجنون من أهل الدليم المتواجدين في الطارمية. أما شقيقي الآخر الذي يكبرني كذلك، فقد كان يقول لي باسـتمرار: أنت تنفي دائماً، لكن دعني أقـول لك إن مهمتك فاشـلة من حيث النتيجة، ثـم إن الأمريكان لـن يتركوا الرئيس، وأخشـى أن يكون الأمريكان عازمين على التخلص منـه، لأنهم لو لم يكونوا يريدون هذه النتيجة، لما فعلوا به ما فعلوه. ثم إنني أخشـى عليك إذا ما خسرت هذه القضية، فسـتطالك الألسن وقد تتهم بالتقصير. فكيف تقدم على مهمة كهذه وتحملنا نتائج لا طاقة لنا على تحملها، ثم أنظر إلى أطفالك، تركت عملك وأنت تعيل عائلة كبيرة.

أصوات كثيرة تعالت من هنا وهناك كانت تعارضني بشدة، وأغلبها خوفاً على حياتـي وحياة عائلتـي، وأخرى تحاول أن تثبـط من معنوياتي لاعتقادهـا بأن لا فائدة من التعـرض للخطر والنتيجة معروفـة. لكنني كنت قد قررت أن أسـتمر في مهمتي، فالرئيس صدام حسـين هو رئيسـنا وقائدنا، ونحـن كمحامين عراقيين أولـى بالدفاع عنه، فقلت في نفسي توكل على الله.

وبدأت بتكثيف الحماية لي ولعائلتي التي عانت ما عانت من الخوف ومن أيام لا نعرف ما تخبئه لنا. كان علي أن أقطع آلاف الكيلومترات ذهاباً وإياباً إلى عمّان وسط الدبابات والمدرعات الأمريكية. وقامت القوات الأمريكية في إحدى المرات، بدباباتها وعربات الهامفي وعشرات الجنود المارينز، تساندهم مروحيات الأباتشي والبلاك هوك بمهاجمة منزلي في منتصف الليل وترويع أطفالي بتاريخ ١٥/ ٥/ ٢٠٠٥ بعد أن قاموا بتفجير أبواب المنزل وإطلاق القنابل الصوتية المرعبة، وكنت قد بعت منزلي الأول في حي الضباط في الرمادي وسكنت خارج الرمادي في الشمال الغربي منها. وقف أطفالي ووالدتي المسنّة مرعوبين من الأشعة الليزرية لبنادق الغزاة المصوبة نحوهم، بينما كان الجنود يفتشون المنزل باستفزازهم المعهود، وقد سرقوا ما استطاعوا الحصول عليه، ومن ذلك مبلغ ٤٤ ألف دولار أمريكي (هو من ثمن بيعي لمنزلي في الرمادي)، وخمسة ملايين دينار عراقي، والمصوغات الذهبية لعائلتي وسلاحي الشخصي بندقية كلاشنكوف، بالإضافة إلى سرقة بعض الأوراق والوثائق المهمة فضلاً عن تحطيم أثاث منزلي. كل ذلك بادعائهم أنهم يلاحقون أحد الإرهابيين في ساعة متأخرة من الليل. وكنت آنذاك في عمّان مع المحامي الأستاذ رمزي كلارك والمحامي الأستاذ زياد الخصاونة.

بعد تلك المداهمة الشرسة، وسرقة كل ما أملكه لأطفالي، بدأت المهمة تأخذ منحى صعباً. إذ بعد أن شاهد بعض أقربائي الأبواب المحطمة وزجاج النوافذ متناثراً، بدأت معارضتهم تزداد، خاصة وقد نجم عن تلك المداهمة استشهاد أحد أقربائي في المنطقة برصاص القوة المهاجمة، وجرح شخص آخر. وتكررت عملية المداهمة في اليوم التالي رغم نفي الجيش الأمريكي. وقد اعتذروا في ما بعد من عائلتي أثناء غيابي.

أثقل كاهلي بعد تلك المداهمة، ورغم إصرار الكثيرين على معارضتي، إلا أن تشجيع شقيقي القريب مني، وإصراره على عدم التخلي عن تلك المهمة النبيلة، بالإضافة إلى عادات وتقاليد وقيم محافظة الأنبار وكل العراقيين الشرفاء بشكل عام وعشائر الدليم بشكل خاص، هو ما منحني الحافز القوي لأن أستمر. واعتبرت

نفسـي منذ تلك اللحظة شـهيداً فـداءً للعراق والرئيس صدام حسـين. وكان السـؤال الذي يواجهني دائماً:

لمـاذا تـم اختيـارك أنـت مـن دون آلاف المحاميـن العراقييـن لهـذه المهمة الخطيرة؟

وأذكـر حينمـا كنت رئيسـاً للهيئة فـي العـراق، اصطحبني المحامي الأسـتاذ زياد الخصاونة، وكان رئيسـاً للهيئة آنذاك في الأردن، لتهنئة المحامي الأستاذ صالح العرموطي بمناسـبة فـوزه نقيباً للمحاميـن الأردنيين. تقـدم مني آنذاك أحـد الزملاء وكان عضواً في نقابة المحامين الأردنيين ومن محبي العراق والرئيس صدام حسين، وسـألني السـؤال ذاته عن سـبب اختياري، وكأن الرجل قد تورط في سـؤاله هذا، إذ قام المحامون الأساتذة صالح العرموطي وزياد الخصاونة وزياد النجداوي باستنكار هذا السؤال، مما جعل هذا الرجل يقدم اعتذاره ويقبل رأسي، وهو محق في سؤاله.

كان مقر الهيئـة في مدينة الرمادي فـي محافظة الأنبار، في مـكان لا يعلمه إلا القليـل من أبنائها، ولا يعلـم مكانه أي محام خارج حدود مدينـة الرمادي من أعضاء الهيئـة، وذلك لأسـباب أمنيـة. وكان هذا المـكان محمياً بالنشـامى يتقدمهـم الفريق الركن محمد ثميل الفهداوي، أحد قادة فصائل المقاومة، والشهيد البطل جاسم عبد الحمد الفراجي، ورجال أشداء سنتحدث عنهم حين تنتفي الضرورات الأمنية. وكان المقر جزءاً من دار تعود لأحد نشـامى الدليم الذي تحمل الكثير من عبء الاعتقال، فكثرة ترددنا على المقـر، والاتصالات بأجهزة الثريا المرصـودة من قبل الأمريكان، واسـتعمال خط الإنترنت، كلها سـاهمت فـي أن تتم مداهمـة مقر الهيئـة في أوقات متأخرة من الليل، واعتقال هذا الرجل عدة مرات، وكاد في إحدى المرات أن يقتل. كان هذا الرجل يؤمن حمايتي الشخصية خلال تنقلي بين الأنبار وبغداد والعكس.

مقـر الهيئة هذا لعـب دوراً بارزاً أثناء محاكمة الرئيس صدام حسـين. ففي يوم كنـا فيه في أروقة المحكمة، حاولت هيئة المحكمة أن تمنع المحامي الدكتور نجيب النعيمـي من الترافع، وأرسـلت لنا كتابـاً بهذا الخصوص. وعند سـؤال المحكمة في إحـدى المرافعات عن السـبب، أنكر رئيـس المحكمة رؤوف حصـول ذلك. كنا في

أمس الحاجة لمن يزودنا بهذا الكتاب. وفي فترة الاستراحة، قام فريق الهيئة في الأنبار على الفور بإرسال الكتاب على بريدنا الإلكتروني. وقد أبرزت هذا الكتاب أمام مرأى العالم. كما هيأ لنا أبطال المقر النشامى في الأنبار أغلب المعلومات التي كنا نحتاجها في مرافعاتنا وفي دحض حجج وأكاذيب الشهود، ومنها اتصالات مع عدد من القادة العسكريين والميدانيين وقائد القاعدة الجوية في محافظة صلاح الدين. وقد واصل المقر أعماله بعد استشهاد الرئيس...

لكن دور المكتب الرئيسي في عمّان (وربما لا تجوز المقارنة أصلاً بسبب موقع مكتب الأنبار وسط جحيم المعركة، خاصة وكلا المكتبين يخدم قضية واحدة)، كان أكبر بكثير بسبب إمكاناته المهنية الكبيرة، وموقعه خارج العراق، وقدرة ومهنية كوادره العملاقة من مترجمين وموظفين ، وتوفر كل مستلزمات العمل من إعلام واتصال وكهرباء ووسائط نقل وما إلى ذلك، فضلاً عن إمكانية وسهولة الاتصال بالشخص الوحيد من أفراد عائلة الرئيس الأسير صدام حسين، أي كريمته السيدة رغد التي نابت عن العائلة في التخويل والتصرف مع أعضاء هيئة الدفاع عن والدها الأسير. وقد عمل هذا المقر الصغير عملاً فعالاً بمواجهة أجهزة ضخمة لدولة عظمى تفننت في تزوير الحقائق وبرعت في صناعة الأكاذيب وخرق القوانين الدولية.

في شهر أيار من عام ٢٠٠٤، اتصلنا بالمحامي الأستاذ زياد الخصاونة لتنسيق عمل الهيئتين، العراقية والعربية في الأردن. ثم بدأت بعد ذلك رحلات الصيف والشتاء عن طريق البر حيث كانت الطرق مليئة بالمخاطر بسبب قطع القوات الأمريكية الطريق الرئيسي بين بغداد وعمّان، إذ كان علي أن أقطع الطريق الصحراوي بين الأنبار وعمّان، وكنت أقضي بعض الليالي في الطريق بسبب الأرتال الأمريكية التي كانت تمنع الاقتراب منها، وكدتُ أن أُقتل أكثر من مرة بسبب اقترابنا من هذه الأرتال، أو بسبب قيام أبطال المقاومة بعمليات ضد هؤلاء الغزاة وعلى مقربة منا.

في غضون أيام، نظمنا وكالات جزائية وسلمناها إلى نقابة المحامين العراقيين، ومن ثم إلى المحكمة الجنائية التي سلمتها بدورها إلى القوات الأمريكية ليقوم الرئيس صدام حسين بوضع توقيعه الخاص عليها. وقد تسلمنا هذه الوكالات

موقّعة وأعيدت لنا بالطريقة نفسها لأتسلمها في النهاية من نقابة المحامين العراقيين، حيث قدمتها إلى هيئتي الدفاع في العراق والأردن وإلى عائلة الرئيس. فكانت إحدى عشـرة وكالة جزائية لي ولزملائي المحامين في هيئة الدفـاع في العراق، وكانت هذه الوكالات هي الأساس الذي انطلق منه جميع المحامين.

المحامي الأول

بعد الانتهـاء من هذه الإجـراءات، وجدنا في قانون المحكمة ضرورة تسـمية محـام عراقي أول، يتقـدم زملاءه مـن العراقيين والعـرب والأجانـب. وهنا تدخلت القيادة الشرعية الموجودة خارج المعتقل، وطلبت ترشيح ثلاثة محامين وفق شروط ومواصفات دقيقة ومحسوبة وأهمها أن يكون شجاعاً ونزيهاً. فرشحنا ثلاثة محامين، ووقع الاختيـار علي لأكون المحامـي الأول بالإضافة إلى رئاسـتي للهيئـة العراقية. ومما سـهل المهمة هـو الموقف الوطني والمهني المتميز للأسـتاذ ضياء السـعدي، أمين سر نقابة المحامين آنذاك، وهو نقيب المحامين الشرعي الذي استبعدته حكومة الاحتلال بسـبب نزاهته ودوره المشـرف وكفاءته. وكان يسـاعدنا فـي كل مجالات عملنا، ويذلل ما يواجهنا من صعاب. وكان يقدم لنا المشورة القانونية بوصفه محامياً مخضرماً كبيراً، ويعرفنا بخلفيات المحامين. وقد جنبتنا مشورته قدر المستطاع وضع هذه الأمانة الثقيلة في أعناق من هم ليسوا أهلاً لها.

بالإضافـة إلى مـا كنا نواجهـه في الهيئة فـي العـراق، كان الأخـوة المحامون الأردنيـون الشـرفاء مثـل المحامي الأسـتاذ محمـد الرشـدان، أول رئيـس للهيئة في الأردن، والمحامي الأسـتاذ زياد الخصاونة وغيرهمـا، يتعرضون لضغوطات داخلية وخارجيـة مـن أطـراف كانت تسـعى إلـى الإسـاءة للهيئة وتشـويه سـمعة أعضائها. وكانت هذه الأطراف تعمل لحسـاب أجندة خارجية، فكانت تحاول تشويه الحقائق وخلق مشـاكل بين المحامين لإيجاد جوّ من عـدم الثقة. بالإضافة إلى تخريب علاقة المحامين ببعض عوائل الأسـرى ، وخلق حالة من الشـك بين الجميع. وقد نجحت هـذه الأجنـدة إلى حـد ما في تحقيـق بعـض أهدافها، وبذلـك خسـرت الهيئة بعض عناصرها بين مبعد ومنسـحب، كما خسرنا المحامين الماليزيين بقيادة رئيس الوزراء

الأسبق الدكتور مهاتير محمد، الذين وضعوا إمكاناتهم تحت تصرف الهيئة، بالإضافة إلى تعرضهم لضغوطات كثيرة وتدخلات سافرة لإبعادهم عن مهمتهم النبيلة، وهي الدفاع عن الرئيس صدام حسين.

غير أن الهيئة في العراق واصلت عملها الدؤوب رغم كل الصعوبات والتدخلات ومحاولات التشويه التي كنا نتعرض لها، ناهيك عن استشهاد عدد من المحامين على أيدي الميليشيات الإرهابية في العراق.

لقد حاولت بعض الأحزاب والميليشيات الصفوية وبعض الجهات الحكومية المستفيدة من المحكمة أن تزودنا على هواتفنا المحمولة وبريدنا الإلكتروني بكثير من المعلومات المزورة من خلال عناصرها، متذرعين بصحوة «الضمير» والوطنية تارة أو اضطرارهم تارة أخرى لخدمة القضية لأسباب مادية. وفي المقابل، حصلنا على الكثير من المعلومات التي تسربت من أروقة المحكمة من خلال بعض الوطنيين، أو بسبب «صحوة الضمير» عند البعض، أو بسبب الخلافات التي كانت تحصل بين منتسبي وموظفي هذه المحكمة. وتم التعامل مع هذه المعلومات بحذر شديد.

ونظراً لأن هذه القضية التاريخية بالغة الأهمية، ولتداخل صفوف الأعداء فيها، فلا بد من القول بأن عدة محاولات جرت لإغرائي بمبالغ خيالية لمنعي من الاستمرار في هذه المهمة النبيلة والخطيرة، لكن الله كان حسبي وتعزز الإيمان والثبات في صدري، ووضعت أمام عيني شرف هذه المسؤولية وثقه هذا الرجل الكبيرة، وعشيرتي ومحافظتي والعراق كله، وثقة كل من آزرني، وحكم الأجيال والتاريخ الذي آمل أن ينصفنا .

بعد أن يئس الأعداء من صلابتي، حاولوا نقل تآمرهم إلى الصفحة التالية، فباءت كل جهودهم لاختطافي أو قتلي، بالفشل. وإنني لا أريد الخوض في التفاصيل، وأترك للتاريخ أن يقول كلمته، وهو القول الفصل، فإن قصّرنا بإمكاناتنا المهنية المتواضعة، فإننا نعتذر للأجيال القادمة، وإن كنا قد وفقنا بغض النظر عن النتيجة المحسومة سلفاً، فإننا نحمد الله. وكلمة حق أقولها في زملائي، لقد كانوا مخلصين أيما إخلاص، فأحبهم الرئيس وعبّر عن ارتياحه وسعادته بهم وخاصة

المحامين العرب مثل الدكتورة عائشة القذافي والأستاذ نجيب النعيمي والأستاذ صالح العرموطي والأستاذ أمين الديب وغيرهم بالإضافة إلى الأستاذ رمزي كلارك من زملائنا الأجانب.

وللحقيقة، أقول لم نكن نملك مالاً ولا أي دعم مادي. فقد توقفنا عن العمل وأغلقنا مكاتبنا عندما التزمنا بمهمة الدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه.

في الشهر الثامن من عام ٢٠٠٥، وصل وضع الهيئة ومكتبها في الرمادي، حداً لا يمكن معه مواصلة العمل كما ينبغي. وعندما علمت كريمة الرئيس السيدة رغد بوضع هيئتنا هذا، قامت بالوقوف معنا حيث زودتنا بجهازي حاسوب مع ملحقاتهما وخط إنترنت خاص لمقر الهيئة في الأنبار لأغراض الاتصال بالعالم الخارجي بعد أن حوصرت المناطق وشحت المواصلات وكثر حظر التجوال، كذلك شراء مولد كهربائي بقوة KV 13، وساعدتنا في تجهيز المقر بمستلزمات الطباعة والورق وغيرها. وخصصت عائلة الرئيس راتباً شهرياً قدره ٣٠٠ دولار لكل من الشخصين العاملين في المكتب، وهاتفاً محمولاً للاتصالات الدولية.

ونظراً لحاجتي إلى حراس لتأمين تنقلاتي بين عمّان وبغداد ولحراسة عائلتي في الرمادي، وبسبب انصرافي للهيئة وتوقفي عن العمل، فقد قامت عائلة الرئيس بدفع رواتب ثلاثة حراس وتأمين أجور تنقلاتي فترة خمسة أشهر من ١/ ١٠/ ٢٠٠٥ إلى ١/ ٣/ ٢٠٠٦. ونظراً لظروف عائلة الرئيس المادية، فقد كانت بعض المصاريف الأخرى تغطى من قبل بعض الخيرين العرب مثل تأمين سكن المحامين وإقامتهم في الأردن، وتنقلاتهم من بغداد وإليها.

ومما يجدر ذكره أن الولايات المتحدة والجهات المرتبطة بمشروعها الاستعماري الاحتلالي في العراق، حاولت بشتى الوسائل اختراق هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين لكسر طوق النجاة الأخير للرئيس ورفاقه، ولإنجاح مسرحية المحاكمات، وذلك من خلال السعي لمعرفة ما يدور في أروقة الهيئة من تخطيط واستعدادات. فقامت بمحاولة اختراق للهيئة من خلال أحد ضباط وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وهو من أصل عراقي الذي حاول جاهداً التغلغل إلى دواخل

الهيئة عن طريق الاتصال الإلكتروني. ودفعت الوكالة أشخاصاً آخرين لاختلاق مشاكل داخل الهيئة لإزاحة أبرز عناصرها. كما شجّعت محاولات لتهميش المحامين الأكفّاء الذين كانوا موضع ثقة الرئيس صدام حسين. وقد أفلحت بعض هذه المحاولات في خلق أجواء أدت إلى إزاحة عدد من أبرز رؤساء الهيئة من المحامين العرب الأبطال.

ومما يثير الغرابة والسخرية في آن معاً، أن أحد المستشارين القانونيين للمخابرات المركزية الأمريكية قد غيّر وظيفته من منسق للأمين العام للأمم المتحدة إلى مستشار قانوني لهيئة المحكمة الأمريكية - الإيرانية. وقد طلبت هيئة الدفاع من رئيس هيئة المحكمة عزله علناً بعد طلب تقدم به الرئيس صدام حسين، ولكن دون جدوى. وبقي مستشار المخابرات الأمريكية هذا مستشاراً لهيئة المحكمة المسماة بالعراقية، وكان يدفع بكل السبل باتجاه إعدام الرئيس الأسير، ويتدخل في شؤون الهيئة وسير عملها رغم تحذيراتنا واعتراضاتنا. وكان في غاية الفرح والنشوة والسعادة يوم النطق بالقرار الأمريكي - الإسرائيلي - الإيراني، قرار إعدام الرئيس صدام حسين يوم ٥/ ١١/ ٢٠٠٦.

لقد عملت الهيئة ورؤساؤها وأعضاؤها ومن عمل معها في فريق الدفاع من خارج الهيئة، في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد والخطورة، وواجهت معضلات ومشكلات لوجستية ومخاطر وتهديدات واعتداءات بلغت حد قتل عدد من أعضائها. وإذ تحملنا نحن أعضاء الهيئة كل هذه الصعوبات، وواجهنا كل هذه المخاطر والتهديدات، فإنما كنا وما نزال نثق أننا إنما نخدم شعبنا العراقي الجريح، ونخدم مستقبل عراقنا الذي نثق أنه مهما حاك الاحتلال الأمريكي وحلفاؤه وأعوانه وأذنابه من دسائس، ومهما ارتكب هو وأتباعه من جرائم إبادة وحشية ضد شعبنا الثائر، فإنه سيرحل قريباً إن شاء الله بل أقرب مما يتصور الكثيرون، وسيعود العراق بعون الله وهمة أبنائه في فصائل المقاومة العراقية الباسلة والهيئات والقوى العراقية الوطنية والقومية، مستقلاً عزيزاً قوياً موحداً وركناً أساسياً شامخاً من أركان أمته العربية والاسلامية، وعامل توازن واستقرار أساسي في هذا الجزء الحيوي من العالم.

وللتاريخ، ولإنصاف زملائي المحامين الأبطال، أقول: كان الرأي الذي اتفقنا عليه في الهيئة منذ عام ٢٠٠٥، هو أن يظهر الرئيس خلال المحاكمة ممارساً دور المحامي والقائد والرجل الأول فيها، وليس متهماً ضعيفاً كما أرادوه، لا قوة له إلا من خلال دفاع المحامين، وإسناد الهيئة له. وقد عرضت الفكرة على الرئيس في حينه، فرحب بها، لكنه ترك لنا المسائل الفنية البحتة لأنه لم يمارس مهنة المحاماة قط. وانطلقنا في ذلك من قناعتنا بأن رجلاً مثل صدام حسين بكل حنكته وشموخه وشجاعته لا يحتاج إلى من يدافع عنه، خصوصاً وأن الأمريكيين وأعوانهم كانوا يحاولون إظهاره بمظهر المتهم الضعيف. لقد قال الرئيس الشهيد ذات يوم للقاضي في إحدى جلسات التحقيق: «أيها القاضي، مع كل اعتزازي بالمحامين النشامى الأبطال، يبقى قراري هو النهائي وليس من حقكم أن تلغوا دوري، لأن المحامي وكيل وليس بديلاً»، وهو في الحقيقة كذلك. وهذا ما كنا مقتنعين به، ومتفقين عليه.

President Saddam Defense Lawyers

P.S.D.L.

عمان في ٢٠٠٤/١٠/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :-

(إن ينصـــركم الله فـلا غالـــب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

سيادة رئيس جمهورية العراق الرئيس المناضل

صدام حسين حفظه الله ورعاه

تحية وإحتراما وبعد ،

مـــع تأكـــيدنا بأن العدوان الأنجلو أمريكي على العراق لا يستند إلى أي أساس قانونـــي ومخالف للقانون الدولي وكافة الأعراف والمواثيق الدولية ، وحيث أن الجهاد أصـــبح فـــرض عين ، فقد تنادت نخبة من رجال القانون للعمل بما أنعم الله عليها من خبرة قانونية للدفاع عن الأمة العربية والإسلامية وسيادتكم رمزا لها بتشكيل هيئــــــة " الدفاع عن الرئيس العراقي صدام حسين " .

وإن هيئة الدفاع في الوطن العربي إلتقت مبدئيا مع هيئة الدفاع في الأنبار والتي أصبحت تمثل القطر العراقي بكامله .

Head Office
Jordan - Amman
Tel : +9626-4654326
+9626-4649326
Fax : +9626-4612654
E-mail : rashdan@accessme.com

Switzerland
Tel. : +4122 - 3198 - 700
Fax : +4122 - 3198 - 760

France
176 rue de l Universite 75007 PARIS
Tel : + 33 1 - 47 53 - 6812
Fax : + 331 - 4753 - 0412
E-mail : ludot.3@wanadoo.fr.

United States
3003 Van Ness Street , NW,#W623
Washington , D.C. 20008 - 4834 USA
Tel : +202 - 248 - 1411

President Saddam Defense Lawyers

.P.S.D.L.

سيادة الرئيس صدام حسين حفظه الله ،

إن المـــادة (١٠٥) من إتفاقية جنيف تؤكد على إعطاء الحق بلقاء المحامين دون رقيـــب ، وإنـــه لشرف عظيم اللقاء بكم والإستماع لتوجيهاتكم من أجل تنفيذها وإتباع أفضل السبل لذلك .

إن ما هو موجود بهذه الرسالة لا ينقص أي حق من حقوق سيادتكم .

أدامكم الله ذخراً وسنداً لأمتنا العربية والإسلامية .

رئيس هيئة الدفاع العراقية
المحامي
خليل عبود الدليمي

المنســق العــام
المحامي
محمد نجيب الرشدان

المرفقات : إتفاقية جنيف الثالثة .

Head Office
Jordan - Amman
Tel : +9626-4654326
+9626-4649326
Fax : +9626-4612654
E-mail : rashdan@access-me.com

Switzerland
Tel. : +4122 - 3198 - 700
Fax : +4122 - 3198 - 760

France
176 rue de l Universite 75007 PARIS
Tel : + 33 1 - 47 53 - 6812
Fax : + 331 - 4753 - 0412
E-mail : ludot.3@wanadoo.fr.

United States
3003 Van Ness Street . NW.#W623
Washington . D.C. 20008 - 4834 USA
Tel : +202 - 248 - 1411

١٠٥

صورة عن الرسالة الأولى التي وصلت إلى الرئيس صدام حسين في معتقله من المحامي الأستاذ محمد الرشدان الرئيس الأول لهيئة الدفاع في الوطن العربي

الفصل الثاني

رحلة اللقاء التاريخي

والله يا ولدي خليل، لا الابن يعمل لأبيه هذه الأيام ولا الأب لابنه. وما عملته أنت لا يفعله أحد. فأتمنى من الله أن يجعلني في موقف أستطيع فيه أن أردّ لك بعض الجميل. ومهما فعلت، فلن أجازيك على جهودك. إنني أعرف الثمن الذي تدفعه مقابل دفاعك عني، ألا وهو حياتك. ولقد عوّضني الله بك عن أولادي الشهداء.

(صدام حسين في المعتقل)

وبدأت رحلتي الثانية من المعاناة، وهذه المرة مع القوات الأمريكية. فقد طلبت أكثر من مرة لقاء الرئيس صدام حسين للاستماع إليه وإلى توجيهاته، وربما لرغبة ملحة في النفس أن ألتقي برئيسي عن قرب، ولم أكن قد شاهدته إطلاقاً إلا على شاشة التلفاز، وانتظرت طويلاً من دون جواب.

في يوم ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٤، استدعاني نقيب المحامين العراقيين لأمر مهم. انتابتني هواجس كثيرة وأنا في طريقي إلى بغداد أقود سيارتي وسط ضجيج العجلات العسكرية الأمريكية مع مخاطر الاقتراب منها. وصلت إلى مقر النقابة، فإذا بالشخص الذي ينوب عن المحكمة يهمس لي بأن لدي مقابلة مع الرئيس صدام حسين يوم ٨/ ١٢/ ٢٠٠٤، على أن يبقى الأمر سراً لخطورة الموقف ولأسباب أمنية. وقبل أن أغادر، غير مصدق الخبر، طلب مني رقم سيارتي ولونها وتفاصيل دقيقة عنها، وهل سأكون وحدي أم سيرافقني أحد، والطريق التي سأسلكه، ونقطة الصفر التي لا بد أن أكون عندها. أسئلة كثيرة محيرة. اضطررت لأن أعطيه التفاصيل كاملة.

بعد يومين، رنّ هاتفي المحمول. وكنت حينئذ في الرمادي. فإذا بشخص يحدثني بلكنة ركيكة قائلاً إنه مترجم أمريكي يعمل مع القوات الأمريكية التي تعتقل الرئيس صدام حسين. وسألني إن كنت أنا المحامي خليل الدليمي. ثم أبلغني بموعد الزيارة وهو الموعد نفسه في ٨/ ١٢، والمكان الذي يتوجب علي أن أتواجد فيه. وشدد على سرية الإجراءات والتحركات لخطورة الموقف على حياتي.

لحظات تاريخية في حياتي لا أستطيع أن أصفها، أو أصف المشاعر المتضاربة التي كانت تتأجج في داخلي.

في اليوم المحدد، انطلقت بسيارتي صوب بغداد. وقبل وصولي إلى الهدف، طلب مني الشخص نفسه (مندوب المحكمة) التوجه إلى النقابة. توجست أن تكون مكيدة. فتركت سيارتي في مكان آخر، وذهبت بسيارة أخرى يرافقني عدد من أبناء عمومتي. وعندما وصلت إلى مقر النقابة، أبلغني المندوب بتغيير موعد اللقاء إلى ١٦/ ١٢/ ٢٠٠٤.

في اليوم الموعود، سلكت الطريق نفسه. لكن حصار الفلوجة، اضطرني لسلوك الطريق الصحراوي إلى بغداد لمدة أربع ساعات. ولسوء حظي، وقبل وصولي محيط بغداد، تعطلت سيارتي، وكانت تلك المرة الأولى التي تصاب فيها بعطب رغم حداثتها. كان المكان صحراوياً خالياً سوى من بيت شعر (خيمة) لراعي أغنام. أودعت سيارتي عنده وركبت إحدى السيارات المرافقة. لكن يبدو أن القدر قد رتب هذا العطب في السيارة لأكتشف لاحقاً أنها مكيدة دبرت لقتلي.

وصلت الهدف. فإذا بعجلة أمريكية عسكرية مظللة للتمويه على الطريق الذي سنسلكه إلى معتقل الرئيس، بالإضافة إلى ست عجلات عسكرية أمريكية من نوع هامفي للحماية.

اقترب مني ضابط أمريكي، وسألني عن اسمي وهويتي بعد أن تركت السيارة التي أقلتني مع مرافقي بعيداً. وطلب مني الصعود داخل العربة المدرعة معتذراً بأن هذه الإجراءات هي لدواعٍ أمنية تصب في مصلحتي ومصلحة موكلي. داخل العربة جلس شخص إلى جانبي يرتدي لباس المارينز، كان يراقبني طوال الطريق ويبتسم حين تلتقي نظراتنا. ما كان يعنيني آنذاك أي أمر سوى أن ألتقي بالرئيس صدام حسين. وقد استمرت الرحلة خمسين دقيقة. ثم توقفت العربة، لأجد أمامي خمسة ضباط أمريكيين يرحبون بي. وإذا نحن داخل خرطوم نسيجي (أنبوب) برتقالي هلالي يبلغ طوله أكثر من ٢٥ متراً وقطره من ٤-٥ أمتار معداً للتمويه لكي لا أعرف مكان الرئيس بالضبط. ثم أدخلوني إلى صالة مربعة تبلغ مساحتها ٢٥ متراً مربعاً تقريباً لها

بابان عدا الباب الرئيسي. وأحد هذه الأبواب يؤدي إلى غرفة مساحتها حوالى ١٢ متراً مربعاً وهي التي سيجري فيها اللقاء مع الرئيس. أما الباب الآخر، فيؤدي إلى غرفة الاحتجاز التي يتواجد فيها الرئيس.

في الصالة الرئيسية، ثمة جهاز حاسوب يحيط به أربعة ضباط. وقد تبين لي لاحقاً أنه جهاز مراقبة لرصد لقائي بالرئيس مع يقيني المسبق أن اللقاء سيكون مسجلاً بالفيديو.

كما فتشوا حقيبتي التي تحتوي أوراقاً ومفكرة ملاحظات وبعض الكتب التي جلبتها للرئيس بالإضافة إلى المصحف الشريف. أعادوا لي المحتويات، واحتفظوا بالحقيبة لحين مغادرتي. كما احتفظوا بالمصحف لحين سؤال الرئيس إن كان يريده. وقد أبلغتهم أنني لا أحمل أية رسائل للرئيس من عائلته أو من أي شخص آخر.

أوامر صارمة

تقدم مني أحد الضباط وقال: «لا تعانقه ولا تقبله أو تحييه بالتشابك الودي معه، وقد وضعنا طاولتين بينكما. مسموح فقط المصافحة باليد وعن بعد. لا تنهض لاستقباله عند قدومه. سيتواجد معكما عسكري لتقديم الماء ولا يتكلم العربية وليس عنصراً مخابراتياً». أبديت ملاحظتي بأنني والرئيس لا نحتاج لمن يخدمنا. فكان جواب الضابط: «إذن يتواجد لحمايتكما من بعضكما البعض، وهذا إجراء لا بدّ منه، وهو الذي سيقوم بإعطاء صدام الأوراق والكتب، ولا يجوز لك أن تتبادل معه أي شيء إلا عن طريق هذا العسكري».

كان هذا العسكري من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ويجيد اللغة العربية تماماً. وكان يبدو عليه أنه يفهم ما نقوله إذ بدا مصغياً لنا إصغاءً تاماً. أدركت في الحال أنهم بهذه التعليمات الصارمة، وبقائمة الشروط والضوابط التي لا نهاية لها، إنما كانوا يمارسون حرباً نفسية ضدي وضد الرئيس صدام حسين.

يريد الغزاة أن يحموه من أحد أبناء شعبه الذي يريد بحرارة أن ينقل اشتياق شعبه إليه، قبل أن يكون محامياً..

دام النقـاش بيننا لأكثر من خمس وأربعين دقيقة بين شـد وجذب، إذ أصررت على أن أحييـه على الطريقـة العراقية الحميمة، وقالـوا كلاماً كثيراً بـأن الرئيس ليس رئيسـي الآن، وهو متهم بجرائم حرب. فقلت لهم إنني لن أقبل بكل هذه التعليمات المتعلقة بتحيتي لرئيسي، وعليهم إزالة الطاولة الثانية، وأكدت لهم أنني على استعداد لإلغاء المقابلة إذا كان الهدف من هذه التعليمات الصارمة هو إهانة الرئيس. ونهضت لأعيـد الأوراق إلى حقيبتـي، وطلبت إعادتي من حيث أتيـت. وقلت: «أرفض زيارة كهـذه تتحكمون أنتم بمفرداتها». وبعد مشـادة كلامية حادة، دخلـت ضابطة أمريكية تتحـدث القليـل مـن العربية، وقالـت إنها توافـق علـى كل طلباتي. وهـذا يعني أنني مراقب، وأنها سمعت كل ما دار بيني وبين الضباط عن طريق جهاز المراقبة الموجود في الصالة الأخرى. وحاولت في النهايـة أن تكون ودية، فصافحتني وقالت: «لك ما تشاء ولكن لا تحضنه»...

وهـل أسـتطيع إلا أن أعبّـر عن حبـي واحترامي لرئيسـي وشـوقي للقائد ولو كلفني الأمر ما كلفني ؟!

انتظرت على أحرّ من الجمر، انتظار من سينفجر بالبكاء بين لحظة ولحظة. بعد ذلك أدخلوني إلى الغرفة التي سيجري فيها اللقاء. جلسـت فـي المكان المخصص لي. قال الضابط: «سيأتي صدام بعد خمس دقائق»..

الدقائق .. الساعات

خمـس دقائق .. خمس دقائق .. امتدت على طول الزمن. دقائق مليئة باللهفة، مشـحونة بالشـوق، بالألم، بالقلـق. أختصـر كل تاريخـي بلحظات قادمـة لا أعرف شـكلها .. حاولت أن أخفف ما تأجج في داخلي من مشاعر متلاطمة بمراقبة الغرفة، النوافذ العالية القريبة من السقف .. لكن عبثاً حاولت أن أهرب من قلقي واضطرابي، فهذه هي المـرة الأولى في حياتي التي ألتقي فيها صدام حسـين. وحـرتُ في أمري. هـل مـا يحدث لـي حقيقة أم خيـال ؟ وهـل .. وهل .. وهـل .. وبقيـت تحت وطأة الأسـئلة تتجاذبني فـي كل اتجاه، واللهفـة تتدفق من كياني. كيف سـأراه. كيف. ماذا أقول له. حينهـا تواطأت علي احتمـالات كثيرة .. وهواجس كثيـرة .. حاولت ابتزاز

روحـي .. فجأة فتح الباب ودخل الضباط الأربعة ليصطفوا قرب الجدار. وما هي إلا ثـوان قليلة حتى دخل الرئيس صدام حسـين .. بقامته الفارعة، بشـموخه العظيم كما هو دوماً. كان شعره طويلاً وكذلك لحيته، نحيلاً بشكل ملحوظ.

ما إن التقت عيوننا، حتى خرجت عن الطاولة التي بيننا، وأديت له التحية التي تليـق به ضارباً عرض الحائـط كل التعليمات التي أبلغوني بهـا، فتعانقت معه بحرارة عاليـة، وكان يربـت على ظهـري بيديـه بحنان القائـد الذي عهـده العراقيـون. علت الدهشـة وجوه الضباط الأربعة، وتساءلوا عما يجري ولسان حالهم يقول: أليس هذا الرجـل هو الدكتاتور الذي ينتظر العراقيون الخلاص منه كما أخبرونا ؟ .. ثم خرجوا مذهوليـن بعد أن أغلقـوا الباب خلفهـم وتركوني مـع الرئيس والحـارس الأمريكي الـذي كان يجري تبديلـه كل نصف سـاعة تقريباً بعد أن حـددوا لنا مـدة اللقاء بأربع ساعات ونصف.

جلسـنا متقابلين. وضع معطفه الأسـود علـى الطاولة بيننا. كان يرتدي سـترة سـوداء مقلّمـة وقميصاً أبيـض اللون وبنطالاً أسـود. أخرج من سـترته قلماً وكراسـاً صغيـراً، أوراقه صفراء. ثم بدأ بتقليب الأوراق من دون أن ينبس بحرف. وأنا بدوري صامت غير مصدق.

جلسـت أتأمله، تراودني الشـكوك. هـل هو الرئيـس صدام حسـين وقد تغير كثيـراً، وبانت علـى وجهه بعض علامـات التعب بسـبب الظروف القاسـية التي كان يعانيهـا داخـل المعتقـل، هـل هو الشـبيه الذي قالـوا عنـه .. وزادت شـكوكي حين بدأت أدوّن بعض الملاحظات، فكنت أرفع رأسـي بين الفينة والأخرى، فأراه يمازح الجنـدي الأمريكي ويضحك معه. قلت في نفسـي من يضحك على من، هل الشـبيه يضحك علـى الأمريـكان، وأن الرئيس مـا يزال حـراً طليقاً. وهل القبـض على هذا الشـبيه كان الهدف منه تثبيط معنويات الشـعب العراقي ومقاومته الباسلة .. حتماً إن الشـبيه والضابط الأمريكـي يضحكان علي .. لكـن القلب يأبـى إلا أن يقول هذا هو صدام حسين. ما يزال يقلّب الصفحات. ثم رفع رأسه وقال:

«... إسمع يا ولدي هذه القصيدة:

إن لم تكن رأساً فلا تكن آخره فليس الآخر سوى الذنب».

واسترسل في قراءة القصيدة التي لم أحفظ منها سوى هذا البيت. وحين انتهى من القراءة قال: « كتبتها داخل المعتقل لأن السجن لا يمكن أن ينال مني ومن إرادة العربي المناضل المؤمن المدافع عن حقوق أمته. إن من يقرأ التاريخ، يعرف أن العربي الحر لا يقبل أن يكون خانعاً أو ذليلاً أو منكسراً، بل يظل مرفوع الرأس حتى في لحظات الظلم والقهر وجبروت المحتل وطغيانه ..». ثم نظر إلي (الرئيس أو الشبيه)، وكأنه يريد أن يعرف ما يدور خارج السجن. استأذنت منه، وقدمت له نفسي، إسمي وعشيرتي ومحافظتي وقلت له: سيدي، بالنسبة لي، فإنني قبل أن أكون محامياً، أنا مواطن عراقي، أحمل لك تحيات العراقيين والشعب العربي، وأنا تلميذ وأنت المعلم. وأنا جاهز لتوجيهات سيادتك.

بدت عليه علامات الراحة والاطمئنان. ثم أمسك بيدي من فوق الطاولة وقال: «شرناها وعيّت مظلومة»[1] ثم كررها عدة مرات، بينما الجندي الأمريكي ينظر إلينا بتعجب.

---

(١) هذه هوسة (أهزوجة) معروفة من الفولكلور العراقي، تتحدث عن امرأة مسنة تدعى مظلومة، وهي من عشيرتي في زمن الاحتلال العثماني للعراق. فعندما طارد الجندرمة أجداد الرئيس صدام حسين، تخلت بعض العشائر عنهم خوفاً من بطش الجندرمة. فلجأوا إلى عشيرة من عشائر الدليم. فأخبرهم شيخ العشيرة بأنه لا يستطيع حمايتهم خوفاً من الجندرمة الأتراك، ودلهم على شيخ آخر، وإذا بالآخر يقول الكلام نفسه. وأخبرهم أن لا أحد يستطيع أن يحميهم إلا عشيرة البوعلي الجاسم (عشيرتي)، وهي إحدى عشائر الدليم القوية المعروفة بنخوتها وكرمها. وعندما وصلوا إلى العشيرة، وجدوا أمامهم أحد بيوت الشعر القديمة، يحيط به سياج من سعف النخيل. وكان صاحب البيت قد توفاه الله، وهو من أخوالي أي أعمام والدتي. في هذا البيت، كانت تقيم امرأة مسنة تدعى «مظلومة». وكانت كما تقول العرب (زلامية)، أي تتشبه بالرجال بشخصيتها وقوة أفعالها، ولها أولاد كثيرون. قال لها أولادها إن البيجات (ومنهم عشيرة الرئيس صدام حسين) زبنوا (لجأوا) عندنا، وهؤلاء الجندرمة يحيطون بالدار من كل الجهات، ويطلبون أن نخرجهم ليقبضوا عليهم، وإلا سيدخلون عنوة ويأخذونهم بالقوة. فهزت مظلومة رأسها وقالت: سأقطع ثديي إن سلمتموهم، وعليكم أن تقنعوهم بالعودة. فخرج أولادها إلى الجندرمة وقالوا: (شرناها وعيّت مظلومة) أي استشرناها وامتنعت بشدة. وقامت مظلومة بحرق السور المحيط ببيت الشعر الذي كان يخفي أجداد الرئيس، وأطلقت العيارات النارية من بندقيتها القديمة، مما اضطر الجندرمة إلى الانسحاب أمام إصرار المرأة. فتهافت رجال العشيرة مع أولادها بعد سماعهم الأهازيج التي كان أولادها يطلقونها (شرناها وعيّت مظلومة).

ثم نظر إليَّ الرئيس بعد أن روى لي قصة الأهزوجة، وقال: «يا ولدي خليل، التاريخ يعيد نفسه. وبارك الله فيك وبوالدتك التي أنجبتك وبعشيرتك وبكل أهل الأنبار الأبطال».

ثم سردت له كيفية قيامي بتأسيس هيئة الدفاع في العراق، وكيف أن المحامين العرب ومنهم الأردنيون الأبطال، أسسوا هيئة عربية دولية، وأننا قمنا بتوحيد الهيئتين ليكون مقرها في عمّان، وأن الهيئة العراقية كانت تضم وقتها (٢٥٠) محامياً، والهيئة الدولية تضم عدداً كبيراً من خيرة رجال القانون من العرب والأجانب. وبعد توحيد الهيئتين، أصبح المحامي الأستاذ زياد الخصاونة رئيساً للهيئة، والمحامي خليل الدليمي نائباً للرئيس، وأن جميع المحامين في الهيئة هم متطوعون للدفاع عن الرئيس وأعضاء القيادة، وأن اسم الهيئة هو «هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين».

كان الرئيس يدوّن بعض الملاحظات، ثم ما لبث أن رفع رأسه عن الأوراق، وشكرني وقال: «بلغ سلامي إلى جميع أعضاء الهيئة وخاصة الأستاذ زياد الخصاونة ولعائلته وعشيرته الأصيلة صاحبة التاريخ، وكذلك للمحامي الدكتور هاني الخصاونة». وطلب الرئيس تسمية الهيئة بـ«هيئة الإسناد للدفاع عن الرئيس صدام حسين وكافة المعتقلين العراقيين والعرب».

سألني الرئيس عن أحوال الشعب العراقي، فتحدثت مطولاً في وقائع ما يجري على الأرض، فقال:

«نعم أتوقع ذلك وأكثر، لأن أمريكا جاءت إلى العراق وهي تعرف أهدافها جيداً. لقد جاءت لتدمير الدولة العراقية ونشر الفوضى على أرض العراق، وبث الفتنة والشقاق بين أبناء العراق وإشاعة القتل والدمار والخراب ونهب ثرواته». ثم أضاف قائلاً: «لقد كنت ورفاقي في القيادة نعرف أن العدوان قادم لا محالة، وأن كل ادعاءات بوش الصغير ومن حوله هي محاولة لتسويق العدوان، وأن نواياهم كانت واضحة بغض النظر عن صحة أو كذب ما يدعون». أكدت للرئيس بأن كل ادعاءاتهم ثبت كذبها، وهذا يخدم موقفه القانوني ويدعمه. قال:

«عندما كنا نقول إن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل، كنا صادقين. ولذلك أردنا أن نثبت للرأي العام بأسره أننا نتعاون إلى أقصى الحدود خاصة بعد أن طلب

مني بعض القادة العرب ذلك. ولكن للأسف فقد تجاوزت أمريكا المجتمع الدولي بأسره، وشنت العدوان من دون سند من شرعية أو قانون، وخارج نطاق مجلس الأمن. ومع ذلك لم نسمع صوتاً يطالب بمحاسبة أمريكا لأنها كذبت على الجميع، وتبين أن الأمر كما كنا نؤكد ونقول دائماً، يتعلق بالنفط وإسرائيل. لذا أطلب منكم أن توثقوا كافة التصريحات التي صدرت بهذا الصدد من فرنسا وألمانيا وغيرهما».

وأخبرت الرئيس أن هناك تصريحاً للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان اعتبر فيه ما جرى تجاوزاً للأمم المتحدة، واعتبر الاحتلال غير شرعي وغير مبرر. فطلب الرئيس توثيق ذلك أيضاً وقال:

«أعتقد أن الأمين العام للأمم المتحدة ضاق ذرعاً بالمواقف الأمريكية، وهو يدرك حقيقة الأمور والأهداف، ويعرف أن أمريكا تريده مجرد تابع وليس صاحب قرار». ثم أخبرت الرئيس بأن الشعب الإسباني قد أسقط رئيس وزرائه أثنار في الانتخابات، وتولى الاشتراكيون السلطة، وقاموا كذلك بسحب القوات الإسبانية من العراق.

بدا الارتياح على وجه الرئيس وقال: «هذا عظيم، وإن شاء الله سيجبر كل أذيال بوش على سحب قواتهم من أرض الرافدين، وسيجد بوش نفسه وحيداً، وعندها سيجبره الشعب الأمريكي على سحب قواته التي لن تستمر طويلاً في المكابرة».

وبمناسبة الحديث عن إسبانيا، أخذ الرئيس يحدثني عن زيارته لإسبانيا عام ١٩٧٤ فيقول:

«عندما كنت نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، وجهت لي دعوة لزيارة إسبانيا. كنت في ذلك الوقت شاباً أجهل الشروط الصحية للإنسان، وكنت أعتقد أن الإنسان لا يمرض إلا بعد أن يشيب رأسه. وحدث أن تعرضت لثلاث حالات سقوط متقاربة، إحداها كانت سقوطي عن الحصان، ثم في الحمّام والثالثة أثناء لعبي التنس. أيقنت بعد هذه الحوادث أنني بحاجة إلى طبيب. وقد قال لي الأطباء: عليك أن تنام مستلقياً على ظهرك لمدة شهر كامل، وقد نصحوني بتأجيل زيارة إسبانيا، لكنني رفضت، مما اضطرهم لإحضار حزام ظهر. وذهبت إلى إسبانيا، وتجولنا في غرناطة، وقمت

بتلبية دعوات كثيرة داخل إسبانيا. حين عدت إلى بلدي، قرر الأطباء إجراء عملية لي، بينما نصح بعضهم بالاستلقاء لمدة شهر ونصف على ظهري، وبعدها يقررون ماذا سيفعلون. وخلاصة القول، قلت لهم: إذا استلقيت على ظهري لمدة شهر ونصف، فهل سيتحسن وضعي؟ قالوا: ربما. وهكذا بقيت مستلقياً لمدة شهر ونصف. وبعد انقضاء المدة، وجدوا أن حالتي جيدة جداً، خضعت بعد ذلك لعملية تدليك على يد طبيب كوبي».

الاهتمام بوحدة الشعب

وعاد الرئيس ليسألني عن أحوال الشعب العراقي وعن وحدته الوطنية، وفي ما إذا كان الاحتلال قد استطاع شق وحدته الوطنية وزرع بذور الفتنة. أجبته أن أمريكا تحاول جاهدة، لكنها فشلت حتى الآن. وتحدثنا طويلاً في هذا الموضوع. وأكد الرئيس أن هناك أطرافاً عديدة، إلى جانب الأمريكيين، يريدون تدمير العراق وتمزيق وحدته التي ترسّخت عبر التاريخ. وقال:

«وأنا أدرك أن هذه القوى ستمارس عمليات القتل والتفجيرات المتبادلة، وسيقدمون معلومات مغلوطة إلى كل طرف من أبناء المجتمع العراقي لتفجير العلاقة بينهم والتحريض على الحرب الأهلية والطائفية. لكنني أعرف شعب العراق. وقد قلت سابقاً إن شعب العراق ومعدنه الأصيل لا يعرفه إلا أهله. لدي ثقة كبيرة أن هذه المحاولات ستفشل، وسترتد جميعها إلى صدور المحتلين وأعوانهم وذيولهم. لذا، أحملك يا ولدي هذه الوصايا لتنقلها إلى الشعب العراقي البطل:

* على كل صاحب عنوان الحفاظ على أمانة الوطن والمعاني العالية والاعتبارات الصادقة الشريفة.
* على المتردّدين أن يتذكّروا مبايعتهم والتزامهم أمام الله والوطن.
* مطلوب من علماء المسلمين ورجال الدّين في العراق الاتصال والتواصل مع بعضهم البعض بغض النظر عن مسمياتهم للنهوض وتحمل الأمانة وتوحيد الصفوف.

* مطلوب ألا يكون قبول القيادة إلا على أساس الحزم والجرأة والشجاعة وصلابة الموقف.

* مطلوب من العراقيين توحيد الصفوف وتضييع الفرصة وتفويتها على الأعداء الذين يحاولون بشتى الطرق شق صفوفه بعد أن أدمى هذا الشعب أقدام الغزاة.

* مطلوب الاتصال بالمنظمات الشعبية والحكومية الدولية».

ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا.

إيران العدو التاريخي

وعندما أخبرته عن موقف إيران وأنها أدخلت مئات الألوف من الإيرانيين إلى العراق، وأدخلهم أعوانها في السجلات السكانية، وزوّروا هويات أحوال مدنية لهم ووثائق أخرى، وسجلوهم في جداول ما يسمى بالانتخابات على أنهم عراقيون وخاصة بعد أن أحرقوا جميع السجلات المدنية في العراق، قال:

«هؤلاء فرس يرجعون إلى أصولهم، وهذه سيرتهم. وأنا أحذر من غدر إيران وتدخلها السافر في شؤون العراق ... إنها هي التي تقف وراء الفتنة لأنها تريد أن تقتطع جنوبي العراق لتلحقه بدولة فارس. بل هي تريد الاستيلاء على العراق كله، وهو حلمهم وهدفهم الذي أدركناه مبكراً وحذرنا دول المنطقة منه. إن الحلم الفارسي في إقامة دولة كبرى وإحياء الامبراطورية الفارسية العنصرية التوسعية على حساب العراق ودول الخليج، هو محل اتفاق بين القادة الفرس كافة. لذلك لا أستبعد ما تقوله خصوصاً وأن يدها الآن تعبث بحرية في العراق، وقطعاً يمارس أذنابهم خاصة ما يسمى بقوات بدر أبشع الجرائم ضد شعب العراق، ويقتلون النخبة الوطنية العراقية التي تصر على التمسك بعروبتها وترفض منطق ونهج الهيمنة والاحتلال.

« قبل الحرب العراقية الإيرانية، وصل تدخل إيران في العراق حداً ما كان بالأمكان السكوت عنه. كان الهدف التوسعي أبرز أهدافها، وأصبحت في زمن الشاه الممول الرئيسي لقيادة التمرد في المنطقة الشمالية، ووصل هذا التدخل حد السماح لتلك الجماعات باستخدام الأراضي الإيرانية مع كامل التجهيزات والأسلحة

والذخائر. وقد عقدنا اتفاقية الجزائر، وقدمنا تنازلات مؤلمة كما هو معروف، مقابل المحافظة على وحدة شعب العراق. وكان من أبرز بنود هذه الإتفاقية عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكلا البلدين.

«عندما لجأ الخميني إلى العراق، عاش بين العراقيين معززاً، وكنا نغض الطرف عن الكثير من تصرفاته الرامية للتدخل في الشأن العراقي. ولكن، ما إن وصل سلوكه حد القيام بثورته واستخدام الأراضي العراقية لتحقيق أهدافه، حتى طلبنا منه مغادرة العراق أو احترام سيادة البلد الذي هو فيه. لكن الأمر لم يرق له. وبدأت تصريحاته موجهة ضد العراق لدرجة أنه اعتبر العراق جزءاً من أرض فارس، وهذا قبل أن توصله المخابرات الغربية إلى سدة الحكم. وأخذ يهدد ويتوعد دول الخليج العربي باعتبارها في رأيه محافظات إيرانية.

«لقد حاولنا كما يعلم الجميع وبشتى الطرق تجنب الاحتكاك معهم. وبعد أن وصل إلى طهران، بدأت قواته بالتمركز قرب الحدود العراقية، وبدأ يتحدث علناً عن تصدير ثورته بدءاً من العراق. وفي عام ١٩٨٠، بدأت المدفعية والدبابات تقصف مدننا وقرانا الحدودية في سيف سعد وزرباطية ومندلي وبدره ومدن أخرى. وقد طلبنا منهم إيقاف هذه الاستفزازات عبر عشرات المذكرات، لكن تصعيدهم لهذا العدوان أخذ منحى خطيراً في ٤/ ٩/ ١٩٨٠، إذ كانوا يراهنون على إثارة الشعوبية، وفشلوا، وقاتلهم العراقيون الشيعة قبل السنة. وقد حاول العديد من الزعماء المسلمين في العالم والأفارقة ومنهم السيد أحمد سيكوتوري، رحمه الله، أن يوقفوا الحرب، لكن الخميني أصر على العدوان علينا. فقاتلناه بشجاعة، إلا أنه فشل بعد انتصاراتنا المتلاحقة، وكانت الفاو أول مدينة عربية تحتل بالقوة وتتحرر بالقوة، وأعلنا النصر على الخميني وتجرع السم وهو يوقع على قرار وقف إطلاق النار في قادسية صدام المجيدة. وكان إعلان النصر في ٨/ ٨/ ١٩٨٨.

«عندما تناخينا عام ١٩٨٠ للوقوف بوجه الريح الصفراء القادمة من إيران، كان موقف بعض أخواننا العرب قد أثلج صدورنا، فقد استشعرت الدول العربية الخطر

الإيراني والمد الشعوبي الكارثي على مستقبل أبنائها، فكانت مواقفها مما لا يمكن لنا أن ننساه، حيث وقفوا معنا عندما مر العراق بتلك الظروف الصعبة أثناء الحرب .

«حين توفي الخميني، جاء إلي أحد أفراد الحماية ليخبرني وكان متشفياً، فأنّبته، وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون وليرحمه الله، فنحن لا نحقد على أحد.

«لقد تابعت خلال فترة ما بعد الاحتلال، وقبيل أسري، كيف لعب هؤلاء دوراً تخريبياً، وكيف سمح لهم الأمريكيون بالدخول انطلاقاً من الأراضي الإيرانية بكامل عدتهم وأسلحتهم حتى يكونوا عوناً لهم ضد العراقيين. وحتى عندما أسقطوا النصب في ساحة الفردوس، لم أكن بعيداً عن ذاك المكان، ولكنني لم أكن أهتم بالأمور الشكلية بقدر ما كان يهمني وضع العراق. وهذه المسرحية (إسقاط النصب) قام بها أشرار ليس فيهم دم عراقي، فهم مدربون ومعدون سلفاً لهذه المسرحية وبمساعدة المحتل. ولم أجد بينهم عراقياً واحداً إلا من استملكه الهوى وسايرهم وفق هواه. ويقيناً فإن من شاركهم من العراقيين هم من أصحاب السوابق، لأن العراقي الشريف لا يقبل بالذي حصل».

ويتابع الرئيس، فيقول :

«لقد قتلوا الكثير من العلماء، وشاركوا المحتل في عمليات المداهمة. كل ذلك بعلم وموافقة بعض من وضع نفسه موضع رجل الدّين المفتي والدّين منه براء، لا تهمه مصلحة العراق وشعبه ولا انتماؤه لهذه الأمة بقدر ما تهمه إيران، لتعبث بالعراق والخليج والمنطقة كما تشاء».

وعن الحرب مع إيران يقول الرئيس :

«إن الذين تحدثوا عن خطأ الحرب الدفاعية في مواجهة الفرس وأطماعهم ونواياهم الشريرة تجاه العراق والمنطقة في الثمانينات من القرن الماضي، عليهم أن يعيدوا قراءة الملف الآن من جديد ليعرفوا أن إيران الفارسية لم تتنازل لحظة واحدة عن أهدافها التوسعية، وهي جزء من اللعبة القذرة ضد العراق وضد العرب والمسلمين، فإيران سهلت دخول الولايات المتحدة إلى العراق وأمريكا سهلت تغلغل إيران في العراق».

ويضيف الرئيس :

« لقد استبقنا إيران بإثبات حسن النية، فقمنا بعد نهاية الحرب بالعودة إلى اتفاقية الجزائر رغم جورها. كما قمنا، وبحسن النية أيضاً، بعد أن وعدونا بأنهم سيثبتون لنا حسن نواياهم، وأنهم في خندق واحد معنا ضد النوايا الأمريكية في المنطقة، قمنا بإيداع طائراتنا الحربية لديهم لاستخدامها في الصفحة الثانية من المنازلة مع أمريكا. وبناء على اتفاقنا مع قادة إيران، رحبوا بتوحيد خندق المواجهة. لكنهم كعادتهم غدروا بنا وبمواثيقهم، وهذه هي عادة الفرس. لذا أحذر الجميع منهم، وإنني اليوم وأكثر من أي وقت آخر، أخشى على سوريا من غدر إيران التي تحاول توريط سوريا بحرب مع إسرائيل ومن ثم تتخلى عنها، فسوريا مستهدفة كما هو الحال مع العراق وكما هو حال الأمة كلها. فهذه حرب صليبية عنصرية تستهدف العروبة والإسلام على حد سواء. ويبدو حقدهم الدفين من خلال عدوانهم على العراق وأهله وحضارته، مثل الذي يريد التدمير للانتقام فقط .. لقد تآمروا على النظام الوطني الشرعي في العراق، واستولوا على السلطة عن طريق العدوان المباشر بعدما عجزوا بكل الصفحات عن تحقيق ذلك. فلو كانوا صادقين، فلماذا يبقون حتى الآن في العراق، ولو انسحبوا بعد أن نصبوا عملاءهم على رقاب العراقيين، لاختلفت الصورة. لكن أهدافهم أكبر من التآمر على صدام حسين وعلى النظام بأسره».

تسليح الجيش العراقي

سألت الرئيس صدام حسين عما أشيع من أن بعض الدول الغربية كانت تسلح العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية. فأجابني :

«في السابق كانت أغلب دول العالم الثالث ومنها العراق، تعتمد في تسليح جيوشها على مصدر واحد تقريباً هو الاتحاد السوفيتي وبعض دول الكتلة الشرقية. ولكن بعد النكسات المتوالية للعرب في نزاعهم مع الكيان الصهيوني، والطريقة التي كان يحصل فيها الابتزاز للعرب، قررنا تنويع مصادر تسليح جيشنا. وهذا حق مشروع لنا مثلما هو حق مشروع لغيرنا خاصة والعراق له حدود طويلة مع جار السوء الذي لديه أحقاد وثارات وأطماع توسعية ومحاولات إثارة الشعوبية البغيضة. قبل

القادسية الثانية (الحرب العراقية الإيرانية)، كانت لدينا عقود مع فرنسا مثلاً لشراء طائرات حربية لتعزيز قوتنا الجوية، ولكن تنفيذ هذه العقود تأخر بعض السنوات بسبب الحرب وبسبب المقاطعة التي فرضتها أمريكا آنذاك.

«ومنذ عام ١٩٨٠، قام العراق بتنويع مصادر تسليحه من خلال عقود مشروعة مع الكثير من الدول وبشكل مباشر، كما اشترينا سلاحاً غير مباشرعن طريق بعض الوسطاء، وحسب حاجة جيشنا لذلك. فما الذي يضير العراق إذا كان يسلح جيشه من البرازيل أو فرنسا أو النمسا أو الصين أو الاتحاد السوفيتي أو دول أوروبا الشرقية، مثلما تزود أمريكا وغيرها حلفاءها ؟ وخلال فترة الحرب، استطاع رجال التصنيع العسكري من سد نسبة كبيرة من حاجة العراق محلياً. وهذا الأمر أغاظ أمريكا والصهيونية، لذلك ركزوا تدميرهم، بكل نواياهم الشريرة على هذا القطاع الحيوي الهام.

ورغم ذلك، بقيت لنا علاقات تجارية عسكرية مع بعض دول الكتلة الشرقية، سواء بالسلاح أو التجهيزات. وقد وقف معنا أخواننا العرب في حربنا الدفاعية بوجه أطماع الفرس ونواياهم الخبيثة. وهذا ليس عيباً، وإنما العيب هو على من ادعى أن أمريكا هي الشيطان الأكبر، بينما كل أسلحته وتجهيزات جيشه هي من هذا الشيطان ومن إسرائيل ومن كوريا.

«فلماذا لا تنظر أمريكا بموضوعية إلى هذا الأمر وتحاسب شركاتها الكبرى التي كانت تسلح إيران ضد العرب. وهي تعرف جيداً من ضرب حلبجة بسلاح لا تصنعه إلا ألمانيا. والمخابرات الأمريكية تعرف هذا جيداً وبالأدلة، فلماذا لا تحاسب أمريكا إيران على ذلك.

«إذن فأمريكا تحاسب هذا وتغض الطرف عن آخرين، حتى في معركة الفاو عام ١٩٨٦، فإن أمريكا نفسها أوعزت لإيران بالهجوم على الفاو، وساعدتها على احتلال هذا الجزء المهم من أرضنا، لأنها تريد من إيران أن تلوح بالعصا أمام دول الخليج العربي وتقول لهم: ها هي إيران ستبتلعكم، وهي على بعد أمتار منكم. وترسل لهم إشارة تقول إن العراق غير قادر على صد شرور إيران، كي تقوم أمريكا

بابتزاز هذه الدول. لذلك قامت أمريكا بتزويد إيران بأدق التفاصيل عن تواجد وكثافة قطعاتنا بالإضافة إلى معلومات أخرى. ثم قامت بتمرير معلومات غير مباشرة لنا.

«كانت أمريكا تسعى لإطالة أمد الحرب بين العراق وإيران لإضعاف العراق والعرب، ووضع العرب بين خطرين، الكيان الصهيوني من الغرب والفرس وأطماعهم من الشرق. لذلك كانت تزود إيران بالسلاح، وبالمعلومات بواسطة الأقمار الصناعية وبشكل مباشر.

أما نحن، فقد كانت تأتينا بعض المعلومات من أخواننا العرب، قد تكون أمريكا مصدرها، لكن ليس بصورة مباشرة. وكثير منها كان كاذباً لصالح إيران، وبالتالي أدت بعض هذه المعلومات إلى احتلال الفاو.

«وخلي العالم يعرف الآن شلون إيران تهز الخيط من الشمال على جلال ومن الجنوب على الأمريكان والبريطانيين. وخلي يشوفوا شلون العراق كان واقف سيف بوجه أطماع إيران»[1] .

---

(١) حول الأسلحة العراقية، انظر:

- TIV (Trend Indicator Value) of Arms imports to Iraq 1980-1990 (Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI)).

الفصل الثالث

الصفحة الأولى من المعركة

الحواسم

لم نضع في منهجنا أو حساباتنا يوماً ما،
أننا إذا ما واجهنا أي شرّ خارجي،
سنستقوي بالأجنبي، لأن الاستقواء بالأجنبي
وخاصة على بعضنا البعض
هو تافه وحقير.

(صدام حسين في المعتقل)

وقع الزلزال المروع في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣. واحتلت بغداد الحبيبة على يد المغول الجدد. كان كل شيء يبعث على الذهول، مرور الدبابات الأمريكية في شوارع بغداد ومدن عراقية أخرى، وتحليق غربانهم السود بكثافة في سماء بغداد، توزع دمارها وحقدها على العراقيين.

في ظل هذا الذهول والصدمة غير المتوقعة، حل المحتلون الجيش العراقي الباسل، وحلوا أجهزة الدولة، وأصدروا قانوناً لتصفية حزب البعث العربي الاشتراكي، واعتقلوا القيادة، و ... و ..

كان الوجع كبيراً، وحين استحضرنا ما مر بالعراق من تآمر وعدوان غير مبرر سوى في ذهن العدو، قال الرئيس:

«لا بد من أن نعود إلى البدايات، ونرى اللحظات الأخيرة قبل بدء العدوان على العراق ليلة الحادي والعشرين من آذار، وهي الصفحة الأولى من المعركة.

«بعد أن أيقنت ورفاقي في القيادة ومعنا كل شعب العراق الصابر المجاهد أن العدوان الأمريكي الشرير واقع لا محالة، ويستهدف كل العراق ومقومات وجوده ومستقبله، وإعادته دهوراً إلى الوراء، قمنا بوضع الخطط اللازمة للمواجهة بعد أن قبلنا مضطرين بأن لا بديل عن المواجهة العسكرية المباشرة، وصد ومقاومة العدوان الذي ركبت فيه أمريكا هوى الشيطان. لذا، فقد أعددنا شعبنا البطل وقواته المسلحة للدفاع الشامل بمشاركة كل طاقات الدولة والشعب، من إعداد نفسي وفكري

ومعنوي لتأمين حالة الدفاع، ولمعركة طويلة قد تمتد إلى عدة أشهر. وكان الانفتاح العام للقوات المسلحة (قواتنا) مبنياً على أساس خطط الدفاع الرئيسية عن العراق، واحتمالات تعرض العراق للعدوان من كل الاتجاهات.

«وعلى هذا الأساس وغيره، وضعنا أهم المعالجات، وهي تأمين القيادة والسيطرة. ووضعنا لذلك كل الخطط والإمكانات. فقد قمنا بتقسيم العراق إلى أربع مناطق كقواطع عمليات رئيسية، وكلفت القيادة رفاقنا بالتوزع لقيادة هذه القواطع، وعاونهم قادة فرق وفيالق قواتنا المسلحة.

كان التقسيم على النحو التالي:

قاطع العمليات الشمالي بقيادة «أبو أحمد» الرفيق عزّة الدوري. يعاونه في ذلك قادة فيالق وفرق التشكيلات الموجودة في ذلك القاطع. وقد شمل القاطع محافظات نينوى، التأميم، بعض أجزاء ديالى وبعض أجزاء محافظة صلاح الدين.

القاطع المركزي ويشمل مناطق بغداد، الأنبار، صلاح الدين، ديالى وأجزاء من محافظتي واسط وكربلاء. ويقود هذا القاطع قصيّ وأخوانه القادة العسكريون الذين تسيطر قواتهم على هذا القاطع.

قاطع منطقة الفرات الأوسط ويشمل محافظات بابل، النجف، القادسية والمثنّى. وقد أوكلنا مهمة قيادة هذا القاطع للرفيق مزبان خضر هادي، يعاونه الرفيق فاضل محمود غريب. وأنيطت مهمة الدفاع عن هذا القاطع لمقاتلي جيش القدس وتنظيمات رفاقنا في الحزب.

القاطع الجنوبي ويشمل محافظات البصرة، ميسان وذي قار. وتم تكليف الرفيق علي حسن المجيد بقيادة هذا القاطع، يعاونه أخوانه قادة الفيالق والفرق في نفس القاطع.

«كانت هذه القواطع بإمرة رفاقنا في القيادة السياسية ورديفها قادة القوات المسلحة المجاهدة. كما كانت أهم الخطط التي سبقت العدوان، أن تكون الخطة النهائية هي الدفاع عن بغداد. لذلك قمنا بتقسيم بغداد إلى مناطق تولى مهمة قيادتها رفاقنا في القيادة. وكان الاهتمام ببغداد من أهم اهتمامات رفاقي في القيادتين

السياسية والعسكرية، لأن رهان نتيجة المعركة النهائي وتركيز العدو يتوقف على ذلك.

قبل وقوع العدوان، قلت لرفاقي إن البندقية سيكون لها الدور الكبير الحاسم في المعركة النهائية، بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى. ثم كلفت الحماية التابعة لي بتهيئة أحزمة ناسفة لنا لكي نستعملها عندما نقاتل العدو إذا وجدنا أنفسنا في وضع نضطر فيه إلى استخدامها وذلك لإيقاع أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوفه، حيث لم نضع في الحسبان حالة الوقوع في الأسر. لكنني بعد تأمل، تراجعت عن قراري هذا وقلت في نفسي، ماذا أقول لشعبي ورفاقي في القيادة وماذا سيقولون عني. هل أنا قائد وفقاً لواجباتي في أن أقود المعركة، أم أنا مقاتل ؟ وقد يفسر موقفنا هذا على أنه تخل عن القيادة. فعدلت عن الفكرة .

«وعندما وقع العدوان الغادر ليلة ٢٠/ ٢١ آذار ٢٠٠٣، أخذت قواتنا المجاهدة على عاتقها مهمة التصدي بكل شموخ وبطولة كل حسب قاطع عملياته وصنفه، ومعهم الشعب العراقي المجاهد بكل إيمانه وصموده. وكان لدور جيشنا الباسل خاصة اللواء ٤٥ البطل الذي أذهل العدو بصموده الأسطوري في أم قصر، رغم ضراوة العدوان وشراسته، أكبر الأثر في شعبنا مما جعل العدو يعيد النظر في خططه العسكرية أكثر من مرة.

«بعد اشتداد المعركة وأثناء معركة المطار (٥/ ٤/ ٢٠٠٣)، شاركت أخواني بعض مراحل القتال بنفسي ومعي أبطال الحرس الجمهوري وأبطال من المقاتلين العرب والفدائيين الأماجد. وذات يوم، كنت أوجه بعض رفاقي وقادة الجيش والحرس بالقرب من جامع أم الطبول، التحق بي أبو نادية (طه ياسين رمضان). كان العدو أثناءها قد استطاع أن يخترق بدباباته ودروعه بعض مناطق بغداد على الطريق العام. كنت ورفاقي تحت الجسر، فقمنا بشن هجوم على قطعات العدو، وقد مكنني الله من حرق دبابة أو دبابتين بسلاح (آر بي جي٧)، فاعترض أبو نادية بشدة على ذلك وقال: أرجوك لا تفعل هذا، فأنت قائد تقود وتوجه، ولست جندياً كي تقاتل بنفسك. فإذا جرحت أو استشهدت لا سمح الله، فإن هذا سيؤثر على معنويات الجنود والضباط

بل وحتى على رفاقك في القيادة، ونعتبر هذا تخلياً منك عن واجبات القيادة. ثم ذهب أبو نادية، وبقيت مع أخواني المقاتلين وأفراد حمايتي. وقد كان للمقاتلين العرب من المتطوعين والفدائيين دور بطولي وتاريخي مشرف سيكون درساً للأجيال، فالعراقي مهما كان قوياً، فإنه يزداد قوة بعمقه القومي.

«في معركة المطار، صعدت إلى إحدى الدبابات، وكانت لحظة صعبة. فقدتُ تلك الدبابة وسط رتل دروع تقدم باتجاه المطار. وكانت طائرات العدو وغربانه تحوم في سماء المعركة، حينئذ غطت عاصفة رملية سماء المعركة حالت دون تمكن العدو من قصف آلياتنا.

بعد ذلك دفع العدو بتعزيزاته وغيّر من خططه وتكتيكاته، وجمع حشوده بعد أن استطاع أن يحتل مناطق كبيرة من أرض المطار وما حولها. لكن قواتنا البطلة الصاروخية والراجمات والمدفعية وبقية الصنوف الأخرى، قامت بإبادة قوات العدو إبادة شبه تامة، خسر فيها العدو أكثر من ألفي عنصر، وأضعاف ذلك من الجرحى والآليات المدمرة في معركة أشار إليها (السيد محمد سعيد) الصحاف آنذاك. وكانت صدمة قوية للعدو. استطاعت قواتنا حينئذ أن تستعيد الموقع. وتكتم العدو، وما يزال، على نتائج هذه المعركة. وتحديناهم، وما نزال، للإفصاح عن خسائرهم الكارثية في هذه المعركة.

«بعدها فقد العدو صوابه، فقام بحشد قواته من جديد، وشن غارات من القصف الوحشي الجوي والصاروخي على بغداد بشكل غير مسبوق. وقام، وبشكل جنوني، بقصف قواتنا في المطار بالأسلحة النووية والأخرى المحرمة دولياً بشكل همجي حاقد، مما أفقدنا خيرة أبنائنا وقواتنا. وكان ذلك من أكبر عوامل تمكنه من دخول بغداد واحتلالها، بالإضافة إلى عوامل أخرى، حيث إن هول القصف الهمجي على المطار، جعل بعض الآمرين والقادة يفقدون السيطرة على قطعاتهم بسبب ما آل إليه القصف بالأسلحة النووية على معنويات الجنود وبعض الضباط ومن شتى الرتب الصغيرة والمتوسطة، وتركهم للموضع الدفاعي، مما سهل دخول قطعات العدو إلى بغداد ...

«لا أريـد أن أتحدث عـن دوري في تلك المواقـف، ولكنها حقائـق لا بد من توثيقها كي لا يقول المغرضون أين صدام من تلك المعارك، فقد كنا وسـط الشـعب في السلم، ووسط مقاتلينا في المعارك والأوقات الصعبة.

ولقد خـاض المقاتلون العـرب الأبطال ومعهم الفدائيون البواسـل، أشـرس المعارك ضد قطعات العدو خاصة في معركة نفق الشـرطة. وكنت معهم نحاول منع تقـدم العدو وآلياته ودروعه صـوب بغداد، وقمنا بتدمير عدد مـن آلياته. وهنا دعوت المقاتليـن الأبطـال إلـى حمايـة أشـقائهم المتطوعين العـرب. ثم غـادرت إلى حي المنصور، وشـاركت أخواني المقاتلين من العراقييـن والعرب الذين كانوا يخوضون معركة ضارية ضد العدو ودروعه. واسـتطعنا بعد الاتكال على الله من إعطاب بعض دباباتـه وولى هارباً من أرض المعركة في شـارع ١٤ رمضان. لقد كنا ننتقل من موقع لآخر، ونتواجد بين المقاتلين ومعهم لنرفع من معنوياتهم.

«في التاسـع مـن نيسـان ٢٠٠٣، التفت الجماهيـر حولنا بـكل عفوية في حي المنصـور. ذهبـت بعدها إلـى الباب الشـرقي، ولـم أكـن بعيداً عما حصل في سـاحة الفردوس من مسرحية أراد العدو من خلالها أن يرفع من معنويات جيشه المنهار، ثم تجولت في مدينة صدام وسـط الناس. لكننا في تلك اللحظـات فقدنا المصور الذي لم يستطع الوصول إلينا لتوثيق ما يحدث.

فـي ذلك اليوم وقبله، التقيت بعـدد من رفاقي في القيادة والقادة العسـكريين. وعلـى الجانـب الآخـر كان يدور قتال شـرس فـي الأعظمية في سـاحة عنتر. وكان المقاتلـون العـرب يخوضون هـذه المعارك بشراسـة. وقد اسـتطاعت قـوات العدو ومعهم كل العملاء والخونة، من التسلل والدخول إلى بغداد من أغلب الاتجاهات.

«ثم انتقلت بعدها إلى الأعظمية، وتناولت مـع أفراد حمايتي طعام الغداء بعد أن أحضره أفراد الحماية من أحد المطاعم المجاورة. وبعد أن أديت صلاة العصر في جامع الإمام أبي حنيفة، احتشـد المئات من أهالي الأعظميـة الأبطال، وكان يرافقني المقاتلـون العرب والفدائيـون. فقمت بتحيـة الجماهير ووداعهم، ومـن ثم خاطبت المقاتليـن العـرب وطلبت منهـم المزيد مـن المقاومة، وعـدم إتاحـة الفرصة للعدو

لالتقاط أنفاسه. فاليوم بدأت معركتنا الحقيقية، ونحن من يحدد مسارها، فعليكم تلقين الغزاة دروساً لن ينسوها، والإسراع في تنفيذ العمليات البطولية لكي لا يشعر العدو وعملاؤه بطعم النصر.

«لقد حاول العدو بأساليبه المعروفة وكذبه، التأثير السلبي في معنوياتنا واستفزازنا، لكن إيماننا بالله وبعدالة قضيتنا وثباتنا وصمودنا قد خيب ظنه. فقد حاول التأثير على معنويات العراقيين بالقول إن صدام حسين قد قتل. فطلبت من رفاقي عدم تكذيب الخبر.

«كان رفاقنا والقادة وأعضاء القيادة على مستوى عال من الصمود والبسالة وشجاعة الموقف رغم ضراوة المعركة وشراستها. وكنا متواصلين مع رفاقنا في القيادة طيلة أيام المعركة وخاصة طه ياسين رمضان وطارق عزيز وقصيّ والفريق سلطان والصحاف، بالإضافة إلى القادة الميدانيين. لكنني لم ألتق مع «أبو أحمد» (عزّة الدوري) أثناءها بسبب قيادته للقاطع الشمالي بعيداً عن بغداد. كنا نتجول في بغداد وبين صفوف الشعب، ونشارك قطعاتنا دورها في المعارك، وكنا نتحرك أحياناً بسيارات مموهة ومختلفة الأنواع بعضها قديم والآخر سيارات عامة. ثم التقيت مع بعض الرفاق، وقررنا الاختفاء والانتقال إلى الصفحة الثانية، صفحة المقاومة والنضال السري. وكان خروجنا من بغداد يوم ١١/ ٤/ ٢٠٠٣ حيث اتجهنا إلى المقرات البديلة».

أين كان الرئيس يوم الغزو ؟

«منذ اليوم الأول لدخول قوات الاحتلال إلى بغداد، بدأت أستعد نفسياً لذلك، وأعود لسنوات النضال الأول منذ عام ١٩٥٩. كانت الأمور تسير معي ومع رفاقي وكأننا لم نفاجأ بما يحدث. وعندما كان الأشرار يدقون طبول الحرب، ويتحدثون عن الفرصة الذهبية، كنا نحاول ألا نوفر لهم هذه الفرصة التي قد تكون كارثية على قواتنا المسلحة، ولم يكن ذلك حباً في الحياة من جهتي، ولم تكن حياتي تعني لي شيئاً مقابل أن يحيا العراق حراً كريماً.

ولتفويت الفرصة على الأعداء، كان لا بد لنا من أن نتخذ مواقع بديلة. ففي الليلة التي بدأ فيها بوش عدوانه على بغداد، كنت في منزل متواضع يقع في حي التشريع ليس بعيداً عن القصر الجمهوري. فقام العدو بضرب القصر والأهداف التي حددها.

«وفي أحد أيام المنازلة، دعوت القيادة إلى اجتماع في مطعم الساعة في حي المنصور، وطلبت من أعضاء القيادة أن يدخلوا من الباب الأمامي والخلفي للمطعم للتمويه. وبعد أن تمعنت في الحضور، وجدت أن أحد الأشخاص المهمين كان غائباً عن الاجتماع. فقلت في نفسي لقد فعلها. وعلى الفور، طلبت من الحضور الانصراف والتوجه إلى مكان آخر. وبعد خروجنا مباشرة، قام الغزاة بضرب المكان وتدميره بالكامل. توجهنا بعدها إلى مكان آخر في المنصور في دار اعتيادية. وبعد دخولنا ولقائنا لفترة قصيرة، أمرتهم بالخروج. ثم ضرب المكان بشدة بعد دقائق من خروجنا. آنذاك أعلن العدو أن صدام قد مات في هذا الموقع.

«بعد أن أكمل العدو احتلاله لبغداد، قررت الخروج منها. فذهبت إلى محافظة الأنبار وبالذات إلى مدينة الرمادي حيث مضيف عائلة عراقية معروفة بكرمها ووفائها ووطنيتها، هي عائلة آل خربيط. وهناك كنت ألتقي بعديّ وقصيّ وبعض المرافقين بالإضافة إلى برزان. عندما كنت في ديوان المضيف، كان الشباب يتصلون بواسطة جهاز الثريا المعروف بسرعة رصده من قبل الأقمار الصناعية، ويستطيع أن يرصد هدفاً دقيقاً جداً. وبينما كنت أعد نفسي للنوم قليلاً بعد أن طلبت بإخراج العائلة من بغداد، فإذا بالطائرات الأمريكية تضرب المكان. فاستشهد روكان عبد الغفور رحمه الله، وعدد من المرافقين. كما استشهد عدد كبير من أفراد عائلة صاحب الدار. وبسبب هذه الحادثة الأليمة، فإنني ما زلت أشعر بالخجل من آل خربيط. وعلى الفور، خرجت بسيارتي بصحبة اثنين من المرافقين، وتوجهت إلى قضاء هيت حيث التقيت مع قائمقام القضاء على ما أذكر. فاستبدلت سيارتي بسيارته، ثم ودعني، فتجولت بعدها متنكراً في ضواحي الرمادي بالقرب من عشيرتك أستاذ خليل. وفي الحقيقة، قررت ألا أثقل على العشيرة، وذهبت إلى أماكن أخرى».

وصمت الرئيس لفترة حسبتها دهراً.. وكنت أريد أن أسمع المزيد في زمن حدده لنا الحراس الأمريكان أن لا يتجاوز الأربع ساعات ونصف الساعة. سألته: هل تعتقد سيدي أن هناك ثغرات في خطة الدفاع عن بغداد ؟ أجاب الرئيس :

«نعم، كانت هناك بعض الثغرات المهمة، واستطاعت مجريات الأمور وسير المعارك والتفوق الهائل للعدو استغلال هذه الثغرات في حسم المعركة سريعاً. ورغم كل ذلك، أقول إن المقاتلين من رجال القوات المسلحة البطلة، قادة وآمرين ومقاتلين، ومعهم الفدائيون الأبطال والمتطوعون العرب، قد أبلوا بلاءً حسناً، ومن خلفهم الشعب العراقي البطل وقيادته ... لكن تلك كانت إرادة الله ولا راد لأمره»...

الفصل الرابع

الصفحة الثانية من الحواسم

المقاومة

إن من شهر السلاح مرة واحدة في وجه الإمبريالية،
لا يمكن أن يسقطه من يده.
وإن فعل ذلك،
فالإمبريالية ستحفر قبره .

راؤول كاسترو

الحديث مع الرئيس صدام حسين، حديث مع التاريخ وللتاريخ. أشرق وجهه حين انتقل إلى الحديث عن الصفحة الثانية من معركة العراق والأمة، صفحة المقاومة الباسلة التي أذهلت العالم بسرعة وقوة انطلاقتها. فقال:

«إن الصفحة الثانية من المعركة (مقاومة الغزاة)، يا ولدي خليل، قد بدأت يوم ١١/ ٤/ ٢٠٠٣، أي بعد الاحتلال بيومين فقط. فقد التقيت بالقادة العسكريين في ذاك اليوم وسألتهم إن كان لديهم أي شيء يقولونه، فأجابوني واحداً واحداً، وكانت إجاباتهم متعددة حتى قال الأخير: سيدي بقي لي فوجان .. قلت: إذهبوا وتوكلوا على الله، **وابدأوا الصفحة الثانية من معركتكم.**

«لذا فإن ما يحدث اليوم ليس وليد الصدفة، وليس فعلاً عفوياً، بل هي عملية مخطط لها منذ فترة طويلة قبل وقوع العدوان. وقد أخذنا كل الاحتياطات اللازمة، فقمنا بخزن الأسلحة والأعتدة والذخائر المطلوبة لمستلزمات معركة استنزاف طويلة وحرب عصابات لا يجيدها العدو.

«في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣، قمت بزيارة لمدينة الثورة وتفقدت أهل المدينة الذين احتشدوا بشكل كبير. ولم تصوّر هذه الزيارة لأننا سلكنا طريقاً غير الذي سلكه طاقم التصوير والذي لم يستطع الوصول إلينا بسبب شدة القصف. ثم ذهبت بعدها إلى الأعظمية، والتقيت بحشود كبيرة من أهلها وعلى مقربة من المدرعات الأمريكية التي قامت إحداها بإطلاق النار، فجرحت في خاصرتي اليسرى، لكنه لم يكن جرحاً بليغاً.

«يوم ١١/ ٤/ ٢٠٠٣، وبعد اللقاء مع القادة، قررت الخروج من بغداد يرافقني أفراد الحماية الخاصة، لكنني طلبت منهم الذهاب إلى بيوتهم وعوائلهم، وأبقيت معي عدداً قليلاً من الأفراد حيث سلكنا طريق نهر دجلة في زورقين، على ما أذكر، وخرجنا من بغداد. حين قررنا الاختفاء، تصرفنا مثلما كنا في عام ١٩٥٩ حيث كان هذا العام زخماً بالنضال، فكنا نمشي حفاة، ونأكل مما نصطاد، ومما نجده في الحقول. لذا فأنا معتاد على ذلك. بالإضافة إلى السهر والتعب وإعداد الخطط.

«بدأت بعدها بمتابعة فصائل المقاومة بالتعاون مع رفاقي قبل أن يؤسر بعضهم. كنا على اتصال مع الفصائل، نتابع وضعهم حتى في بعض المحافظات، لكننا وبعد تسلل الأعداء ومخابراتهم وأجهزتهم الإستخبارية، وخاصة من إيران، وتغلغلهم في محافظاتنا العزيزة في جنوبي العراق، فضلنا عدم الذهاب إلى تلك المحافظات. فتابعت زياراتي إلى بغداد، وكنت على اتصال مباشر وغير مباشر مع رجال المقاومة الأبطال. ثم ذهبت إلى محافظة ديالى ومحافظة نينوى وأطراف الموصل ومحافظة التأميم والحويجة وجميع مناطق صلاح الدين وأغلب مناطق الأنبار، ولم أمكث في أي مكان زرته أكثر من ثلاث ساعات لاعتبارات كثيرة، فلم أرغب في أن أثقل على أهل المنطقة خاصة والعدو يتربص بنا، ولا نريد أن نتسبب بخسارة لشعبنا.

«كنا على صلة بالمقاومة، أتابعها وأقودها إما بشكل مباشر من خلال مشاركة وزيارة بعض الفصائل لرفع المعنويات، أو توجيههم بواسطة الرسائل الخطية، وهي قليلة لأسباب أمنية، أو رسائل شفوية. وكنا لضرورات أمنية نتخفى بملابس عربية أو بزي الرعاة. كما كنا نتنقل بسيارات مختلفة الأنواع، منها سيارات حمل متوسطة وكبيرة، ومنها سيارات نقل عام (تاكسي) وسيارات خصوصي.

«وفي أحد الأيام، كنا في سيارة تاكسي نحمل معنا بنادق كلاشنكوف ومسدسات وقنابل يدوية، وبالصدفة اقتربنا من سيطرة لقوات الاحتلال وهي سيطرة غير ثابتة. فوجئنا بها، وأراد السائق وهو من أفراد حمايتي أن يغير مسار السيارة ويستدير عائداً، فقلت له واصل السير وتوكل على الله. استوقفتنا السيطرة التي كانت من الجنود الأمريكان. لكنهم لم يدققوا في وجوهنا، وطلبوا منا مواصلة السير. وكانت أسلحتنا مخبأة تحت أرجلنا ..

«لقد مررنا بأحداث كثيرة تشبه تلك. وكنت كثيراً ما أطرق أبواب العراقيين في المناطق التي ذكرتها، فأدخل بعد أن يؤذن لي. وكنت أقول لرفاقي إن طرقت باب أي عراقي ولم يفتح لي، فيعني ذلك أن هناك خللاً ما قد يكون هذا الخلل أحياناً فينا.

«عندما كنت أزور الناس أثناء هذه الفترة، فترة الاختفاء، كنت أحاول ألا أثقل عليهم لئلا أسبب لهم حرجاً أو مخاطر، ولأسباب أمنية تعود لي شخصياً. وأدخل البيوت أحياناً متأخراً، وأخرج مبكراً من دون إيقاظ صاحب الدار.

«كنت أسعى لأمد المقاومة بالمال الذي نحمله خلال زيارتنا لبعض الفصائل كي تستمر المقاومة وبوتيرة تصاعدية. لذلك كان أول سؤال وجهه لي الأمريكان بعد اعتقالي هو عن المقاومة وعن «أبو أحمد» (عزّة الدوري). فقلت: حين يُعتدى على الشعوب وتستباح كرامتها وتنهب ثرواتها، لا بد أن تقاوم، ولا سبيل غير المقاومة. وقلت لهم: لو كان عزّة الدوري في جفوني، لوضعته في عيوني وأطبقتها عليه.

«كانوا يلحّون بسؤالي عن المقاومة، وكان جوابي أن عليهم أن يسجنوا الشعب العراقي بأسره، لأن كل عراقي شريف هو في صف المقاومة التي هي أكبر مما يتصورون. فهي تضم كل الأحرار من عروبيين وإسلاميين ووطنيين ومواطنين عاديين، نساء ورجالاً، صغاراً وكباراً. وقلت، لذلك عليكم أن تستعدوا بتجهيز النعوش كما قلتها لهم قبل احتلال بغداد، وأنكم ستنتحرون على أسوار بغداد[1].

---

(١) يقول الكاتب والدبلوماسي والأكاديمي الأستاذ صلاح المختار في لقاء مع قناة الجزيرة بتاريخ ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٨ إن الرئيس الشهيد قد صدق عندما قال إن المحتلين سينتحرون عند أسوار بغداد. فها هم العراقيون يدحرون قوات الاحتلال عند أسوار بغداد، أي في الفلوجة واللطيفية والمدائن وسامراء والضلوعية وبلد واليوسفية والمحمودية والصقلاوية وغيرها من مدن العراق الثائر.

ويقول الكاتب والمحلل السياسي الدكتور فيصل الفهد في مقالة له بعنوان «صدق صدام حسين وصدق الصحاف.. وظهر كذب بوش وأعوانه» (شبكة البصرة بتاريخ ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٥) «إن جميع هذه المدن وغيرها أصبحت مصدر القلق والموت للمحتلين وعملائهم».. ويضيف: «سيترحم الأمريكيون على خسائرهم في فيتنام لأنها ستكون قليلة قياساً إلى ما تحقق وسيتحقق على يد العراقيين الأفذاذ. وهذا ما أشار إليه أحد قادة المقاومة الفيتنامية في حديث له قبل أيام بمناسبة ذكرى تحرير الشعب الفيتنامي من الاحتلال الأمريكي البغيض، حيث تحدث بإسهاب عن إنجازات المقاومة العراقية البطلة، وأبدى إعجابه بها، وأكد أن قوة المقاومة العراقية ونجاحها هو باحتضانها ودعمها الكبير من قبل الشعب العراقي المقاوم. وتوقع القائد الفيتنامي النصر المؤزر القريب للمقاومة العراقية واندحار أمريكا وخسارتها في العراق»..

وكنت أعني ما أقول. فهذه المدن المحيطة ببغداد أذهلت العدو ببسالة مقاومتها. فأنا أعرف معدن شعبنا وأصالته. وها أنتم تنتحرون وتقتلون وتهربون من ميدان المعركة وتتكبدون خسائر لم تتصوروها أبداً .. لقد شعرت من خلال تحقيقاتهم معي، بأنهم في ورطة كبيرة، وأنهم يبحثون عن حلول تحفظ لهم ماء الوجه».

وتشرد نظراته قليلاً. وأتأمل هذا الرجل العظيم الذي شاءت له الأقدار أن يتحول من رئيس دولة عظيمة إلى زعيم مقاومة يلتصق بتراب العراق، تراب وطنه.

ويعود ليتابع الحديث:

«قلت للأمريكان إن الشعب الأمريكي ليس عدواً لنا، وإنما العدو الحقيقي هو حكومتكم التي ورطتكم في احتلال العراق، ولذلك سيدفعون الثمن غالياً».

وجاء الحديث عن الفلوجة البطلة، فقال الرئيس إنه كان يتوقع أن يقوم العدو بعدوان جديد عليها. «كانت أحاسيسي تقول لي إن صوت الطائرات الذي كنت أسمعه أثناء خروجي إلى القاعة، لا بد أن يكون موجهاً ضد الفلوجة وأهلها الأبطال. فهي أبداً لن تركع. فأنا أعرف حجم المقاومة فيها، وقدرات رجالها على التصدي والمواجهة. وأغلب كوادر المقاومة فيها هم من الضباط وجنود الجيش العراقي الباسل وكوادر الحزب والوطنيين وجيش القدس. وهم مدربون تدريباً عالياً، ولديهم خبرات قتالية واسعة. شعرت فعلاً أن حركة الطائرات الحربية المكثفة تتجه نحو الفلوجة. دعوت الله أن يمنحهم النصر، وأن تكون الخسائر البشرية قليلة.

«قلت للأمريكان إن عدد سكان بغداد هو سبعة ملايين إنسان، بينهم ما لا يقل عن مليوني عراقي يحملون السلاح. كنت وما زلت أومن بأن أمة من دون سلاح وقوة هي أمة خنوعة. وقد قلت للقادة العسكريين ولرفاقي: تهيأوا لقتال الأمريكان بالبندقية. وبعد أن تحول جيشنا إلى المقاومة، صار أكثر قوة من الجيوش الأمريكية. وكما قلت لرفاقي في الفترة التي قضيتها معهم قبل اعتقالي «إحنا رضّاعي الموت».

حين عبرت نهر دجلة عام ٢٠٠٣ قبل إلقاء القبض علي بقليل، كان ذاك العبور ضرورياً بالنسبة لي. فعندما وصلنا الماء، كان هناك زورق صغير. قال لي المضيف حينها إن الزورق يكفي لنقلي مع البنادق. أجبته: استقل أنت الزورق مع البنادق،

وسأقوم أنا بعبور النهر سباحة .. إن قوة الرجل ليس في عضلاته، إذ إن قوة الوحوش تكون في نابها وعضلاتها، إنما قوة الرجل تكون في قلبه وإيمانه. وهذه تخلق له من العزم والشجاعة ما لا تخلقه العضلات. نعم يا ولدي خليل .. إن أي جيش يريد أن يحمي أرضه ويحفظها من أعدائه، عليه أن يمشي على الأرض، وتقنية الجيوش تخف أو تنتهي عندما ينتهي دور الأسلحة الأخرى ويبدأ دور المقاوم.

«كنت حريصاً باستمرار أن أتواصل مع رفاقي وأخواني في القيادة والمقاومة، وكنت تواقاً لرؤيتهم وسماع أخبارهم، والتعرف عن كثب على آرائهم التي يمكن أن نستفيد منها. وكنت في الوقت ذاته حريصاً ألا نعطي العدو فرصة إلقاء القبض على أخواني في القيادة.

«ذات يوم التقيت مع «أبو أحمد» في إحدى البوادي. فكان كما عهدته في أعلى معنوياته. ولدماثة خلقه، قام بخلع عباءته وفرشها على الأرض كي نجلس عليها. لقد كانت تلك المرة الوحيدة التي التقيته فيها. لكننا بقينا متواصلين بواسطة طرف ثالث».

الفصل الخامس

أحداث سبقت عدوان ١٩٩١

أيّها المناضل ...
إذا اهتزّت أمام عينيك قيم المبادىء
فتذكّر قيم الرجولة.

(صدام حسين)

اعتـاد الناس وبعد مـآسٍ عدة تعرضت لهـا أمتنا العربيـة، أن يقولوا: فتش عن أمريكا أو فتش عن إسـرائيل. وكان السـؤال الـذي يلح علي، بـل ويؤرقني، هل كان هنـاك تقصير مـن جانب القيادة السياسـية فـي العراق بعـدم الانفتاح علـى الولايات المتحدة الأمريكية وبناء علاقة جيدة معها؟

حين توجهت بسؤالي هذا إلى الرئيس صدام حسين، أجاب:

«في ثمانينيات القرن الماضي، كانت تربطنا بالولايات المتحدة علاقة متذبذبة. وقـد تأثرت هذه العلاقة بما كان يجري آنذاك من عدم استقرار الوضع السياسـي في العراق. وقد تمت إعادة العلاقة عام ١٩٨٤ على ما أعتقد.

«لقد تعاملنـا مع الولايات المتحدة خـلال فترة الحرب مع إيران على مسـتوى وزارة الخارجية. وكنا نأمل في حصول تفاهم أفضل وذلك لمصلحة الشـعب العراقي والشـعب الأمريكي. وذات يوم على ما أذكر، احتجنا إلى قمح، فتعاقدنا بشـكل سريع مع الولايات المتحدة في زمن الرئيس رونالد ريغان. كان لا بد من إصدار أمر سريع من الحكومة الأمريكية للإسراع في إنجاز العقد. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل قيل للوفد العراقي المفاوض، لا تدفعوا للشركات الأمريكية أموالاً وإنما الحكومة الأمريكية هي من سيدفع، وبإمكانكم الدفع حين تكونون في وضع يسمح لكم بذلك.

«هذه بعض من المسـائل التي لا ننساها رغم مرور كثير من الأحداث، ومضي عشرات السنين.

وأذكر كذلك في زمن الرئيس ريغان حين احتاجت وزارة الدفاع العراقية طائرات هليكوبتر، وكانت المقاطعة مفروضة علينا آنذاك بسبب الحرب مع إيران، إلا أننا حصلنا على سبعين أو ثمانين طائرة غير مسلحة، لكنها تفيد في نقل ذخائر إلى الجبهة.

«في الحرب العراقية الإيرانية، أصيبت بارجة أمريكية، وقتل فيها سبعة وثلاثون بحاراً أمريكياً. وكان بإمكان ريغان أن يأمر قواته بقصف بغداد مثلما فعل كلينتون، لكنه لم يفعل. وكما يعرف الجميع، فإن هناك منطقة محرمة خارج المياه الإقليمية في الخليج العربي، وأي هدف يأتي منها يكون من حصة طيارينا لأنهم يعتبرونه معادياً، فيقومون بضربه. كانت المراقبة آنذاك إلكترونية. وما حصل هو أن طيارينا شاهدوا هدفاً، فقاموا بإطلاق صواريخهم عليه وأغرقوه. ونحن من جانبنا قمنا بإشعارهم بأن تصرفهم كان خاطئاً، لأنهم أي الأمريكان، جاءوا للتنصت على العراق أو على إيران. واعتذرنا وقبلت أمريكا الاعتذار، وعوضنا العوائل المتضررة لأن الحكومة الأمريكية آنذاك لم تضع عائقاً، وأصبح الحادث طي النسيان. لكن هذه العلاقة مرت بمرحلة حرجة عام ١٩٨٦ في قضية إيران غيت[1]. وقد اعتذرت الإدارة الأمريكية عن ذلك، وقبلنا بدورنا الاعتذار، إذ كانت علاقتنا مع أمريكا جيدة رغم أنني لم ألتق الرئيس ريغان.

«ومن ناحية المعلومات، فإننا لم نتلق أية معلومات من الجانب الأمريكي. لكن أخواننا العرب كانوا يفعلون، وكنا نعتقد أنها من أمريكا، لكنها ليست مباشرة.

«والسؤال الذي يتبادر للذهن هنا، ما الذي حصل بعد ذهاب ريغان ومجيء بوش حتى تتغير الخارطة؟

«حاولنا فتح نافذة بعد عام ١٩٩٠ للتفاهم مع الأمريكان على أساس المصلحة المشتركة المشروعة للبلدين، وللمحافظة على أمن المنطقة وتوازنها. لكن أمريكا أوصدت كل الأبواب. قلنا لهم إن النفط لا يمكن لنا أن نشربه أو نعيده ثانية تحت الأرض، وهو ثروة العراق المشروعة، ومن حقنا التصرف به على أساس المصلحة

---

(١) المعروفة بصفقات الأسلحة التي كانت ترسلها أمريكا وإسرائيل إلى إيران.

الوطنيـة والقومية كملك للأمة العربية من خلال التكامل الذي كنا ننشـده. وليس من المعقول أن ينعم المواطن العراقي بهذه النعمة، بينما ابن الأردن أو مصر أو موريتانيا محروم منها.

«لقد حاولت بعض الأطراف العربية، في حينها، أن تسعى لفتح صفحة جديدة بيننا وبيـن الأمريكان، وقد بُذلت جهود كبيرة وخاصة من الملك حسـين رحمه الله، فقـد كان يتصـل بنـا أكثر من مـرة، ويسـألنا إن كان لدينا رسـالة للأمريكان، ويسـعى لترطيب الأجواء بيننا وبينهـم. فكنا نقدر جهوده، لكننا لم نقبـل إلا بعلاقات متوازنة تحترم إرادة الطرفين. وكنا نعي منهج الأمريكان في استعباد الشعوب. وفشلت جهود الملك حسين نظراً لتعنت أمريكا وسعيها لتنفيذ مخططاتها الإستعمارية في المنطقة.

«وأقول لك يا ولدي خليل، إن الشـعب الأمريكي شيء وحكوماته شيء آخر، بعـض الحكومات إن لـم نقل جميعهـا، تقودها وتوجهها الصهيونيـة .. لذا عليكم أن تستخدموا الإعلام وخاصة الأمريكي لتوضيح هذه الحقائق للشعب الأمريكي.

زيارة بريماكوف الأولى[1]

«في عام ١٩٩١، جاءني بريماكوف والحرب قائمة ضد العراق بذريعة إخراج العـراق من الكويت. قال لي: إنني جئت إليكم بعدة نقـاط، ويجب أن توافقوا عليها. وفي حال عدم الموافقة فإن روسيا سـتقف ضدكم ويجانب أمريكا. ابتسمت وقلت: لا تخطئوا مثل أمريكا، فالمفروض أنكم تعرفوننا أكثر من أمريكا، والتهديد لا يجدي نفعاً سواء أكان من أشخاص أو من دول. وقلت له كلاماً يؤذيه وهو حق. وسألته: ماذا ستضيفون أنتم إلى قوة أمريكا وأنت تسمع صوت القنابل. لذا لا يهمنا ما يضاف إلى قوتها. واتفقنا على بعض النقاط. ولكن بوش الأب كان متعجلاً وحصل ما حصل.

«وأعـود لأقول إن الشـعب العربـي ليس ضد الشـعب الأمريكـي، وإنما ضد الحكومات الأمريكية وخاصة حكومة الدبليو بوش التي أشـعلت الضغينة في قلوب العرب والمسـلمين إضافة إلـى آخرين في العالـم. ولا أعتقد أن أيـة دولة ترغب في

---

(١) إقرأ تفاصيل عن زيارة بريماكوف في كتاب (المنازلة الكبرى وقائدها .. المقدمات والنتائج)، حميد سعيد وعبد الأمير معلّة.

أن تخرج أمريكا سالمة من العراق الآن، فالعراق يدافع بالنيابة عنهم. ونحن حين نقول هذا الكلام، فليس خشية أو رغبة في أن ينتصر لنا الشعب الأمريكي كي نخرج من المعتقل، وإنما لنقول الحقيقة بأن شعب العراق وحكومة العراق قبل الغزو، لم يكونوا ضد أمريكا. أما الآن، فالذين عينوهم هم ذيول لهم، وهم عصابة عملاء وليسوا حكومة. وأنتم تعرفون طريقتنا وعقيدتنا السياسية، فهي منشورة ومعلنة».

لقاء جاك شيراك

في غمرة حديثنا عن زعماء العالم، تطرقنا للحديث عن فرنسا، فقال الرئيس:

«أذكر أنني التقيت جاك شيراك عام ١٩٧٥، وكان صديقي وعلى علاقة جيدة مع أغلب الدول العربية. وقد سألته حينها: لماذا تريدون أن يتطور العراق والعرب، هل تريدون ذلك حقاً أم هو كلام للسياسة ؟

تحدث الرجل بوضوح وقال إن ما يطرحه هو ليس ضد مصلحتنا، وكان كلامه صحيحاً. إذ كيف لدولة أن تضمن حقوق شعوب دول متخلفة إلا عن طريق طرح برنامج تكنولوجي. وكنا آنذاك نعتبر من الدول المتخلفة، ونشكك في كل من يقدم لنا التكنولوجيا الحديثة.

«وأقول الآن لو كنت في الوضع السابق، لقمت بتحية جاك شيراك، فهذا الرجل يستحق منا كل التقدير والاحترام، لكنني لا أستطيع ذلك الآن لئلا يفسر كلامي في غير موضعه.

ويعود الرئيس ليكمل حديثه عن الأمريكان:

«لقد كنا واضحين معهم. فنحن لسنا هواة حرب ولا متزمتين في مواقفنا، ولكننا في الوقت نفسه لا نساوم على المبادىء التي نشأنا عليها منذ نعومة أظفارنا. وكنا نطلب الحوار والتفاوض العادل المشروع مع من له مصلحة في موارد الأمة، وحتى من له الحق في العيش بسلام في ظلها وبين شعبها العربي المسالم. ولكن، يبدو أن هذا النهج لم يعجب من له أطماع من الطغاة والجبابرة.

«لقد أوصدت أمريكا كل الأبواب بوجه أي انفتاح عليها من قبل العراقيين.

وعندما كنا ننصح الإدارة الأمريكية بعدم مضايقة العراق اقتصادياً وسياسياً، وانعكاسات ذلك على سلوك المجتمع العراقي، كان هذا الإفصاح ربما يكون قد دفع ببعض المغرضين من مستشاري الإدارة الأمريكية بنصحها باتخاذ نهج الإيغال في تضييق الحصار الاقتصادي على العراق وشعبه. لقد تحالف الغرب وتآمر علينا، وكل ما بنيناه خلال السنين الطويلة، تم تدميره. فلماذا هذا الحقد..

«إننا لم نتعود على نهج المساومات وتقديم التنازلات عن مبادىء الأمة وحقوقها حتى ولو كلفنا هذا التحدي الشهادة أو الموت، فلم نتخاذل أو نهرب من واقع مصيري. وهذه هي سيرة أجدادنا وسلفنا الصالح.

«وأعود وأكرر، إننا لسنا أعداء للشعب الأمريكي، وليس لنا حدود معهم حتى نختلف عليها. هم يعرفون أن العراق هو الظهير القوي للأمة العربية، ولن يهدأ له بال إلا بتحرير فلسطين التي هي أولى أولوياتنا، وهذا ما يغيظهم. لقد كانت أمريكا ولا تزال تريد أن تفرض شروطها علينا، وما علينا إلا السمع والطاعة، فلتخسأ».

الرئيس وشخصيات إعلامية وسياسية

كان الرئيس صدام حسين يدرك وبعمق أهمية الإعلام ودوره في معركة الحشد والتحرير، وكشف زيف العدو وادعاءاته الباطلة، والتي من خلالها يروج لمسوغاته لاحتلال العراق .

تحدثت مع الرئيس عن بعض الإعلاميين العراقيين والعرب الذين هم على صلة بنا وبالهيئة مثل الأساتذة مصطفى بكري وعبد الباري عطوان وفهد الريماوي. فأشرق وجهه وقال:

«كلهم رجال شجعان، فمصطفى بكري رجل عربي أصيل ومواقفه لا تتغير، بلغه تحياتي الشخصية ومن خلاله سلامي إلى شعب مصر. أما عبد الباري عطوان، فهو إنسان شجاع، وثقتي به عالية، فقد منح الكثير من وقته لخدمة قضايا الأمة وكذلك الأخ فهد الريماوي. لهم كلهم تحياتي ولكل رجال الإعلام العراقيين الوطنيين والعرب، وكل من يجاهد في قول الحقيقة، ومنهم السيد جورج غالوي الذي تحمل الكثير دفاعاً عن العراق، والسيد رمزي كلارك، بالإضافة إلى الزعماء

مهاتير محمد ونيلسون مانديلا وكل الأحرار .. قل لهم إذا كانت معنويات صدام قبل هذا اللقاء هي تسعون بالمائة، فهي الآن مائة بالمائة بل مائة وعشرون بالمائة. وقل لهم إنني صامد داخل المعتقل وإنني متفائل جداً، ولا أشك لحظة واحدة بتحقيق النصر في وقت هو أقرب مما يتصور الكثيرون».

وماذا عن الكويت ؟

بعد حرب ضروس دامت ثماني سنوات توجت بنصر عظيم على إيران، العدو اللدود للعرب في ٨/ ٨/ ١٩٨٨، وخروج العراق بجيش جرار وقادة عظام يمتلكون كل فنون القيادة والقتال والقوة والخبرة القتالية، بالإضافة إلى أن العراق حقق إنجازات كبيرة في كافة المجالات ضمن سنوات الحرب الطويلة، لم يرق هذا كله لأمريكا والصهيونية العالمية. وبدأ العراق يفكر فعلياً في تحرير فلسطين، هذا ما أكده الرئيس صدام حسين عندما زار إحدى المدن العراقية، وقال للمواطنين الذين التفوا حوله: «لم يتبق لنا إلا معركة صغيرة». وقد فهم الصهاينة تلك الإشارة، فبدأوا يفكرون جدياً في التخطيط لتدمير هذه القوة الجبارة التي إذا ما اتجهت نحو فلسطين، فلا أحد يقوى على إيقافها. فقامت بجس النبض عندما هددت الأردن بجعله ساحة قتال. فكان رد فعل العراق جاهزاً، عندما قال الرئيس: «إذا أرادت إسرائيل أن تجعل من الأردن ساحة قتال، فالعراق سيجعل منها هي ساحة قتال». وأضاف: «إذا قامت إسرائيل بضرب العراق نووياً، فإننا سنقوم بحرق نصف إسرائيل بالسلاح الكيماوي المزدوج». وكان هذا التصريح بعد قضية إعدام بازوفت، الجاسوس الإيراني الأصل البريطاني الجنسية الذي كانت له علاقة مع مكاتب التجسس البريطانية لصالح الموساد.

وكأنّ العراق بدوره الريادي وعمقه القومي قد حول الصراع العربي الصهيوني إلى صراع عراقي صهيوني، لأن العراق وجد أن بعض الحكومات العربية بدت وكأنها تتنصل من مسؤولياتها القومية تجاه القضايا العربية ومحورها فلسطين.

وهنا بدأت الصهيونية بالتفكير في كيفية التخلص من قوة الجيش العراقي وتدمير العراق، وتغيير وجهة الصراع، إذ أدركت عملياً أن العراق بقيادته الوطنية،

وبعده القومي هو المحرك الأساس في تدعيم الصراع العربي الصهيوني، وهو اللاعب الفعال في هذا الصراع. فبدأ اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة بإجراء الدراسات الإستراتيجية ووضع الخطط السرية المختلفة للقضاء على العراق.

قبل نهاية عقد الثمانينيات من القرن الماضي، ومن خلال التآمر على اقتصاد العراق والتحرش بحدوده، قامت شركة أمريكية بالتعاقد مع الكويت للتنقيب ظاهرياً عن النفط. فاختاروا هذه المرة أراضي تعود إلى العراق حيث حفروا آباراً مائلة، ومن ثم قاموا بسحب ثرواته النفطية بشكل يؤثر على المخزون النفطي العراقي وذلك بمحاذاة تلك المنطقة على الجانب العراقي. وقامت الشركة ذاتها بتسويق النفط المستخرج، وبيعه بأسعار زهيدة إلى إيران. كما قاموا بإغراق السوق العالمية بالنفط وبأسعار متدنية جداً لتدمير الاقتصاد العراقي. وكانت هذه الإجراءات مدروسة ومخططاً لها بعناية.

لم يكتفوا بهذه العوائد المالية الضخمة من نفط العراق وإيذاء اقتصاده، بل حاولوا تسريب معلومات عما يحدث على الجانب الكويتي. وتطور الموقف أكثر عام ١٩٩٠ إثر تفكك الاتحاد السوفيتي وتفرد أمريكا كقطب أوحد. وابتدأت اللعبة الصهيونية ضد العراق.

كنت في لحظة ما، في أشد حالة من حالات الحرج في أن أطرح على الرئيس سؤالاً يجول في النفس ولدى الكثيرين. وكنت قد أقسمت له أن أطرح عليه كل ما يجول في خاطري من تساؤلات تهم العراقيين والعرب والرأي العام بصراحة من دون أية مجاملة، وأن أنقل له كل ما كان يتداول في الشارع. لذلك كان السؤال عن قرار دخول الكويت: هل كان قراراً متعجلاً وهل كان فخاً نُصب للعراق؟

أجابني بكل هدوء:

«يا ولدي، إن الدماء العراقية التي سالت طيلة فترة الثماني سنوات من الحرب مع الفرس، كانت دفاعاً عن الكويت وغيرها. وقد تحمل العراق الكثير في سبيل أمته ومحيطه العربي، وهي بعض من المبادىء التي حملناها وجئنا من أجلها. لكن الكويت كانت تقوم بإغراق السوق بالنفط، وتسرق بصورة غير مشروعة نفط العراق.

لقد خرج العراق من الحرب مثقلا بديون تبلغ ٤٠ بليون دولار، عدا المساعدات التي قدمتها الدول العربية، ويعتبر بعضها ديوناً علينا، وقد أثقلت ميزانية العراق. وبدلاً من أن تساعده الكويت بعد خروجه من الحرب، فإنها قامت بإيذائه.

«كنا قد نبهنا مراراً وخاصة في مؤتمر قمة بغداد الاستثنائية في ٣٠/ ٥/ ١٩٩٠ وقبلها، إلى دور الكويت والإمارات العربية المتحدة في تخريب اقتصاد العراق بعد خروجه منتصراً من الحرب.

«في عام ١٩٩٠، وفي شهر تموز على ما أذكر، وبعد احتدام الأزمة بيننا وبين الكويت، وبعد أن أصبح حلها بالحوار أمراً صعباً، قمت باستدعاء السفيرة الأمريكية في العراق، جلاسبي بحضور الرفيق طارق عزيز لإجراء مناقشة سياسية شاملة معها باعتبارها ممثلة بلادها، حول العلاقة بين العراق والولايات المتحدة، وكذلك مناقشة التطورات الجارية، ولإيصال رسالة إلى الرئيس بوش الأب[1].

موقف بعض الدول العربية من أزمة الكويت

«إن مساعدة دول المنطقة ومنها دول الخليج للعراق في مواجهة إيران لم تكن اعتباطية، وإنما لخوفهم من أن تكتسحهم الثورة الخمينية التي أرادت إيران تصديرها للعراق ولدول المنطقة كي يبدأ بعدها الطوفان .

«لكن وقوف العراق بوجه هذا المد العنيف الشرير الذي ما كان بالإمكان التفاهم معه إلا بلغة القوة المضادة على أساس الفعل ورد الفعل، حال دون تصدير هذه الثورة. وبالإضافة إلى الأسباب التي ذكرناها سابقاً حول دخولنا الكويت، فأنت تعلم يا أستاذ خليل أن موضوع الشرف بالنسبة لنا هو خط أحمر، وإن الذي أثارنا وآذانا وكان السبب في إسراعنا باتخاذ قرار دخول الكويت، هي تلك الكلمات المهينة لشرف المرأة العراقية، فقد كنا نسمع كلاماً جارحاً من المسؤولين الكويتيين تجاه حرائر العراق وماجداته، وهو كلام مخالف لقيمنا العربية الأصيلة. وقد سمعتم وسمع العالم كلامهم البذيء ومن أعلى مستوياتهم الرسمية، وتعدى ذلك الى الحد

---

(١) نص المقابلة في ملحق رقم (٣)، ص ٤٥٥.

الذي ما عاد بإمكاننا السكوت عنه. لقد اتخذنا قرارنا بدخول الكويت واستعادة حقوقنا المغتصبة بعد أن نفدت كل الجهود لحل الأزمة سلمياً.

«لقد حاولنا جاهدين حل الخلافات القديمة المتجددة مع الكويت بكل الوسائل، وحتى عندما زارنا الرئيس حسني مبارك قبل نهاية شهر تموز، ولا أذكر اليوم بالضبط، من عام ١٩٩٠، سألني أثناء اللقاء سؤالاً محدداً: هل تنوي القيام بعمل عسكري ضد الكويت ؟ قلت له في حينها: نحن لا نريد استخدام القوة العسكرية ما دام هناك أمل في نجاح المفاوضات. وقد طلبت من الرئيس حسني مبارك ألا يبلغ الكويتيين بذلك كي يكونوا مرنين في المفاوضات ويتركوا عنجهيتهم واستقواءهم بالأجنبي لأننا نعرف الكويتيين جيداً. وقد سألني إن كانت قواتنا في الجنوب هي التحضير لعمل عسكري ضد الكويت أم لردعهم وتخويفهم، فأكدت له بأن أحد مقاصدنا هو الردع والتخويف، وحينها وافقت على كل ما طرحه الرئيس مبارك، وأبدينا رغبة صادقة في حل كل المشاكل العالقة بيننا ضمن الإطار العربي.

«كما تمنيت على الرئيس مبارك حينها أن يسعى لئلا يتدخل الأمريكان في قضايانا. ولكن للأسف، فإن الرئيس مبارك، عندما غادر العراق إلى الكويت، ووجد الكويتيين خائفين، وكانوا على استعداد لحل الخلاف عن طريق المفاوضات، طمأنهم بأن العراق لا ينوي مهاجمتهم، وهذا ما جعلهم يتمادون. أما ما يقال من أنني أعطيت الرئيس مبارك وعداً بعدم اللجوء للقوة، فهذا غير صحيح، إذ علقت عدم استخدام القوة بنجاح المفاوضات. ولكن المفاوضات لم تنجح. ثم إن الرئيس مبارك قام على الفور بالاتصال بالرئيس بوش، وزوّده بجميع التفاصيل التي كان يريدها.

«أما المملكة العربية السعودية، فقد كانت جادة في حل الخلاف سلمياً، حيث دعت كل الأطراف إلى السعودية للتفاوض، ولقد بذل الملك فهد رحمه الله، كل ما يستطيع، وكذلك فعل ولي العهد آنذاك الملك عبد الله. لكن جاءت الأوامر من الكويت إلى وفدها بتقويض المفاوضات. كانت المملكة حريصة كل الحرص على إبعاد شبح الحرب عن المنطقة، كذلك التدخلات الأجنبية. لكن أمريكا استطاعت

أن تخدع المملكة والرأي العام العالمي بأن العراق ينوي مهاجمة السعودية، بعد اضطرارنا لدخول الكويت[1].

«لقد استطاعت أمريكا أن تؤلّب علينا الرأي العام وحتى بعض الدول الإسلامية والدول العربية، وقد خدعت هذه الدول، وكان انضمامها إلى المعسكر المعادي بحجة حماية المقدسات في المملكة.

«كان عتبنا كبيراً على الأخوة في المملكة وفي الخليج العربي، إذ كان عليهم أن يتذكروا أن الخميني وقواته كانت، لولا العراق، ستجتاح الرياض والكويت والدوحة والمنامة ومسقط، وربما امتد طوفانهم إلى مصر والمغرب العربي.

«إذن أقول، لقد أفشلت كل الوساطات والجهود. وكنا على وشك أن نحل الموضوع وتتوج هذه الجهود بانسحاب مشرف، ويتم تسوية الخلافات بصورة سلمية. لكن الرئيس مبارك كان يدفع بالأمور بالاتجاه الذي حصل، إما لهوى في نفسه، أو انتقاماً مما حصل أيام السادات، إذ كان للعراق موقف رائد وواضح حين طالب بإخراج نظام السادات من جامعة الدول العربية بعد زيارة السادات لإسرائيل. وربما كان الرئيس مبارك يدفع بالأمور لمصالح مادية. وهذا يبدو واضحاً، حيث انهالت على نظامه مليارات الدولارات. والعراق لم يقصر مع مصر وخاصة مع الرئيس حسني مبارك شخصياً. ولا أريد الدخول في هذه التفاصيل، فهو يعرف كل شيء. وقد بذل مبارك جهوداً كبيرة للدفع باتجاه العدوان على العراق وخاصة في قمة القاهرة بعد دخول العراق إلى الكويت. لقد رأى العالم بأسره كيف كانت

---

(١) هنا لا بد من الإشارة إلى أن آمر اللواء الكويتي المدرع، أمر لواءه بدخول الأراضي السعودية والاحتماء بها، لكن الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة المخابرات الأمريكية، التقطت صوراً لهذا اللواء وآلياته على أنها دبابات عراقية ضمن قوة تنوي مهاجمة المملكة العربية السعودية. ثم قامت بتزويد المملكة بهذه الصور المحرّفة لتأليب الرأي العام العالمي ضد العراق. وفعلاً نجحت في ذلك رغم أن المملكة بذلت قصارى جهدها لمنع وقوع الكارثة، حتى إنها تبرعت بثلاثين مليار دولار للعراق شرط أن ينسحب من الكويت، لكن فشلت كل هذه الجهود وجهود أخرى بذلتها دول عربية، بالإضافة إلى أن المشورات التي قدمها بعض المقربين من الرئيس، والتي كانت في معظمها بعيدة عن الحقيقة والواقع، جعلت الرئيس يتشدد في موقفه الرافض للانسحاب.

جلسة القمة ومشاجرته مع العقيد معمر القذافي الذي كان يسعى لحل الأزمة بعيداً عن التدخلات الخارجية. كان بإمكان الرئيس مبارك أن يفعل الكثير ويترك للشعب المصري العظيم غلق قناة السويس، وبذلك يجنب نفسه الإحراج.

أما من يتهم الملك حسين بأنه دفع الأمور باتجاه دخولنا الكويت، فهذا كلام غير صحيح، إذ بذل الملك حسين جهوداً كبيرة لحل الأزمة، وكان يحذر دائماً من قوة أمريكا وقدرتها على التدمير.

وما قيل كذلك من أن السعودية كانت غير ممانعة في دخول العراق إلى الكويت، فهذا أيضاً كلام لا أساس له من الصحة، إذ كان موقف الملك فهد واضحاً في هذه القضية.

«إذن أستاذ خليل، بعد أسبوعين من دخولنا الكويت، كنا مستعدين للانسحاب. وقد كان لنا عدة مطالب منها تسوية كل القضايا في المنطقة ككل، وليس على أساس الانتقاء والتجزئة، لكن بعد نشر القوات الأمريكية والحليفة معها في السعودية بعد أن عبرت المحيطات، قررنا ومن باب المواجهة التي ستفرض علينا، أن نأخذ موقفاً أكثر تحسّباً .. لقد جيّشوا الجيوش من أكثر من ثمان وعشرين دولة تقودهم الولايات المتحدة نحو الشر، وسخروا كل إمكاناتهم المادية والعسكرية، وكذلك الآلة الإعلامية الضخمة المسعورة للتطبيل للحرب، وبإعلام مفبرك، وإمكانات دعائية كبيرة جداً وفي كل اتجاه. وقد أقنعوا العالم بأن العراق دولة معتدية، وأن مهمتهم ستكون عملية جراحية فقط لإخراج العراقيين من الكويت. وقبل ذلك قالوا إنهم جاءوا ليحموا السعودية من غزو العراقيين. وللأسف، صدقتهم بعض شعوبهم. ومع ذلك كانت هناك معارضة كبيرة للحرب.

«إنني أقول لمن يتحدث عن القانون الدولي وحقوق الإنسان والعلاقات الدولية والاحترام بين الدول، إن أمريكا وبريطانيا استهترتا بحق الشعوب، ففي الوقت الذي كنا نريد أن نوجد حلاً مشرفاً لقضية الكويت بعد دخولنا إليها، كانت أمريكا تقوم بإرسال رسائل استفزاز مباشرة وغير مباشرة لنا، وتتدخل بشكل سافر في شؤوننا، وتطلب منا مغادرة موقع قيادة الشعب، بل طلبوا من برزان وهو في جنيف

أن ينقل لي رسالة تقول: قل لأخيك إن عليه أن يعرف بأننا شياطين بيض، وعليه أن ينسحب من الكويت، وأن يرفع يده عن العراق. حتى بوش الإبن، أرسل لي رسالة قبل العدوان الأخير يقول فيها بكل وقاحة: إن لم تترك السلطة وتغادر العراق، فإنني سأفنيك وأفني عائلتك..

«أثناء ذلك، استغلوا تفكك الاتحاد السوفيتي، وقد تحدثت مع الملك حسين في هذا الموضوع، فأبدى تخوفه من انهيار الاتحاد السوفيتي وما سيؤول إليه العالم في ما لو انفردت أمريكا كقطب أوحد رغم علاقة الأردن الجيدة مع أمريكا. وكان بعض أخواننا العرب ينصحوننا بالمرونة مع أمريكا، فقلنا لهم إن أمريكا تفسر المرونة على أنها مساومة، ونحن لن نساوم على الثوابت. إذن نقول إن أمريكا انفردت كقوة عظمى منفلتة وكقطب أوحد. وقد قلنا للأمريكان إنه بإمكاننا إن صدقت النوايا، تسوية المشكلة وذلك بإنهاء مشكلة الشرق الأوسط بما فيها حل مشكلة القضية الفلسطينية، قضية العرب المركزية، وأن تكون المنطقة منطقة سلام دائم، تعطى للشعب الفلسطيني حقوقه كاملة. وقلنا لهم إن ما يرضي الفلسطينيين يمكن أن يرضينا ويرضي باقي الشعوب العربية. لكنهم كانوا مصممين على تدمير العراق وبنيته التحتية . لم يتركوا لنا أي خيار، فإما الرضوخ مهانين لشروطهم وأجندتهم، وإما المواجهة بكرامة بعد الاتكال على الله.

«لم نكن نستهين بأحد حتى عند دخول قواتنا إلى الكويت، وما حصل من مواجهة لبعض القطعات من الجيش الكويتي، جعلنا مسرورين وقلنا وقتها إن أشقاءنا الكويتيين من العسكريين، كانوا شجعاناً وأبدوا مقاومة حقيقية تستحق كل الاحترام، وهذا أملنا بالجيش العربي. لكن الأمور كلها تطلبت هذا الصدام، وكان من المفروض أن نتعامل مع الكويت بطريقة أخرى، ومع الأسف حصل ما حصل، وسامح الله من كان السبب (وكررها عدة مرات)، ورحم الله شهداءنا من كلا الطرفين».

وعندما سألته عن الطريقة التي أشار إليها، اكتفى بالقول بأنه كان من المفروض أن نتعامل معهم بطريقة أخرى.

«حين انسحبت قواتنا من الكويت، طلب الجنرال شوارسكوف من بوش أن يستمر في التقدم نحو بغداد، إلا أنه رفض قائلاً: من يتحمل مسؤولية الفوضى التي ستحصل في العراق والمنطقة إذا قمنا بقلب نظام الحكم في بغداد .. ثم إن هذه ستكون مهمة آخرين، وعندما ابتدأت صفحة الغدر والخيانة، كان بوش يخطط لأمر آخر، لذا لم تهاجم قواته طائراتنا السمتية عندما استخدمناها في تلك الصفحة».

وسألته عن مفاوضات جدة التي جرت بين وفد عراقي برئاسة النائب الأستاذ عزّة إبراهيم الدوري ووفد كويتي برئاسة رئيس الوزراء وولي العهد. وقلت له: يروج في بعض الأوساط أن الأستاذ عزّة إبراهيم قد تشدد كثيراً في المفاوضات. فأجاب:

« إن أخي أبا أحمد قد أبدى الموقف المتشدد المشار إليه بناء على توجيهاتي، وكان الغرض من التشدد دفع الكويتيين لحل النزاع سلمياً وعدم التمادي في تأزيم الحالة بيننا. ولم يكن تشدد الأخ «أبو أحمد» رغبة منه في التشدد، فهو والله لم يكن من المتشددين في هذا الموضوع .. ولم يحرض، ولم يدفع على الإطلاق باتجاه الحل العسكري.

دور إيران في تأزيم قضية الكويت

«عندما كانت وفودنا تزور إيران من باب حسن نوايانا لتسوية كل ما يتعلق بالمشاكل بيننا، كان المسؤولون الإيرانيون، وعلى أعلى المستويات، يشجعوننا على البقاء في الكويت وعدم الانسحاب. وكانوا يؤكدون رفضهم لأي تدخل خارجي، لكنهم كانوا يقولون إنه ليس من مصلحة إيران خوض حرب جنباً إلى جنب مع العراق ضد أمريكا، لكن إذا ما قامت أمريكا باستفزاز إيران، فمن الممكن أن تقف مع العراق لاحقاً، وأن على العراق الصمود بوجه أمريكا، وأنها، أي إيران، مستعدة لاستقبال الطائرات الحربية العراقية لتجنيبها أية ضربة خاطفة إستباقية محتملة قد تشنها أمريكا ضد العراق. وحسب تعهد مسؤولي إيران، فإنهم سيسمحون لنا باستخدام هذه الطائرات في صفحة التصدي الثانية، وقدموا وعوداً أخرى كثيرة من باب حسن النوايا.

«هـذا مـا حصـل. لكنهم فـرس لا يمكـن الوثـوق بهـم أبـداً. وأثنـاء الحرب (١٩٩١)، لـم يكتفوا بالوقـوف ضدنا، بل اعترضـوا الجيش العراقي أثناء انسـحابه، وضربوه من خلال «حرسهم الثوري»، وسـمحوا للعصابات والغوغاء بالدخول إلى العراق وحرق محافظاته الجنوبية والوسطى. كانوا يشاركون مشاركة فعالة في تدمير العراق. وعندما طلبنا منهم في أثناء العدوان إعادة طائراتنا للتصدي لأمريكا، رفضوا. ومـا زالوا يحتجزونها حتى الآن. لهذا أسـمينا تلك الصفحة صفحـة الغدر والخيانة، أي غدر إيران وخيانة بعض المغرر بهم».

طرحـت على الرئيس سـؤالاً حـول المقصـود بعبارة (غَـدَر الغـادرون) التي وردت في خطابه يوم بدء العدوان على العراق في ١٧/ ١/ ١٩٩١ فقال:

«رغم التهويلات الإعلامية التي شـنت علينا آنذاك، إلا أن أمريكا كانت تبعث لنا رسـائل شفوية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الوسطاء الذين حاولوا حل الأزمة بيـن العراق وأمريكا قبل دخولنـا الكويت، تؤكد بأنها لـن تتدخل في قضايانا العربيـة، لكنها نكثت بوعودها، وغـدرت بنا، وهذا هو ديدنهم مع الشـعوب. لذلك قلنا في بياننا الأول غَدَر الغادرون».

ويكمل الرئيس:

«في حربنـا الدفاعية مع إيران، كانت إيران هي خـط المواجهة الأول نيابة عن الأمبريالية الأمريكية. ولم تخدعنا الشـعارات الدينيـة الزائفة التي أراد الخميني إيهام مـن توهم بها. فقد كانـت أمريكا تريد إضعاف العـراق وتدميره، بل إنهـا كانت تزود الطرفيـن بالمعلومـات لإطالة أمد الحـرب، فضلاً عـن أنها هي وبعـض المخابرات الغربية أوصلت الخميني إلى سـدة الحكم في إيران، ودعمته بالمال والسـلاح، حتى الكيان الصهيوني وقف بكل ما يملك من أسلحة وخبرات مع إيران».

وأذكـر مـا قاله هنري كيسـنجر فـي مذكراته حول الحـرب العراقيـة الإيرانية، بأنهـا أول حرب فـي التاريـخ أردناها أن تسـتمر أطول مـدة ممكنة، ولا يخـرج منها أحد منتصراً.

الانتفاضة الفلسطينية

في غمرة الحديث عن الإعلام وأمريكا وتآمر الدول على العراق عام ١٩٩١، فاجأني الرئيس بالسؤال عن الانتفاضة الفلسطينية قائلا :

«شخبار (ما أخبار) أخواننا الفلسطينيين؟».

أفضت بالحديث عن الوضع الفلسطيني وأخبرته أن الفلسطينيين ما زالوا يناضلون، لكنني لم أبلغه برحيل الرئيس ياسر عرفات. فقال:

«أعرف جيداً الشعب الفلسطيني، ولن يهدأ لي بال حتى تعود للشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة كاملة. إن القضية الفلسطينية هي قضية العرب جميعاً، ومن يفرط بها هو مثل الذي يفرط بعرضه. لقد حاولوا مساومتي حول هذا الموضوع كثيراً، وبعثوا لي الرسائل عبر قيادات وشخصيات عربية ودولية قائلين: نريد منك فقط كلمة ولا نريد اتفاقاً الآن.

«كانوا يريدون أن أبدي استعدادي للاعتراف بدولتهم المزعومة وكيانهم المسخ «إسرائيل». لكنني رفضت بكل قوة رغم أنهم قالوا إن الاعتراف بالكيان الصهيوني يعني انتهاء الحصار المفروض على العراق وعودة العلاقات إلى طبيعتها مع الولايات المتحدة.

«إنني أدرك بأن من يتنازل عن تراب وطنه وأمته، فإنه سيتنازل عن شرفه وكرامته، ولن تبقى لديه خطوط حمراء. إنه مسلسل مقيت يحتاج فقط إلى نقطة البداية ليستمر طريق التنازلات من دون نهاية. نعم، ستستمر الانتفاضة، وإنني أعول على الشارع العربي كذلك، فهو مفتاح النصر، وأمريكا تتحرج من أي تحرك، لأنها تعرف أن ثورة الشارع العربي إذا ما بدأت، فلا أحد يستطيع إطفاء جذوتها».



الرئيس صدام حسين في أحد مؤتمرات القمة



الرئيس صدام حسين مع الرئيس جاك شيراك



الرئيس صدام حسين مع الرئيس ياسر عرفات

الفصل السادس

صدام حسين وقصة الشبيه

هل يوجد أكثر من صدام حسين؟

في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، لقيت «النكتة» رواجاً كبيراً في العراق، خاصة ما تعلق منها بأعضاء القيادة العراقية. وكانت هذه النكات تصل إلى سمع القيادة وإلى الرئيس صدام حسين. وهذه الظاهرة توجد في أغلب المجتمعات العربية بل وفي دول العالم كافة .. وربما تكون «النكتة» وسيلة لنقد ظاهرة تطرأ على المجتمع سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو غيرها، تؤثر سلباً على مختلف الأفراد أو الجماعات أو الدولة ككل، فيلجأ الناس إلى النكتة لتوجيه النقد لسلبيات انتشرت في فترة ما. وغالباً ما تكون هذه النكتة نابعة من الحس الشعبي، وتعبيراً أو «تنفيساً» عما يجول في الخواطر.

وخلال العقدين المذكورين، انتشرت إشاعة تقول بوجود أشباه للرئيس صدام حسين، أي وجود أكثر من شخص يشبه الرئيس ويقوم بدوره. وحامت النكات حول هذا الموضوع.

بعد غزو العراق، تداولت الخلويات نكتة تقول إن النصب الذي أنزل في ساحة الفردوس هو لشبيه صدام حسين. وانتشرت فكرة الشبيه من دون أن يعرف أحد من الذي روّج لها. هل هي المخابرات العراقية من أجل حماية الرئيس، أم هم الأمريكان لغاية في نفس يعقوب. وبدأ الناس يتداولون أسماء الشبيه حين قالوا إن هناك أكثر من شبيه. ومن تلك الأسماء، ميخائيل رمضان وجاسم العلي. حتى إن البعض، كانوا يتصلون بي ويسألونني: كيف وضع جاسم العلي أستاذ خليل، ويقسمون أن

الشخص الموجود في المعتقل هو جاسم العلي. ويستند البعض في حكمه هذا، إلى ظهور الرئيس صدام حسين في فترة اختفائه بعد احتلال العراق في أمكنة متعددة وفي أوقات متقاربة. وربما كان سبب ذلك يعود إلى حبهم للرئيس، وتمنيهم بألا يكون الرئيس هو من تم أسره.

تحدثت مع الرئيس حول قصة الشبيه، ورأي الشارع العراقي، فأجابني:

«كنت أتحرك بين المناطق المختلفة لدواعٍ أمنية، ولتفقد أحوال شعبي وفصائل المقاومة. ولتفويت الفرصة على الأعداء، لم أكن أطيل الإقامة في المكان الواحد أكثر من ثلاث ساعات كحد أعلى، باستثناء المكان الذي اعتقلت فيه. كنت أظهر مثلاً في الفلوجة في الساعة العاشرة، وأنتقل إلى الرمادي بعد ساعة، ثم بعد ساعتين، أكون في صلاح الدين. والناس لا يتحدثون بدقة عن الوقت، فقد تكون الأوقات متقاربة. بالإضافة إلى الخلفية المترسخة بوجود شبيه لي جعلهم يصدقون قصة الشبيه». ثم قال الرئيس مازحاً:

«حين عبرت نهر دجلة، قلت في نفسي سيقول الناس إن هذا شبيه صدام حسين خاصة وقد سرت إشاعة أن صدام حسين مريض ومصاب بالسرطان».

ثم التفت الرئيس إلي ضاحكاً وقال:

«وأنت أستاذ خليل، ماذا تقول هل أنا صدام أم الشبيه؟».

والحقيقة أنني فوجئت بالسؤال، وبدأ الشك يساورني من جديد، خاصة وقد سألت في إحدى المرات مرافقي الرئيس عن الشبيه، فنفوا نفياً قاطعاً باستثناء واحد من حمايته الذي قال: نعم يوجد شبيه واحد. وكما تقول الحكمة «حدث العاقل بما لا يعقل، فإن صدق فلا عقل له».

أردت قطع الشك باليقين، فقلت له إن المحامي الأستاذ زياد الخصاونة يسلم عليه. فحدثني عن عشيرة الخصاونة العربية الأصيلة. قلت له إنني أقصد زياد وليس المحامي الدكتور هاني الخصاونة. فحدثني عن المحامي الدكتور هاني الخصاونة، وأنه كان زميلاً له في كلية الحقوق في القاهرة، وأن مشكلة ما قد حصلت بينهما خلال الدراسة. ثم أشاد به كإنسان شريف وكمناضل قومي أصيل.

ما يزال الشك يراودني ..

وفي الزيارة الثانية، سألت الرئيس الأسير عن واقعة معينة، فذكرها برسالة خطية إلى شخص قريب جداً منه، وكتب فيها الشطر الأول من عبارة متفق عليها مع ذلك الشخص على هيئة كلمة سر. سلمت الرسالة إلى وسيط قام بتسليمها إلى الشخص القريب. فجاءت الرسالة حاملة الشطر الثاني من تلك العبارة، كلمة السر. وهي دليل آخر قاطع بدد شكوكي. إن قصة الشبيه ما هي إلا كذبة يروجها أعداء الأمة خاصة وأن وقفة الرئيس أثناء المحاكمة لاحقاً، وقفة العز والشموخ، كانت تغيظ أعداءه وتثلج صدور أبناء الأمة. وقد أبلغني أحد مرافقيه المقربين، أن فريق حماية الرئيس صدام حسين، ولدواعٍ أمنية، كان يستخدم أكثر من موكب للتمويه على الزيارات التي يقوم بها الرئيس، من دون وجود أي شبيه. وكان المقصود من هذا التمويه تجنّب رصد الأقمار الصناعية لموكبه، وكذلك أعداء العراق في الداخل.

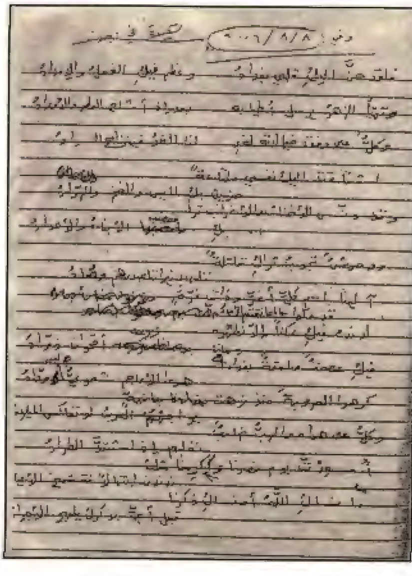
إن من يعرف صدام حسين، يدرك أن من وقف أمام حبل المشنقة بهذا الشموخ والإباء والأنفة والشجاعة والإيمان، لا يمكن أن يقفه أي شبيه. وأعداؤه الذين أقاموا مسرحية الإعدام وهم يرقصون، يعرفون أن لا أحد غير صدام حسين يقف مثل تلك الوقفة النادرة. وقد طلبت مني أكثر من مرة محطات تلفزة أن أتحدث عن الشبيه لكنني رفضت، فالقلب رغم الشكوك العابرة، كانت بوصلته تؤكد لي أن الرجل الذي أنعم الله علي بلقائه والاستماع إليه ورعايته ، هو أمامي. هذا الرجل الذي ارتبط تاريخي به في أصعب لحظات حياته كي أكون شاهداً، أحكي قصته بكل أمانة وشرف للأجيال وللتاريخ بكل حيادية.

الفصل السابع

كيف احتلّت بغداد ؟



بغداد العزّ والكبرياء



صورة عن الصفحة الأولى من قصيدة كتبها الرئيس صدام حسين في معتقله حنيناً إلى بغداد.

سـؤال صعب لكنه أصاب الكثيرين بالذهول، كأن صاعقـة قد وقعت عليهم، الألم يعتصر الجميع وهم يرون بغداد الأبية تسـقط بين أنياب وحش لا يعرف قوانين ولا أخلاقاً، هدفه التدمير والسرقة والانتقام، ومحو تاريخ حضارة أنارت العالم حين كان الغرب يغط في ظلام الجهل والتخلف. وهم يرون، عبر تاريخ العراق المعاصر، البناء يعلو والعراق يشـمخ والأمة تعتز بإنجازاته في زمن كان الأعداء يحيطون به من كل جانب ... والناس مذهولة تسـأل: كيف صمدت أم قصر تسـعة عشـر يوماً، بينما بغداد تتهاوى في غضون أيام..؟

بغداد الرشـيد والمعتصم .. بغداد العرب .. بغداد الشعراء والعلماء والفنانين وكل المبدعيـن .. بغـداد الحيـاة .. بغداد التاريـخ والذكريات الجميلة .. يا سـيدي الرئيس هل حقاً سقطت بغداد ؟

يقول الرئيس ومسحة من الألم تلوح ويحاول إخفاءها:

«يـا ولـدي، بغـداد لـم تسـقط، بغـداد احتلـت وسـتتحرر بسـواعد الأبطال. الاحتلال شيء والسقوط شيء آخر. وهذه ليست المرة الأولى التي تحتل فيها بغداد، فقبـل الأمريكان، وعبـر التاريخ، تعرضت لغـزوات كثيرة، وتنازعهـا الأعداء من كل الجهـات، وتكالب عليها الفرس وغيرهم وهي حلقـات متواصلة، واحتلها المغولي هولاكـو. فأحرق ودمر وقتل وعاث فيها فسـاداً .. ثم حررها نشـامى العراق وطردوا هولاكو. وليس عيباً أن تحتل بلدان، لكن العيب إن لم تقاوم وتتحرر».

كأن الرئيس صدام حسين كان ينتظر هذا السؤال، إذ سرعان ما استطرد في حديثه، فكنت أخط بسرعة، وأسعى ألا تفوتني أية كلمة ..

«واليوم تتكرر الحالة، لقد جيّش بوش جيشه ومرتزقته وعبر المحيطات، ونحن لم نعتدِ على أحد، لكنهم كانوا يضمرون الشر لنا ويريدون نهب خيراتنا وتدمير بلدنا. وقد حاولنا بكل ما نملك تجنب شرورهم».. ويصمت الرئيس لبرهة ثم يعود ويكمل:

«في السياقات العسكرية، لا يمكن فصل النتيجة عن السبب، فهما حالة واحدة، والمعركة الواحدة هي سلسلة حلقات للوصول إلى تحقيق الهدف. فكيف إذا كانت المعارك متواصلة منذ عام ١٩٩٠، وما رافق ذلك من حصار ظالم دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، فقدنا بسببه أكثر من مليون ونصف مليون عراقي ما بين طفل وشيخ وامرأة وحتى الشباب. إذن فلا يمكن لي أن أجتزىء وأتحدث عن معركة واحدة هي بحد ذاتها كانت هدفاً ونتيجة لسلسلة طويلة .. ألم يكن قصف أمريكا للعراق مستمراً منذ ذلك التاريخ، أليست أمريكا هي من وضع خطوط الطول والعرض، وأسموها مناطق حظر الطيران ؟

«عندما تقوم مثلاً قوة عسكرية سواء كانت تشكيلاً أو فرقة أو أكثر باحتلال هدف معين، فإنه من الطبيعي أن تأخذ المدفعية دورها بالقصف التمهيدي وصواريخ الميدان والراجمات، وذلك لتليين الهدف، ثم تقوم قوة الصولة بمهمتها للوصول إلى الهدف .. فهل يعني ذلك أن نقول إن قوة الصولة هي التي احتلت الهدف، من دون أن نذكر دور المدفعية والقصف الجوي؟ هنا المعركة واحدة، وهي سلسلة عمليات، وعلى هذا النحو حصل ما حصل في بغداد.

«عندما بدأت الولايات المتحدة عدوانها تنفيذاً لرغبة بوش وحماقاته، كانت الصواريخ تنهال على بغداد. وكان الجهد العسكري العدواني يتوزع بين القتال بشكل عام في قواطع العمليات والتركيز على بغداد، وبين هجوم القوات الأمريكية والبريطانية على الشطر الثاني لأم قصر، لأن الشطر الأول اقتطعه الغزاة وسلموه إلى الكويت ليزيدوا من مساحتها حتى تصبح دولة على حساب العراق، ولتكون خنجراً مسموماً في خاصرته».

ويصمت الرئيس لفترة، ثم يضيف :

«عادة، عندما ينشأ نزاع بين بلدين لسبب ما، يأخذ كل طرف بالتأهب، وإعداد الجيوش وتهيئة الاقتصاد والمؤسسات. ويبدأ كل طرف بمقارنة صنوف قواته بمثيلاتها في الطرف المضاد كي يقوم بالتعويض الحاصل سواء في القوة الجوية أو البحرية أو الصاروخية، وكذلك الحال بالنسبة للمشاة والدروع والصنوف الأخرى. ثم يبدأ كل طرف بالاستحضارات والتهيؤ كي لا يعطي لخصمه فرصة المباغتة.

«عندما دافع العراق عن حدود الوطن بوجه أطماع إيران وشرورها، كانت قوتنا الجوية تتطور وتتفوق على نظيرتها الإيرانية. وكانت بحق ذراع العراق الطويلة. وكان طيارونا الأبطال عندما ينفد من أحدهم عتاد طائرته وصواريخها، يقوم بضرب طائرة العدو بطائرته، وهذه هي قمة الشجاعة والبطولة، وخير مثال على ذلك الشهيد البطل الطيار عبد الله لعيبي، إبن جنوبي العراق. وفي الطرف المقابل، كانت إيران تتفوق علينا عدداً. وهكذا الحال.

«أما ما حصل في العدوان الأمريكي الأخير، ومع من تحالف معهم، فهو أمر مختلف، ويختلف كذلك عن عدوانهم عام ١٩٩١ من حيث التكتيك العملياتي والطريقة وحتى النتيجة. فبعد الحصار الظالم وتدمير قوتنا الصاروخية وفقاً لقرارات جائرة، وبعد كل الذي حصل عام ١٩٩١، وما تبعه من خطوط الطول والعرض والقصف المستمر على بطاريات الصواريخ ومنظومات الدفاع الجوي والقصف المستمر لبغداد، وكذلك ما دمره جواسيس أمريكا (المفتشون) الذين فتحنا لهم بلادنا كي يفهم العالم أن العراق خال مما يدعون .. وكي نثبت للعالم أن العراق متعاون تعاوناً كبيراً مع من أسموهم بالمفتشين، لذا، فإن حالة المقارنة هنا تسقط، ولا يمكن لأحد أن يقارن بين دولة عظمى متغطرسة كأمريكا تملك كل وسائل القتل والتدمير والبطش، وتستطيع أن تدمر العالم كله كذا مرة، وتمتلك من الصواريخ البعيدة والعابرة للقارات والذكية وغيرها، وطائرات متطورة جداً وقوة بحرية لا مثيل لها في أية دولة تجوب كل بحار العالم ومحيطاته، فضلاً عن جيش متمرس على العدوان ومحصن قانونياً من عواقب ارتكاب أية جريمة .. وبين واقع العراق، البلد الصغير المعروف بإمكاناته بعد حصار

سنين، ووضع اقتصادي صعب .. إذن الفرق شاسع بين القدرتين ولا تجوز المقارنة بالأساس. فماذا يبقى أمام العراقي غير الدفاع عن كرامته ووجوده أمام عدو غاشم أراد به شراً، ولا يستطيع أحد أن يوقفه أو يثنيه عن نواياه الخبيثة .

«من الأمور التي لا بد أن نذكرها لأنها خارج السياقات العسكرية والقتالية المعمول بها والتي لم يتوقعها حتى أخواننا القادة وهم يضعون خططهم العسكرية والخطط البديلة، فهو قيام العدو بالمباشرة بالهجوم البري الواسع، متزامناً أو أعقب بقليل القصف الجوي والصاروخي وحتى المدفعي وذلك لتليين الأهداف كما سبق وقلنا، وعادة ما يستمر هذا، وفقاً لما هو معمول به، عدة أيام وربما شهر أو أكثر كما كان عليه العدوان الأمريكي عام ١٩٩١، حيث استمر القصف لأكثر من شهر، ثم بدأ الهجوم البري بعد ذلك.

«ومن الأمور الأخرى التي كنا قد وضعناها في حساباتنا، أن العدو سيتقدم من جبهتين أو أكثر مع إنزالات هنا وهناك. إحدى هذه الجبهات معروفة وهي منطقة الحشد الأكبر للقوات الأمريكية (الكويت)، والثانية من الجبهة الغربية. وقد تم التحسب لذلك.

أما ما يخص الصمود الرائع للبواسل في أم قصر من أبطال لواء المشاة (٤٥)، فقد قام هذا اللواء بقتال العدو بشكل أذهل العالم، وصموده الأسطوري زعزع الثقة في نفوس الأمريكان والبريطانيين وهز معنوياتهم. كذلك كان صمود قواتنا الباسلة في الزبير ومقاومتها الشديدة، قد عضّد وعزز معنويات أخوانهم في هذا اللواء البطل .. كما أن صمود قواتنا المسلحة ومن خلفها ظهيرها شعب العراق الأبي في كل الجبهات، أعطى زخماً معنوياً لهذا اللواء خاصة وأن جهد العدو رغم ضراوة المعركة في قاطع اللواء، لم يتركز بشكل رئيسي على أم قصر، فالعدو كان يشاغل في بعض القواطع ويندفع في قواطع أخرى. وحتى على المستوى المعنوي والعملياتي، بينما كان أبطال اللواء (٤٥) يقاتلون ببسالة، كانت أنظارهم تتجه إلى أخوانهم في القواطع الأخرى، يستمدون العزيمة والصمود منهم. وعندما اندفع العدو باتجاه بغداد سالكاً الطريق الصحراوي، ومستغلاً ظروفاً معينة ومهمة كان

قد وضعها في أولوية حساباته، وهي عدم وجود أي غطاء جوي لقطعاتنا التي هي أصلاً غير متواجدة في المناطق الصحراوية، لأن وجودها يعني انتحاراً لها، كانت توجيهاتنا واضحة لأخواننا في القيادة وللقادة العسكريين بعدم نشر أية قوة غرب نهر الفرات سواء في صحراء السماوة أو الناصرية أو صحراء الأنبار، لأنها ستدمر بالكامل.

«وبعد أن تمكن العدو من احتلال بعض مدن العراق، كان يريد إيصال رسالة واضحة وهي أن كل شيء قد انتهى، وبالتالي تدمير معنويات العراقيين جيشاً وشعباً. فضلاً عن استخدامه أسلحة محرمة دولياً في ضواحي بغداد، ولم يستخدم هذه الأسلحة في أم قصر، مما جعل القوات المحيطة والمتمركزة في بغداد تقاتل بمفردها من دون أن تنتظر أي دعم آخر.

«إذن نقول إن المقارنة بين الذي حصل في أم قصر وصمودها الرائع، وبين الذي حصل سريعاً في بغداد، هي مقارنة غير وجيهة من الناحية العسكرية على الأقل. كما أن إسراف العدو بتركيزه على قصف بغداد ومحيطها بشكل بربري متواصل ولمئات الساعات، أدى إلى تدمير قطعات بكاملها وتشتت أخرى مما جعلها هدفاً سهلاً لطائرات العدو وصواريخه خاصة وأنها كانت تفتقر إلى غطاء جوي، وكذلك في حالة عودة هذه القطعات وتخندقها، فقد تم تدمير معظمها وهي في مواضعها الدفاعية مما أدى إلى استنفاد البديل. كما أن وضع أطراف بعض المحافظات ضمن قاطع عمليات بغداد، كان خطأً أو على الأقل سوء تقدير مع بعض التقديرات الأخرى التي لا تتلاءم مع التغيرات الجوهرية التي حصلت في الميدان من خلال جهد العدو الكبير وتكتيكاته .. وهذا الامتداد الواسع في قاطع عمليات بغداد ساعد في تشتيت جهد الحرس الجمهوري والقطعات المساندة له».

ويتابع الرئيس قائلاً:

«إن العدوان كان شرساً وواسعاً، وبذل العدو جهداً خاصة في الأيام الأخيرة، بتكثيف القصف الجوي والصاروخي على بغداد ومحيطها، إذ كان الهدف الرئيس للعدو هو بغداد أولاً.

إذن لا يمكن لنا عندما نتحدث عن تمكن العدو سريعاً من بغداد، أن نتحدث عن بغداد فقط ونجتزيء ذلك، لا، فالمعركة واحدة وهي سلسلة حلقات متكاملة ومترابطة مع بعضها البعض.

«عندما وقع العدوان، اجتمعت مع أخواني القادة العسكريين، وقلت لهم: ديروا بالكم هاي المرة معركتنا مع العدو بحيل الله معركة مصير. فإذا الله كاتب لنا النصر، فهذا النصر سيكون للعراق وللأمة وللإنسانية. وإذا أراد الله سبحانه وتعالى غير ذلك، واستطاع العدو الوصول إلى بغداد، فالشعب ما راح يسكت، وراح يصير القتال بالبندقية والقاذفة، وراح يطلع جيل من القيادات من ديالى وصلاح الدين والأنبار ونينوى والبصرة وغيرها وراح يحرر العراق ويطرد الأمريكان ويهزمهم، وستتلطخ سمعة أمريكا أكثر وتنكسر هيبتها. وصار اللي صار والحمد لله. وإن شاء الله العراقيين ما يخيبون أمل أخوانهم العرب».

موقف عربي

ويتذكر الرئيس ما مر بالعراق فيقول:

«قبل بدء العدوان ببضعة أشهر، قابلني مبعوث زعيم عربي نكن له كل التقدير. كان لديه مقترح محدد، ورغم أن هذا المقترح كان يمسّ بالكرامة ولا يمكن قبوله، إلا أننا سمعناه حتى النهاية. وقلنا: لو افترضنا أننا وافقنا على هذا المقترح، فهل بإمكانكم أو بإمكان أخواننا العرب منع العدوان ؟ فأجاب: لا أحد يستطيع أن يضمن [illegible] وسنعمل من أجل منع العدوان .. قلت له: كي نقيم نحن الحجة على أمريكا !؟ سلم لي على فلان (زعيمك) وقل له فلان يقول اتصلوا مع أمريكا واسألوها ما الذي تريده بالضبط، فإن كان المال، أي النفط، فالمال يعوض، وإن كانوا يريدون حل جميع القضايا العالقة في المنطقة، فإننا لا نقف بوجه من يريد إنصاف الشعوب. أما إذا أرادوا فرض شروط تمس بكرامتنا وكرامة شعب العراق، فنحن غير مستعدين لسماع سخافاتهم بعد أن تأكدنا أن مطلب أمريكا كان سخيفاً ومهيناً.

زيارة بريماكوف الثانية

«بعد أن جيّشت أمريكا وبريطانيا جيوشهما وأساطيلهما، لم تتركا أمامنا أي خيار آخر. فإما الاستسلام والذل ومهانة التاريخ، خسئوا، وإما مواجهتهم بصدور عامرة ملؤها الإيمان بالله متكلين عليه .. حتى بريماكوف، في زيارته الثانية لبغداد، قال إنه يحمل لي رسالة. ولأنني أعرف مضمون رسالته، فقد طلبت منه أن يلتقي بالأستاذ طارق عزيز أولاً. ثم التقيته لاحقاً. قلنا يا الله. وعندما طلب منا أموراً تمس سيادة وكرامة العراق، قلنا له: ماذا بعد في جعبتك، فلو افترضنا بأننا استجبنا لهذا الطلب السخيف «التنحي ومغادرة العراق مع عائلتي»، فهل سيتجنب شعبنا شرورهم ؟ قال: لا. فالأمريكان سيدخلون العراق بك أو بدونك. فقلت له: خسئوا، يخزيهم الله. نحن باقون هنا، فليأتوا. أهلاً وسهلاً بهم. سنقاتلهم من بيت لبيت. لكن أنصحهم بقراءة تاريخ العراق من نبوخذ نصّر إلى صدام حسين، ليعرفوا معدن الإنسان العراقي، فإن لم يكونوا قد عرفوه بعد، فإن المقاومة العراقية وشعب العراق سيقولون لهم حتماً من نحن ومن هم، والقادم سيكون أكبر بكثير بعون الله. وهكذا لم يتركوا لنا أي خيار يجنب شعبنا وبلدنا التدمير. وجيش العراق لم يقصر، إذ أذاقهم درساً لن ينسوه، وما زال أفراد الجيش ورجال البعث وكل الفصائل الأخرى تقاتلهم، ونحن لن نستسلم أبداً. هذه حال الحروب، لا بد أن ينتصر أحد الطرفين، لكن أمريكا رغم انتصارها السريع ستهزم شر هزيمة، وسيحصل لها أضعاف ما حصل في فيتنام، لأنها دولة شريرة، وستضطر إلى الانسحاب والهروب من العراق تاركة نصف معداتها ..

«قواتنا المسلحة وكل النشامى لم يقصروا أبداً، لكنها إرادة الله. فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم. نعم إنها إرادة الله.

نقول إن من أهم أسباب تمكن الأمريكان من احتلال بغداد الحبيبة، عاصمة الرشيد، من دون أن نخوض في التفاصيل لأن وقت المقابلة محدد، هي الآتي:

أولاً: الحصار الذي دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، وما رافقه من استمرار الحرب بكل صفحاتها.

ثانياً: اعتماد أمريكا سياسة الخداع والتضليل حول مزاعمها، مما دفع بعض الأصدقاء وبعض الأشقاء العرب لتصديق رواياتها، بل إن البعض صدّق وعودها.

ثالثاً: الفرق الهائل بين القوتين وخاصة القوة الجوية التي لا بد منها لحسم أية معركة، والقوة الصاروخية بعيدة المدى، وعدم وجود أي غطاء جوي للجيش العراقي. وهذا أخل بشكل كبير في ميزان المعركة لصالح العدو.

رابعاً: معرفة العدو التامة بكل الأهداف العسكرية والمدنية من خلال فرق التفتيش ووسائل الكشف الجوي لطائرات التجسس والأقمار الصناعية. وأنت عندما تحدد هدفا، يسهل عليك ضربه.

خامساً: استخدام القصف الجوي الظالم بكثافة لا مثيل لها في تاريخ الحروب، والذي كان مستمراً على مدار الساعة، مما ساعد على شل قدرة قواتنا البطلة سواء أكانت الدروع أو المدفعية أو حتى المشاة .

سادساً: استخدام العدو لأسلحة محرمة دولياً، بعضها استخدم لأول مرة وخاصة في مطار بغداد بعد المعركة الشهيرة التي خسر فيها العدو مئات القتلى وعشرات الدروع، مما أفقده صوابه. فقام بضرب قوات الحرس والقوات المتجحفلة معها بقنابل نووية تكتيكية وأخرى حرارية تؤدي إلى صهر الحديد والجسد للتأثير على معنويات المقاتلين. وهذا السبب يعتبر من أهم الأسباب التي سرعت في احتلال بغداد.

سابعاً: استمرار القصف على بغداد بشكل وحشي وضرب السكان الآمنين، لخلق حالة من الهلع، وكذلك ضرب قوات ومراكز القيادة، وقطع كل أنواع الاتصال.

ثامناً: استخدام العدو للطريق الصحراوي بمحاذاة المدن، وتفوقه النوعي بالسلاح المتطور، والغطاء الجوي الكثيف، كل ذلك أفقد قواتنا القدرة على الحركة نهاراً لعدم وجود الغطاء الجوي والإسناد المدفعي لها، وتركيزه على خيار الوصول إلى بغداد. ورغم أن جيشنا الباسل قد نجح إلى حد كبير في تأخير تقدم العدو، مع إلحاق خسائر باهظة في صفوفه، إلا أن العدو لم يعلن عن حقيقة هذه الخسائر، كعادته .

تاسعاً: الانزالات الكثيرة والمتكررة هنا وهناك خلف قطعاتنا وعلى الطرق الرئيسية، وإرهاب السكان وقطع الطرق. بالإضافة إلى قيام العدو بدفع بعض آلياته بسرعة فائقة إلى مواقع خلف قطعاتنا. والمعروف أن أي إنزال أو اندفاع للعدو خلف القطعات يربكها.

عاشراً: الحرب النفسية، واستخدام الوسائل الدعائية، والإشاعة التي نجح العدو في إدخالها إلى صفوف قواتنا المسلحة من خلال الطابور الخامس وعملائه. وكذلك قيام بعض العملاء والمتسللين بإعطاء إحداثيات لطائرات العدو لتدمير المواقع الهامة والأهداف العسكرية.

حادي عشر: انقطاع وسائل الاتصال بين القيادات العسكرية وآمري القطعات نزولاً، وعدم وصول الأوامر أدى إلى تحلل بعض القطعات العسكرية على اعتبار أن الأمر قد انتهى.

ثاني عشر: في الحرب العراقية الإيرانية، كان القادة والآمرون يتصرفون وفق تطور الظرف وعلى أساس الموقف، لأن المدرسة العسكرية العراقية من بين أفضل المدارس في العالم التي أوجدت خيرة ضباطنا وقادتنا وجنودنا البواسل، ولم نضطر إلى إخضاع فرقنا وفيالقنا والقادة للأوامر السياسية، فقد كان التصرف للقائد أو الآمر بحتاً باستثناء القيادة العامة. فللقرار السياسي أحياناً دور، وحسب الموقف، ولكن بشكل ضئيل جداً. حتى عندما كنا نرسل القادة السياسيين للمعايشة في جبهات القتال، كنا نضعهم تحت تصرف العسكر، ومنهم عديّ وقصيّ».

إخضاع الجيش لقيادة السياسيين

وهنا سألت الرئيس عما اعتبره الكثير من العسكريين والسياسيين العراقيين خطأً كبيراً في إخضاع القادة والآمرين العسكريين في قيادات المناطق لمسؤولين سياسيين، فشرح الرئيس أسباب اتخاذ هذا الاجراء وظروفه، ووصفه بالاضطرار، لكنه أقر بصراحة وشجاعة بأن إخضاع قرار القادة العسكريين الميدانيين في الفيالق والفرق للمسؤولين السياسيين قد ساهم في إضعاف قدرات قطعاتنا في مقاومة الهجوم الكاسح لقوات العدو. وقال:

«ما حصل في هذه المعركة المصيرية، ولحساسيتها، ولأنها هذه المرة مصيرية بكل معنى الكلمة، فإننا أخضعنا القرار العسكري للقادة السياسيين سواء قادة الفرق أو قادة الفيالق إلى القرار السياسي وبالتشاور مع القادة العسكريين، وهذا حصل اضطراراً. وهو سلاح ذو حدين، فأحياناً يتطلب الموقف المبادرة والمباغتة السريعة، وعندما يخضع قرار القائد العسكري لقرار من رجل السياسة، فإن الموقف يتطلب بعض الوقت ربما ساعات خاصة في ظل انقطاع وسائل الاتصال السريعة. وهذا يعطل جهد القائد في استخدام الموقف المطلوب على أساس الحالة التي قد تتطلب السرعة والمباغتة، فضلاً عن أن بعض القادة العسكريين يتحسسون من قرارات السياسي أو من أوامره التي تصدر لهم على أساس نقص الخبرة لدى هؤلاء في مجال الاختصاص العسكري. وهذا أثر بشكل كبير في نجاح العدو في التقدم السريع نحو بغداد في ظل فرق القوة. لكن رغم ذلك، قاتلت تشكيلات جيشنا الباسل والحرس الجمهوري وكل التشكيلات الأخرى بشكل لا مثيل له في الحروب التقليدية.

ثالث عشر: هجوم العدو من كل الجبهات. وللأسف، فقد سهلت بعض الدول الشقيقة دخول قطعات العدو ودروعه من أراضيها، وقيام العدو باستخدام أراضي وقواعد البعض الآخر لقصف العراق.

رابع عشر: قيام العدو باستخدام عملائه من المخربين وعملاء إيران في الهجوم، وكذلك بعض المليشيات الموالية لإيران والتي تدعي الإسلام زوراً.

دور إيران في تسهيل الغزو

خامس عشر: كان غدر إيران من أهم العوامل المساعدة لدخول القوات الأمريكية والبريطانية إلى العراق[1].

---

(١) في ختام أعمال مؤتمر «الخليج وتحديات المستقبل» الذي نظمه مركز الإمارات للدراسات في أبو ظبي في منتصف كانون الثاني ٢٠٠٥، قال محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني السابق، إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق، وأضاف بأنه «لولا التعاون الإيراني، لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة». وقد أيده رئيسه محمد خاتمي بتصريح بعد بضعة أشهر، عتب فيه على الولايات المتحدة التي لم تعترف لإيران بما أسماه دورها الإيجابي في حربي العراق وأفغانستان.

«هـذه العوامل كلهـا، بالإضافة إلى غطرسـة العدو، وتركيز جهده العسـكري بـكل صنوف قواته المسـلحة، وبشـكل جنوني على بغـداد، وتلويح الأمريـكان، إذا ما فشـلوا، باسـتخدام الأسـلحة الذرية لضرب بغداد على غرار هيروشـيما. كل هذه العوامل، ساعدت في خلق جو نفسي مشحون لدى الجنود. وهذا أمر طبيعي. عندما تصل الأمور إلى هذه المرحلة، لا يسـتطيع الآمرون، وفق حالة كهذه، السـيطرة على قطعاتهـم. وهذه خلقـت حالة مـن الفوضى لدى قطعـات كثيرة من قواتنا المسـلحة بحيث أصبحت خارج نطاق السيطرة، فانسـحب الجنود تباعاً من أرض المعركة من دون أوامر.

«إذن نقول إن أمريكا كانت قادرة على البطـش والتدمير، ولكن هناك فرقاً بين البطـش والعقل. فهي تسـتطيع أن تبطـش وتدمر، ولكـن عملياً، فإن خسـارتها كبيرة جداً. ولن يرمم خسـارتها خلقياً وتاريخياً إلا أن يتأثر أو يسـقط الحزب الذي عاضد بـوش في حربه ضد العراق. ولكن نسـأل من الذي خسـر؟ الذي خسـر هو الشـعب الأمريكي أمام العالـم وخسـر كل عناصر القوة. بمعنى إذا ما أظهر الشـعب الأمريكي معارضته لما حصل، فإن ذلك سيرمم ما قامت به حكومته. وقد قلت للأمريكان هنا في المعتقل: لن تعتدوا على دولة في العالـم بعد العراق. وهذا يكون لصالح الإنسانية وليس لصالح العراق فقط، فالعراق سيتحرر بإذن الله وستهزم أمريكا وعملاؤها».

هل ثمة خيانة في قيادة الجيش؟

وقد سألت الرئيس عما راج من إشـاعات كثيرة منذ الأيـام الأولى للاحتـلال عـن وجـود خيانـات فـي صفـوف القيـادات العسـكرية، فنفـى الرئيـس ذلـك نفيـاً قاطعاً، وقال:

«سـمعت أن هناك من يتحدث عن خيانات حدثت أثنـاء المعارك. فأقول لك يـا ولدي إن جيشـنا معروف ببسـالته وبطولاتـه، وقد سـطر أروع الملاحـم البطولية على مر التاريخ. وفي جيوش العالم وعند اشـتداد المعـارك تحصل خيانات. أما في جيشـنا، فإن حصلت فبشـكل محدود جـداً وبمسـتويات واطئة ضعيفـة التأثير، ولم تؤثر على نتيجة المعركة إطلاقاً. أما ما أشـيع عن خيانات على مسـتوى القادة الكبار،

فهذه جزء من الحرب النفسية التي تستخدمها كل الجيوش ضد نظيرتها في الحروب وخاصة عندما يواجه أحد الأطراف معارك حرجة جداً. فجيشنا برجاله وقادته هم أبطال أبلوا بلاء منقطع النظير، وواجهوا الأعداء بصورة أذهلت العدو وأثلجت صدورنا وصدور العرب وكل الخيرين في الإنسانية. لقد كنت أراهن على معركة بغداد، بعد أن يدخلها الأمريكان، وأننا سنقاتلهم من بيت لبيت، ومن شارع لشارع، وأنهم سيفقدون بذلك عوامل تفوقهم التكنولوجي، وأننا سنقوم بتقطيع هذه الأفعى الممتدة، وقد أعددنا لذلك، ولكن الاحتلال السريع لبغداد، واستخدام أسلحة نووية تكتيكية، وتحلل تشكيلات الجيش والحرس بسبب شراسة المعركة، وعدم وجود غطاء جوي وفقدان السيطرة حالت كلها دون حصول هذا الخيار الذي لو حصل، لساعدنا بالتأكيد في شل تأثير الأسلحة الثقيلة للعدو وخصوصاً طيرانه.

«إذن نقول إن أهم أسباب احتلال بغداد هو عدم تكافؤ القوتين واستخدام أمريكا أسلحة نووية تكتيكية في معركة المطار، مما أربك الجيش العراقي الذي لم يعتد على مواجهة أسلحة غير تقليدية كالتي استخدمها بوش في جريمته.

«وقد لفت انتباهنا في القيادة إصابة العدو أهدافاً عراقية بدقة متناهية. وللأسف، بعد التحري والمراقبة تبين لنا أن بعض الخونة والعملاء الذين أرسلهم العدو ودسهم في مناطق مختلفة من بغداد، كانوا يستخدمون هواتف الثريا ذات اتصال عبر الأقمار الصناعية بمراكز القيادة الأمريكية والإسرائيلية لتحديد الأهداف العراقية. وقد سهل ذلك تدمير معظم الأهداف المدنية والعسكرية والمنشآت المهمة.

«ومما ساعد في احتلال العدو لبغداد، استخدام الخونة والعملاء أقراص وأجهزة تحديد الأهداف. وقد تبين في ما بعد، أن بعض ضعيفي الأنفس والخونة قد تغلغلوا في بعض الأجهزة الأمنية العراقية.

معلومات لم تصل إلى الرئيس

«كنا منفتحين على أي رأي أو مقترح يقدم لنا بشكل مباشر أو غير مباشر لمن لا يستطيع قول ما يريد قوله بسبب عدم امتلاك الشجاعة في إيصال أو قول الحقيقة، أو لأي سبب آخر. وكنت أطلب من أخواني في القيادة بروح إيجابية أن

يقولوا ما يريدون قوله، وأعطي تعليماتي للمرافقين والسكرتير بإيصال أية معلومة أو مقترح مباشرة لي. ولكنني اقتنعت بأن ليس كل ما كان يجب أن يصلنا أو أن نسمعه لنقف على الحقائق قد وصلنا، فقد كان هناك الكثير الذي لم يصلنا. وهذا ما لفت انتباهي أثناء المعركة وبعدها .. ». (وهذا ما قاله القاضي عبد الله العامري في إحدى جلسات المحاكمة، عندما قال للرئيس: أنت لست دكتاتوراً ولكن المحيطين بك جعلوا منك ذلك).

وقد قال لي أحد كبار المسؤولين العرب عام ٢٠٠٦ عندما التقيته في بلده: والله كنا نزود الرئيس صدام حسين بكل المعلومات التي تصلنا كي يتجنب حصول ما حصل، وتتجنب المنطقة ما حصل وما قد يحصل، ولكننا تأكدنا أن شخصين كبيرين أحدهما قريب من الرئيس، كانا يتعمدان عدم إيصال هذه المعلومات ولا نعرف السبب.

من المعلوم أن غزو العراق عام ٢٠٠٣، كان امتداداً لتآمر كبير من قبل الدول الاستعمارية والصهيونية العالمية منذ عام ١٩٦٨ وقيام الدولة الوطنية بقيادة حزب البعث. وكانت قاصمة الظهر لهذه الدول تأميم النفط عام ١٩٧٢ وما تلا ذلك من إنجازات كبيرة حققها العراق، وبدء التآمر المنظم عليه، والتخطيط لوأد طموحاته. وكانت الحرب التي شنتها إيران على العراق عام ١٩٨٠ أول الغيث بالنسبة لهذه الدول التي دعمت إيران بالأسلحة من أجل إطالة أمد تلك الحرب. وحين انتهت الحرب بانتصار العراق على إيران المعتدية، استمر التآمر عليه لافتعال حروب أخرى لاستنزاف طاقاته الإبداعية الخلاقة، وقتل طموحاته بأن يكون دولة كبيرة تنافس الدول العظمى. وابتدأ التحالف بين هذه الدول وبعض دول المنطقة لاستفزاز العراق خاصة بعد أن خرج من الحرب منتصراً. واستطاعت الدول المتآمرة أن تحقق ما تطمح إليه في قضية الكويت. ثم توالت الخطط والتخطيط وبعناية فائقة من قبل الولايات المتحدة والصهيونية العالمية في البحث عن ذريعة قوية لضرب العراق، فكانت أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر التي استعملت أمريكا كل أجهزتها المخابراتية والاستخبارية لإلصاق التهمة بالعراق، ومن ثم الاستعداد لافتعال حرب جديدة

للقضاء على مستقبله وتدميره وتدمير خيراته والاستيلاء على نفطه وتأمين الحماية الكاملة لإسرائيل، ثم السيطرة على العالم، فالعراق هو المفتاح بالنسبة لتحقيق أهداف هذه الدول المعتدية .

لقد اتخذت أمريكا قرار الحرب على العراق منذ تأميم نفطه، وجاءت أحداث ١١ أيلول المفتعلة لتكون البداية للقضاء التام على العراق.

في نهاية عام ٢٠٠٢، أبلغت أمريكا أربع عواصم عربية بأن احتلال العراق بات أمراً محسوماً، وكانت إحدى هذه العواصم تساهم بشكل فعّال في التحريض على ضرب العراق، بل كانت تدفع مليارات الدولارات، فاتورة شهية لتشجيع أمريكا على احتلال العراق وتدميره للتخلص من هذا الكابوس الثقيل. أحد زعماء هذه الدول كان ممتعضاً جداً مما يلوح في الأفق، إذ كان يدرك أن العراق هو سور العرب وحامي الحمى وحارس البوابة الشرقية للأمة ، وأن انهيار العراق يعني انهيار العرب دولة بعد الأخرى، خاصة وقد هددهم بوش بما لا تحمد عقباه في حال إبلاغهم العراق بقرار أمريكا النهائي (العدوان)، وسيكون مصيرهم المصير المنتظر لصدام حسين .

في أواخر شهر كانون الأول من العام ذاته، زار العراق مسؤول مهم من إحدى هذه العواصم العربية متجشماً عناء السفر بسبب الحصار الظالم المفروض على العراق، مجازفاً بمستقبل بلده وزعيمه. وقد وصل براً على أمل أن يقابل الرئيس صدام حسين وإخباره بحقيقة ما يجري. بقي الرجل في أحد فنادق بغداد ينتظر أن يبلغ الرئيس شخصياً بالمعلومات التي يحملها ، خاصة وقد أرسلت هذه الدولة معلومات سابقة إلى الرئيس صدام حسين، لكنها لم تصله. فقد كان هناك عدد من الأشخاص، وبالتحديد بعض الشخصيات المهمة في العراق، كانت وراء حجب المعلومات وبشكل متعمد عن الرئيس.

لم يعلم الرئيس صدام حسين بوجود هذا المبعوث، وقد حاول هذا الزائر أن يصل إلى الرئيس، لكن لم يفلح، فاستنجد بإحدى الشخصيات العراقية المقربة من الرئيس، وهذا بدوره اتصل بقصيّ الذي أرسل مبعوثاً من قبله للاستماع إلى

الضيف. لكن هذا الضيف رفض إلا أن يقابـل الرئيس. فاتصل قصيّ بإحدى هاتين الشـخصيتين اللتيـن كانتـا تحاولان منـع وصول المعلومـات إلى الرئيس، فأرسـل لهمـا (الضيـف والشـخص المقرب مـن الرئيس) سـيارة مراسـم خاصـة، فاعتقدا بأنهما سـيقابلان الرئيس صدام حسـين. فاسـتقبلهما ذاك الشـخص وقال: هاتوا ما عندكـم .. لكن الضيف رفض وأصر على مقابلة الرئيس. بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٢، وخـلال الزيارة ذاتها، كرر الضيف والشـخصية العراقية الاتصال مع هذا الشـخص الكبيـر الذي طلب أن يهيّئ الضيف نفسـه لمقابلة الرئيس. وجاءت السـيارة نفسـها لتقلهما إلى بناية خاصة ضخمة. وهناك وجدا أمامهما المسـؤولين الإثنين الكبيرين يطلبـان مـن الضيـف إخبارهما بما لديـه من معلومات. وأشـارا إلى جهاز تسـجيل قائلين إن المعلومات سـتصل إلى الرئيس من خلال هذا التسجيل. امتعض الضيف بشـكل كبيـر، واضطر أمام هذه المعاناة لـلإدلاء بكل ما لديه مـن معلومات. ثم قام الشـخصان بوداعـه مؤكديـن أن المعلومات سـتصل إلـى الرئيس. وقبـل أن يغادر الضيف مقر إقامته عائداً إلى بلاده، وصله مظروف فيه خمسون ألف دولار شخصياً له. فرفضه شاكراً بأنه وبلده بخير. ثم وقعت الكارثة، وبعد أن أسر الرئيس، حملت رسـالة منه من داخل معتقله إلى زعيم هذه الدولة التي أرسلت مبعوثها إلى العراق، والتي كانت تحرص أشد الحرص على حل موضوع الكويت وعلى تجنيب العراق الكارثـة الأخيـرة. وقـد حاولت جهـات عديدة تشـويه صـورة هذا البلـد وتخريب العلاقـة بينه وبين العراق بمـا فيها جهات معروفة من داخل هـذا البلد ومن العراق أيضـاً وخارج العراق، وذلك للإسـاءة وتعكيـر صفو العلاقة الأخويـة الحميمة بين هذين البلدين، ودق إسـفين الكراهية والبغضاء، إما لحسابات وأحقاد شخصية، أو لتدمير العلاقات العربية العربية.

وبعد أن قابلت زعيم هذه الدولة، وجدته متألماً كثيراً لما جرى ويجري للعراق وللرئيس صدام حسين. وخلال لقاءاتي مع بعض الشخصيات المهمة في هذه الدولة الشـقيقة، سمعت الكثير عما بذلته هذه الدولة لإبلاغ الرئيس صدام حسين بما لديهم من معلومات لتفادي ما يمكن تفاديه، لكن كل ذلك ما كان يصل إلى الرئيس.

معركة المطار
الجزء الأول

بقلم: الفريق أول الركن سيف الدين الراوي
قائد قوات الحرس الجمهوري

١ - أهمية موقع مطار صدام الدولي: لمطار صدام الدولي الذي بناه الشهيد صدام حسين، رحمه الله، أهمية استراتيجية، وهي كما يلي:

- يعتبر مطار صدام أحد المفاتيح المهمة في بوابات بغداد لمساحته، ولأنه يساعد على انتشار واسع للقوات البرية، ويقع شمال غرب بغداد ٢٠ كيلو متر.

- يمكن ضخ أعداد كبيرة من قوات العدو المحمولة جواً (الإنزال الجوي) إلى المطار وخاصة الطائرات الكبيرة الثابتة الجناح، ويشكل بذلك قاعدة أمينة للانطلاق باتجاه مركز بغداد أو لتطويقها.

- يجاور المطار أهم المواقع الرئاسية (موقع الرضوانية) الكبير، حيث البنايات العديدة والبساتين. ويصلح هذا الموقع (كمقر للقوات الأمريكية لإدارة العمليات).

- إن السيطرة على مطار صدام الدولي له تأثير نفسي كبير على الشعب، لأنه يعني السيطرة على (المواقع الرئاسية في الرضوانية).

- يرتبط مطار صدام الدولي بطرق استراتيجية (الطرق السريعة)، طريق مباشر سريع يؤدي إلى القصر الجمهوري والقيادة القومية والقطرية، وطريق آخر استراتيجي يحاذي المطار الذي يمتد من غرب العراق إلى جنوبه ويتجنب التجمعات السكانية التي تؤثر على تقدم القوات البرية. كما أن هذا الطريق يصلح لإنزال مئات الطائرات (الهليكوبتر) في كافة أجزائه، ويمكّن العدو، بل مكّن العدو من الإنزال الجوي الواسع في عدة أماكن منتخبة على الطريق (أمّنت مرور القوات البرية المدرعة).

- يمتلك العدو قاعدة معلومات كبيرة عن كل ما يوجد في مطار صدام الدولي، من دفاعات ومواقع رئاسية من خلال دخول مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة إلى كافة تلك المواقع، مما زاد من أهمية التفكير في استخدامه.

- يؤمن مطار صدام الدولي للعدو خلخلة الدفاعات العراقية حول بغداد، والانطلاق للسيطرة على البوابات الأخرى (مفرق اليوسفية-التاجي) بما يؤمن له تطويق مدينة بغداد وعزلها عن المحافظات الأخرى.

٢- الفكرة العامة للدفاع عن مطار صدام الدولي: لقد نوقشت فكرة الدفاع عن مطار صدام من قبل الشهيد (قصي صدام حسين) قبل الحرب بسنوات، حيث توفرت معلومات حول إمكانية العدو الصهيوني من القيام بالتسلل الجوي أو إنزال (قوات خاصة) تستهدف السيد الرئيس صدام حسين. وقد تم حساب كل ما تم توقعه من تهديدات جوية أو برية، حتى استخدام العدو (للجندي الطائر) لعبور الموانع والعوائق. وتم توزيع الرادارات والمراصد ونقاط المراقبة حول محيط المطار وموقع الرضوانية الرئاسي، وتم تصميم الدفاع عن مطار صدام بجعل منطقة مدرج المطار (أرض قتل)، وتم تغطيتها بالنيران المباشرة وغير المباشرة بشكل دقيق، وتوزيع موارد الدفاع الجوي حول محيط المطار بحث يصعب على أي قوة القيام بالإنزال الجوي إلا بعد تدمير هذه الدفاعات التي تعتمد على أفواج مدربة وبمعنويات عالية وبتسليح جيد من (الحرس الجمهوري الخاص)، وهي مزيج من أفواج المشاة كاملة التسليح والتجهيز والأفراد وقطعات مدرعة وقوات خاصة، وكذلك حماية (موقع الرضوانية الرئاسي). وأجرت القوات المشاركة بالدفاع (العراقية) العديد من الممارسات ولعب الحرب حول واجباتهم، ومن أبرزها مقاومة الإنزال الجوي المعادي. وتم إعادة التخطيط من قبل الشهيد قصي صدام حسين خلال الحرب، ووضعنا وعدلنا الخطط بعد تأكيد المعلومات حول الإنزال الجوي في المطار، وتم تغطية المطار بنيران (المدفعية والصواريخ).

٣- خطة العدو الأمريكي في السيطرة على مطار صدام الدولي:

- قصف تمهيدي: استمر (٣٠٠ ساعة) من دون انقطاع ليلاً ونهاراً على محيط مطار صدام (الدفاعات) والمجمع الرئاسي في الرضوانية والذي مهد للقوات البرية السيطرة بعد إضعاف بل تدمير الدفاعات. وشاركت بالقصف طائرات (بي٥٢) بقنابل تسعة طن وآلاف المهمات القتالية الجوية وصواريخ كروز والقنابل

(النيترونية) التي دمرت أغلب الأفراد (بأسلوب الحرق والعصف)، وفي كل الخطط العسكرية العالمية، فإن القصف الذي يسبق الهجوم البري أو الإنزال يستمر ساعة كما حدث في عبور المصريين لقناة السويس في حرب عام ١٩٧٣، واستمر أقل من ساعة عندما تم تحرير الفاو عام ١٩٨٨ من قبل القوات المسلحة العراقية. ولكن هنا (القصف التمهيدي) كان غير مألوف لا من ناحية الوقت ولا من ناحية حجم الإسناد الناري المستخدم فيه بأسلحة محرمة دولياً (أسلحة دمار شامل القنابل النيترونية) والقنابل الحارقة وعوامل شل القدرة. وبعد إضعاف وتدمير الدفاعات، قام العدو بالإنزال الجوي (على الطريق الاستراتيجي السريع) قرب المطار والذي مهد لاندفاع القوات التي عبرت من جسر (جرف الصخر) يوم ٢ نيسان باتجاه مطار صدام مباشرة وشاركت بالعملية الفرقة (١٠١) المحمولة جواً والفرقة (٨٢) المحمولة جواً أيضاً وهي أساس القوات المحمولة للعدو الأمريكي، (وفيلق مدرع) يشارك في إسناده الآلاف من الطائرات المقاتلة والهليكوبتر.

ويمكن اختصار المعركة وفق خطة العدو:

- قصف تمهيدي بالقوة الجوية والصواريخ وأسلحة محرمة دولياً استمر (٣٠٠) ساعة لإضعاف وتدمير الدفاعات العراقية حول محيط مطار صدام.
- إنزال جوي شاركت فيه الفرقة (١٠١) والفرقة (٨٢) المحمولة جواً.
- اندفاع فيلق مدرع (عن طريق صحراء النجف - كربلاء - المطار) متجنباً المدن عبر الصحراء.

٤ -**استمرت المعركة البرية** مع قوات العدو منذ يوم ٣ نيسان ٢٠٠٣ حول محيط مطار صدام وداخله ومجمع الرضوانية الرئاسي ولغاية ٨ نيسان ٢٠٠٣، وكما يلي:

- قتال شرس وعنيف بين الحرس الجمهوري الخاص وأفواج القوات الخاصة حرس جمهوري وفدائيي صدام ومدفعية وصواريخ الحرس الجمهوري، وبين القوات الغازية حيث دمرت عدة موجات برية للعدو أو محمولة جواً بالكامل.

وقد نفذ العدو أسلوب الانسحاب بعد الاصطدام بالقطعات لفسح المجال للطائرات المعادية لتأخذ دورها بالتدمير. وقد استخدمنا أسلوب العودة إلى الملاجيء للتقليل من تأثير الطيران المعادي.

- طبيعة القتال كان بأسلوب (الكر والفر) الغارات للجانبين. ولكن قدرة العدو النارية كانت أكبر واستخدامه لقوات جديدة كان أوسع.

- استخدم العدو أسلوب (الحرق الشامل للهدف) بالنيران، استراتيجية (التدمير ثم التفتيش) مستخدماً القنابل ٩ طن والقنابل الفراغية. - قاد المعركة مباشرة السيد الرئيس صدام حسين والسيد قصي صدام حسين، وكان السيد الرئيس يوجه القوات الخاصة للحرس الجمهوري مباشرة حول أسلوب القتال وإدارة العمليات. - إن المعركة الأساسية جرت في مجمع الرضوانية الرئاسي الواسع بمعارك عنيفة بين القوات الخاصة للحرس الجمهوري والمشاة والفدائيين من جهة وبين العدو من جهة أخرى تكبد العدو فيها خسائر جدية دفعته لاستخدام القنابل(النيترونية).

- إن أغلب القوات المدافعة عن المطار استشهد رجالها ولم يعد منهم أحد. ولذلك لم يكن للعدو أي نجاح في المعركة البرية إلا بعد أن تم التدمير الشامل للقوات المدافعة بالوسائل غير المألوفة والتي لم تستخدم بأي حرب .

- إن سبب نجاح العدو في السيطرة على المطار، لم يكن بسبب معنوياته، ولكن بسبب قدرته الهائلة وغير المألوفة باستخدام النيران.

- لقد احتلت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية فرنسا التي تملك ملايين الجنود خلال عشرة أيام، واحتلت عشرات الدول خلال أشهر ووصلت إلى مشارف (موسكو) وكان ما كان. ولكن في هذه الحرب كنا وحدنا، والدول التي قاتلت ألمانيا والدول التي قاتلت معها أيضاً (الحلفاء والمحور) ما عدا روسيا قد شاركت بالحرب ضدنا (تلك هي المعادلة)، ولكن المعركة مستمرة وسوف تحسم كما حددها السيد الرئيس الشهيد الخالد صدام حسين (النصر لا غيره).

معركة المطار

الجزء الثاني

المعركة التي لن ينساها الأمريكان

المعركة التي تحدث عنها السيد محمد سعيد الصحاف وغيّبها الإعلام. مع بداية شهر نيسان من عام ٢٠٠٣، ظهر السيد الصحاف على شاشات التلفزة التي كانت تتابع مجريات الحرب على العراق، وقال: اليوم ستكون هناك معركة غير تقليدية. وكان لهذا التصريح انعكاساته الهامة على ساحة الميدان، وفي ردود أفعال الساسة والقادة العسكريين الأمريكان وكبار مخططي خفايا الحرب. فماذا جرى في هذه المعركة التي غيّبها الإعلام وسكت عنها الأمريكان وتحداهم الرئيس صدام حسين وهو داخل معتقله أن يعلنوا عن خسائرهم فيها ؟

١ - القوات المشتركة في اقتحام مطار صدام: الفرقة المدرعة الأولى خيالة.

٢ - العوامل التي درست في التخطيط للدفاع عن المطار.

- **دراسة نقاط القوة والضعف للعدو** فنقاط القوة تتلخص بالسيطرة الجوية وقدرة عالية على الإنزال واستمكان الأهداف ودقة عالية في الإصابة ليلاً ونهاراً وتقنية عالية في التشويش الإلكتروني واستخدام الدخان لإعماء الأهداف والقذائف الليزرية وتعاون كبير ودقيق بين مختلف الصنوف وحرية عمل واسعة من معظم دول الليزرية وتعاون كبير ودقيق بين العالم والمحيطات.

أما نقاط ضعف العدو فهي استخدام القوات العراقية المجاميع الخاصة (المشاة) والذين يمكنهم القتال ليلاً نهاراً بأسلوب التسلل ثم العودة إلى أماكن الانطلاق.

- **دراسة الفعل ورد الفعل للعدو**، أي وضعه عند الإنزال المعادي وماذا يستخدم من أسلحة وما هو رد فعله على الهجوم المقابل وكيف سيستخدم نيرانه أي ما يسمى (بتصور المعركة).

- **العامل النفسي**، وهو خوف العدو من استخدام القوات المدافعة عن المطار (أسلحة دمار شامل)، ولذلك فقد استخدم (الأمريكان الغزاة) بالإضافة إلى وسائل الكشف بالأجهزة (الحيوانات) مثل (الأرنب) الذي يعتبر أكثر الحيوانات إحساساً بالعوامل الكيماوية السامة، وكذلك استخدم الطيور (الحمام والدجاج). ولذلك فقد سيطر الإرباك على القوات الغازية من احتمال استخدام العوامل الكيماوية. وأشيع لدى الجنود الأمريكان بأن القوات العراقية استخدمت الكلاب في معركة المطار وبشكل محدود وذلك بتفخيخها ووضع على ظهر الكلاب (صاعق تلامسي) يفجر الكلب عندما يلامس الهدف أو يفجر عن بعد. وقد أدى ذلك إلى قيام جنود العدو وطائراته (السمتية) بمشاغلة أي هدف متحرك حيوان أو إنسان أو طير. وكذلك فإن القيادة العراقية وعن طريق وزير الإعلام الصحاف مارست أسلوب التضليل الإعلامي لإقناع العدو بأن العراقيين سوف يستخدمون الأسلحة الكيماوية، ولكن الغزاة الأمريكان وصلوا في تحليلهم إلى أن العراقيين إذا ما استخدموا (السلاح الكيماوي) سوف يعطي هذا رد فعل لهم بالرد المقابل بأسلحة دمار شامل والتي يملكون منها آلاف الأطنان ولديهم (١٢) ألف رأس نووي أو استخدام القنابل التكتيكية (النيترونية) والتي استخدمت فعلاً بالمطار على الرغم من أن العراقيين لم يكن لديهم أسلحة دمار شامل.

- **تفخيخ أجنحة ومنشآت المطار**، وهذا عامل متوقع ودرس بعناية من قبل الغزاة، وقام العدو الأمريكي بفحص المنشآت والمواقع من قبل عناصر الهندسة سواء بالاستطلاع الإلكتروني جواً أو بالفحص أرضاً. ولكن العراقيين لم يقوموا بتفخيخ منشآت المطار أو موقع الرضوانية الرئاسي أو غيره، ولكنهم وضعوها كأهداف ضمن الخطة النارية.

- **درست القوات الغازية احتمال وجود أنفاق** داخل المطار لاستخدامها من قبل المشاة لشن هجمات مقابلة ثم تؤمن لهم الحماية والاختفاء بعد شن الغارات على العدو. وقد كان لدى العراقيين مخابىء وملاجىء كثيرة تحت الأرض وخنادق مواصلات للحركة بين الملاجى المحكمة بشكل جيد.

- **استخدام الكتل البشـرية بالهجوم**، وهو احتمال درسه العدو بإمكانية القيادة العراقيـة اللجوء إلى الهجـوم (بالكتل البشـرية) الكثيفة لإيقاع أكبر الخسـائر بالعدو وقد استخدم هذا الأسلوب في حرب (كوريا) و(فيتنام).

- **اسـتخدام سـلاح صدمة غير تقليدي** لاسـتثمار عامـل الخوف لـدى الغزاة الأمريكان بعد إيقاع خسـائر جدية بهـم في معارك (الكفـل) و(ذراع دجلة) و(جرف الصخر). ولذلك فقد قرر المخططون العراقيون خلال الحرب اسـتخدام المرشـات المائية أو الضبابية المتيسـرة في مدارج الإقلاع للمطار بإيصالها بوقود (الكيروسين) وهو شديد الاشتعال والاحتراق لإشـعال المطار والتأثير على الغزاة، ولكن مثل هذا الاستخدام يؤثر على لفت نظر المهاجمين على المطار، والثانية سيكون له تأثير أيضاً على القوات المدافعة.

- **اسـتخدام قذائف هـاون (٨٢ ملم)** تحدث تجويفـاً أمامياً يتخللـه تيار قوي أثناء الانقضاض، ويقوم هذا التيار بنشـر مسـحوق دقيق جداً من البلاستيك الخاص ويشكل هذا سـحباً دخانية عالية تشـبه تلك الناتجة عن غاز (السورين) أو (الزومان) وهـي عوامـل كيماويـة (عوامل الأعصـاب)، وأدى ذلـك إلى قيـام القـوات الغازية بارتـداء أقنعة الوقايـة الكيماوية والتي تؤثر على كفاءة اسـتخدام السـلاح، ولها تأثير نفسـي، وإن هذه العملية أنجزت (بثوان) وأدت إلى انتشـار غازي للكيروسين غطى معظم أجزاء المطار، وبعدها تم رمي قذائف هاون٨٢ ملم، فأحدث هذا الاسـتخدام احتراقاً هائلاً شـمل مسـاحات كبيرة من المطار وتحول به مسـحوق البلاسـتيك إلى عامل رافع للحرارة، ثم أثر على كل وسـائل الاتصال الأرضية والأنظمة المستخدمة فـي محيط المطار وجهاز التمييـز بين الصديق والعدو ومحـدد الموقع الكوني (جي بي إس) وهوائيات الارسـال، وقد أدى ذلك إلى إغلاق فتحات المحركات والفلاتر والتهوية، فخنق مـن يريد الخروج وأجبر من لا يريد الاختنـاق إلى الخروج وتعطيل شـبكات الاتصـال، وحولـت أرض المطار إلى مادة شـبه (إسـفلتية) معيقـة للحركة وتحـدث انزلاقات. وقد أدى الانفجـار الهائل الذي نتج عنه حبـس حراري وضغط شديد إلى خسـائر كبيرة بالغزاة، وسهل للمقاومة والقوات المدافعة القيام بواجباتها. ولكن العدو قام بضخ قوات جديدة .

الفصل الثامن

قصة الاعتقال

لقد عرفنا الأعداء قبل الأصدقاء، مناضلين منذ شبابنا قبل وبعد عام ١٩٥٩ وجئنا إلى السلطة من خلال نضالنا، واختارنا الشعب لنكون في مقدمته، ولم تأت بنا الدوائر الإمبريالية ومخابراتها، وخسئ من يقول ويدّعي غير ذلك.

ولو أتت بنا أمريكا أو ربيبتها الصهيونية، لما كان حالنا كهذا الحال الذي نعتز به، وسنواجه الله بقلب نظيف ويد نظيفة إن شاء الله. ولو كانت أمريكا ودوائرها هي التي أتت بنا إلى السلطة، لفضحتنا منذ أول يوم تصدّينا لها، لكننا والحمد لله نتحدّاها أن تقول ما يسيء لتاريخنا العظيم.

(صدام حسين في المعتقل)

أثارت مسرحية القبض على الرئيس، كما عرضتها القنوات الفضائية وبصورة متكررة، الكثير من الجدل والتساؤل والنقاش حول مدى صحة هذه الصور، بين رافض التصديق قائلا: إنها بالتأكيد خيانة أو إن الذي قبض عليه هو الشبيه، وبين شامت أعجبه إخراج هوليوود لهذه المسرحية الهزيلة. ترى هل ما حدث للعراق لم يكن إلا من إنتاج وإخراج صانع أفلام الكاوبوي الأمريكية ؟

قلت للرئيس: سيدي، هل تود أن تسمع **الرواية الأمريكية** حول قصة اعتقالك والمسماة بـ (الفجر الأحمر) ؟ ضحك وقال: « هات ما عندك». قلت: تقول الرواية الأمريكية ما يلي:

الرواية الأمريكية

أصدر بول بريمر أوامره لأعضاء مجلس الحكم بإغلاق مكاتب قناة العربية في بغداد إثر بثها خلال شهر رمضان من عام ٢٠٠٣، آخر رسالة للرئيس صدام حسين (قبل الأسر)، وذلك عقاباً لها على بث هذا الشريط الذي أعاد صدام حسين إلى دائرة الأضواء. وتقول الرواية الأمريكية إن مقتل عديّ وقصيّ ومصطفى كان بمثابة صدمة لصدام حسين، إذ لم يصدق ما جرى، وكان يظن أن قراره بإبعادهم عنه قد يضمن حياتهم. لكن الرجل الذي ظن صدام حسين إنه سيحميهم وشى بهم. وقتل الثلاثة في معركة أثبتوا فيها صلابة منقطعة النظير.

كانت الخطة موضوعة تحت إشراف مباشر من الجنرال ريكاردو سانشيز، يعاونه في ذلك الجنرال راي أوديرنو، قائد فرقة المشاة الرابعة. وتكون كالتالي :

سيحاول صدام حسين اللجوء إلى عشيرته وإلى بلدته تكريت بالذات للاحتماء هناك، خاصة وأن الكثيرين من أفراد الحرس والمرافقين الشخصيين له، بدأوا يبتعدون عن مكانه بعد مقتل نجليه. وكانوا يدركون أنه مصمم على الاستمرار في مقاتلة الأمريكان مهما كان الثمن.

كان الأمريكان يولون اهتماماً خاصاً لفك لغز المخابىء السرية التي كانوا يعتقدون أنها متواجدة تحت القصور الرئاسية. وقد بذلوا جهوداً مضنية لكشف أسرار تلك المخابىء، إلا أنهم فشلوا. وكان الجنود الأمريكيون من الفرقة الرابعة يقومون بتفتيش هذه القصور الرئاسية أكثر من مرة في اليوم تحسباً لوصول صدام حسين إليها في أي وقت محتمل. وعدد هذه القصور يربوعلى عشرين قصراً، كان أكثرها أهمية تلك التي تقارب نهر دجلة.

أمام الصعاب التي واجهها الأمريكيون، قام سيمون دارايز، أحد أهم قيادات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) في العراق، بوضع خطة بحث جديدة لاعتقال صدام حسين. إذ كان يعتقد أنه يتعمد المرور في المخابىء السرية لهذه القصور لعلمه أن القوات الأمريكية تفرض حصاراً من السياج الأمني عليها (من الخارج)، وأن أفراد حرسه الشخصي الذين ألقي القبض عليهم، أدلوا بمعلومات تفصيلية عن تلك المخابىء. لكن صدام حسين ليس من الغباء لكي يستخدمها مرة ثانية، لا سيما وأنه معروف بالذكاء وإجادة التمويه والتغطية على تحركاته، كما أنه يعرف أكثر طبيعة الأرض العراقية.

ذكر سيمون دارايز في تقريره الذي أعده في آب / أغسطس عام ٢٠٠٣، أن الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها صدام حسين هي واحد من اثنين: إما في منزل أسرة تسكن بعيداً عن بغداد، وله ثقة بها وهي قادرة على حمايته، أو في منطقة مهجورة غير مأهولة بالسكان. وقد يكون أعد لنفسه مخبأ في هذه المنطقة القريبة من عشيرته وبلدته تكريت. ويرى دارايز أن صدام حسين لا يمكن له مغادرة العراق من خلال دراسة شخصيته التي لا تقبل بالهروب. ورأى ضرورة التركيز على الحرس الشخصي والمرافقين الذين يعرفون بتحركاته في الفترة القادمة، بعد أن فشلت

الخطة الأولى بالقبض عليه من خلال استجواب كبار معاونيه بعد اعتقالهم، وكذلك من خلال بعض شيوخ عشائر تكريت، وشيوخ عشائر المحافظات الأخرى، حيث إن الأغلبية لم تعرف مكان تواجده، أو إن بعضهم يعتبر أن الوشاية بمكانه سيلحق العار بهم ويضعهم أمام مشاكل كبيرة. فالخطة السابقة تقول إن البحث عن الكبار واعتقالهم بدعوى أنهم يعرفون مكانه، ويسيوشون، هي خطة فاشلة. بينما الخطة الجديدة تقول إن «الصيد الثمين» يتأتى من حرسه الشخصي الذين رافقوه بعد احتلال بغداد.

كانت المؤشرات الأولية التي بدأت تتجمع في آب ٢٠٠٣، تقول إن هناك أشخاصاً أكدوا أنهم رأوه في شمال بغداد، تارة في تكريت وتارة في مناطق أخرى.

وهكذا أسهب الفريق الجديد لوكالة المخابرات الأمريكية في العراق بقيادة سوارز كيفان بجمع المعلومات عن الأشخاص الذين يروون تفاصيل تحركات صدام حسين، وكيفية مشاهدته، والأشخاص الذين كانوا يحرسونه. وكانت المخابرات الأمريكية قد جمعت أكثر من مائة صورة لمائة شخص من حراسه السابقين والمرافقين له وأقربائه. وكانت هذه الصور تعرض على الأشخاص الذين يدلون بمعرفتهم إياه، ومدى قربهم منه. وكان السؤال المطروح عليهم هو متى رأوا صدام؟ وكانت أكثر الأسئلة إلحاحاً تتعلق بالأشخاص الذين يقومون بحراسته ومرافقيه وأوصافهم والأماكن التي يترددون عليها.

كان يعاون وكالة المخابرات الأمريكية في البحث عنه، فريق من الموساد الإسرائيلي المكون من عشرة أفراد بمن فيهم رئيس قسم العمليات والاستطلاع بجهاز الموساد.

وهكذا، وبعد تحقيقات مكثفة، وعرض صور الحراس على المقبوض عليهم، توصلت المخابرات الأمريكية والإسرائيلية إلى أنه لم يبقَ إلا على اثنين من حراسه. وقد تطابقت الأوصاف التي أدلى بها هؤلاء عن الحراس مع رؤية بعض الأشخاص للرئيس في تكريت، وآخرين عن رؤيتهم له في الرملة وفي كركوك. وتحدث آخرون عن أن هذين الحارسين كانا من أكثر الأشخاص الذين يثق بهم الرئيس صدام حسين.

تركزت التحقيقات بعد ذلك في معرفة كافة التفاصيل عن تحركات هذين الشخصين، وبدأ السعي الحثيث للقبض عليهما.

أدت المعلومات التي ساهم في جمعها كذلك أفراد من المخابرات العراقية، مع الفريق الأمريكي والإسرائيلي، إلى القبض على أحد المقربين من الرئيس في أواخر آب ٢٠٠٣، ومارسوا عليه شتى أنواع التعذيب لمعرفة مكان الرئيس، إلا أنهم فشلوا في بادىء الأمر، ولكن بعد الضغوط النفسية والجسدية العنيفة لمدة ثمانية عشر يوماً متواصلة، اعترف هذا الشخص بأحد المخابىء المهمة في جنوبي بغداد. وشكل اكتشاف هذا المخبأ نقطة جوهرية في مسار الخطة الأمريكية التي التزمت بالسرية المطلقة. وقد وجد هذا المخبأ في منطقة مهجورة ويشبه المخبأ الذي عثر فيه عليه لاحقاً. كان هذا المخبأ داخل غرفة تؤدي إلى حجرة عميقة، وكانت الحفرة التي تؤدي إليها الحجرة العميقة تبدو ضيقة كتلك التي زعموا أنهم وجدوه فيها.

بعد معاينة المكان الذي أحاطوه بالسرية المطلقة، والدخول والخروج منه بحذر شديد من دون المساس بمقتنياته البسيطة، أدرك الفريق الأمريكي والإسرائيلي أنهم قد اقتربوا من صدام حسين، وأحسوا بأنه يتحرك بذكاء شديد خلال زياراته لهذه المخابىء المهجورة. واكتشفوا بأنه يضع علامات دقيقة سرية للتأكد في ما إذا قام أحد بالدخول إلى المخبأ، إذ كان يعتقد أن الأمريكيين سينصبون له كميناً في أحد المخابىء. وقد أكد الشخص المقبوض عليه أنه لا يعلم إلا بثلاثة مخابىء وهي في الرملة وكركوك وجنوبي بغداد، وبالتالي فهو لا يعلم عن مخبأ الدور قرب تكريت الذي زعموا أنهم وجدوه فيه في ما بعد.

تابع الفريقان بدقة وكثافة المخابىء الثلاثة التي أشار إليها قريب صدام حسين. إلا أن المتابعات أكدت بأنه لم يتردد عليها نهائياً، مما تأكد للقوات الأمريكية أن هذه المواقع مهجورة، وأن المعلومات التي أدلى بها قريبه غير دقيقة.

مقابل ذلك، كانت هناك وجهة نظر أخرى تشير لوجود مخابىء أخرى في مناطق متفرقة من العراق يستخدمها لتعذر استخدام مخابىء القصور الرئاسية أو المخابىء الشهيرة التي تتحمل ضربات القنابل الأكثر شراسة.

الجنـرال آروس بيكومـان، أحد أبرز رجال فريق الاسـتخبارات الإسـرائيلية، كان أول من أشـار إلـى ضرورة البحث عن هـذه المخابىء داخـل تكريت والمناطق المهجورة حولها، وخاصة لدى أقرباء الرئيس. فهذه المخابىء يحميها أشخاص يثق فيهم صدام حسين ويتحرك وسطهم بأمان.

كان التقرير الذي أعده آروس مثار بحث دقيق من قبل الاستخبارات الأمريكية وقيادة الفرقة العسـكرية الرابعة المكلفة بالبحث عنه. وقد زودت هذه الفرقة بعناصر من الكومانـدوز الأمريكيين، يدعمهم أربعـة من الطيارين الكوماندوز الإسـرائيليين الذين سيكلفون باسـتخدام طائرات أمريكية لضرب السيارات حال هروبها من موقع القتـال في حالـة إدارة معركة طويلـة، وهذه العملية تشـابه عمليات ضـرب القيادات الفلسـطينية أثنـاء تنقلهـم فـي سـياراتهم. وذكـر آروس في تقريـره أن المـكان الذي سـيختبىء فيه صدام حسـين لا يثير أية شـكوك، وأن الحراسـة الأمنية هي من أقربائه ومن المحيطين به، وتكون بعيدة عنه.

بناءً على هـذا التقرير، توجه الأمريكيون إلى اعتقال أقـارب الرئيس وأصهاره والحـراس القريبين منـه. كان واضحاً أن الخطة الأمريكية الجديدة سـتقود حتماً إلى نتيجة هامة، ولذلك ظلت محصورة في بول بريمر والجنرال ريكاردو سانشـيز وقائد الفرقة الرابعة والفريق الذي سيقوم بعملية التنفيذ.

بدأت القـوات الأمريكية فـي تنفيذ الخطة باعتقـال أقاربه والحـرس المنتمي إلى تكريت بسـرية تامة. وكانت تمارس على المقبوض عليهم كل وسـائل التعذيب النفسـي والجسـدي. وقد اضطر عدد من الذين سـقطوا من آثار التعذيب للتعاون مع الأمريكان، وهم خمسـة أشـخاص، ثلاثة منهم من أقاربه وواحد مـن الحرس وآخر من أصهاره.

كان أحد الأشخاص يمت إليه بصلة مباشرة. وفي تلك الفترة، مرض أحد أخوال صدام مرضاً شديداً، فقام صدام في مساء متأخر من أحد الأيام بزيارتين إلى خاله، وكان يتحرك بثقة كبيـرة حتى إنه اصطحب في الزيارة الثانية ابن خالـه وعمره (٣٥عاماً) إلى أحد مخابئه، وأعطاه مبلغ خمسة آلاف دولار لاستكمال علاج والده.

قبض على هـذا الابن في اليـوم التالي. ومورس عليه أقسـى أنـواع التعذيب، واعتـرف في اليـوم التالـي، واصطحبهم إلى أحـد المواقـع المعينة، ثم أشـار لمنزل مؤلف من طابقين وقال إنه استلم المبلغ من الرئيس خارج هذا المنزل.

قامـت القـوات الأمريكية بمداهمة المنزل، وفتشـوه تفتيشـاً دقيقـاً لمدة ثلاثة أيام في تشـرين الأول/ أكتوبـر ٢٠٠٣. وانتهى الأمر إلى اكتشـاف مخبأ مهم في هذا المنزل. والمخبأ يشير إلى وجود حفرة تؤدي إلى حجرة تتسع لشخص. وكانت هذه الحفرة مغطاة بالحشـائش. وقد عثـر رجال الفرقة الرابعة على آثـار طعام حديثة تدل على أن صدام حسين اعتاد المجيء إلى هذا المنزل.

تأكد للأمريكيين والإسرائيليين بأن «الصيد الثمين» قد اقترب. لذا نصبت عدة كمائن. واسـتمرت المراقبة لمدة أسـبوع من دون جدوى. وهذا الانتظار خلق شـكاً عندهـم أن صدام حسـين ربما علم بالأمر من خـلال رجاله، وهو لا يعـود إلى موقع اكتشفه الأمريكيون.

في اليوم الثامن، كانت المفاجأة عندما اقترب أحد حراسه وهو من أقاربه، من المنزل. ويبدو أنه قد كلفه باسـتطلاع المنزل. دخل هذا الشـخص إلى المنزل، وبعد تفقده غادره.

في هذه الأثناء، تصارع رأيان عند الفرقة الرابعة. إما القبض على هذا الشخص وإجباره على الاعتراف بمكان صدام حسين، أو تتبعه لمعرفة المكان.

حسـم الأمر، وألقـي القبض على الشـخص. عـرّض للتعذيب بطـرق فظيعة، انهار بعدها واعترف بأن الرئيس سـيأتي إلى هذا المكان بعد وقت قصير. وقد ساعد الأمريكان في تحديد المنطقة، الأجهزة الحديثة للاتصالات السلكية واللاسلكية من قبل الفرقة الرابعة. ونشـرت هذه الأجهزة على مسـاحة تقدر بأربعة كيلومترات حول المنطقة التي من الممكن أن يتواجد فيها الرئيس. وكانت هذه الأجهزة قد استخدمت في وقت سابق في أفغانستان، وحققت نجاحاً كبيراً أثرت على شبكة اتصالات تنظيم القاعدة التي اضطرت إلى التخلي عن اتصالاتها سـواء بالهاتف المحمول أو الثابت.

وقد رصدت هذه الأجهزة اتصالاً خارجياً يعتقد أن صدام حسين قد أجراه مع زوجته سميرة الشابندر من هذا المكان، والذي حسم هذا الأمر بأنه صوت صدام حسين هو طارق عزيز (محاولة الدسّ على الأستاذ طارق عزيز) الذي كان يعرف الشخص الموجود على الطرف الآخر من الاتصال. وقد استمر الاتصال لمدة عشر دقائق. كان الرئيس على مقربة من المكان، ويبدو أنه شعر بالخطر، أو أنه شاهد بعض القوات الأمريكية، فابتعد عن المنطقة بطريقة ذكية حين كان الأمريكان على وشك القبض عليه. وكان وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد قد أعلن سابقاً بأن البحث عن صدام حسين هو كمن يبحث عن إبرة وسط كوم من القش. إذ في كل مرة يقترب هذا الصيد الثمين، كان صدام حسين ينجو بأعجوبة.

يوم الجمعة في ١٢ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣، وفي بغداد وتحديداً في منطقة العرصات/ الكرادة، لاحظت القوات الأمريكية حركة غير اعتيادية في دار قريبة، فاقتحمت تلك الدار التي كانت بيت دعارة، واعتقل كل من كان فيها. ولم تطلق رصاصة واحدة من الطرفين. فتحت التحقيقات مع الجميع بعد اصطحابهم لأحد المواقع العسكرية الأمريكية. وتوقف رجال المخابرات عند أحد الأشخاص ويدعى محمد إبراهيم المسلط الذي قال إنه كان عقيداً في الجيش. وبعد التدقيق في أجهزتهم الإلكترونية، وجدوا تطابقاً في المعلومات بين اسمه والمعلومات المخزنة لديهم ما عدا عنوان العمل. كان الأمريكان يبحثون عن هذا العقيد للوصول إلى «الصيد الثمين». فقاموا بإجراء تحقيق (خاص) معه من دون ذكر نوع هذا التحقيق وخاصيته. وقد أكد لهم أن صدام حسين موجود في مكانين في قضاء الدور الذي يبعد مسافة ١٨٠ كلم شمال غرب بغداد. وعلى الفور، جرى الاتصال بقائد الفرقة الأمريكية المكلفة بالمطاردة، الكولونيل جيمس هيكلي، ووضعت الاستعدادات القصوى تحسباً لأية عملية من قبل المقاومة. وقد نقل العقيد إلى تكريت بطائرة عسكرية، حيث أخضعته شعبة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية إلى تحقيق (خاص) اعترف إثره بكل ما لديه من معلومات.

عصر يوم الجمعة في ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٣، وفي الساعة الثالثة بالتحديد، تحرك

ما يزيد عن خمسين عجلة أمريكية يرافقها غطاء جوي كثيف، مع أفواج من الخيالة والقوات الخاصة الأمريكية وقوات المارينز وأدلاء عراقيين مع مترجمين وبعض أفراد البيشمركة من حزب الاتحاد الوطني الكردستاني التابع لجلال طالباني، بالإضافة إلى العقيد الذي اعتقل في بغداد.

طوّقت المنطقة، وفرض حصار شديد عليها. أشار لهم العقيد إلى الدار الأولى، ففتشوها بدقة، لكنهم لم يعثروا على الهدف. لكنهم بالمقابل وجدوا سيارة أجرة بلونين الأبيض والأصفر، وهي قديمة جداً. بالإضافة إلى دراجة نارية وحصان. ثم أشار لهم العقيد إلى دار قديمة متواضعة في المزرعة، وقال إن الرئيس موجود في داخلها. على الفور اعتقل شخصان وفتشت الدار، فوجدوا أطعمة قديمة وأخرى معلبة مع مبلغ ٧٥٠ ألف دولار حسب ما أعلن الجيش الأمريكي.

(حسب روايات كثيرة فإن المعلبات التي وجدت كان يستعملها فقط الجيش الأمريكي).

حين كانوا على أهبة الخروج، لاحظ أحد الجنود صخرة تتحرك تحت قطعة سجادة. وبعد أن رفعت بعض الحشائش والأتربة من فوق الصخرة، رفعت باستخدام المعاول والمجارف!! فإذا بالفتحة التي تؤدي إلى «حفرة العنكبوت» والتي لا تتسع إلا لشخص واحد. كان هناك شخص ممدد، قال للجنود باللغة الانجليزية: «أنا الرئيس صدام حسين». أخرجه الجنود وكان يحمل مسدساً. نقله الجنود إلى القاعدة الأمريكية في تكريت، ثم نقل بطائرة عسكرية أمريكية حيث مكان اعتقاله قرب مطار بغداد الدولي.

جرى التعرف عليه من خلال بعض مساعديه الذين أكدوا أنه هو. وعلى الفور، أبلغ وزير الدفاع رمسفيلد، والرئيس الأمريكي والجنرال أبي زيد، قائد العمليات الأمريكية الوسطى.

وتقول بعض المصادر إن الرئيس بوش طلب إحضاره برفقة بريمر إلى البيت الأبيض على الفور، وطلب عدم إعلان ذلك.

وحسب الرواية الأمريكية، فقد اصطحب، في سرية تامة، إلى مكان في العاصمة الأمريكية. وأثناء نقله كان يحقن بجرعات مخدرة من إنتاج إسرائيلي.

كان بوش يريد أن يرى صدام حسين مكبلاً. وكان يريد كذلك أن يخاطب العالم، بعد وضعه في قفص حديدي خلف باب يفتح أوتوماتيكياً. ثم ما إن يبدأ خطابه حتى يعلن المفاجأة بالقول هذا هو الشخص الذي حيَّر العالم. ثم يفتح الباب ويظهر صدام حسين داخل القفص بوضع مزرٍ. إلا أن كولن باول وأغلب رجال البنتاغون رفضوا ذلك لأنها ستكون رسالة استفزاز موجهة لكل الشعوب العربية. تم إعادة صدام حسين إلى مطار بغداد. بعد ذلك أعلن خبر القبض عليه.

وخبر نقل الرئيس إلى أمريكا لم يؤكده أو ينفه أحد.

هذه هي الرواية الأمريكية لكيفية أسر الرئيس صدام حسين.

الرئيس يروي قصة أسره

حين انتهيت من رواية هذه القصة للرئيس، ضحك وقال:

«الأمريكان أساتذه في الدبلجة، وكنت واثقاً أنهم سيحرفون الحقائق. فقد أرادوا أن يقدموني للعالم بطريقة غير لائقة ليقولوا للعراقيين هذا هو رئيسكم، ويقولوا للعرب هذا بطل قوميتكم. هذه هي طريقتهم، طريقة أفلام الكاوبوي السخيفة التي اشتهروا بها. وهم خبراء في ذلك. وقد رأينا ما حصل عندما أنزلوا قواتهم في بنما واختطفوا الجنرال نورييغا وحاولوا تشويه سمعته، وأساليبهم معروفة لكل العالم. وها أنا أروي لك القصة الحقيقية ، وأنفي نفياً قاطعاً معظم ما ورد في الرواية الأمريكية وخاصة الاسم الذي ذكروه بأنه هو الواشي، فهذا الشخص لدي ثقة كبيرة فيه، والأمريكان يريدون خلط الأوراق والتمويه على الخونة الحقيقيين الذين سلموني للغزاة».

ثم بدأ الرئيس يروي تفاصيل أسره، فقال:

«كنت أتردد على دار أحد الأصدقاء في قضاء الدور في محافظة صلاح الدين. وقد اخترت هذا المكان لأنه المكان ذاته الذي لجأت إليه في عام ١٩٥٩ وعبرت نهر

دجلة عندما شاركت في الهجوم على موكب الزعيم عبد الكريم قاسم. وهو يقع على نهر دجلة، وبالقرب منه أحد القصور الرئاسية في الضفة الثانية.

«كان صاحب الدار صديقاً أثق به ثقة كبيرة هو قيس النامق، وكنت آنذاك أكتفي باصطحاب اثنين من أفراد حمايتي من المقربين لي كي لا أثقل على صاحب الدار، ولكي لا تكون الدار هدفاً مرصوداً للقوات الأمريكية. ودرءاً لأي طارىء، قمنا بوضع دراجة نارية وحصان وزورق جاهز في النهر أمام الدار على نهر دجلة لكي نستخدمها جميعاً عند الحاجة. فإذا جاء الأمريكان من جهة الصحراء نقوم باستخدام الزورق. وإذا جاءوا من جهة النهر أو الشارع، نستخدم الحصان ونسلك الأراضي الزراعية. وإذا ما أتوا من الأراضي الزراعية، فيمكن لنا أن نسلك بواسطة الدراجة النارية طريق الصحراء. وقد أعددنا العدة لكل حالة. ثم زيادة في الحذر، قمنا بإنشاء ملجأ تحت الأرض كي نلجأ إليه في الحالات الطارئة، ويشبه الملاجىء التي كنا نساعد العراقيين في إنشائها في زمن الحرب العراقية الإيرانية.

«كنت أمضي وقتاً في هذا البيت أكثر من أي مكان آخر. ففي أحد الأيام، كنت في أماكن بعيدة ولعدة أيام أتفقد بعض فصائل المقاومة وبعض دور العراقيين. عدت لهذه الدار وأنا منهك من التعب. كان الوقت عصراً، فأخذت المصحف الشريف وقرأت بعض الآيات، وبقيت حتى الغروب. كانت زوجة هذا الصديق تعد لنا الطعام. وعندما حان وقت الصلاة، أطبقت المصحف واتجهت إلى مكان الصلاة، فإذا بصاحبي يأتي راكضاً من خارج الدار صائحاً: لقد جاؤوا، مكرراً هذه العبارة عدة مرات. فتساءلت عمن يكونون، فأجاب: الأمريكان.

وعلى الفور نزلت إلى الملجأ، وبعد دقائق اكتشف الأمريكان مكاني، فقبضوا عليَّ من دون أية مقاومة مني، بل لم أضع في حسابي مقاومتهم والسبب هو أنني قائد، ومن جاؤوا كانوا جنوداً وليس من المعقول أن أشتبك معهم وأقتل واحداً أو أكثر منهم وبعدها يقومون بقتلي. فهذا تخل عن القيادة، والشعب وضع ثقته فينا رئيساً وقائداً وليس جندياً. لكن لو كان بوش معهم لقاتلته حتى أنتصر عليه أو أموت.. قبل القبض عليَّ، تكوّنت لدي بعض الملاحظات على صديقي صاحب

الدار[1]. فقبل أسبوع من الاعتقال، بدا لي شارد الذهن، وقد بدأ وجهه يتغير وتصرفه غير طبيعي. ومن شدة ثقتي به، لم يساورني أدنى شك في احتمال أن يغدر بي. بدا لي في بعض اللحظات أنه خائف ومرتبك. ومع الأسف، فإنه ركب الهوى وتبع الشيطان، وربما هي الغنيمة التي وعده بها الأمريكان. أما أنا، فلم أكن أملك مبلغاً كبيراً من المال لأتحسب للخيانة مكاناً. كان كل ما معي هو مليون ومئتان وثمانون ألف دينار أدير بها بعض عمليات المقاومة .. لذا، عليكم أن تخبروا العراقيين أن قيس النامق وأخوانه هم الذين وشوا بي.

«وأنفي كذلك نفياً قاطعاً ما قيل حول تعرضي للتخدير. فهذا جزء من مسلسل الكاوبوي الأمريكي. والحقيقة أنني لم أكن مخدراً، ولم أتناول طعاماً أو شراباً لا في الأيام الأولى لاعتقالي ولا بقية الأيام. وما يتعلق بتساؤلات الناس بأنه جرى نقلي إلى الولايات المتحدة، فإنني لم أتناول أي شيء أفقدني الذاكرة أو أية مادة منومة. ومكاني لم يتغير سوى أنني انتقلت إلى المكان الثاني حيث كنت في البداية قريباً من ساعة بغداد حيث المعتقل الأول. وأنفي ما قيل حول نقلي إلى جزيرة سانتياكو. المكان الوحيد الذي انتقلت إليه هو مستشفى إبن سينا هذا العام، حيث أجريت لي عملية جراحية «فتق» من دون تخدير ليسببوا لي آلاماً شديدة، إلا أنني تحملت بصبر كبير. كانوا يريدون لي أن أضعف، إلا أنني قمت من العملية ومشيت بشكل طبيعي متحدياً ظلمهم لي، وقلت أهذه هي إنسانيتكم وديمقراطيتكم .. ثم إنهم ينقلونني أحياناً إلى المستشفى حين تستدعي حالتي الصحية ذلك. وأكرر إنني ولدت في العراق، وسأبقى فيه وأموت وسط شعبي، ولن أخرج من معتقلي إلا إلى حيث اختارني ربي.

«أما تاريخ القبض علي، فكان في اليوم الذي عدت فيه إلى بيت هذا الصديق

---

(١) يذكر الرئيس صدام حسين في واحدة من أوراقه بأن شكوكه حول قيس النامق قد ازدادت في الآونة الأخيرة قبيل اعتقاله. ومن هذه الشكوك، أنه طلب من النامق أن يضع حواجز وعراقيل من الحجارة على الطريق المؤدي إلى المزرعة. وكرر هذا الطلب أكثر من مرة، ولم ينفذ طلبه. بالإضافة إلى أنه لاحظ في الأيام الأخيرة أن النامق قام بتركيب مصباح كهربائي كاشف على سطح الدار. وكان الرئيس قد لاحظ أيضاً وقبيل اعتقاله بأن الأموال التي دفنها في المزرعة التي تعود لقيس النامق والبالغة ١٢٨٠٠٠٠ دولار، والتي كانت مخصصة لفصائل المقاومة، قد فقدت.

فـي ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٣، وقبـض علـي قبل صـلاة المغرب. أمـا صورة النخلـة والتمر التـي أظهرها الأمريكان، والتـي أنكرها الكثيـرون باعتبار أننـا في فترة الشـتاء، فقد كانت حقيقيـة. وهذا ليس بالأمر العجيـب. فالعراق زاخر بأنـواع مختلفة من التمور التي يتأخر ثمـار بعضها في النضـوج، وبعضها يبقى كزينة على الشـجرة لعدم حاجة أصحابها لها.

(لدينـا تسـجيل موثـق بصـوت الرئيـس صدام حسـين فـي إحـدى جلسـات المحاكمة وهو يذكر أسـماء الأشـخاص الذين وشـوا به. ونحن بدورنا نتسـاءل هل وجد أشـخاص خـارج معرفـة الرئيـس مرتبطيـن بهذا الشـخص الواشـي وبتنسـيق مع الأمريكيين؟).

الاعتقال والتعذيب وأول الزائرين

«حين ألقوا القبض عليَّ مباشـرة، سـمعت أحدهم يقول: الرئيس بوش يسـلم عليـك. ثم قـام مترجم أمريكـي يتحـدث باللهجـة العراقيـة، وانهال علـيَّ بالضرب المبـرح، وبعبارات بذيئـة. وأخذ بعـض الجنـود الأمريكيين ينهالون علـيَّ بالضرب بأعقـاب البنادق. ثم اقتادونـي بطائرة عمودية إلى بغداد حيث استمر تعذيبي بطريقة غير معقولة. كانت ذقني طويلة وكذلك شـعر رأسـي. وعندما أحضـروا الطبيب، بدأ يفحصني، وكنت أشـير له على فكي إذ توقعت بأن فكيّ قد كسـر من شـدة الضرب. وكان يبحث في فروة رأسـي عن كدمات حدثت من شدة التعذيب. كنت منهكاً جداً، فالموقف لم يكن سـهلاً أبداً. ثم حلقوا شـعري وذقني. وجاءوا إليَّ بثلاثة أشخاص عرفـت من بينهم عدنـان الباجه جي لأنه كان وزيراً سـابقاً للخارجيـة العراقية. وهذا الرجل سياسـي. سـألني: ما الذي فعلته بالعراق يا صدام ؟ وبدوري سـألته: ما الذي جاء بك مع هؤلاء وأنت رجل سياسي ولك تاريخ؟.

«ثـم قدموا لـي الشـخص الآخر، والـذي على مـا أذكر، لـم يتكلم. قالـوا إنه أحمد الجلبي.

أما الشـخص الثالث، فكان موفـق الربيعي الذي بقي خارج السـور، أي كان بيني وبينه أسـلاك شـائكة. كان يتحرك ذهابـاً وإياباً ويقول: اللعنـة عليك يا صدام،

بالإضافة إلى كلمات بذيئة. ثم سألني: هل تستطيع الآن الخروج إلى الشارع ؟ فقمت من مكاني لألقنه درساً، لكن الأمريكان أمسكوا بي. قلت له: هذا شعبي، وأستطيع أن أخرج إليه وأواجهه في أي وقت، ولكنني أتحداك أنت أن تخرج إلى الشارع. وبعدها، كما لاحظتم، قابلني القاضي الجوحي. لم يقابلني أحد غير هؤلاء سوى الأمريكان من الحراس والضباط. وزارني الصليب الأحمر ثلاث مرات، وكنت مستاءً منهم، لأنهم لا يقومون بدورهم المحدد وواجبهم وفقاً لاتفاقيات جنيف. فلم تكن زياراتهم لي ذات فائدة، وإذا استمروا على هذا الحال، فإنني لا أرغب في لقائهم. وقد سلموني رسالتين إحداهما مؤرخة في شهر آب ٢٠٠٤، وهي مثل سابقتها، شطب من محتوياتها سبعون بالمائة.. » ورداً على سؤالك إن كنت قد التقيت بأحد من رفاقي، فأقول إنني لم ألتق بأحد، ولا أعرف مكان اعتقالهم ولا أحوالهم. وقد أبلغني قبل فترة أحد الضباط الأمريكان أن ابن عمي علي حسن المجيد قال إنني لم أكن شجاعاً. وكرر هذه العبارة، فتجاهلته بالكامل، واعتبرت هذا الكلام من باب الفتنة التي يجب الحذر منها، ونوعاً من الاستدراج في التحقيق.

«من خلال التحقيقات التي أجراها الأمريكان معي، كانوا يسألونني باستمرار عن مكان أسلحة الدمار الشامل. وكنت أقول لهم إسألوا أنفسكم، وأنتم تعلمون يقيناً بأنه لو كان لدي أسلحة دمار شامل، لما أقدمتم على غزو العراق واحتلاله. ثم سألوني أين أخبيء أموالي الكثيرة، واتهموني بأن رصيدي تجاوز الـ ٣٦ مليار دولار، فقلت لهم: فتشوا مصارف العالم واحداً واحداً، وانبشوا الأرض تحتكم، فلن تجدوا شيئاً لأنكم تعلمون بأن ليس لصدام حسين حسابات حقيقية أو وهمية. وأنتم على معرفة بوضع عائلتي، وجزى الله عنا خير الجزاء من آواهم وأعالهم.

أسئلة كثيرة سخيفة طرحوها علي، شعرت من خلالها بتخبطهم في التحقيق، وبأنهم في ورطة حقيقية. لذلك أجدهم يبحثون عن أي حل يحفظ ماء وجوههم».

زنزانة الرئيس

بعد أن تحدث الرئيس صدام حسين عن قصة أسره عندما كان في الدار التابعة للمزرعة، ثم نزوله إلى الملجأ أو السرداب كما كان يسميه أحياناً، ساورني شك بأن هناك حلقة مفقودة لا يعلمها الرئيس وهو ما جرى خارج الدار، لأن الفترة بين إخباره بقدوم الأمريكان ونزوله إلى الملجأ يستغرق وقتاً لا يقل عن عشر دقائق، وخروجه من الملجأ لا يتم إلا بمساعدة أحد، كما أن الحفرة التي أظهرها الأمريكان على أن الرئيس كان مختبأ فيها (إن لم يكن قد تم تغييرها بأخرى)، ما هي إلا مدخل صغير يؤدي إلى الملجأ. فمن باب الإساءة للرئيس وضعوه في مدخل الملجأ وليس الملجأ نفسه، وبعدها انهالوا عليه بالضرب المبرح الوحشي مع سبّه وشتمه، مما أفقده توازنه، خاصة وهو يقترب من السبعين من عمره، فسقط مغمى عليه. ثم قاموا بعدها بنقله إلى القاعدة الجوية الأمريكية في تكريت، وبعدها نقل على عجل إلى بغداد بطائرة مروحية. واكتملت فصول المسرحية بإظهاره بالطريقة التي رآها العالم حيث الطبيب يفحص فكه، والرئيس يشير إليه للتأكد من سلامة فكه بعد أن تعرّض لأقسى أنواع الضرب على وجهه. كما أن الطبيب كان يفحص فروة رأسه بحثاً عن كدمات. وحين سألته إن كان وقتها أو قبلها مخدراً، أجاب بالنفي وبشكل قاطع وقال: «كنت قد تعرّضت لتعذيب وحشي أفقدني صوابي». لذلك فإن مجرد ذكر موضوع الوشاية كان يؤلمه بشكل كبير.

والرئيس صدام حسين يعرف مكان اعتقاله، ويعرف تفاصيله. وهو كما يقول:

«عبارة عن غرفة مساحتها ٣×٥ متر، نوافذها عالية تحت السقف مباشرة. في أحد زوايا الغرفة حمام ودورة مياه. ويخرجونني يومياً لمدة ساعة واحدة إلى قاعة مساحتها بحدود ١٠×٥ متر، سقفها مشبك أرى من خلاله السماء، لكنهم وضعوا عليه لاحقاً «جادر» (نوع من القماش الخاص)، وتركوا لي فتحة عليا بمساحة مترين فقط أسمع من خلالها أصوات الانفجارات وأزيز الطائرات. كانوا يخرجونني يومياً صباحاً إلى الجب لأنه يشبه بئر يوسف ملحق ببيت النور. وهو عبارة عن جدران عالية تحيط بمساحة أرضية لا تزيد عن ٢٥×١٠ متر مغطاة بتشبيك من الأسلاك الحديدية

تعلوه خيمة، وتركوا جزءاً مكشـوفاً منها لأرى السـماء من خلال هـذا الحديد. كانوا يخرجونني إلى هذا المكان من خلف أربعة أبواب حديدية..

«وأتساءل: هل يهم السجين إن كان لسجنه شبابيك أم لا، أو أن تكون الأبواب التـي يتعداها خمسـة أو عشـرة أو واحـداً.. إنكم تعرفـون مدى صبري. فهـذا ثواب لحسنات وتكفير عن سيئات. والحمد لله على وعده».

الزمن يمرّ مسـرعاً، وأنا أخشى أن أنظر إلى سـاعتي، وأخشى أن يأتي الضابط ليبلغنـي بانتهـاء الوقت. تمنيـت للحظة أن تتوقف عقارب السـاعة. لكـن الزمن يمر ويمر بسـرعة رغماً عنا وعما يعتري داخلي من الشـوق .. فكيـف إذا كان هذا الزمن محدداً مع رئيسي صدام حسين.

بين المصحف والعائلة

كنت قد أحضرت للرئيس مصحفاً من بيتي، فشـكرني عليه. وقد لاحظت أن المصحـف الذي بين يديه محروق من إحدى زواياه. استفسـرت من الرئيس عن هذا المصحف، فقال لي :

«بعـد اعتقالي بأيـام، أخذوا منـي نظارتي الطبيـة، ولا أعـرف مصيرها. وهذا المصحف لي قصة معه. عندما كنت أزور الناس في مختلف الأماكن والمحافظات، وبعـد بناء دور الضيافة، أمـرت بوضع مصاحـف في كل غرفة مـن غرف الدور. وبعد اعتقالي، جـاءوا بي إلى أحد الأماكن التي لا يوجد فيهـا دورات مياه داخلية، فطلبت الخروج لقضـاء الحاجة. فقاموا كعادتهم بوضع قطعة قماش على عيني، لكنني كنت أرى من خلالهـا. اقتادوني إلى أحد الأماكـن المدمرة الملحقة بالـدار التي أقيم فيها الآن، والتـي دمرت نتيجة القصف، فوجدت هذا المصحـف مرمياً على الأرض وقد التهمت النار جزءاً من زواياه. فرحت به كثيراً، وسمحوا لي بأخذه. وفي غرفتي وجدت أن الصفحـة الأولى والصفحـة التي فيها سـورة (الحمـد) قد اقتطعتـا نتيجة القصف. فأخذت قطعة حلوى لدي وبللتها بلعابي وكتبت عليها بدل الصفحات الناقصة، البسملة وسـورة الفاتحة. والآن أقرأ بهذا المصحـف، وأعتز به كثيراً لأنه من مصاحفي القديمة، وأتذكر فيه كيف كنا وكان العراق .. الحمد لله .. الحمد لله على كل حال».

هنا نبهنا الضابط الأمريكي أنه لم يتبقّ من وقت المقابلة إلا ربع ساعة. سألت الرئيس إن كان يرغب في أن يبعث برسالة إلى عائلته، فأجابني:

«إن كنت تقصد عائلتي الأربع أو الخمس أنفار، فإنني أقول لك إن عائلتي هي العراق كله والأمة العربية كلها. بلّغ سلامي إلى شعب فلسطين والعراق والأردن والأمة كلها وكل الخيرين في الإنسانية، ولا بأس أن تسلم لي على عائلتي الصغيرة. وبلّغ سلامي إلى كل زملائك المحامين وإلى عشيرتك وإلى أمك التي أنجبتك، وقبّل رأسها عني، ودير بالك على نفسك».

* * *

لملمت أوراقي، وعانقته مودعاً وقبّلت يديه. شعرت بالألم يعتصرني وأنا أغادره .. شعرت أن نصفي المهني يغادره والنصف الإنساني الذي جبل بتراب العراق وحب رئيسه يريد أن يبقى معه. وتساءلت كيف أتركه بين أيدي الغزاة، وأعلل النفس بأنه حر بإرادته، بصلابته، بكل إنجازاته التي حققها للعراق الحبيب، العراق الذي عشقه الرئيس، وما كان يملك سوى هذا الحب الذي شغل حياته. فالعراق في دمه .. قائد عظيم لم يهرب من الميدان .. لم يعثروا له على أموال في البنوك .. قال لهم الحقيقة أن لا أسلحة دمار شامل في العراق، وصدق وكذبوا هم ...

حين كنت أودعه، قال لي بنبرة أبوية دافئة:

«الحمد لله الذي وهبني إبناً ثالثاً. وللمرة الثانية أقول بلّغ سلامي إلى أسرتك وأطفالك، وأن تقبل رأس والدتك، وقل لها: لقد أنجبت رجلاً شجاعاً، لأن مهمتك وأخوانك صعبة وفي غاية الخطورة .. حماك الله يا ولدي، وفي أمان الله ..».

لم أتماسك .. انهالت دموعي، شعرت فيها طعم ونقاء دجلة والفرات. قلت في نفسي: هي بعض من الوفاء لك. يملؤني الفخر بك. سأواصل الدفاع عنك ولو كلّفني ذلك حياتي.

حين غادرت الرئيس، طلب مني الضابط الأمريكي التوجه إلى العربة ذاتها وسط عجلات الحماية العسكرية الأخرى. وفي طريق العودة، توقفت العربة، وإذا بضابط أمريكي طويل القامة، أحمر الوجه يسألني عن زيارتي للرئيس صدام حسين

بعد أن عرّفني بنفســه ورتبته وهو قائد المعتقل. رغبت بالنزول للتحدث بأمور تتعلق بالرئيـس، لكنه رفض كي لا أحدد مكان الاعتقال وقال: سنســهل مهمتك في زيارته، لكن لا تبح لأحد عن مكانه، فسماء العراق مليئة بالأقمار الصناعية، ونخشى أن تقوم بعض الـدول بإعطاء معلومات عـن مكانه لدول أخرى التي مـن الممكن أن تقصف مكان الاعتقال، وعندها ستتحمل أنت المسـؤولية. رددت عليه بأن حياة هذا الرجل تهمّني وتهمّ شـعب العـراق أكثر منكـم، وأنا أحـرص على ذلك. ثم شـكوت له من الحواجز ونقاط التفتيش الأمريكيـة التي قد تعرقل وصولي في الوقت المطلوب إلى مكان الرئيس. فأعطاني رقم هاتفه الشخصي للاتصال عند الضرورة.

أعلـن الأمريكان بعـد زيارتي هذه للرئيس أنهـم فجّروا الدار التـي كان يعتقل فيها، وأنهم غيّروا مكانه. ثم قاموا بقطع خط الاتصال الساخن الذي زوّدني به الضابط الأمريكـي. ثم تبين لاحقاً أن الأمريـكان لم يفجّروا أو يغيّروا مـكان اعتقال الرئيس، وإنما أجروا بعض التغييرات على الدار كوضع أشـكال وأدوات تمويه لإخفاء معالم المـكان. وقد أخبرني الرئيـس لاحقاً بذلك قائـلاً: «المكان هو نفســه، بحيرة النور، وخلوا فوكاه (ووضعوا فوقه) غش للتمويه».

الرئيس واستخدام الهاتف

في السنوات التي كنت قريباً فيها من الرئيس خلال فترة اعتقاله، علمت منه أنه ما كان يحبذ اسـتخدام الهاتف لأسـباب أمنية، خاصة بعد عـام ١٩٩٠، حيث غصت سماء العراق بالأقمار الصناعية، وانتشرت آليات التجسس الأمريكية والمعادية. وقد قال لي إن علينا التعامل مع الهاتف بحذر، وقال: «لا أتذكر أنني اسـتخدمت الهاتف بعـد عـام ١٩٩٠ إلا مضطراً، إمـا اختصـاراً للوقـت أو لقضية إنسـانية. أمـا القضايا الأخرى والمهمة فكنت أستخدم التبليغ الشفوي أو التحريري مع أخواني في القيادة أو مع السكرتير».

وكان الرئيس يؤكد علـى خطر اسـتخدام الهاتـف وخاصة اللاسـلكي وقت الطوارىء والحروب، «لأن استحضارات العدو تعتمد على المعلومات الاستخبارية التي يحصل عليها في ميدان المعركة أو في عمق الخصم عن طريق استخدام وسائل

الاتصال. ولذلك تعتمد الجيوش على الكلام المشفر للتمويه على تنصت العدو أو ما يحدثه من خرق .. حتى في اجتماعات القيادة، لا أذكر أنني استخدمت الهاتف في تحديد اجتماع أو طلب حضور أخواني في القيادة. وكان يتم ذلك عن طريق تبليغنا السكرتير خطياً أو شفوياً».

2-I

بسم الله الرحمن الرحيم

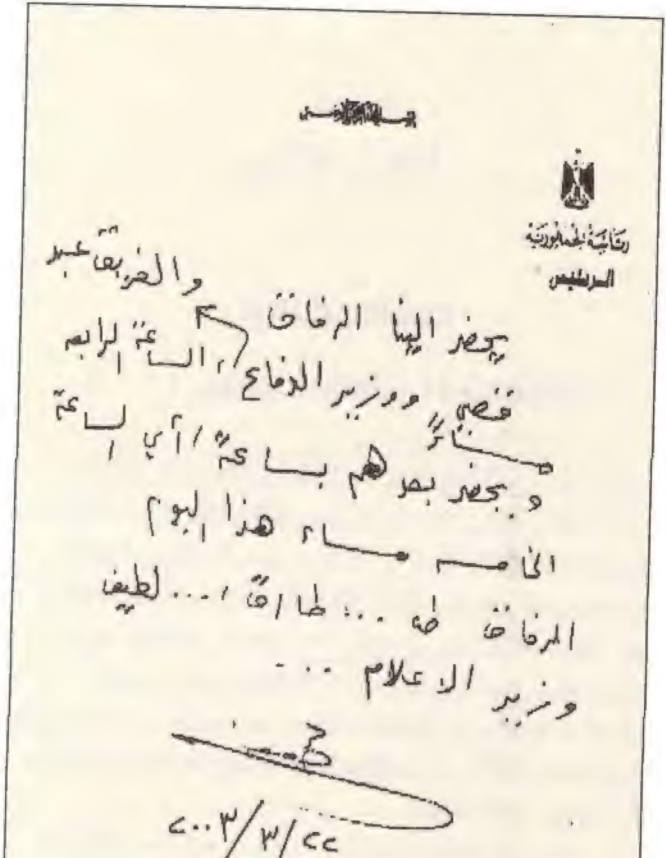
"ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة"
صدق الله العظيم

أعيش في بيت النور – البيت الواقع الى اليسار للداخل الى
البيوت الثلاثة وهو يدخلها من خلال الجسر القصير على بحيرة النور
وأظن أن البيت الكائن الى اليمين مقصوف أو متفجر ضرباً أيضاً
ذلك لأنه محجوب بجدار على وفق ما هو معمول به لتغيير معالم
الدور تمويهاً ، ولكن هل يمكن التمويه على صانعه ما تمويهه
على أية حال أعيش في غرفة عملت على جزء من غرفة الاستقبال
وهي عبارة عن ٣ × ٥ داخلها المرافق الصحية
غيروا جزءاً من الغرفة والأرضية كونكريتية وقد غطوا سقف
الجزء الباقي من غرفة بغلين ، لكي لا يظهر النقش وأن هذا الجزء
مخصص للطبابة الخاصة بي مع عدد للحرس يرابطون عند باب غرفتي
بصورة دائمة ، ويفصل غرفتي باب حديد مغلق ووسطه نقبتان
حديد طولية - أي أن الحرس يرونني من مكانهم وأنا داخل الغرفة
ودون غرفتي اعتباراً من المدخل حتى باب غرفتي ثلاثة أبواب
حديد صماء ، إنهم يفعلون هذا لأنهم يخافون حتى من خيالهم
وعندما أقابل المحامين أنقل في مدرعة عسكرية صماء ، على من الفزع
أن ام صعفوا من الداخل أو الخارج ، وكانوا سابقاً يقفون على
رؤوسنا عندما أقابل المحامين ، ولكنهم الآن يراقبون غرفة المقابلة



من اثنين عبر بابين متقابلين وفي كل باب منهما فتحة تسمح لكليهما
النظر مع جلستنا داخل الغرفة بالإضافة إلى الرقابة الالكترونية
داخل الغرفة ... على أية حال
يضغط على نفسي لا هذا ولا غيره، وأنا ليس مبتئس ولا حزين
ولا يضغط علي سوى ما يصيب شعبنا من أذى جاوز أسوأ التوقعات
أما السجن فليس جديداً علي كما ... ولم أشعر
بثقل الإجراءات التي وصفتها لك وهي بوجه عام أخف من إجراءات
خط البداية ... أيضاً إن صبر المؤمن في إيمانه ويقينه بأنه
على حق وتفاؤله بالله بأن النتيجة الحتمية انتصار العراق وهزيمة المعتدي
ولقد بانت طلائعها جلياً وهم يعيشون حيرة الأمر وتشوش الطريق
وهبوط الهمة وتدهور العزيمة وغياب التفاؤل صاروا يتوهمون...
بفشلهم وصار العراق ومن يدعو إلى السلام معه إنما هو صاحب
الفتح المطلق، حتى إن قائد العدوان دعا من يحكمهم بالحكومة
هنا إلى إطلاق سراح المعتقلين جميعاً بلا قيد أو شرط وأعطوا
لذويهم هنا مهلة شهرين لإنجاح ما يسمونه بالأمن بالمصالحة
والسيطرة على أمن البلاد، ولكن كل هذا هراء فالمقاومة مع
كل يوم يمر يشتد عودها ويستوي ساعدها ورميها وأصوات الانفجارات
والقصف المدفعي أسمعه يومياً وفي الليل والنهار ... ولكن البلاء
وهو خطأ غريب يتعلق بالقضية... على أية حال وبغض النظر
عن التفاصيل الأخرى فأنا أدرك أن الفرج قريب بإذن الله، وما
...

هذه مقتطفات من رسالة كتبها الرئيس صدام حسين في ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٦ يصف معتقله وظروف الأسر والمقاومة وفشل الاحتلال وانهياره الحتمي، وقد اضطررت لحجب بعض السطور لاعتبارات شخصية تخص الرئيس.



صورة عن رسالة الرئيس صدام حسين الخطية يدعو فيها الرفاق إلى اجتماع

الفصل التاسع

صدام حسين
وأحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١

سُئلتُ أكثر من مرّة، لماذا لم نبعث بتعازينا إلى بوش بكارثة ١١/٩؟ فكان جوابي هذا إجرام بحقّ العراق والعراقيين، فطائرات بوش تقصف وتدمّر كلّ ما في العراق، وتقتل العراقيين أطفالاً ونساءً وشيوخاً، وتفرض حصاراً ظالماً على العراق راح ضحيته أكثر من مليون ونصف مليون عراقي. وقد حُرّم على الأطفال حليبهم وعلى تلاميذ المدارس القرطاسية وأقلام الرصاص وغيرها.
وقد قلت لإخواني في القيادة: ما الذي يجعل صدام مُلزماً بأن يبعث برقية عزاء إلا أن يكون ذلك انتقاصاً بحقّ العراق والإنسانية، أو ما يسمّى ضُعفاً ونفاقاً؟

ونحن لسنا ضعافاً ولا منافقين. ووافقت عوضاً عن ذلك بأن يبعث الأُستاذ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء برقية إلى صديقنا رمزي كلارك تضمنت مواساة باسم حكومة العراق، إليه ومن خلاله إلى الأسر المنكوبة.

(من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل)

وتتوالى اللقاءات مع الرئيس، وفي كل لقاء يتجدد الشوق للقاء آخر، والأسئلة تتزاحم في رأسي، خاصة والأحداث التي مرت على العراق والعالم كثيرة والتآمر على العراق يزداد.

سألت الرئيس: زلزال أيلول، أو ما يعرف بالحادي عشر من سبتمبر، الولايات المتحدة البلد الذي لا يقهر، ضرب في عمقه. كنا نعتقد أن (نملة) عابرة لن تستطيع أن تخترق حدوده ... هل كان زلزال أيلول المرئي هو الستار لما سيجري لاحقاً من العدوان على أفغانستان ثم العراق ؟

نظر الرئيس إلى البعيد، كأنه يقرأ الأحداث أمام عينيه:

« كنت في أحد المواقع الخاصة مساء ذلك اليوم، وتحديداً في حوض السباحة . كانت المنطقة مغطاة بالأشجار الكثيفة وكنت أفضل موقعاً كهذا، حيث إنني لا أطيق الجلوس تحت السقوف الكونكريتية، أو في المكاتب. دعوت أحد أقربائي للسباحة معي، لكنه فضّل أن يجلس في المكان المخصص للجلوس. وحين كنت أسبح ذهاباً وإياباً، سمعت صوت التلفاز قد علا قليلاً، وأحد الجالسين يقول إن حدثاً ما قد وقع. وفجأة حضر أحد المراسلين وكأنه كان يريد أن أسأله أمراً. كانت الساعة على ما أذكر تقارب السادسة والنصف مساء. سألته عما يريد. قال: سيدي، سمعنا بالأخبار أن هناك هجوماً بالطائرات على أمريكا، ويعرض المشهد الآن على شاشة التلفاز ... واصلت السباحة. وبعد نصف ساعة، خرجت وارتديت ملابسي، ثم تناولت الشاي.

«في أثناء ذلك، حضر بعض الأصدقاء وسمعتهم جميعاً يتحدثون عن الحادث الغريب. وحتى تلك اللحظة، لم أكن قد شاهدت الحادث. ثم جلست أتابع معهم، وأستمع لأحدهم يقول إنها لعبة مدروسة، وأن الطائرات التي ضربت البرجين كانت موجهة بموجات خاصة. وآخر يقول إنها طائرات تجارية. والبعض يضيف كذا وكذا. كنت أستمع من دون أن أعلّق. قلت في نفسي بعد أن شاهدت الناس يهربون مذعورين، ما ذنب هؤلاء الأبرياء.

صدام حسين: ١١/٩ عمل غير صحيح وغير مبرر

«تناولت العشاء مع ضيوفي، ونحن نتابع المشهد يتكرر على شاشات التلفزة. قلت، إنه حادث غريب فعلاً، **وقد تسبب في سقوط ضحايا أبرياء، فأياً كانت الجهة التي نفذت هذا الاعتداء، فهو عمل غير صحيح وغير مبرر. فما ذنب هؤلاء الأبرياء حتى ولو كان هناك من يختلف مع الإدارة الأمريكية**. وقلت حينها إنني أتوقع أن تنهار الولايات المتحدة يوماً ما وتتفكك إلى دول كما حدث مع الاتحاد السوفييتي، وربما تتعرض إلى أزمات .. وقد توقعت هذا منذ مدة، وقلت إن سبب الانهيار سيكون اقتصادياً، فالولايات المتحدة توسعت في اقتصادها، وهذا التوسع لا تستطيع تحمله لأنها أدخلت نفسها في متاهات اقتصادية هي في غنى عنها. وقلت إنني أتوقع أن ينتج عن هذا الانهيار، إنفصال في بعض ولاياتها عن المركز. هذا ما توقعته أن يحدث يوماً. ولكن أن تضرب أمريكا بهذه الطريقة المرعبة من الداخل، فهذا أمر صعب تخيله وحصوله والنتائج المترتبة عليه لاحقاً.

«إن صاحب الحق حين يضيع حقّه، يفقد شرعية قضيته، وتعاضد الشعوب وكذلك تأييدها له حين يقوم بمثل هذه العمليات الإرهابية. فهذه أعمال لن تصل بمخططيها إلى ما يبغون، وتنعكس عليهم دائما. وقلت في حينها، إنه من الصعب جداً اليوم، ومن تحليلات أولية تحديد هوية الفاعل أو الجهة التي تقف خلفه. ومن غير الممكن أن تتوصل الأجهزة الأمنية في الولايات المتحدة إلى استنتاج سريع بمجرد النظر إلى الكارثة، رغم كل الأجهزة الأمنية المتطورة التي يملكونها. وتوقعت بأنهم سيكتشفون الفاعلين قريباً، ولكنهم قد لا يكتشفون من هو المحرض الحقيقي وراء

هذه الكارثة، وقد تقوم جهة معينة وتعترف بمسؤوليتها عن الحادث كما يحصل في كل مرة في مثل هذه الحوادث. ولهذا فإن هذا الاعتراف سيسهل عليهم عناء التحقيق. وقد أصبحت أمريكا ومعها إسرائيل تطلق على المقاوم الذي يريد أن يسترد حقه المغتصب «إرهابي» مع وجود قانون دولي يقر بأن عمليات المقاومة ضد المحتل، هي عمليات مشروعة حسب كل القوانين الدولية التي تقر بها الأمم المتحدة. لكننا نجد اليوم خلطاً بين المقاومة المشروعة ضد المحتل وبين الذين يقومون بمثل هذه الكوارث المأسوية، فيطلقون على الجميع لفظ « الإرهابيين»، وهذا أمر متعمّد، وفيه خلط للمفاهيم وإجحاف بحق المقاومة الشرعية .

«قلت للحاضرين، وقد لاحظت أنهم يريدون أن يسألوني التعليق على الكارثة، سأتحدث فقط عن شعوري تجاه الناس الذين ينتحرون، وقد اختطفوا هذه الطائرات وانتحروا بها. وهذا يؤكد أنهم أناس كانوا يشعرون بظلم كبير وكبير جداً لما أصابهم أو أصاب ذويهم بسبب مواقف الولايات المتحدة. فلو كان المال دافعهم، والمال لا يعوض فقدان الروح، فإن المال لن ينفعهم بعد موتهم. فإذن أقول إن هؤلاء ليسوا مأجورين ... لكن الظلم الذي وقع عليهم أنتج الحقد وحب الانتقام لديهم، والظلم مرتعه وخيم كما يقولون، وهو الدافع الوحيد للانتقام. ولكن مع الأسف لكل الأبرياء الذين أزهقت أرواحهم في هذه الكارثة، أتساءل .. هل ستدرك أمريكا ما سببته سياساتها من ظلم للكثيرين لتجعلهم ينتحرون هكذا .

«كنت أتمنى على أجهزة الاستخبارات الأمريكية، قبل أن تتحدث عن هؤلاء «الانتحاريين الإرهابيين» أن تهتم بمعرفة الجهة التي تقف خلفهم والتي أوصلتهم لهذه القدرة على اختراق أمنها. وإنني أشك في أنها ستعرف الحقيقة كاملة، وربما ستغض الطرف عنها، وتوجه الاتهام لإحدى المنظمات الارهابية فقط.

«على كل حال، لا بد أن تكشف الأيام القادمة الحقيقة كاملة، لأنه من غير الممكن أن تتهم خلال ساعات وبهذه السرعة، الجهة التي تقف وراء هذا العمل الخطير الذي استهدف الشعب الأمريكي، هذا الشعب الذي لا يرضى بتصرفات إدارته المتهورة.

«إن عمليات كهذه تكون وراءها أيد خفية. إذ يجتمع هؤلاء على مصلحة معينة، وليس من السهل أن تكتشف الأجهزة المخابراتية خيوط هذه الجريمة كاملة.. والمهم أن تستوعب الإدارة الأمريكية ما حدث كي تغير من سياساتها وضغوطها على البشرية، فطاقة البشر لها حدود، والأعمال الانتحارية لا يمكن السيطرة عليها، وتكون آخر حلقة يلجأ إليها من يتعرض للظلم للانتقام من ظالمه. ولا ينفع أمريكا التهور والتسرع في الاتهام والرد، لأنها إذا ما فكرت في الانتقام، فإن ذلك سيدفع الشعوب إلى المزيد من الانتقام. وعلى كل حال، فلا نستعجل الأمور، فالأيام القادمة ستكشف الحقيقة.

لقد تأثرت كثيراً، وشعرت بالألم لما يحصل للإنسانية من دمار، ولمقتل هؤلاء الأبرياء من دون ذنب.

«هذا ما قلناه أمس وقت وقوع الكارثة. ولا يختلف عما نقوله اليوم، من أن ظلم وطغيان الإدارة الأمريكية، سيدفع الناس للانتقام سواء بهذه الطريقة أو بغيرها. ونحن ضد أي عمل إرهابي سواء أكان من دول أو من أفراد ... لكنني أقول جازماً إن ما حصل هو لعبة أمريكية مخابراتية، قد تكون وراءها الصهيونية، وذلك لدفع أمريكا ومن ورائها الشعب الأمريكي للقبول بالاعتداء على الدول النامية التي لا ذنب لها، من أجل فرض سياسة الهيمنة ونهب الثروات. وقد كان ذلك مخططاً بعناية لأن أمريكا هي التي صنعت القاعدة في أفغانستان للحرب ضد السوفييت. وهذا معروف للجميع. واستخدمت هذه الكارثة (١١ أيلول) ذريعة للعدوان على أفغانستان واحتلاله، وعلى العراق واحتلاله».

ثم صمت الرئيس لفترة، رفعت خلالها عيني .. كان ينظر إلي، لكنني كنت أدرك بأن ذهنه هناك، في العراق. قال وشيء من الحزن يطل من عينيه:

«كيف يكون القتل والتدمير الجماعي، مع سبق الإصرار والترصد لشعب عريق، شعب العراق، من دون ذنب .. أليس هذا إرهاب دولة وإرهاباً منظماً تمارسه أمريكا ضدنا وضد كل الشعوب المتطلعة إلى الحرية؟»..

بعد عبارة الرئيس هذه، استذكرت ما كانت تفعله الولايات المتحدة منذ

الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، لإيجاد دليل يربط الرئيس صدام حسين بالقاعدة. وهذا ما صرح به ريتشارد كلارك المسؤول الأمريكي السابق عن إدارة مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض. ففي لقاء معه مع CBS NEWS في ٢١/ ٣/ ٢٠٠٤ وإثر صدور كتابه «في مواجهة كل الأعداء»، صرح أن بوش طلب منه بعد ١١/ ٩ أن يبحث عن صلة بين هذه الأحداث والرئيس صدام حسين، رغم أنه أخبره بعدم وجود أية علاقة بينهما، وأن رامسفيلد كان يدفع، بعد الحدث مباشرة، باتجاه ضرب العراق. وكان بوش قد طلب منه التحقق في ما إذا كان العراق قد قام بهذه الأحداث، «وكأن بوش كان يريدني أن أعود إليه بتقرير يقول إن العراق فعل ذلك».

الفصل العاشر

الدولة والمعارضة

أبت نفسي أن تكره أحداً حتى أعدائي،
وإنما أعمالهم فحسب.
أما الحقد فقد ولّى منذ عام ١٩٥٩،
بل لعلّه لم ينبت في نفسي.

(صدام حسين في المعتقل)

من المعـروف أن لرئيس الدولة، أية دولة، صلاحيـات وواجبات محددة وفقاً للقوانين والأنظمة والدسـاتير. وهذه الصلاحيـات لا يمكن لها أن تجعل من الرئيس مسـؤولاً عن كل صغيـرة وكبيـرة وكل شـاردة وواردة، خاصة وأن سـلطات الرئيس الدستورية المعروفة لا تجعل منه «قائمقام» أو «مدير ناحية» أو «شرطي مرور» حتى يطّلع على أدق التفاصيل ويعالج كل ما يتصل بها من أخطاء.

فـي لقـاء مع الرئيـس صدام حسـين فـي معسـكر كروبـر، تحدثنا طويـلاً عن المعارضـة العراقية، وعن الأخطاء التي حدثت والتي قد تكون سـببت أذى للكثيرين الذين لم تصل قضاياهم إلى الرئيس. وكان صريحاً في الحديث حول هذا الموضوع. يقول الرئيس:

«إن لـكل نظـام سياسـي مـن يعارضـه في الـرأي، سـواء مـا يتعلـق بالقوانين والأنظمـة، أو قـد يمتد ذلك إلـى سياسـة الدولة الخارجيـة والداخلية فـي ما يخص سياسـتها وعلاقتهـا مـع الشـعب. وهـذا النـوع مـن المعارضـة نحترمـه طالمـا أن الاختـلاف في الرأي يقع ضمن إطار نظام الدولة ودسـتورها. وقـد تعاملنا مع الكثير من الشـخصيات الوطنية العراقية رغم اختلاف وجهة نظرهـا ومعارضتها لنا في كثير من الأمور، لأن هدف هذا النوع مـن المعارضة هدف وطني نبيل، وهؤلاء العراقيون شرفاء وأصلاء طالما أنهم لا يستقوون بالأجنبي».

تذاكـرت مـع الرئيـس بعض هـذه الأسـماء ومنهـا المعارضـة الوطنيـة التي يرأسـها الدكتور عبد الجبار الكبيسـي «جبهة التحالف الوطني»، التي عارضت الغزو

الأمريكـي للعراق ومنهج الاسـتقواء بالأجنبـي. وهنا قال الرئيس: «بلغ سـلامي إلى الجميع، وإلى الأبطال عوني القلمجي ونوري المرادي وهارون محمد».

«كنـا على وشـك أن نصل مع بعـض من رمـوز المعارضة الوطنيـة إلى موقف مشـترك لخدمة العراق لولا وقـوع عدوان أمريكا. فمشـروع المعارضة هذه، مشـروع وطنـي غير مرتبط بقوى وأجندات خارجية، وهـم يعملـون علناً، وهؤلاء وغيرهـم نكن لهم كل الاحترام. أما من يعمل لحساب نفسه ويرتبط بأجندة خارجية، ويعمل في السر ومـن خلف الحدود، بعضهم تحت أجندة تسـمي نفسـها دينية، وترتبـط ارتباطاً وثيقاً بأعداء العراق والعرب، ويعملون لإيران وغيرها، فهؤلاء لا مكانة لهم بيننا، ولكن إذا ما أصلحوا أنفسهم، وارتبط مشروعهم بمصلحة الوطن، وعملوا علناً، وأنهوا كل ارتباط لهـم بالخارج، فإن حضن العراق يتسـع للجميـع .. وخلاف ذلك، فإننـا نقاتلهم. فهم الذين جاءوا على ظهر دبابات أسيادهم .. وهؤلاء أعداء للعراق وشعبه».

كان الحديث طويلاً مع الرئيس حول المعارضة، وعن محاولات تشـويه حتى صورة بعـض الوطنيين. وقال لي إن تقريراً وصله ذات يوم قيل فيه إن الأسـتاذ طارق عزيز، عندما كان وزيراً للخارجية، التقى ببعض الشخصيات الإسرائيلية في نيويورك على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة.

«فقلت لمن جلب لي التقرير ولكاتب التقرير إن ثقتي بالأستاذ طارق لا حدود لها. وطلبت حضور الأستاذ طارق، وسألته على انفراد عما قيل، فأجاب: كان عندي مؤتمر صحفـي، ويبدو أن بعض الصحفيين اليهود من بلدان العالم ومن أمريكا كانوا في المؤتمر، ولم يكونوا إسـرائيليين. فهل كان علي أن أتفحص هوياتهم بنفسي قبل الدخول للمؤتمر الصحفي؟».

ويكمـل الرئيس صـدام: «طلبت منهم تمزيـق التقرير وإبقاء الأمر سـراً كي لا تحدث ثرثرة وتشـكيك بالنـاس المخلصين للعـراق»... ثم أضاف: «مـن العيب أن أتحدث عن نفسـي، ولكن ما دام التشويه قد وصل إلى هذا الحد، بعد أن بنينا العراق 'طابقوه طابقوه'، فإنني سأتحدث بعد الآن عن ذلك كي اوضح الحقائق التي بدأ بدأ يشوهها على العراقيين».

وكلنا يعرف الأستاذ طارق عزيز ومواقفه الوطنية المشرفة قبل الاحتلال وفي المعتقل. وهو الذي طلب مني أن يكون شاهداً للدفاع عن الرئيس صدام حسين، فعندما التقينا مع الأسرى أنا وزميلي الشهيد الأستاذ خميس العبيدي، قال لي الأستاذ طارق عزيز علناً وأمام الأسرى والجانب الأمريكي: «أرجو يا أستاذ خليل أن تسمحوا لي أن أقول كلمة حق وأشهد للرئيس في قضية الدجيل».

هناك أمثلة كثيرة حاول خلالها البعض من ضعاف النفوس الدس على أبناء العراق المخلصين ودفعوهم مرغمين إلى الخندق الآخر، ووضعوهم في خانة المعارضة المتآمرة على العراق[1]. وعندما يحين الوقت المناسب، سنكشف عن أدق

---

(١) يقول الدكتور محمد صالح المسفر، أستاذ العلوم السياسية في جامعة قطر، في لقاء له مع الرئيس، ونشر في القدس العربي١٧/ ٧/ ٢٠٠٢: سألت الرئيس: السيد الرئيس، لكل نظام حكم من يعارضه، فماذا عن المعارضة العراقية ؟ فأجاب الرئيس:
«صحيح هناك معارضة في معظم دول العالم من داخل النظام، وهناك معارضة من خارج النظام. الأولى لها رأي في القوانين واللوائح والأنظمة والسياسات العامة، لكنها ضمن النظام. والثانية تتصيد سلبيات الممارسات في تنفيذ السياسات. وكلا المعارضتين علانية لا تعمل سراً، وليست مرتبطة بقوى خارج الحدود».. (يقول الدكتور المسفر: في سياق المعارضة قال مسؤول كبير في القيادة العراقية نحن نعرف بأن هناك أفراداً لهم رأي في السياسات العراقية، لكن هؤلاء ليسوا عملاء ولا متعاونين مع أعداء العراق، وهم يدافعون عن العراق بطريقتهم، وهؤلاء نكن لهم الاحترام، ونحن على كامل الاستعداد للحديث معهم لكونهم عراقيين يرفضون العدوان على العراق).
ويكمل الرئيس حديثه إلى الدكتور المسفر:
«لكن الذين تراهم في الصور مع أعداء العراق صفاً واحداً، والذين يتنقلون بين المحطات الفضائية العربية وغيرها، ويتنقلون بين عواصم الدول الغربية المتربصة بالعراق يحضون الأعداء للنيل من العراق والعدوان عليه من أجل تحطيم كل إنجازاته، هل هؤلاء جديرون بالاحترام ؟ إنهم عملاء لقوى العدوان، إنهم يريدون تحطيم العراق شعباً وحكومة ومؤسسات بهدف الوصول إلى السلطة على دبابات أمريكية، وهؤلاء لا مكان لهم بيننا لأنهم لا يحبون العراق ولا أهل العراق. ونؤكد لك بأن معظمهم لا يعرف شوارع بغداد، ونسي معالم الحي الذي ولد فيه على تراب العراق»..
وفي هذا السياق، يقول الأستاذ علي الصراف في مقالة له بعنوان «رسالة اعتذار إلى دكتاتور رائع» بتاريخ ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٦، وهي المقالة التي قرأتها للرئيس في معتقله، مع مقالة أخرى بعنوان «عشرة أسباب لإعدام صدام وسبب واحد لإبقائه حياً» وأعجب بهما الرئيس وقال:
«بلّغ سلامي إلى علي وقل له هكذا معارضة نقدرها ونحترمها ونعرف أن دافعها مصلحة =

التفاصيل في ما يتعلق بالمعارضة، وكيف كان يتم دفع كثير من الوطنيين مرغمين أن يكونوا ضد الدولة أو النظام، ومن هي الأطراف التي كانت تدفعهم، كل ذلك مدعوم بالوثائق والأدلة.

ثم يبتسم الرئيس ويتابع: «يا ولدي، قابل آني أصير ألف صدام حسين».

لكن ربما يكون هناك من وقع ضحية وشاية أو ظلم بعض المحيطين والمقربين؟

يجيب الرئيس:

«نعم هذا يحصل، لكن لم يصلني مظلوم إلا نصرته، ولا سائل إلا وأعنته، ولا صاحب حاجة إلا وقضيت له حاجته. فقد كنت وما أزال أنظر إلى العراقيين نظرة واحدة. وقد حصلت أخطاء كثيرة، ولكننا كنا نتجنب وعلى قدر المستطاع الوقوع فيها، ولا أذكر أننا ظلمنا أحداً، رغم أننا لسنا معصومين من الخطأ. أما إذا لم يصلني كل ما من شأنه أن يصلني ونرفع به عن كاهل أي عراقي عبئاً ما، فهذا ليس ذنبي، حتى عندما كان يصلني عن أي تصرف خاطىء تجاه العراقيين من قبل الناس المحيطين

الوطن».. يقول الصراف: «... لقد غادرت العراق منذ أن أصبحتَ رئيساً. كنت أقول، ممازحاً، إن هذا البلد لا يمكنه أن يتحملنا معاً. فإما أنا وإما أنت. وكنت ما أزال شاباً، فيه من الحماقة أكثر مما فيه من النضج. وفيه من الجهل أكثر مما فيه من المعرفة. وبطبيعة الحال، فقد كنت أقول: «.. ومن أنت؟». الآن فقط، أشعر كم أن كلاماً مثل هذا، قاس ومروع. والآن أقول بخجل: «..ومن أنا ؟». وفي زاوية أخرى من المقالة يكمل الصراف: لم تكن دكتاتوريتك هي المشكلة، ولا انتهاكات نظامك لحقوق الانسان، بل أسلحتك للدمار الشامل. كنت تريد أن تبني وطناً قوياً وأمة حرة. وكنت تطالبنا بالولاء الأعمى، لأنك كنت تنظر إلينا ليس من حيث نقف، بل من حيث ترى نفسك في أعلى نقطة ..نحن لم نر، ولكنهم كانوا يرون، وكانت فرائصهم ترتعد من المستقبل الذي تقترحه على هيمنتهم وغطرستهم واحتلالهم .. الآن، نستطيع أن ندرك أنت وأنا، لماذا جلبوا لصوصاً وإمعات ليحكموا العراق بعدك، ولماذا أحرقوا المكتبة الوطنية ونهبوا المتحف الوطني، ولماذا دمروا بنية البلد التحتية ولم يعيدوا إعمارها، ولماذا مزقوا العراقيين على أسس طائفية وعرقية، ولماذا نهبوا أمواله وثرواته، ولماذا يزمعون دفعه إلى هاوية حرب أهلية، ولماذا يرفضون الانسحاب قبل أن «يكملوا المهمة»؟.. سيدي الرئيس، لقد أخطأت كثيراً وأصبت كثيراً. ولكنك كنت دكتاتوراً رائعاً. أما أنا، فقد كنت على خطأ دائماً»...

سواء في الديوان أو أفراد الحماية أو غيرهم، فقد كنت أعاقبه بنقله من مكان لآخر أو نحيله على التقاعد، أو ينال العقوبة التي يستحقها. فلا نقبل أن يكون بيننا من يسيء لأبناء شعبنا ويشوه صورة مسيرتنا، ولا نجزم بأنه لا يوجد بين المحيطين والمقربين وحتى الأقرباء من هو سيّئ».

ويضيف الرئيس:

«إن من يسمون نظامنا الوطني، الآن ومن قبل، بالنظام الدكتاتوري، وكانوا يعارضوننا آنذاك، كنا نستمع إليهم وإلى وجهات نظرهم، وكنا نتفق ونختلف معهم في أمور عدة، وكنا نقف معهم ونساعدهم حتى ماديا وبمبالغ هم يعرفونها، ولا نمنّ عليهم باعتبار أنه استحقاق كونهم جزءاً من هذا الشعب. ولو كان السيد جلال طالباني واضحاً، لأفصح عن الكثير مما يعرف، وكذلك الحال مع السيد مسعود البرزاني. وقد تسعفه ذاكرته ليتذكر ما لا نريد أن نقوله كي لا يفهم ذلك بأنه إيحاء منا لموقف نحتاجه في محنتنا هذه، فهذه هي إرادة الله، نحمده، فنحن بخير استجابة لأمره».

إنني ومن خلال مقاربتي للرئيس خلال هذه السنوات القليلة، واتصالي بالكثيرين من الذين كانوا محيطين به أو المقربين منه، أقول بكل صدق وأمانة إن البعض منهم كانوا مخلصين للوطن وللرئيس، والبعض الآخر ما كان يستحق هذه الثقة، بل إن البعض تنكر لفضل الرئيس عليه، ولم يكن أميناً على ما ائتمن عليه ، مما أغضب الرئيس من تصرفاتهم هذه. في حين أن عددا لا يستهان به كانوا أوفياء للرئيس والوطن، وقد جازف بعضهم، رغم كونه مطلوباً من قبل القوات الأمريكية، فأدلى بشهادته أمام المحكمة لصالح الرئيس.

وقد ذكرت للرئيس بأن الكثير من المخلصين كانوا مبعدين عنه وحتى بعض أقربائه من النشامى، كانوا ضحية تصرفات البعض من الحلقة الضيقة التي تحيط به والتي أساءت للرئيس وللمخلصين من أبناء الشعب، فقال:

«حقاً لقد كانوا مهمشين وتم التقصير معهم». ولا نريد أن نذكر أسماء أصحاب هذه المواقف الطيبة لأسباب أمنية.

وكوني واحداً من أبناء شعب العراق العظيم، أقول للتاريخ إن صدام حسين قد سعى لإقامة العدل والإنصاف، وما طرق بابه مظلوم إلا وأنصفه واقتص من جلاده، وأن البعض قد غيّب الحقيقة عنه، وأنه كان حازماً حتى مع أولاده وأقربائه.

الرئيس وأخطاء بعض أقاربه

وفي أحد لقاءاتي مع الرئيس، سألته كيف كان يتعامل مع أخطاء أبنائه وأقربائه. فقال:

«ذات يوم شكا لي أحد الضباط من أن «عديّ» وأحد أخواله اعتديا عليه بالضرب. فقمت على الفور بإحضارهما، وطلبت من هذا الضابط أن يقوم بضربهما بالعصا نفسها. فرفض. فهددته بالعقوبة وتنزيل رتبته إن لم يفعل. فقام بضربهما برأفة. فقمت بإمساك العصا وضربت «عديّ».

«وفي يوم آخر، أخطأ قصيّ، فأمرت حرسي الخاص بسجنه في زنزانة خاصة.

«عندما قام عديّ بقتل أحد المرافقين المرحوم كامل حنا، أمرت بسجنه. وطلبت من القضاء أن يقول قراره العادل. لكنني وجدت أن وزير العدل والقضاء العراقي كان محرجاً أمامي. فقررت إعدامه. لكن أم عديّ أرسلت مبعوثاً من دون علمي إلى الملك حسين رحمه الله. وعلى الفور حطت طائرة الملك. وقد توقعت أن تكون زيارته في إطار المشاورات الاعتيادية بين الأشقاء العرب. لكنني فوجئت به يطلب مني العفو عن عديّ، وأقسم الملك حسين ألا يزور العراق إن لم أستجب لطلبه. فاضطررت وفقاً للتقاليد العربية العفو عن عديّ شرط أن يعفو عنه أهل الضحية.

«وفي أحد الأيام، سمعت أن أخي وطبان وزير الداخلية، تصرف بشكل غير لائق وغير مسؤول، حيث قام بالنزول من سيارته بعد أن أوقفها سائقه التزاما بإشارة المرور الحمراء. فنزل وطبان من السيارة وقام بإطلاق النار على الضوء الأحمر محطماً الإشارة في أحد شوارع بغداد العامة وأمام الناس الموجودين هناك. وقد كان في حالة مزاجية وعصبية سيئة وغير عادية. بعد أن سمعت الخبر، اتصلت به واستفسرت منه عن هذا التصرف، فأجاب بأنه فقد السيطرة على أعصابه في تلك

اللحظة، واعتذر لي بشـدة. فقلت له: إذن أنا آسـف، فلا مكان للمجانين والمتهورين في قيادتنا. واعتبر نفسـك مـن هذه اللحظة مغـادراً لموقعك. وهكـذا أصدرت قرار إعفاء أخي وطبان من وزارة الداخلية.

«لقد مرت قصص كثيرة كنت فيها حازما مع أولادي وأقربائي وغيرهم. فأنا لا أفرّق بين العراقيين.

«عندمـا كنـا نعيّـن محافظاً لصلاح الديـن، وبحكـم تواجـد أهلـي وأقربائي هنـاك، كان علـى المحافـظ المعيّـن ولكي يقـوم بواجباتـه، أن يحصل علـى الدعم الشـخصي مني. وكنـت أدعمه. وفي يوم، اتصل بـي وأخبرني أن أحـد أبناء الأقرباء يقود سـيارته الفارهـة بتهور، فقلت له أخرج أنت بنفسـك، وأحرق السـيارة. أو أعطِ الأوامر بإحراقها.

«عندمـا كانت تصلنـي معلومات عن عـديّ، كنت له بالمرصـاد لدرجة قمت بتحديـد صلاحياته في كثيـر من الأمـور. وقد وصلتنـي معلومات حيـن كان العراق محاصراً من أنه يمتلك سيارات كثيرة، بعضها هدايا من التجار، وبعضها من أصدقائه. سـألت المرافق عن أماكن وجود هذه السـيارات، وحين علمـت بأنها في مرآب قاعة المجلـس الوطني، ذهبت إليها وأحرقتها كلها، وقد سـألني المرافـق لماذا لا نوزعها على الشعب، قلت إن من يأخذ سيارة سيكون عرضة للانتقام من عديّ، وقد يحصل له مكروه من دون علمي.

«كنـت أغضـب كثيـراً عندمـا يسـيء التصرف أحـد مـن أقاربـي، لأن تصرفه سينعكس على سمعتنا.

« عندما ضُرب عديّ فـي المنصور في محاولة لاغتياله، فإنني والله لم أسـأل عن الحادثة، ولـم أعرف هل جرى تحقيق أم لا، إلا بعـد أن جاءني مدير المخابرات وسرد لي بعض التفاصيل، عدا عن زيارتي له مع بعض أفراد العائلة في المستشفى.

« وأذكـر أن أحـد الأقارب قام بضرب أسـتاذه فـي الجامعـة. وعندما علمت، جمعت الطرفين، وطلبت من المرافقين أن ينال من العقاب مثل الذي فعله بأستاذه.

وهنا سألت الرئيس إن كان لأولاده دور في القرار السياسي، فأجابني :

«لم يكن لأسرتي الصغيرة أو أولادي أي دور في السياسة أو في صنع القرار السياسي، بل كان القرار نحن من نضعه ونتخذه مع رفاقي. ولم يكن رأيي في أي يوم من الأيام في اتخاذ قرار هو حاصل جمع الأصوات، فالقائد يجب أن يكون لقراره ورأيه وزنه، ولا يتردد في اتخاذه، فأنا لا أحب المترددين».

الفصل الحادي عشر

محاولات أمريكا تشويه صورة الرئيس صدام حسين

بحيل الله وحياتكم حتى عظامي تحاربهم.

(صدام حسين في المعتقل)

أسلحة الدمار الشامل

قال جيمي كارتر إن غزو العراق لم يكن للأسباب التي أعلنت، وإنما لأن صدام حسين ضرب إسرائيل تسعة وثلاثين صاروخاً.

وقال الخبير السـويدي هانز بليكس في الأسبوع الثالث من الغزو، إن
وقال الخبير السـويدي هانز بليكس في الأسبوع الثالث من الغزو، إن
لديه من الشـواهد ما يدل على أن هذه الحرب قد تم تدبيرها من مدة طويلة، ولـم تأتِ كرد فعل لتطورات، أو بسبب اعتبارات التفتيش. بل لو كان لأسلحة الدمـار أي دخل في هـذه الحرب، فلا تغدو أن تكون فـي المرتبة الرابعة من الأسباب الحقيقية

ومثلهـا شـهادة الخبير الأمريكـي ديفيد كـي، الخبير بأسـلحة الدمار الشـامل، التي صرح بها قبل الحرب. وكان كـي أهم عنصر في فرق التفتيش سيئة الصيت، حيث نفى أن يكون في العراق أسلحة تدمير شامل.

وقد كشـف مسـؤول الإدارة في الجهة المسؤولة عن أسـلحة الدمار الشـامل فـي وزارة الخارجيـة الأمريكيـة كذبة الادّعـاء بأن العراق اسـتورد اليورانيـوم من دولـة أفريقيـة .. وقال جريـج ثيلمـان بـأن الإدارة الأمريكية تلاعبت في تقرير المخابرات الأمريكية حول العراق وزورته بقصد أهدافها في العراق، وأن إدارته درست ذاك الملف، ووجدت أن الوثائق المقدمة إلى وزارة الخارجية كلها مزورة. فحذر رؤسـاءه فـي الخارجية لكي لا يقعوا في مصيدة التزوير.

(من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل)

حاولت أمريكا بعد إلقاء القبض على الرئيس صدام حسين تشويه صورته إعلامياً وبشتى الوسائل، واستخدمت في ذلك بعض أبواقها العربية المتأمركة. فلم تكتف بذلك. بل حاولت بعد استشهاده النيل من صورته التي توهجت أكثر فأكثر وهو يَعلو سلم الشهادة والمجد. كانت تريد أن توصل رسالة إلى كل العرب تقول: هذا هو صدام الذي استسلم لنا بكل سهولة من دون مقاومة وذلك في بداية أسره، حين أظهرته في الصورة المدبلجة داخل الحفرة التي أعدها الأمريكان بإتقان.

واستمرت المحاولات لتشويه صورة الرئيس وذلك لقتل الروح المعنوية للشعب العراقي والمقاومة خاصة، والشعوب العربية التي كانت ترى في صدام حسين رمزاً للقائد المجاهد الذي لم يتوان عن ضرب تل أبيب بتسعة وثلاثين صاروخاً كانت ترصدها الجماهير من على أسطح منازلها. لكن صلابة موقفه أثناء المحاكمة المهزلة، وقدرته على محاكمة جلاديه، أثبتت لأعدائه أن هذا الرجل صعب المراس، وأن كل محاولاتهم باءت بالفشل، وأن صورته في العالم بأسره قد توهجت ..

ويطرح جيف آرتشر (مالكوم لاغوش)[1] الصحفي والمحلل السياسي الأمريكي، أسئلة لا تسمع اليوم، كما يقول، ولكنها ضرورية حين تطرح قضية العراق. ويسأل لماذا لا يجيب أحد عن هذه الأسئلة، وإنما يركز العالم على أمر واحد هو دكتاتورية صدام حسين وقضية الدجيل التي ضخّمت مع أن بوش أصدر أحكاماً بالاعدام عندما كان حاكماً لتكساس، تفوق بكثير الأحكام التي أصدرتها محكمة العراق عام ١٩٨٤ بحق المتهمين. يتساءل آرتشر:

- لماذا لا نسمع أحداً يتحدث عن أن العراق اختارته الأمم المتحدة عام ١٩٨٢ بلداً خالياً من الأمية، بينما كان مستوى التعليم في العام ١٩٧٣ أقلّ من ٤٠٪؟

- لماذا لا نسمع عن إعلان الأمم المتحدة عام ١٩٨٤ أن نظام التعليم العراقي هو أفضل نظام تعليم يراه العالم بالنسبة لدولة من العالم الثالث ؟

---

(١) «الشهيد الحي»، مالكوم لاغوش ٢٨-٢٩/ كانون الأول ٢٠٠٦ Malcomlagauche.com .

– لماذا لا نسمع ما قالته نيويورك تايمز عام ١٩٨٧ من أن العراق هو باريس الشرق الأوسط ؟

– لماذا لا نسمع عن زيارات صدام حسين إلى بيوت العراقيين في جنوبي العراق في السبعينات ليتأكد من أن كل بيت يملك برّاداً وكهرباء ؟

– لماذا لا نسمع عن الملايين من العرب الذين كانوا يذهبون إلى العراق للاستفادة من برنامج الأراضي الذي أسسه البعثيون حيث يحصل كل فرد على قطعة أرض من أجل زراعة الحبوب؟.

– لماذا لا نسمع عن العلماء العراقيين والأطباء الذين أرسلوا إلى البلاد العربية لمساعدة تلك الدول في تطوير برامجها ؟

– لماذا لا نسمع إطراء من الدول العربية للعراق لفقدانه جنوداً بأعداد كبيرة في الحرب العراقية الإيرانية دفاعاً عن العرب الذين كانوا يخشون أن تقوم إيران بتصدير المتدينين المتعصبين لبلادهم ؟

– لماذا لم نسمع عن المبادرات العديدة التي قدمت لصدام في التسعينات من المصادر الأمريكية لكي يعترف بإسرائيل، وأن يسمح للولايات المتحدة بإقامة [illegible]

– لماذا لا نسمع عن كون كل فرد في فريق التفتيش عن الأسلحة ١٩٩١– ١٩٩٨ جاسوساً وليس مفتشاً ؟ .

محاولات رخيصة

وفي محاولة رخيصة من صحيفة (الصن) البريطانية التي يملكها الملياردير اليهودي الأسترالي ميردوخ، للإمعان في تشويه صورة الرئيس صدام حسين، نشرت له صوراً على صفحتها الأولى وهو يرتدي ملابسه الداخلية. واعتقدت الصحيفة أن نشر هذه الصور سيؤثر سلباً على المقاومة العراقية، خاصة وأن مثل هذه الصور تبدو غريبة وغير مسبوقة لزعيم في أية دولة من دول العالم.

تطرقت لهذا الموضوع مع الرئيس، وطلبت منه الموافقة على مقاضاة الصحيفة. فقال:

«ما الذي يضيرني كرجل مسلم يصلي، أن أغسل ملابسي بيدي، رغم أنهم وضعوا خادماً منهم ليقوم بهذا العمل. فأنا لا أستسيغ أن يغسل ملابسي أحد غيري. فأرجو أن لا تقاضوا هذه الصحيفة لأن نشر مثل هذه الصور لا يعيبني ولا يسيء لي. فنحن أكبر من هذه الإساءات. ثم إن نشرها يفيدنا لكي يطّلع العالم على ديمقراطية الغرب وانتهاكاته لخصوصية الإنسان. عندما يكون لدينا قضية مهمة، فيجب ألا نشتت آراء وأنظار الرأي العام بقضية مثل هذه، علينا ألا نفعل ما يشتت الأساس. بالإضافة إلى أنني أرفض أن تصدر باسمي أية دعوى أو شكوى لها علاقة بالمال».

* * *

إن كل هؤلاء الذين حاولوا الإساءة إلى الرئيس صدام حسين من خلال تشويه صورته أمام العالم، لا يدركون حقيقة هذا الرجل. فلو قبل المساومة على حياته، لكان ينعم الآن في عواصم العالم، لكنه كان يدرك أهداف أعدائه من وراء احتلالهم للعراق، وأنهم يريدون العراق سواء أكان هو موجودا أم لا .

بالإضافة إلى ذلك، فإنهم حاولوا كسر شوكته من خلال التشهير بجثث أولاده كما نشرتها التلفزة العالمية. وقد طرحت على الرئيس سؤالا يطرحه كثير من الناس: لماذا أحاط الأمريكان بالمقبرة بعد دفن عديّ وقصيّ ومصطفى لعدة أيام؟ فأجابني:

« إحدى الإشاعات تقول إن الذين استشهدوا في الموصل يوم ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٣ هم ليسوا أولادي، أي ينفون الروح الجهادية عنهم، وهي محاولة أخرى للتشويه. والدليل كما يقولون إن القوات الأمريكية قامت بوضع الشمع على وجوه وبعض الأجزاء من جثث الشهداء لإيهام الناس وأنا معهم، أنهم أولادي، وذلك للتأثير النفسي السلبي عليّ وعلى المقاومة. لكنني أعتقد أن محاصرة المقبرة لعدة أيام كان لاعتقادهم بأنني سأذهب إلى هناك وأقرأ الفاتحة على أرواحهم، فيتمكنون عندها من القبض علي.

« لقد حاولوا من قبل تشويه صور زعماء كثيرين، ومنهم الرئيس جمال عبد الناصر، رحمه الله، وحاولوا الإساءة إليه كثيراً، لكن بقيت صورته ناصعة، لأن الشعب العربي واع، ويعرف من هم الرجال الحقيقيون».

وعندما أخبرت الرئيس عن محاولة أمريكية لتشويه سمعة الدكتور ناجي صبري الحديثي وزير خارجية العراق الشرعي، خاطب المحامين مازحاً:

«لاحظوا أن الأستاذ خليل يتعنصر لابن محافظته». ثم التفت إلي قائلاً: «سلم لي على ناجي، وقل له ألا يهتم، فثقتنا فيه أعلى وأسمى من تفاهاتهم. وهذه دعاية مغرضة ومقصودة ضد هذا الرجل الوطني الأصيل».

أكاذيب أمريكا

واستمرت أكاذيب أمريكا ضد الرئيس صدام حسين. ففي شهر كانون الأول من عام ٢٠٠٤ أعلنت الولايات المتحدة أنها ستوقف بشكل رسمي عمليات البحث عن أسلحة الدمار الشامل في العراق. وهذا ما دفع سكوت ريتر، الرئيس السابق لفرق التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق، إلى التصريح بأن هذا الإعلان وضع نهاية لأبشع عملية خداع دولية في العصر الحديث. واعتبر ريتر أن غزو العراق يعتبر أبشع جريمة ترتكب حتى الآن[1].

ويفند لاغوش في مقالته «مرة بعد أخرى يثبت للعراقيين أن صدام هو الأفضل» (٢٥-٢٦/ شباط/ فبراير ٢٠٠٥) أكاذيب أمريكا التي روّجت لها لتشويه صورة الرئيس، وتبرير غزوها للعراق فيقول:

في عام ٢٠٠٣، أعلنت أمريكا أنها وجدت مقبرة جماعية في جنوبي العراق تحوي رفاة أربعمائة ألف عراقي. لكن توني بلير قال لاحقاً بأن الرقم لا يتجاوز خمسة آلاف، ومعظمهم كانوا جنوداً قتلتهم الولايات المتحدة عام ١٩٩١ في عاصفة الصحراء.

كما يذكر لاغوش بعضاً من العبارات التي تكررت كثيراً، مثل عبارة «صدام استخدم الغازات السامة ضد شعبه».. فيقول إن الأكراد في حلبجة قتلتهم الغازات السامة الإيرانية. وهي حقيقة كشفتها المخابرات الأمريكية عام ١٩٨٨، وأعادت التأكيد عليها عام ٢٠٠٤ من أن إيران هي التي استخدمت الغازات السامة ضد الأكراد.

---

(١) القدس العربي، ٢٨/ ١/ ٢٠٠٥.

ويضيف أن منظمة لحقوق الإنسان ذكرت أن القوات العراقية قتلت في حملة الأنفال عام ١٩٨٨، مائة وثمانين ألف شخص أغلبهم من الأكراد، لكنها اعترفت لاحقاً بأنها كانت ضحية للكذبة التي روج لها الأمريكان، وأنها، أي هذه المنظمة، لم تعثر على أية جثة.

ويستمر مسلسل الأكاذيب ..

قصة البحث عن الأسلحة

يروي الرئيس قصة التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل ودور المفتشين في مؤامرة إنهاك الدولة العراقية وتدمير قوتها وإمكاناتها العسكرية والتقنية، فيقول:

« بعد العدوان الثلاثيني على العراق، وضعت أمريكا وبريطانيا ومن حالفهما، برنامجاً جائراً لقتل طموح العراقيين في امتلاك ناصية العلم، وبناء بلد حر قوي ومستقل يساعد في حفظ التوازن الإقليمي والدولي. وقد دمروا كل برامج العراق للتحقق، كما زعموا، من خلوه من أية أسلحة كيماوية أو بيولوجية أو ما يسمونها هم أسلحة الدمار الشامل العراقية.

«ورغم توجيهاتنا المباشرة لكل القطاعات العراقية بتسهيل مهمة فرق التفتيش للوصول الآمن إلى كل المواقع المراد تفتيشها، إثباتاً منا لحسن النية، ولتيقننا المطلق بعدم وجود أية أسلحة خارج نطاق المسموح به، إلا أن المفتشين كانوا «جواسيس»، ورجال مخابرات لأمريكا. فقد قاموا بخلق أزمات ومشاكل متعمدة، وحاولوا استفزازنا كثيراً، وانتهكوا سيادة العراق. كل ذلك لإعطاء المبرر لأمريكا لتضرب العراق وتعتدي عليه. أحدهم أنصف العراق، وقال الحقيقة، لكنهم تجاهلوا تصريحاته. وهو سكوت ريتر. إذن كانت النية مبيتة لدى أمريكا لضرب العراق وتدميره. ولو كانت أمريكا تعلم أن لدى العراق أسلحة دمار شامل، لما تجرأت للاعتداء عليه.

«الجماعة (الأمريكان) حققوا معي وهم من المخابرات الأمريكية طيلة ستة أو سبعة أشهر قبل مجيئك لمقابلتي الأولى. وكانت كل أسئلتهم تدور حول أسلحة الدمار الشامل، أين ذهبت بها وهل خبأتها في سوريا. قلت لهم: أنتم تعلمون أن

العراق لا يمتلك هذه الأسلحة، وأكدت لهم أننا حين تركنا لهم الفرصة ليقوموا بالتفتيش الكامل في العراق، وكانوا يصولون ويجولون، كان هدفنا أن يطمئنوا أننا كنا صادقين في أقوالنا وتعهداتنا والتزاماتنا للمجتمع الدولي. وقلت لهم: عليكم أيها الأمريكان أن تدركوا أن للعراق جاراً عدواً شرساً وهو إيران التي تمتلك الإمكانات العسكرية والبشرية والمادية، في وقت كنتم أنتم تحاصرون العراق لأكثر من ثلاثة عشر عاماً، فكنا نخشى أن تقوم إيران بمباغتة العراق بهجوم في ظل حصاركم الجائر، بالإضافة إلى أنكم اختلقتم تقسيماً في الجو حسب خطوط الطول والعرض، وفرضتموها ظلماً على العراق. ثم عرض المحققون علي صورة لدبابة بريطانية تحمل مجموعة من الأطفال العراقيين، وقالوا لي: إنك كنت تستخدم هؤلاء الأطفال دروعاً بشرية، وهذا مخالف لكل القوانين.

عندما تفحصت الصورة، وجدت أن الدبابة في الصورة دبابة بريطانية وليست عراقية. فقد قاموا بتزوير الصورة لتشويه صورتي أمام العالم[١].

«كذلك كانوا يسألونني باستمرار، لماذا ضربت إسرائيل بتسعة وثلاثين صاروخاً، وهي دولة لم تهددكم، قلت لهم إن إسرائيل كيان مسخ، أنتم من أوجده، وهذا الكيان المسخ هو الذي جلب كل المصائب للمنطقة. ثم سألوني: لماذا كنت تدعم الفلسطينيين وتمنحهم أموالاً، وكذلك كنت تمنح كل «إرهابي» فلسطيني يفجر نفسه مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار؟ قلت إن إمكانات العراق المادية والبشرية هي في خدمة قضايا الأمة، وفي مقدمتها قضية فلسطين. ونحن موجودون هنا في هذا المعتقل من أجل قضية فلسطين، والأبطال الذين يفجرون أنفسهم في

---

(١) يذكر لاغوش في مقالته المنشورة على موقعه (١١-١٢ آذار/ مارس ٢٠٠٥) بعنوان «صدام حسين والحقيقة» بأن هناك صورة على الإنترنت كان لها دعاية كبيرة، وهي تمثل مجموعة من الجنود الأمريكيين يقفون قرب بناية عراقية عليها صورة إنفجار مركز التجارة العالمي، والهدف منها إظهار العراقيين فرحين لحادث ١١/ ٩. يقول لاغوش: «لاحظت أن الجنود كانوا يقفون على قاعدة طريق ملعب بيسبول. لم يكن في العراق ساحات ملاعب بيسبول. ثم نظرت إلى الأشجار، فوجدت بأنها كانت نوعاً موجوداً في المناطق الجنوبية الشرقية للولايات المتحدة والتي لم أرها في أي من صور العراق. فالصورة كانت مزيفة. لكن الأذى كان قد تحقق».

وجه العدو الصهيوني هم أبطال شهداء وليسوا انتحاريين. ثم سألوني عن هذا العدد الهائل من قواتنا المسلحة وجيش القدس، فقلت لهم إن ديننا الإسلامي الحنيف أمرنا أن نعد لعدونا ما استطعنا من القوة ومن رباط الخيل ..

أسئلة كثيرة وجهوها على مدى عدة أشهر، تقدم أدلة أخرى على أن عدوانهم على العراق كانت له أهداف وجذور تاريخية من أجل إسرائيل ومن أجل مصالحهم الاقتصادية».

محاولة تضليل الرئيس

وقد حاول الأمريكان تضليل الرئيس بالاهتمام الزائد به، عندما كثفوا العناية الطبية له، وحمايته من الصفويين وهو داخل المعتقل، وأثناء المحاكمة أحياناً. بالإضافة إلى أنهم سمحوا له بممارسة الرياضة، وأحضروا له دراجة هوائية ثابتة، والاهتمام بدرجة حرارة غرفته ... وكان يسهب في الحديث عن هذه الأمور عندما نلتقي منفردين.

ثم في بداية الاعتقال، حاول الأمريكان إيهامه أن الحراس الموجودين من حوله، والذين يرتدون ملابس المارينز، هم من جنود المارينز. وكانوا في حقيقة الأمر من جهاز المخابرات الأمريكية. كانت معاملتهم للرئيس تتراوح بين الشدة واللين، وكانوا يدعونه أحياناً ب vic كمقدمة قبل النطق باسمه. وعندما استفسر الرئيس عن المقصود بهذه العبارة قالوا: very important criminal أي مجرم مهم جداً. يقول الرئيس :

«كانوا يسألونني أسئلة كثيرة، بعضها أسئلة ذكية، وتدور بيني وبينهم أحاديث متشعبة. كنت أتعامل معهم بشيء من الحذر. وكنت أدرك أن هذه الأسئلة من صياغة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفدرالي، من خلال المحققين الذين بقوا لمدة تقارب السبعة أشهر من التحقيقات المتواصلة معي في المعتقل. لكن فاتهم أنني كنت مدركاً أن مثل هذه الأسئلة لا أجوبة لها لدينا».

وعندما سألته إن كان يعتقد أن هؤلاء كانوا مجرد جنود وضباط مارينز، أجابني ضاحكاً: «ما عليك يا أبا علاء، فهذه (شغلتنا)، وأنا واع لألاعيبهم».

أما ما نسب لأحد هؤلاء المحققين الأمريكان[1]، من أن الرئيس طلب منه التحدث إلى الممرضة التي تشرف على رعايته الطبية، فهذا كلام غير دقيق. فالمقربون من الرئيس يعرفون أنه صاحب نكتة، وشخصيته مرحة، ويحب أن يداعب الجميع، بالإضافة إلى أنه يحترم كل من حوله، حتى الجنود والضباط، حراسه. وكان يقول: «أنا أحترم إنسانيتهم وآدميتهم، فهؤلاء مكلفون، وما عليهم سوى تنفيذ الأوامر»[2].

وحول احتمال اغتياله داخل المعتقل، كان الرئيس يقول: «يا ولدي "أبو علاء"، لو كان الأمريكان يريدون قتلي لقتلوني في أول لحظة ألقوا فيها القبض علي، لكنهم يريدون إبقائي حياً كي يخيفوا بي إيران وأتباعها في الحكومة المعينة».

تشويه صورة الرئيس

ويستمر مسلسل تشويه صورة الرئيس. وفي جعبة هذا المسلسل، ادعاءات تقولها أطراف معينة، ووسائل إعلام مأجورة أن الرئيس صدام حسين له علاقة بالمخابرات المركزية الأمريكية!

ضحك الرئيس طويلاً وقال:

«هذه ادعاءات لا تستحق الرد عليها. فكما يعلم الجميع، نحن جزء من شعبنا، هذا الشعب الذي يعيش في ضميرنا ووجداننا، وقد كنت مناضلاً يفضل العمل والنضال السري منذ ذاك الزمن.

---

(١) نشير إلى أن الشخص الذي أجرى التحقيق مع الرئيس صدام حسين هو جورج بيرو المحقق من مكتب المباحث الفيدرالي الأمريكي (إف بي آي). وقد حاول تشويه صورة الرئيس في كتاب نشره الصحفي رونالد كسلر. وكان يتقن اللغة العربية كونه مولوداً في بيروت ومن عائلة عربية قبل أن تهاجر عائلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

(٢) يقول الأستاذ صلاح المختار: «كنا نتوقع حملة ضخمة لإعادة شيطنة صدام الشهيد. وبالفعل فإن المخابرات الأمريكية أخذت تدعي أن الشهيد سرب مذكراته إلى الخارج لغير محاميه الذين سجل بعضهم أحاديثه، ومنهم المناضل خليل الدليمي صاحب القسم الأعظم من المذكرات. وهذا ادعاء كاذب تماماً لأن الشهيد حصر ما سربه بالمحامين. ومع ذلك، أخذنا نقرأ لضباط أمريكيين كانوا مكلفين بخدمة الشهيد في أسره قصصاً ملفقة عنه حول النساء وغير ذلك! وبسرعة تلقفت جرائد وفضائيات تلك التسريبات المخابراتية ونشرتها وأضافت إليها من عندها الكثير».
(كيف تستخدم المخابرات الأمريكية مجنديها من مارينز الإعلام؟) موقع التجديد العربي.

وعندما نفذت قرار الحزب وشاركت في ضرب عبد الكريم قاسم، اضطررت للذهاب إلى القاهرة والالتحاق بكلية الحقوق هناك. فلو كنت على اتصال مع أمريكا أو سفارتها، لفضحتنا أولاً مخابرات الدولة التي كنت أقيم فيها، ولاستخدم الأعداء هذه الورقة الكفيلة بإسقاطنا بدلاً من أن يأتوا بطائراتهم ودباباتهم، ويجيشوا العالم ضدنا. ولو كنا على صلة بالمخابرات الأمريكية، ويخسأ من يدعي هذا، لما كانوا

أطالوا أمد الحرب العراقية الإيرانية، ولما هاجمونا عام ١٩٩١، وعام ١٩٩٨، وعام ٢٠٠٣، ولقمنا بحماية مصالحهم غير المشروعة في المنطقة.

«إن الأمريكان عادة عندما يريدون أن يسقطوا زعيماً أو قائداً، وحتى أشخاصاً عاديين، فإنهم يحاولون استدراجهم للعمل مع مخابراتهم، فينعمون مرحلياً ببعض المكاسب، ثم يسقطونهم بعد أن يفضحوهم بوسائل الإعلام فقط من دون الحاجة لاستخدام الجيوش والطائرات. فلو كانت لنا صلات معهم، لما حصل الذي حصل. وإننا نحمد الله أننا سنقابل الخالق بيد نظيفة وقلب صادق، وهذا هو الفوز».

الموساد تستجوب محامي الرئيس

كنت طيلة الفترة السابقة، وخلال جلسات التحقيق وما بعدها، المحامي الوحيد الذي لديه وكالة للدفاع عن الرئيس صدام حسين. كانت جلسة المحاكمة الأولى للرئيس ستبدأ يوم ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٥. في يوم ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٥، اتصل بي الكابتن مايكل ماكوي، المسؤول عن تأمين الحماية الشخصية لي ولزملائي الموكلين عن المعتقلين الآخرين، ويرأس مكتب (الارتباط الأمريكي) الذي يؤمن لنا الحركة من وإلى مطار بغداد، والمقابلات مع الرئيس ثم الذهاب في ما بعد إلى المحكمة، كذلك جميع مراسلاتنا البريدية، اتصل بي حوالى الساعة الثانية بعد الظهر بواسطة مترجمة أمريكية من أصل عراقي. طلب مني الحضور في اليوم التالي إلى نقطة محددة في الساعة الثامنة صباحاً. كنت قد طلبت منهم اللقاء بالرئيس، فظننت أن سبب المقابلة هو لهذا الأمر فقط.

بعد منتصف الليل بقليل، كنت أرقد في فراشي على سطح الدار مع أولادي. فالطقس كان ما يزال حاراً وخاصة في الأنبار، والكهرباء غائبة تماماً. وإذا بصوت

المدرعـات والدبابـات وآليات أخـرى أمريكية، وحوامـات في الجـو (البلاك هوك والأباتشـي) يقترب منا. فطوقوا داري من على بعد يقدر بخمسـين متـراً، كما طوقوا دور أعمامـي وأخوتـي. استطلعت الأمـر مـن على سـطح الـدار، ففوجئـت بأنوار الدبابات وأصـوات عالية تطلـب مني الابتعاد فـوراً وإلا سـأتعرض للقتل وتتعرض داري للقصـف. طلبت من أطفالي النزول إلى داخـل الدار، وبقيت في مكاني أراقب الأمـر. وكان ما يقلقنـي الموعد فـي اليوم التالـي مع الرئيـس، وانقطـاع الطريق إلى بغـداد، مما يضطرني إلى أن أسـلك طريـق الثرثار، فعندها يكون علـيَّ أن أقطع ما لا يقـل عن ٣٠٠ كيلومتر بدلاً من ٩٠ كيلومتراً إلى بغداد، لذلك يتوجب عليَّ أن أنطلق في السـاعة الرابعة والنصف فجراً. لكن كيف الخـروج من هذا المأزق واختراق هذا الطوق الذي لا يفهم أصحابه إلا منطق القوة الغاشمة.

تبيـن لي أنني لسـت المقصود في هـذه المداهمة، وإنما أحد أشـقائي وبعض أبنـاء عمومتي إثر وشـاية من أحد العمـلاء. وقد تمكـن الغزاة من أخـذ رجل طاعن في السـن وأولاده بعد أن سرقوا ما سرقوا. وقاموا بسـحب قواتهم في الساعة الرابعة فجراً. بقينا نراقبهم حتى تلك اللحظة. ثم حزمت أمري وتوكلت مع حمايتي من أبناء عمومتي وأخواني، وتركـت في بيتي عدداً من الرجال الذيـن يرافقونني لحمايتي في بغداد خوفاً عليهم من أن تكون الوشـاية قد لحقت بهم، فيقبض بالتالي عليهم. كنت أقود سـيارتي ببطء شـديد، إذ كان علي أن أجتاز العديد من الحواجز وبسـبب وجود عربتي هامفي كانتا تسـيران ببطء لاسـتفزاز الناس. صبرت لأن المهمة تتطلب ذلك. وإذا بالكابتن على الهاتف يقول إن الموعد قد تأجل إلى السـاعة الثانية عشـرة ظهراً. فتملكتنـي الحيرة، هـل أعود بعد كل هذه المسـافة التـي قطعتها، أم أواصل سـيري إلى بغـداد وهناك أخشـى أن تقـوم المليشـيات باختطـاف أو اغتيال أفـراد حمايتي. تريثنـا قليـلاً، وأخذنا نسـير ببطء ومن ثـم الانتظار في منطقـة العامريـة وبالقرب من الدوريات الأمريكية.

فـي المكان والزمـان المحددين، كانت سـيارتي تسـير وسـط سـت عربات هامفي أمريكيـة لمرافقتي. وصلنـا إلى القاعـدة الأمريكية الكبرى فـي المطار حيث

لا يوجد سوى الأمريكان. تركت سيارتي وركبت الآلية الأمريكية المظللة وسط حراسة مشددة. بعد خمس وأربعين دقيقة، توقفت العربة، فعرفت أن الوقت قد حان لمقابلة الرئيس.

تأخر قدوم الرئيس حتى الساعة الثانية بعد الظهر بسبب التمويهات التي قاموا بها لإحضاره، والمحافظة على سلامته، حيث تبدأ غداً الجلسة الأولى للمحاكمة.

استقبلني الرئيس بحفاوة، وربّت على كتفي، وسألني عن صحتي وعن العراقيين الصامدين وعن الرجال الذين أتوا برفقتي حتى حدود المطار. كنا حينئذ في شهر رمضان المبارك، وقد اقترح علينا الأمريكان في السابعة مساء تناول وجبة الإفطار، وكنت قلقاً جداً على فريق حمايتي.

شربت ماء ورفضت الطعام. وقبل أن أنصرف، طلبت من الأمريكان إحضار حلاق للرئيس، فالمحاكمة غداً، وكنت حريصاً أن يظهر الرئيس بالمظهر الذي يليق به، وكانت عقيلة الرئيس السيدة أم عديّ قد اتصلت بي وطلبت مني أن أهتم بحلاقة الرئيس باستمرار. بعدها جاءت عناصر بزي مدني ولحى قصيرة، وكانوا طوال القامة، واصطحبوني على غير عادة، ودون إشعار مسبق قائلين: تفضل معنا لالتقاط صور لك من كل الجهات، وأخذ فحوصات دقيقة مع صور وبصمة للعينين وقياس الوزن والطول، وما إلى ذلك. بالإضافة إلى هذه الاجراءات، قالوا إنهم سيوجهون لي مائة سؤال علي أن أجيب عليها بدقة. وقالوا إنه إجراء عادي ولكنه ضروري قبل الدخول غداً إلى المحكمة، ثم استدركوا بأن الأسئلة ربما تتعدى المائة، وعلي أن أجيب عن كل ما يسألونه وكل استفساراتهم، وأية إجابة تثير الشك، فإنهم سيمنعونني من الدخول إلى قاعة المحكمة.

الساعة تقترب من الثامنة والنصف مساء، وتفكيري ما يزال معلقاً عند أفراد حمايتي رغم أنني كنت واثقاً من شجاعتهم والأسلحة التي يحملونها، بالإضافة إلى مسدسي الشخصي وبندقيتي الكلاشنكوف التي أحملها كخط أول وفيها سبعون إطلاقة (مخزن RBK ومخزن عادي) ربطتهم بشكل معكوس لأي طارىء، وتركتها عند حمايتي قبل الدخول من المنطقة الحمراء كما يسميها الأمريكان (نصب عباس

ابن فرناس). ثم أجريت الفحوصات المطلوبة، واصطحبني هؤلاء، وهم عناصر من المخابرات الأمريكية إلى مكتب آخر وبقوا خارج المكتب. كان في استقبالي في الداخل مترجم وشخصان، أحدهما قصير القامة، يتحدث بلغة إنجليزية ركيكة، بلكنة أقرب إلى العبرية أحياناً. وكان المترجم يتدخل لإيصال المعلومة المتبادلة بينه وبين الشخص الآخر. بدأوا بالأسئلة مع شيء من المجاملة لاعتقادهم أنني كنت خائفاً، والحقيقة أنني كنت متوتراً قليلاً من هذا الجو الذي [illegible] من أنه من رجال شارون. وكانت كل الدلائل تشير إلى مشاركة وحدات إسرائيلية في الحرب على العراق بدءاً من الفرقة العسكرية القذرة، وهذا كان اسمها، التي أتوا بها للقضاء على رجال الأنبار الميامين. استنفرت كل حواسي بحذر للإجابة على أسئلة هذا الإسرائيلي الذي تأكدت أنه من الموساد، وتبين لي أن معظم الذين يتواجدون في هذا القسم وأقسام خاصة للاستجواب هم من عناصر الموساد. كانت أسئلتهم غير عادية عن أقارب بعيدين جداً، ومن الأسئلة التي كانوا يسعون للحصول على إجابة عنها مبلغ الـ ٣٦ مليار دولار التي يعتقدون أن الرئيس صدام حسين يملكه ويخفيه في بنوك برصيد وأسماء وهمية.

خرجت الساعة العاشرة ليلاً، وقد أصرت قائدة المعتقل الأمريكية أن توصلني بسيارتها. فوجدت رجالي بانتظاري. تحتم علي تلك الليلة المبيت في بغداد ولكن أين، وسط هذه الوحوش. وذهبنا إلى بيت صديق أحد المرافقين بعد أن اتخذنا بعض التمويهات، وكان منزله في منطقة يسمع فيها باستمرار هدير الحوامات الأمريكية. نمت لمدة ساعة واحدة، وفي الصباح اصطحبني رجالي إلى المنطقة الخضراء لحضور أول جلسة من جلسات المحاكمة.

زيارات وزراء الاحتلال

منذ بداية عام ٢٠٠٥، كثرت زياراتي للرئيس، وكانت أحاديثي معه تتشعب حول العراق والشعب العراقي والمقاومة وعن الحكومة التي نصبها الاحتلال.. وكان يستطرد في الحديث حول تفاصيل صغيرة حميمية. وكنت المحامي الوحيد الذي يزوره آنذاك، أي أن صلته بالعالم الخارجي (خارج المعتقل) كانت من خلال

ما أنقله له من أحداث. وقد سألته إن كان قد زاره أحد غيري وغير الصليب الأحمر، فقال:

"زارني عدد ممن أسموا أنفسهم بالوزراء وأنا لا أعرفهم لأنني غير مطلع بشكل كبير على ما يدور خارج معتقلي. ففي المرة الأولى، زارني شخص قال إنه وزير حقوق الإنسان. ورغم أنه كان يبدو عليه أنه يود أن يحادثني، إلا أن طريقته في التعامل معي كانت غير لائقة. فأدرت له ظهري وتجاهلته تماماً، مما جعله يسرع في الانصراف». سألت الرئيس: هل هو بختيار أمين؟[1] فأجاب نعم هكذا عرّفني بنفسه.

ويكمل الرئيس:

"بعدها بأسبوع أو أكثر على ما أذكر، جاءني شخصان قدما نفسيهما على أن أحدهما من شعبنا الكردي وأعتقد أن اسمه إبراهيم»، فاستدركت قائلاً للرئيس: هل اسمه برهم صالح؟[2] قال: «نعم ولكنني لا أعرف وزير ماذا، والآخر قدم نفسه على أنه وزير من عائلة النقيب. وتصرفا معي بطريقة استفزازية، وكأن زيارتهما مقصودة لهذا الهدف. فلم أعرهما اهتماماً، وتجاهلتهما حتى غادرا.

«ثم جاءني جعفر الموسوي، وكان في الظاهر يتودّد لي، لكنني كنت أدرك ما يدور في داخله وداخل نفسه المريضة.

إن جميع من أتوا لزيارتي كانت نفوسهم مريضة وأمارة بالسوء، وهؤلاء جاؤوا إما للتشفي، خسئوا، أو لاستفزازي وهم يعتقدون أنهم قادرون على استفزاز صدام حسين. فما الذي يجري يا أبا علاء؟».

طرحت هذا الموضوع على زملائي في الهيئة في بغداد، فأجابني أحدهم أن أحد الوزراء من أقاربه أبلغه أن المحتلين وإدارة حكومة الاحتلال قد طلبوا من الوزراء الذهاب بشكل منتظم لزيارة الرئيس واستفزازه وإهانته. فرضي أن يقوم بهذه المهمة الدنيئة من رضي. أما هذا الوزير، فرفض لكون الرئيس أسيراً!

---

(١) بختيار أمين كردي سويدي زوج السيدة صفية السهيل، سكرتيرة الحاكم الاستعماري الأمريكي المدني بول بريمر وهي عضو في مجلس نواب الاحتلال.

(٢) برهم صالح نائب جلال طالباني، ومن زعماء بيشمركة طالباني ويمثل وظيفة نائب رئيس حكومة الاحتلال.

الفصل الثاني عشر

ديمقراطية الذئاب



كان المكتب الوحيد لهيئة الدفاع في العراق يقع في مدينة الرمادي. وكان سكني، وبسبب قضية الدفاع عن الرئيس، يقع خارج المدينة لما توفره العشيرة والقبيلة من أمن وحماية لأفرادها حيث يصعب على فرق الموت اختراقها. وكان لا بد لي أن أذهب يومياً إلى مدينة الرمادي التي يعرف أهلها حجم المعاناة وخطورة الوصول من خارج المدينة إلى داخلها. ويحيط بالمدينة من جهاتها الثلاث نهر الفرات وناظم الورار الذي يصب في خزان الحبانية من جهة الجنوب والجنوب الشرقي للمدينة. وفي مداخلها التي تحيط بالمدينة من ثلاث جهات، توجد حواجز عسكرية بالغة التعقيد والحساسية تديرها قوات ما يسمى بمغاوير الداخلية المعروفين بنزعتهم الطائفية، ثم قوات الاحتلال الأمريكي.

كنت مضطراً أن أذهب إلى المدينة كل يوم وإلى مقر الهيئة بالتحديد لاستلام البريد من عمال من المكتب الرئيسي للهيئة، ومن النقابة والمحكمة وغيرها، ولاستلام الإجابة على البريد.

الحواجز الأمريكية

اليوم السبت من شهر آذار ٢٠٠٥، والساعة التاسعة صباحاً. كنت أقود سيارتي أمام الحاجز الرئيسي من جهة شمال مدينة الرمادي على جسر الجزيرة، استوقفني جندي مارينز أمريكي، وأشار لي بالنزول لتفتيش السيارة وتفتيشي. عندها تقدم مني أحد عناصر مغاوير الداخلية وفتشني بدقة وطلب مني هويتي الشخصية.

كان يحـدق بي رغم أنني حتى تلـك اللحظة لم أكن قد تعاملت مع وسـائل الإعلام.
ثم طلب مني الإفصاح عن نفسـي بعد أن قرأ في جواز سـفري أنني دخلت الأراضي
ثم طلب مني الإفصاح عن نفسي بعد
السـورية والأردنيـة. ورفضت الـكلام إلا أمـام الضابـط الأمريكي فقـط، وإلا فإنني أعرف مصيري.

أدخلوني إلى مكتب الضابط الأمريكـي الذي طلب مني الجلوس أمام جهاز الفحص، ثم سألني عمن أكون. فأجبته: لن أتكلم حتى يخرج كل هؤلاء من منتسبي الداخليـة. طلب منهـم الضابط الخروج، فخرجـوا إلا ضابط برتبـة نقيب الذي كان يبـدي اهتماماً كثيـراً بمعرفتي. فطلبت أن يخرج هذا الضابـط، فصرخ به أحد الجنود الأمريكان، فخرج الضابط خائفاً.

كشـفت لـه عن هويتـي التي لا أريد أن يعرف بها أحد، لأنه خلصة هؤلاء من فيلق بـدر. وعلـى الفـور، اتصل بالقائـد الأمريكـي الذي طلـب إحضاري فـوراً مع توصيـة بمعاملتـي بطريقة جيـدة. أخذوني بعربـة الهامفي وعصبوا عينـي، إلى حيث القائد الأمريكي.

بقيت أنتظـر في الغرفـة الملاصقة لغرفـة ذاك القائد، معصـوب العينين، ربما لوجود أحد العملاء الذي كان يدلي بمعلومات عن المقاومة، وهذا ما اكتشـفته حين خـرج هـذا العميل من مكتـب القائـد الأمريكي. وحين كشـفوا عن عيني، شـاهدت العميل خارجاً من المكتب.

رحب القائد الأمريكي بي، وطلب مني وثيقة تثبت أنني خليل الدليمي، رئيس هيئـة الدفاع عـن الرئيس. لم أكن أحمل أيـة وثيقة تثبت ذلك، فقلت لـه إما أن تتصل بنقابة المحامين العراقيين أو بقائد المعتقل الذي فيه الرئيس صدام حسين أو بالسفير الأمريكي. ولأن الوقت قد شـارف علـى الرابعة عصراً، ودوام النقابـة قد انتهى، فإنه قـام بالاتصال بالسـفير الأمريكي الذي أكد كلامـي، فقام القائـد الأمريكي بالاعتذار وطلب أن أتنـاول وجبة الغـداء معه، فاعتذرت ثـم إن الوقت المسـموح به للتجوال قد اقتـرب من نهايته، فطلب من أحـد الضباط مرافقتي حتى النقطـة التي جئت منها، فرفضـت، إذ ماذا أقول للنـاس الذين سيشـاهدونني مع الأمريكان، خاصـة والغالبية

العظمى من الناس لا تعرف مهمتي، لكنني اضطررت مرغماً السماح لهم بإيصالي إلى تلك النقطة.

ساعة الرئيس اليدوية

في أحد اللقاءات، طلب الرئيس أن أتصل بعائلته لترسل له بعض الملابس الشتوية. فقامت العائلة بإرسال الملابس ونظارات شمسية وساعة يدوية وثلاث علب سيجار. قمت بتسليمها للرئيس بعد أن تفقدها الكولونيل ستيل. شكرني الرئيس، ثم أعطاني ساعته القديمة أمام قائد المعتقل وأجهزة المراقبة الإلكترونية، وطلب مني إصلاحها وإعادتها له. رجعت إلى المنطقة الخضراء حيث أمكث وزملائي في أحد القصور الرئاسية استعداداً للحضور إلى المحكمة في اليوم التالي. قمت بفحص الساعة وكانت متوقفة، وبعد أن تأكد لي أنها تعمل جيداً، أعدتها للرئيس في لقاء بعد الجلسة في اليوم التالي. هنا تدخل الجانب الأمريكي الذي كان يراقب اللقاء إلكترونياً، ودخل الضابط من قسم المارشال (الشرطة العسكرية الأمريكية)، وكان يرتدي ملابس مدنية، طويل القامة، ويشبه وزملاؤه من قوة المارشال المتواجدين في المحكمة إلى حد كبير، العراقيين أو الشرقيين بشكل عام، ويبدو أنهم اختيروا على هذا الأساس كي يظهروا أمام الكاميرات في المحكمة وكأنهم عراقيون ربما لإعطاء انطباع للعالم بأن المحكمة يديرها عراقيون وأن الأمريكان لا يتدخلون فيها.

قلت لهذا الضابط إن بإمكانه أن يتأكد من قائد المعتقل بأنني استلمت الساعة من الرئيس. ثم قصصت عليه قصة الساعة، وأنني دخلت المنطقة الخضراء وفتشت بدقة، فضلاً عن حواجز التفتيش الثلاثة الموجودة قبل الدخول إلى المحكمة، بأجهزتها المتناهية الدقة ومنها الحاجز الأول الأمريكي والثاني الحكومي والثالث الجورجي، وأن الساعة كانت معي، ولا يمكن لي إعادة صناعة هذه الساعة في هذه الأماكن. فاقتنع، وطلب ألا أعطي الرئيس أي شيء إلا بموافقتهم.

أخذ الضابط الساعة، ويبدو أنه أعطاها للقضاة الذين قاموا بدورهم بتسليمها لأحد ضباط المخابرات الأمريكية من [illegible]

[illegible] الأطراف في المحكمة، وهو الذي جاهد لاختراق عملنا في عمّان من خلال البريد الإلكتروني.

في اليوم التالي للمحاكمة، جاء هذا المستشار وطلب التحدث معي منفرداً. ذهبت بضعة أمتار معه داخل بناية المحكمة. قال لي: أستاذ خليل، إنني أكنّ لك كل الاحترام، وأنا حريص عليك رغم أنك حذر مني، يا أستاذ خليل، أنت ستذهب (بداهية)، تساءلت عما ستكون هذه الداهية. قال: انت اعطيت ساعة إلى صدام فيها جهاز تسجيل إلكتروني، وأنت تعرف أن هذا يعد خرقاً فاضحاً لمهنتك. لكن سأحاول مساعدتك والوقوف إلى جانبك إن تخليت عن كلمة سيدي لصدام. قلت له: هل الساعة معك أم أرسلتها إلى طهران لوضع جهاز التسجيل فيها، وأنا لا أخضع للابتزاز.

وتركته وأخبرت الكابتن مايكل ماكوي الذي قال إن من يسيء إلى المحامين، فإنني سأسحق رأسه. وأحضر الساعة .. وهذا نزر يسير مما كنت أتعرض له من مضايقات وضغوط.

كيف عاملوا الرئيس الأسير

أصدرت محكمة بروكسل الشعبية بياناً يتعلق باغتيال المحامين الذين لهم علاقة بمحاكمة الرئيس صدام حسين ومنهم خميس العبيدي وسعدون الجنابي وعادل الزبيدي ومحاولة اغتيال المحامي ثامر الخزاعي. وعدد البيان المخالفات التي ترتكب بحق الرئيس صدام حسين في المحكمة المهزلة. ومما جاء في البيان:

«يجب علينا أن نثبت حقيقة أن السيد صدام حسين هو أسير حرب لأنه كان القائد العام للقوات المسلحة العراقية خلال الحرب التي قامت بها الولايات المتحدة ضد العراق. وكاسير حرب فهو يتمتع بالحقوق التي تنص عليها بنود إتفاقيه جنيف لعام ١٩٤٩ والبروتوكول الأول المضاف الملحق باتفاقية جنيف، وبكل ما يتضمنه القانون الإنساني المتعارف عليه من حقوق متعلقة باحتجاز أسرى الحرب. والملاحظة المهمة في قضية احتجاز السيد حسين، أن استمرار احتجازه كسجين يتعارض مع الفقرة ٢٢ من اتفاقية جنيف الثالثة التي تقضي بعدم جواز احتجاز

الأسـرى وعزلهـم إلا إذا كان ذلـك في مصلحة أسـرى الحـرب أنفسـهم. ويبدو أن احتجاز السـيد حسـين وعزله هو مخالفة صريحـة للبند ٢٢ من الاتفاقيـة. بالإضافة إلى ذلك، فنحن نتسـاءل في مـا إذا وجدت انتهاكات للحقـوق المنصوص عليها في البنـود ٢٥-٢٦-٢٧ من الاتفاقية في ما يتعلق بالشـروط الأخـرى. وفي ضوء ذلك، فإننا نطالب السـلطات المسـؤولة عـن المعتقلات السـماح للجنـة الصليب الأحمر الدولية وللهيئات والمنظمات المماثلة لها التحقق التام من الشروط الواجب توافرها فـي المعتقل. ويبدو بشـكل واضح أن الولايات المتحدة تسـيطر سـيطرة كاملة على المعتقل الذي يوجد فيه السيد حسين».

ويسـتعرض البيـان المنشـور على موقـع محكمة بروكسـل المخالفـات التي كانت ترتكب في حق الرئيس صدام حسـين. ويختتمه بنداء: «رجاء إرفعوا أصواتكم ضـد التجـاوزات المسـتمرة للقواعـد الدوليـة الواجب توافرهـا في محاكمة السـيد صدام حسين».

لذلـك وفقاً لاتفاقيـات جنيف، فإن الرئيس صدام حسـين يعتبر أسـير حرب. وهـذا ما أعلنـه الأمريـكان حين ألقـوا القبض عليـه. لكن كيـف عومـل الرئيس بعد الاعتقال وفقاً لهذه الاتفاقيات؟

توجّهت بسؤالي هذا إلى الرئيس فقال:

«إنـي لأعجب يا ولدي كيف يتكلم هؤلاء عن الديمقراطية وحقوق الإنسـان. فقبـل مجيئك فـي المقابلـة الأولى، تعاملوا معي بقسـوة شـديدة. ومنـذ اليوم الأول لاعتقالي، قلت لهم سـتخلقون فوضى في المنطقة، وأجيالاً جديدة من «الإرهابيين» بسبب حربكم غير القانونية على العراق. لقد عذبوني بشدة، وضربوني ضرباً مبرحاً أضر بأجزاء من جسـمي من جـراء الكدمات والرضوض وخاصة في سـاقيّ، بعضها شفيت منه بعد فترة من العلاج تراوحت أكثر من ستة أشهر، والبعض الآخر بعد ثلاثة أشـهر. هؤلاء الهمجيون لا يمتّون للإنسـانية بصلة. لقد حاولوا بشتى الطرق الإساءة لي وإيذائي نفساً، لكن قوة عزيمتي وإيماني بالله، منحاني صبراً لا حدود له.

«كنت أعاني من طول شعر رأسي وذقني، لأنهم حلقوا شعري مرة واحدة منذ

اعتقالي بواسطة ماكنة حلاقة سببت لي حساسية في الوجه والرقبة. وكنت قد طلبت منهم مقصاً صغيرا لتشذيب ذقني، لكنهم رفضوا، ثم عادوا بعد فترة ليقولوا إنهم وافقوا مبدئياً على طلبي على أن يأخذوا أولاً موافقة المراجع. واستمرت مداولاتهم لأكثر من شهر. وكانت النتيجة أن «المراجع» رفضت طلبي. كانوا يخافون أن أقوم بذبح نفسي، ولو أردت الانتحار لفعلتها قبل ذلك. وقلت لهم إن ديننا العظيم يحرم ذلك، ثم ليس صدام حسين من ينتحر. وفي إحدى المرات التي طلبت فيها المقص، قلت لهم ليقف أحد الحراس بالقرب مني إذا كنتم تخافون على حياتي من هذا المقص. لديهم روتين قاتل. فعندما أطلب شيئاً، فإن تنفيذه يتطلب وقتاً طويلاً.

«لكن تغيرت معاملتهم لي بعد زيارتك الأولى بعد أن هددتهم أنت أستاذ خليل بفضحهم في وسائل الإعلام. فهم لا يريدون أن يطلع العالم على حقيقة وجههم البشع. فبدأوا يعاملونني بطريقة أفضل، بعد أن طلبت أنت منهم أن يحلقوا شعري وذقني بحضورك. ثم بدأوا يحضرون حلاقاً كل فترة. وفي إحدى المرات، مزحت مع أحد الضباط، فقلت له: لم لا تترك المقص عندي لأرتب نفسي، وأعدك بألا أنتحر، فإذا خشيتم أن أضرب أحد جنودكم، فهذا غير وارد، فأنا قائد ورئيس أسير ولا أستخدم يديّ إلا في حالة واحدة وهي إذا زارني بوش، ولن أعطيه الأمان، عندئذ عليكم أن تنتبهوا لأنني قد أضربه، فهو عدوي. ثم قلت: دعوه يأتي ولا تخافوا عليه.

«كان استعمال دورة المياه مأساة ، فقد تعمدوا إغراق الحمّام لكي تكون عبادتي ناقصة من دون وضوء، بالإضافة إلى أن الحمّام من دون باب، والحارس يشرف علي عند استخدامي الحمّام من دون وجود ستارة. إنها حضارتهم وديمقراطيتهم وإنسانيتهم التي يتشدقون أنهم أتوا بها للعراق. كانوا يحاولون إزعاجي بشتى الطرق.

«أما عن الطعام، فأقول إنني لست شرهاً. وفي بداية اعتقالي، قدموا لي الطعام بطريقة غير لائقة، أي من تحت الباب، فرفضته وامتنعت عن تناوله. ثم بعدها بدأوا يحضرونه قائلين إنها من وجبات الجيش الأمريكي الذي لم أتعود عليه. كان لدي

مشكلة في شهر رمضان، إذ كانوا يتعمدون تأخير جلب الطعام حتى تنتهي فترة السحور كي يجبروني على الإفطار، ثم يؤخرون جلب طعام الإفطار للغرض نفسه. ولم يحضروا لي تمراً ونحن بلد التمر. والمسلم عادة يبدأ إفطاره بتناول التمر.

«تسألونني عن الصحف إن كانت تصلني أو إن كنت أستمع للأخبار. إنني لا أعرف ما يدور في الخارج لأنني معزول تماماً عن العالم. فهم يمنعون عني كل وسائل الإعلام بشكل متعمّد. تصوروا من يصدق أن أمريكا تمنع الراديو والتلفزيون والصحف عن صدام حسين؟

بعد فترة طويلة من اعتقالي، بدأت علاقتي ببعض الحراس تتحسن حين لاحظت أنهم يتقربون مني، ويسألونني في أمور كثيرة. فوجدت بأنهم مهنيون وليسوا سياسيين. وحين كنت أحدثهم عن بلدي وشعبي، كانت تبدو على وجوههم علامات التعجب، وذلك لأن ساستهم خدعوهم. وفي إحدى المرات، قال لي أحدهم إن بوش خدعهم وهو كذاب. وعندما بدأت أواصر العلاقة تتوطد بيني وبينهم، كان قادتهم سرعان ما يستبدلونهم. حين كانت تأتي مجموعة جديدة لحراستي، كنت أقول لهم لا عداوة لي مع الشعب الأمريكي، وإنما مع الحكومة. وقد يخرج يوماً أحد أعضاء هذه الحكومة ليقول الحقيقة.

«أذكر في أحد الأيام، أخرجوني قرب بحيرة النور. وفجأة سقط صاروخ أطلقه أبطال المقاومة باتجاه البحيرة. جاء الحرس مسرعين واصطحبوني إلى الداخل خشية علي كما قالوا، لكنني كنت سعيداً بهذا الصاروخ. وقلت لا تخشوا علي من شعبي. إن هؤلاء مجبرون على إطاعة أوامر قادتهم. وقد كنا أحياناً نتبادل الأحاديث، فأجدهم ممتعضين من كذب حكومتهم وتصرفاتها، وكانوا يصرحون بأنهم غير راضين عن غزو العراق ومقتل زملائهم، وكانوا يحنون إلى وطنهم وعوائلهم..

«وفي يوم آخر، وكنت متوجهاً لمقابلتك هنا، أخبروني أنني إذا تعرضت لعملية إرهابية فإنهم سيحمونني بأجسادهم، وقلت مرة ثانية لا تخافوا علي من شعبي. وقلت لهم عندما يتحرر العراق وتعودون إلى بلدكم أمريكا وتعود الحياة إلى العراق، فإنني سأدعوكم لزيارتنا. وقد فرحوا بذلك ووعدوا بتلبية الدعوة..

عندما كنت أضرب عن الطعام، لسبب ما، كانوا يحاولون إقناعي بالعدول عن الإضراب. وإذا عجزوا، كانوا يقولون سنستدعي محاميك، ويقصدونك أنت، فهو الوحيد القادر على إقناعك. وفعلاً عندما كنت تأتي، كانوا يطلبون منك إقناعي.

«كان البعض منهم يطلب توقيعي ليحتفظ به، وشاهدت عدداً منهم يختزن صوري على هواتفهم المحمولة. وذات يوم جاءني أحد الضباط الأمريكان، وهو الذي طلب منك رفع مذكرة إلى قائد القوات الأمريكية طالباً عدم نقله. فقد كان يحبني كثيراً، ويخدمني بصدق. جاءني هذا الضابط والدموع في عينيه، وقال إنهم سينقلونه إلى مكان آخر. وقال: لا أريد أن أكون بعيداً عنك. ثم حين صدر قرار نقله، جاء إليَّ وعانقني وأجهش بالبكاء بصوت عالٍ لدرجة أثّرت فيّ.

وهكذا، كلما توطدت علاقتي بحراسي، كانوا يستبدلونهم. وقد كانت المجموعة الأخيرة التي أتوا بها لحراستي سيئة، إذ كانوا يقومون بأعمال استفزازية كالغناء بصوت عالٍ، والرقص، وإصدار الأصوات المزعجة وعمل دربكة بأرجلهم على الأرض. لكن كل ذلك لم يفت في عضدي، أو يأخذ من عزيمتي. واليوم، وبينما كنت في طريقي لهذه المقابلة، وبعد صعودي العربة العسكرية، وضعوا حاجزاً من الأسلاك بيني وبين الضابط والسائق، وكنت مقيداً بالأصفاد، برروا هذا خوفاً من أن نتعرض لهجوم في الطريق، ومن ثم أهرب .. تصوروا حالة الذعر والانهيار لديهم .. «أثناء هذه التنقلات القصيرة، كنت أشاهد الأشجار والنخيل التي كنت أشرف على زراعتها ومتابعة سقايتها بنفسي، ووجدتها جافة ومهملة. وقد تأثرت جداً وقلت فيها بعض الأبيات المؤلمة.

«عندما امتهنّا هذه الشغلة، (أي قول الشعر[1])، كان ذلك بسبب الوحدة، فلا أحد أكلمه ولا أنيس. وقد وجدت أن الشعر وحده يعبّر عن وجداننا .

---

(١) آثرت اختصار الشعر في هذا الكتاب ليصدر لاحقاً في كتاب منفرد، إلا إذا اقتضى الأمر.

الإضراب عن الطعام

«عندما أضربت عن الطعام بعد استشهاد المحامي خميس العبيدي (٢١/ ٦/ ٢٠٠٦)، جاءني اثنان من الأمريكان، أحدهما جنرال، وطلبا مني أن أفك الإضراب. ثم قالوا لي إن أعضاء القيادة سيضربون يوم الثامن من تموز. قلت لهم أحضروا لي رسالة تؤكد ذلك. فأحضروا رسالة من طارق عزيز.

قررت بعدها أن أضرب مع زملائي، وقد كتبت أكثر من قصيدة منذ اليوم الأول للاضراب وحتى اليوم العشرين منه .. كان الأمريكان يراقبون حالتي الصحية صباحاً ومساءً. وقد أجروا فحوصات لي في المستشفى، وأجريت لي تغذية في الوريد ومن الأنف كذلك. وفي الإضراب الأول، وبالذات في اليوم الحادي والعشرين منه، أخبرني الضابط أنهم قلقون على صحتي. كان واقفاً بجانبي، وكان في الغرفة صندوق حديدي يحوي حاجياتي الشخصية، ووزنه ثقيل. أمسكت بالصندوق من حمالته ورفعته للأعلى، فاستغرب الضابط. والجماعة (الأمريكان) مندهشون لأن صدام حسين بعد إضراب عن الطعام كل هذه المدة، ما زال يضحك ويكتب الشعر ويمارس حياته بشكل طبيعي.

«لقد تغيّرت معاملتهم لي منذ الزيارة الأولى نحو الأفضل. وقد أحضروا لي دراجة هوائية ثابتة أستخدمها يومياً لعشرة أو خمسة عشر كيلومتراً. والحمد لله، فإن صحتي جيدة. حتى غرفتي، فإنهم يقيسون درجة حرارتها ورطوبتها مرتين في اليوم، ويجرون لي فحوصات مستمرة مرتين في اليوم أحياناً حتى أخذت أرفض بعضها. وللإنصاف أقول إن الرعاية الصحية كانت ممتازة. وأنا ملتزم بتعليماتهم الطبية كوني متفرغاً في المعتقل. وقد اقترح علي الطبيب أن يجري لي فحصاً للبروستات، فرفضت لقناعتي بأن صحتي جيدة (سالم مسلّح)، وقلت مازحاً إذا أراد شعبي أن أتزوّج، فسأفعلها.

«بعد استشهاد المحامي خميس العبيدي، قلت لن أتوقف عن إضرابي عن الطعام حتى يقتصوا من الجناة، وأن يقوم الأمريكان بحماية المحامين، وأن يبلغني بذلك الأستاذ خليل أو من يخوّله في حالة استجابة الأمريكان لطلبي».

كيف تلقى الرئيس نبأ استشهاد ولديه وحفيده

كان آخر اجتماع للرئيس بنجله قصيّ في ١١/ ٤/ ٢٠٠٣، وكان الرئيس حينها ما يزال يرتدي بزته العسكرية، وقررا عندها الخروج من بغداد وتوزيع أفراد الحماية بينهما. وصادف أن التقيا بعدها في مضيف عائلة تعتبر من أهم العوائل العراقية في الجنوب الغربي من مدينة الرمادي. لكن بعد قصف هذه الدار، تفرق الجميع كل إلى حاله. في تكريت، مسقط رأس الرئيس صدام حسين، نصحه بعض أقاربه من المخلصين له بأن لا يجتمع ولداه في مكان واحد كي لا يكونوا صيداً دسماً لقوات الاحتلال. ومن هؤلاء الفريق الأول الركن ماهر عبد رشيد الذي كان من أكثر المقربين للرئيس انتقاداً لأي خطأ يحصل، وكان يقول رأيه بكل شجاعة، خاصة وأن قصيّ هو صهر هذا القائد الذي شهدت له ساحات الوغى صولات وجولات، فأحبه العراقيون وغرس هذه المحبة والاخلاص في نجله عبد الله.

توجه نجلا الرئيس إلى ناحية العوجة. وبينما كان عديّ يمضي ليلته في بيت أحد أقاربه، سمع صوت انفجارات في الغرف الأخرى للدار، فتبين له أن في الأمر وشاية، فقرر وشقيقه قصيّ الخروج من محافظة صلاح الدين، بالإضافة إلى عبد حمود السكرتير الشخصي للرئيس الذي كان الرئيس قد كلفه بالبقاء مع نجليه. توجه الجميع صوب الحدود السورية، ونجحوا في العبور إلى القرى السورية المحاذية للحدود بواسطة زعماء العشائر المخلصين للعراق.

كان شبح الحرب يهدد المنطقة كلها، ورائحة البارود والموت تتسرب من كل الزوايا ، وأنظار واشنطن وديك تشيني ورامسفيلد وبول ولفوفيتز تتجه إلى سوريا طمعاً بما تحقق لهم من نشوة نصر ظنوا أنهم حققوه بعد (سقوط) بغداد أسيرة في أيدي قوات المارينز.

كانت سوريا تحاول دفع هذا الشر بكل الطرق كي تجنّب شعبها والمنطقة مزيداً من الانهيار. وعندما علمت السلطات السورية بدخول نجلي الرئيس صدام حسين وعبد حمود إلى أراضيها، رحبت بقصيّ وعبد حمود، لكنها طلبت من عديّ مغادرة الأراضي السورية، وله أن يختار الجهة التي يرغب فيها، والسبب أنها تستطيع

التستر على قصيّ ومرافقه لأنها تعرف شخصية قصيّ. أما عديّ، فله أعداء كثيرون من العراقيين الذين دخلوا إلى سوريا، فكانت تخشى عليه من هؤلاء وخاصة من أقاربه بسبب العداوات بينهم. بالإضافة إلى أن أمريكا ستكون على علم بوجود عديّ في الأراضي السورية، وبالتالي ستدفع سوريا ثمناً باهظاً لهذا الثور الهائج، أمريكا.

لكن قصيّ رفض مفارقة أخيه، ومن ثم عاد الثلاثة إلى العراق، وقرروا البقاء في الموصل لما لقصيّ من علاقات ودية مع أهلها، وكان يحظى بمحبة واسعة من قادة الحرس الخاص وكبار القادة العسكريين من أهل الموصل، وللتنسيق مع قيادة عمليات المقاومة. أما عبد حمود، وعند وصولهم إلى الحدود، قرر العودة وترك عديّ وقصيّ ليتخذا قرارهما. فاختار الأخوان ومصطفى ابن قصيّ منزل أحد الأشخاص ليكون مقراً شبه دائم لهم. فكانت الوشاية اللعينة.

قصة الوشاية

يقول شاهد عيان (ص)، وهو من الشخصيات المقربة للرئيس صدام حسين ويحظى باحترامه وعلى علاقة وطيدة مع قصيّ، راوياً تفاصيل حادث استشهاد عديّ وقصيّ ومصطفى:

«في يوم ٥/ ٤/ ٢٠٠٣، اصطحبنا السيد جمال مصطفى زوج حلا كريمة الرئيس صدام حسين الصغرى، أنا وولدي إلى كرفان قرب جامع أم الطبول، حيث التقينا «قصيّ» الذي كان برفقته كمال مصطفى وسكرتيره الدوري واثنين من الضباط. وقد تم الاتفاق أن أترك ولدي معهم كدليل لهم للوصول إلى الموقع الذي اخترناه لهم مع عوائلهم إن كانوا يرغبون، وكان ذلك بعلم الرئيس صدام حسين. بعد أكثر من شهرين، فوجئت بذهاب قصيّ وعديّ عند نواف الزيدان ومعهم مرافقوهم فلان وفلان أولاد فلان وابن أختهم فلان الذي استطاع الهرب في ما بعد مع نواف بالمبالغ التي كانت بحوزة قصيّ وعديّ، وهو مبلغ كبير جداً، مع حقائب من المصوغات الذهبية. وكان يوجد شخص شاهد يترصد كل هذه الأموال مع الهاربين، وقد شوهد الشخصان نواف الزيدان وأحد المرافقين لعديّ وقصيّ يجتازان سياج الدار التي حدثت فيها الجريمة، وكان ارتفاع هذا السياج متراً ونصف المتر، وكانا يقومان برمي ثلاث حقائب مليئة بالأموال

والمصوغات الذهبية، من السياج خلف الدار، وكان ذلك في فجر أحد الأيام. ثم غادرا في السيارة التي كانت تنتظرهما. بعد حين عاد المتهم الرئيسي نواف إلى الدار (داره) بمفرده .. كل ذلك قبل مجيء الأمريكان.

في الساعة الثانية بعد منتصف الليلة التالية، ذهب المتهم الرئيسي نواف ومعه شقيقه، إلى قائد القوات الأمريكية في الموصل آنذاك ديفيد بتريوس، وأخبره بأن «عديّ وقصيّ» موجودان في داره. كان في مكتب بتريوس أحد شيوخ الموصل المقرب جداً من بتريوس ويتواجد ليلياً عنده. وقد روى هذا الشيخ (نعتذر عن ذكر اسمه) هذه القصة لأحد الشيوخ.

خرج الجميع بسيارة مدنية ليستطلعوا المكان. ثم عاد بتريوس لوحده بعد ساعة ونصف بعد أن اعتذر لضيفه الذي قتل لاحقاً على أيدي أبطال المقاومة.

بعد ذلك، خرج بتريوس بموكب من عربات الهامفي والمدرعات يتقدمهم المتهم الرئيسي نواف. وحين وصلوا إلى داره، دخل نواف فوجد «عديّ وقصيّ ومصطفى» نائمين. فخرج ليشير بإصبعه إلى الأعلى للأمريكان أن الوضع (أوكي)، ثم ذهب مع ولده (ش) وركبا في عربة همفي مكشوفة واضعاً (منشفة) على كتفه، تاركاً بيته للأمريكيين ليتصرفوا كما يشاؤون.

يقول شاهد العيان (ص): دق جرس هاتفي، وكان المتحدث أحد المجاورين للدار التي وقع فيها الحادث، طالباً مني إنقاذهم (عديّ وقصيّ ومصطفى). ذهبت مع مجموعة من الرجال لنجد أن المعركة قد ابتدأت، وقد سمعت الأمريكان ينادون على عديّ وقصي ومصطفى بضرورة تسليم أنفسهم مقابل سلامتهم. كان قصيّ يرد عليهم من إحدى النوافذ بقاذفة (آر بي جي٧) وبسلاح آخر. ومن نافذة أخرى كان عديّ يقاتلهم بقناصة. أما مصطفى فكان يرمي عليهم من سطح الدار. أما على الأرض، فقد كانت الدار محاصرة بأكثر من ٢٠ دبابة و٢٠ مدرعة وأكثر من ٢٠ عربة هامفي وأكثر من طوق راجل. ثم جاءت قوات من البيشمركة لتعزز موقف الأمريكان، فاستحالت أية عملية لإنقاذهم، وسمعنا بأنهم تمكنوا من قتل ١٣ أمريكياً.

بعد أن تعقد الموقف، أطلقت القوات الأمريكية صواريخ غازية، وفجروا الدار...

لم أكـن أريـد أن أفتـح جروحاً جديـدة، لكـن جـراح الرئيس صدام حسـين والعـراق لم تلتئم، ولـن، إلا بعد تحرير العـراق من طغمة الاحتـلال وأذنابه .. كنت واثقاً أن الرئيس أقوى من كل جراحـه، وأن الجرح الوحيد في قلبه هو العراق. وهذا ما شجّعني أن أسأله كيف سمع بنبأ استشهاد ولديه وحفيده، فقال:

«حين قررنـا الاختفاء واللجوء إلى العمل السـري كما كنـا نفعل عام ١٩٥٩، أيام النضال السـري، كنت أطرق أبواب العراقيين وأزورهم في بيوتهم.. هاي السنين آني أشـتغل كلها مع شعبي، وإذا ما يحميني شعبي عدا عن حمايتي الشخصية، فوالله أكو خلل وأكون ما سويت شي».

«فـي أحد الأيام من شـهر تموز عـام ٢٠٠٣، كنت في دار أحـد العراقيين وقد احتفـى بي كثيراً، لكنني قـرأت في وجهه حيرة وارتباكاً. قال لي: سـيدي، إنني متردد فـي أن أخبـرك.. قلت: لا تتردد. قال: لقد استشـهد عـديّ وأعطاك عمـره. قلت وأنا أبتسم: عفيّة والحمد لله. ثم تابع: وكذلك قصيّ. قلت: عفيّتين والحمد لله. ثم قال: سيدي، مصطفى أيضاً استشهد. فقلت: ثلاث عفيات والحمد لله الذي شرفني بهؤلاء الأبطال الذين استشهدوا في سـبيل وطنهم، ولم يساوموا أو يخونوا. الحمد لله على قضائه وقدره. إنهم أبناء العراق حالهم هو حال من استشهد في سبيل العراق.

«قبل ذلك، نصحني بعض القادة العسـكريين والأقربـاء وبعض العراقيين بألا يتواجـد عديّ وقصيّ سـوياً حتى لا أخسـرهما مرة واحـدة. قلت آنـذاك إن ما يريده الله سـبحانه وتعالى هو الخير لنا جميعاً، مناضلين وفدائيين في سبيل العراق، وإنني أحتسـب أولادي وحفيدي عنـد الله وهم فـداء للعـراق. لقد قاتلوا حتـى اللحظات الأخيرة، ورفضوا الهروب.

«لـم يكن وارداً فـي خاطرنـا ولو للحظـة واحدة أن نغـادر العـراق أو نهـرب كالجبنـاء بحثـاً عـن حيـاة رخيصـة، لأننـا لا نعـرف لأنفسـنا مكانـاً خـارج تـراب العراق العزيز..

«أنتـم أولادي وأخوانـي، وكل العراقيين هـم أخواني. على القائـد ألا يتردد، عليه أن يضـع ابنه في المعركـة قبل ابن الناس. وفـي الحرب العراقيـة الإيرانية، كان

عديّ وقصيّ في الجبهة، وكانوا آنذاك صغاراً في السن ... والعرب يكونون غانمين إن شاء الله، لكن قلة منهم من يقدمون عائلتهم كلها أو أكثرها للوطن. لذا أرى أنه لا بد لي من الزواج بعد أن وجدت بأن أولادي كانوا جيدين لخدمة العراق، مع أن جميع العراقيين هم أولادي.

«عندما كانت الحرب على أشدها بعد غزو ٢٠٠٣ وقبل إعلان الاحتلال، طلبت مني إحدى بناتي أن تغادر العائلة إلى مكان خارج العراق، كونهن نسوة ولكي أتفرغ مع أخوتهن للقتال. فرفضت. ثم تكرر الطلب مع اشتداد المعارك والقصف عندما كان العدو يلاحقهن من دار لدار. فقلت: لا، لقد تنعمتن بالسلطة وامتيازاتها لأكثر من ثلاثين عاماً، واليوم عليكن أن تكتوين بنارها أسوة بالشعب. ورفضت رفضاً قاطعاً.

«كانت العروض تنهال علي من بعض الأطراف للخروج خارج العراق. وكنت أقول: كيف لنا أن نخرج ونترك الشعب العراقي يواجه مصيره المحتوم. لكن هؤلاء لا يعرفون صدام حسين، ولا يعرفون أن العراقي [illegible] وإلا دونها الاستشهاد. أما العملاء، فهم الذين يهربون ليحتموا بالأجنبي. ثم تصور إلى أي مدى وصلت الوقاحة الأمريكية، فهم لم يكتفوا بالطلب السخيف بمغادرتي العراق مع عائلتي، بل أبلغوني قبل ذلك، وبطريقة غير الواسطة الدبلوماسية المعتادة، بأنهم سيقومون بالضغط على أية دولة ألجأ إليها لتسليمي لهم، وإذا بقيت داخل العراق، فإنهم سيقومون باعتقالي بأية طريقة إن لم أستجب لمطالبهم. وهذا يؤكد على أنهم كانوا عازمين على غزو العراق، فوضعوا الأسباب الثلاثة المعروفة التي تبيح لهم غزو العراق، وهي أسلحة الدمار الشامل والعلاقة مع القاعدة، ثم التخلص من صدام حسين لأنه دكتاتوري!».

لكنهم بالتأكيد لا يعرفون صدام حسين الذي أبى أن يغادر العراق، واختار أن يموت شهيداً على تراب وطنه.

وهنا كان الوقت مناسباً لأن أناشده الموافقة على زيارة عائلته له، وقد كنت أطمح بأن أخرجه من عزلته، وأن ألبّي طلب عائلته وقد اشتاقوا إليه، وأدرك أنه مشتاق إليهم، لكنه [illegible].

«أستاذ خليل، لن أرفض لك أي طلب، فأنت رجل شهم وشجاع، ولكن حرصاً على تاريخي وشرف العراق، فلن أسمح لعائلتي بزيارتي لأن الأمريكان ليسوا أصحاب كلمة صادقة، ولا يمكن الوثوق بهم. ولا أرغب في الاتصال الهاتفي بعائلتي لأسباب نفسية واجتماعية، فقد تقوم هذه البنت بالبكاء، وذاك بالنحيب. لكن أقول الحمد لله، ما دمت تجلب لي أخبارهم، فأنت ابني وأخي».

ما غادرته يوماً، إلا وتمنيت ألا أغيب عنه كثيراً. فمثل هذا القائد والإنسان الكبير لا يعوّض شيء في الدنيا عن معرفته. هل شاءت الظروف ألا أعرفه إلا في الأسر، وأن أستمع إليه ساعات وساعات، يغلبني فيها الحزن وأنا أراه رهيناً بين أربعة جدران .. لكنه حتى في أسره كان عظيماً، فلم تكسره القضبان، ولا جبروت العدو، وكأنه كان يرى فعل الأبطال خارج أسره، ويشعر به، وهذا ما كان يزيده قوة وصلابة وإيماناً بأن يوم النصر آتٍ، وأن العراق بمقاومته الباسلة سيعود أجمل مما كان. فعبر التاريخ، خضع العراق لغزوات كثيرة من أقوام متوحشة كثيرة، وتعرض لعمليات هدم وتخريب وإبادة وقتل .. لكنه برغم كل ذلك، كان ينهض كما العنقاء ليطرد المحتلين، ولينفض عنه غبار الهدم والتخريب وليعود إلى بناء حضارته من جديد.

الفصل الثالث عشر

كيف يستشرف الرئيس صدام حسين المستقبل؟

... إنها ثارات اليهود من عهد نبوخذ نصّر حتى صدام حسين،
وإنها ثارات كسرى من ذي قار والمثنّى والقادسية الأولى
حتى القادسية الثانية،
قادسية صدام المجيدة التي أنقذت العراق من شرورهم
وأحقادهم.

(من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل)

تبدو الساحة العربية اليوم أشبه بكتلة ألغام كبيرة تتوزع بين العراق وفلسطين ولبنان والسودان والصومال، ثم التهديد لسوريا، في محاولة لإشعال المنطقة ككل تمهيداً «الشرق أوسط جديد» أو ما يسمى بسايكس بيكو جديدة، وفق ما تريده أمريكا وحلفاؤها. وفي خضم الأحداث الجارية التي تنذر بانفجارات كبيرة، بدأ التهديد الأمريكي لإيران للتوقف عن برنامجها النووي، وابتدأت محاولات الشد والجذب بين الأطراف المعنية. وتساءل الكثيرون هل حقيقة ستضرب أمريكا وإسرائيل إيران وهي حليفتهما في الأحداث التدميرية التآمرية على العراق ..

أمريكا وإيران

سألت الرئيس صدام، وهو الذي يدرك أكثر من سواه ما هي إيران. وقد عانى العراق عبر تاريخه من ويلات إيران والصفويين، فقال:

«أمريكا لن تضرب إيران، وكذلك إسرائيل. أمريكا التي سمحت لإيران بلعب دور كبير في تدمير العراق، يعني أن العدو الأساسي لها هو المقاومة العراقية وليس إيران. ولقد زرت خلال الحرب العراقية الإيرانية، الأماكن منطقة منطقة، واطلعت على القوة التي لدينا سرية سرية ، وحفظت نوعية سلاحنا. ومن هنا فإنني أعرف كل مؤامرات إيران. ثم إن شيعة العراق هم نسيج الوطن، والأكثرية من جيشنا الباسل هم من شيعة شعبنا.

«إن ما يؤلمني أن العرب وقفوا موقف المتفرج من العدوان على لبنان (تموز

٢٠٠٦)، فأعطوا بذلك الفرصة لإيران لتلعب بالعواطف. فأين العرب الآن مما كنا عليه في السابق؟

«أما بالنسبة لتهديدات إسرائيل لإيران، فنحن لدينا تجربة في ذلك. فالإيرانيون طلبوا الدخول من العراق لمقاتلة إسرائيل، وقد فوتنا عليهم الفرصة عندما قلنا لهم لا بد من وجود سلام بيننا حتى نسمح لهم بالمرور عبر أراضينا إلى القدس! لكنهم قالوا: بغداد ثم القدس. وبالنسبة للقضية اللبنانية، فإنني أعتقد أن المقاومة اللبنانية ليست سهلة وكذلك الرجل الذي يقودها، فإن لم يتم التآمر على المقاومة كورقة صعبة في المعادلة اللبنانية، فإن أنف إسرائيل سيتمرغ في التراب، وستسقط في الحضيض حتى لو لم ترجع مزارع شبعا التي أفضل ألا تعود الآن لتبقى المقاومة في الجنوب اللبناني مؤججة ومتقدة، وستكون سمعتها في لبنان كبيرة جداً، وأرى أن يتم حل مزارع شبعا مجتمعة مع قضية فلسطين والجولان.

«في الحرب العراقية الإيرانية، كنت أفرح عندما يقال لي هذا الضابط كردي أكثر من فرحتي به لو كان عربياً. فقد قاتلنا إيران بعيدين عن الطائفية، وهي تريد أن تفرض على شعبنا حرباً طائفية تمزق نسيجه الوطني، وهما (إيران وإسرائيل) المستفيدان الرئيسيان من تدمير العراق والعرب.

«كل من يقول إن أمريكا ستضرب إيران، أقول عكس ذلك. فأمريكا إذا ما قررت، فعليها أن تجهز قوة على الأرض في مضيق هرمز وشرق الخليج العربي، وعندها ستغلق إيران المضيق بالصواريخ والمدافع. وأي ضربة من أمريكا لإيران سترفع سعر برميل النفط من ١٥٠-٢٠٠ دولار، ومن المتوقع أن تقدم إيران على غلق المضيق إذا تعرضت لأي عدوان.

«أما بالنسبة لسوريا، فعليها أن تكون حذرة. فإيران ستكون أكثر قدرة على مد المقاومة اللبنانية لأنها معنية بشكل مباشر. وسوريا واعية سياسياً، وصحيح أنها تخشى المقاومة لأن وضعها الداخلي له خصوصية. وليس من مصلحة سوريا أن تفتح جبهة الجولان، وهم لا يعتبرون الجولان هدفهم النهائي حتى في زمن حافظ الأسد، لكن من مصلحتها أن تفتح حدودها مع لبنان وتدعم المقاومة اللبنانية وتترك

الأبـواب مشـرعة للمتطوعين. ثـم إن العلاقة بيـن لبنان وسـوريا كانت دائمـاً علاقة جيـدة، وعندما يوجد تدخل خارجي، فإن هذه العلاقـة تتدهور. وعلى أهلنا في لبنان أن يحلوا القضية مع أشقائهم السوريين خارج القبضة الأمريكية لأنها زائلة أسرع مما يتصور البعض وذلك بفعل المقاومة العراقية.

«وأقول إن إسـرائيل تنتظر أن تأخذ الضوء الأخضـر لتضرب المفاعل النووي الإيراني. لكنها لا يمكن أن تقوم بضرب مواقع إيرانية نيابة عن أمريكا طالما أن إيران تملك صواريخ تطال إسـرائيل. وإسرائيل لا تريد للعرب الاستقرار، بل تريد أن يبقى نصفهم مشغولاً مع إيـران، والنصـف الآخر مع إسـرائيل. وكنا نلاحظ أنـه من عام ١٩٨٨ وحتى عـام ١٩٩١، لم تطلق طلقة واحدة من إسـرائيل باتجاه لبنان، ولو كان العراق في حاله السابق، لقلنا لهم إن على الجميع أن يعملوا لإعادة إعمار لبنان.

«أما تركيا، فأعتقد أنها لن تتصرف خارج المسموح به أمريكياً. وهذا المسموح به ليس من مصلحته أن يكون عداء بين الأتراك وأكراد العراق.

«وبالنسـبة لأمريـكا، فـإن لديها من القـوة ما يكفي لتدمـر ما تريده فـي إيران، لكنها تخشـى ردة الفعل على إغلاق مضيق هرمز. لذا، فهي تنظر بحذر شـديد للأمر خاصـة والعالم ما عاد يتحمل حرباً جديدة. وإذا حدث عدوان غربي على إيران، فلن يكـون برياً، وبالتالي لن يكون بذي جدوى، لذا عليهم أن يحسـبوا رد الفعل الإيراني فـي مضيق هرمـز لأن القوات البرية الإيرانية موجودة في شـرق المضيـق، فإذا كانت قواتهـم الموجـودة في العـراق غير كافيـة، فهل سيرسـلون قـوات كبيرة إلـى إيران، فسـيكون عندها تورطهم أكبر مـن التورط في العراق، وإغلاق مضيق هرمز سـيكون كارثـة على العالم، والاقتصـاد العالمي لن يتحمل أية زيادة قياسـية للنفط بعد ارتفاع الأسعار بسبب الحرب على العراق.

«وأرى أن الغـرب أعجز عن القيام بضرب إيران لأن العدوان سـيكون المقتل له، وبالتالي سـتقوم الولايات المتحـدة بالتفاهم مع إيران وفقاً لمصـالحها، وسـيدفع الشـعب العراقي ثمن هـذا التفاهم من ثروته واسـتقلاله ووحدتـه الوطنية. وكل هذا التشـويش على إيران هو لإشغال العرب بهذه القضية، والصهيونية لا تريد أن تضرب

إيـران. إن أمريكا لـم تأتِ إلى العراق من أجل إزالة صدام حسـين مـن الحكم، رغـم أن هـذا الهدف كان غيـر معلن، وإنمـا من أجل اسـتراتيجية بعيدة المـدى تحقق من خلالها الأهداف الصهيونية، ولو كانـت أمريكا تعتبر المفاعل النووي الإيراني خطراً على الكيان الصهيوني، لقامت هي أو هذا الكيان بضربه قبل وصول إيران إلى مرحلة تخصيب اليورانيوم كما فعل العدو الصهيوني مـع مفاعل تموز العراقي. ولهذا تعتبر أمريـكا المقاومة العراقيـة هي الخطر وليسـت المجاميع المرتبطة بإيـران أو التدخل الإيراني في العراق.

«أقصى مـا يمكن تصوره، أن تقوم طائرات أمريكيـة بضرب أهداف معينة لفترة قصيرة، يعلن بعدها وقف إطلاق نار. لكن على الأمريكان أن يضعوا في حسـابهم الرد الإيراني. ومن الممكن، وهو احتمال ضعيف، أن تحصل الضربة من قبل الديمقراطيين، ولكن بقرار من مجلس الأمن وليس بقرار أمريكي كالذي حصل في العراق.

«لقـد أبرزت لهم الخطـر الإيراني مجسّـماً على أرض الواقـع أي عملت لهم (بروفـه) مضبوطـة. ولقد فهم الآن الأمريكيـون والحكّام العرب أكثـر من قبل مدى خطورة إيران. وأقول إن الأمريكان، إذا حلّوا مشـكلتهم في العراق، فمن الممكن أن يوجهوا ضربة لإيران، عندها لن تدخل أمريـكا الحرب وحدها، وإنما بالتحالف مع دول أوروبية. وإيران بالنسـبة لنا كعـرب، أخطر علينا من إسـرائيل، وعلى العرب أن يفهموا ذلك. وكما تعلم فإن هناك حلفاً قائماً بين إيران واليهود منذ التاريخ، حين قام الملك نبوخذ نصّر بسـبي اليهود في ما يعرف بالسـبي البابلي. ثم الحلف مع كورش الـذي أعاد اليهود إلى فلسـطين... لكن إذا امتلكت إيران القنبلـة النووية، يصبح من الصعب الاصطدام بها»[1].

---

(١) أذكر أنني كنت مع الرئيس يوماً في معسكر كروبر، وكان قد وصله أخبار عبث إيران وتدخلها بأمن العراق، وقتلها واغتيالها من تشاء من خيرة رجال العراق. فقال مخاطباً أحد الأمريكيين: «هكذا تركتموهم يعبثون بالعراق. أعيدوا لي سلاحي واخرجوا من العراق، وسأقوم بتأديبهم مرة أخـرى إن كنتم لا تسـتطيعون منع أذاهم عن العـراق. لكنكم راضون عـن تصرفاتهم. لو كان صدام بغير هذه الحال، هل كان لهؤلاء الأوغاد أن يتجاسـروا على العراق و(أخو هدله) وشعبه ؟».

ثم تابع الرئيس حديثه ..

«إن ما حولنا لا يفرحنا، ولم نكن نحن من أوجده، ولسنا بقادرين على منعه، ولكن باستطاعتنا الوقوف في وجهه. فهذه الحرب في الجنوب اللبناني، كانت إسرائيل هي من بدأها، وفتحت جبهة واسعة بإيعاز من أمريكا لصرف الانتباه عما يحصل في العراق، لكن ذلك وضعها في مأزق حقيقي، والنتيجة ستكون لصالح النضال الإنساني والعربي. وإسرائيل لا تتحمل حرباً طويلة، وستحاول تهجير الناس من الجنوب لاعتقادها بأنها ستوفر منطقة آمنة بينها وبين المقاتلين، وستضيف عبئاً على مدفعية المقاومة وسلاحها. وحزب الله سيواصل قصف العدو الصهيوني رغم عدم تكافؤ القوتين. لكن إسرائيل لا تتحمل حالة استنفار طويلة من الناحية السياسية والنفسية والاقتصادية. وطبقاً لهذه العوامل وغيرها، فإن إسرائيل ستطلب وقف إطلاق النار ليس بصورة مباشرة ولكن عن طريق بعض الحكّام العرب.

«كنا نقول دائماً لا داعي لإرسال الجيوش المقاتلة لمحاربة إسرائيل، وإنما وضع مدفعية على الحدود من جهة الأردن من دون الدخول، لتهديد إسرائيل بالعودة إلى حدود عام ١٩٦٧ في المرحلة الأولى. فإن كان حزب الله قد أطاح بسمعة إسرائيل، فكيف سيكون الوضع لو توحدت كلمة العرب في وجهها. وقلت إن الجيش العراقي على استعداد ليقف على الحدود ونقول اضربوا الصواريخ والمدافع، ولا تحسبوا انتهاء الحرب قبل ستة أشهر، فإسرائيل لن تتحمل ضرب المدافع لهذه المدة، والمهم أن تضرب مدافع العرب من البر والبحر من دون توقف وبهمة حتى ولو لم نتقدم بحدود مترين. وعندها ستنهك، وتأتي صاغرة لتوقيع السلام مع العرب.

«إن المقاومة اللبنانية والمقاومة العراقية، ستلقنان أمريكا درساً في فهم الشخصية العربية وستنشط الذاكرة الغربية لمعرفة تاريخ النضال العربي. فالاحتقان في المنطقة العربية ينمو، وأخشى من انفجار كبير يليه، والقوى التي تلعب بنتائج الانفجار محتشدة الآن. وأعتقد أن مصر والسعودية ثم المغرب هم المرشحون لهذا الانفجار. فلو حصل أمر ما في السعودية، فستستغل الفتنة الطائفية، وكذلك في مصر ولبنان».

وتمر لحظات صمت طويلة. كان الرئيس خلالها ينظر للبعيد، ويبدو وكأنه يقرأ من ذاكرته الغنية، ثم ما لبث أن قال:

«كنت قد قلت للعرب إذا ما تعرّض العراق لأسباب التقسيم، فإن مصر وغيرها سيتعرضون لذلك، والعراقيون معروفون بالشهامة، فعندما يشهر أي سيف بوجه الحق، فإن سيف العراقي قريب للأمة. وقد قلت للعرب في السابق إن عليهم أن يتذكروا بأن بغداد خلفهم من ليبيا وحتى آخر نقطة في المغرب والمشرق. وقد خدعت بعض الدول العربية بالثورة الخمينية حينها، واعتقدت أن هذه الثورة هي لمصلحة العرب والمسلمين. وإنني ما أزال أتذكر أثناء الحرب العراقية الإيرانية، حين قامت ليبيا بتزويد إيران بصواريخ، وقد ضربت بغداد بهذه الصواريخ. وبعدها قام مبعوث ليبيا بزيارة تونس، فقام المرحوم الحبيب بورقيبة بمحاولة ضربه قائلاً له: أتضرب بغداد بصواريخكم؟

أما اليمن، فيفترض أن يكون دورها أكبر خاصة بعد تجديد انتخاب الرئيس علي عبد الله لأنه رجل صاحب خبرة وقومي أصيل.

وأقول إن الوضع بشكل عام، وأعني الوضع السياسي، سيتغ بسبب ما تفعله أمريكا وتشجيعها للصهيونية في عدوانها المتواصل على الشعب الفلسطيني. والصهيونية تتربص وتتمنى أن تحدث فقاعات هنا وهناك خاصة في الوسط العربي لكي تسرع وتغرز أنيابها. وأعتقد أن هذه الحالة قد تخلق ردة فعل عند الأمة العربية، فالأمة مجزّأة وليست حالة واحدة، فالحالة الواحدة يكفيها استفزاز بدرجة ستين بالمائة لكي يكون رد فعلها قوياً، لكن الحالة المجزّأة تحتاج إلى استفزاز أكثر من تسعين بالمائة لكي تكون ردة الفعل قد نضجت. وأعتقد بأن ردة الفعل ستأتي رغم أن التضامن العربي الآن لا يسر.

«إن شعبنا يا ولدي شعب عظيم، عظيم بتراثه وتاريخه وإمكاناته، ويكون أكثر قوة بعمقه وارتباطه بأمته العربية، وبتأثيره في المحيط الدولي. لقد سألني المحققون: لماذا كل هذا الجيش والبناء والعمران و.. و.. وبالطبع ما كانوا يقصدون القصور الرئاسية. لأنهم يعرفون أن هذه القصور ليست ملك صدام حسين،

ولا من يأتي بعد صدام حسين، وإنما هي شوامخ في فن العمارة العراقي، وهي ملك الشعب العراقي».

ويتحدث الرئيس عن الذين ما يزالون يطعنون بمسيرة العراق العظيمة، فيقول:

«أما من يتحدثون عن أخطاء حصلت في مسيرة عمرها ٣٥ عاماً، فأقول لهم: من لا يعمل لا يخطىء، وهل يمكن لثورة تحمل كل هذه الإنجازات والقيم العظيمة، ألا يرافقها أخطاء هنا أو هناك. وهل الثورات التي حصلت في العالم كانت من دون أخطاء، وهل ثورة كهذه بكل برامجها التنموية والاقتصادية والبشرية والعلمية تمر من دون أن ترافقها أخطاء .. نحن ندرك أن هذه الثورة العظيمة ومنذ انطلاقتها، يتآمرون عليها، وندرك أن التآمر قد ابتدأ منذ أممت الثورة النفط عام ١٩٧٢. حتى بالنسبة لشعبنا الكردي، وما كان يتمتع به من حكم ذاتي، يجعلنا نتساءل: هل يتمتع الأكراد في الدول المجاورة بالحقوق نفسها التي يتمتع بها شعبنا الكردي خاصة وأن أعدادهم قد تزيد أضعاف ما هو موجود في العراق. ثم إذا عدنا إلى الوراء وتابعنا مسيرة الثورة، وهذا يجعلنا نتساءل أيضاً هل استطاع بلد ما من دول العالم المسمى الثالث أن يقضي على الأمية في فترة قصيرة مثل العراق ؟ حتى مستوى النظام الصحي في العراق كان يفوق بكثير بعض الدول المتقدمة، وكذلك التنمية البشرية التي كان من برامجها إرسال عشرات الآلاف من الكوادر العلمية في بعثات إلى الخارج. وفي عهد الثورة، بنينا جيشاً من العلماء والمفكرين والأساتذه والقضاة والمحامين وفي كل الاختصاصات، وهم ثروة الشعب والأمة ..

«أما الذين يتحدثون عن الديمقراطية، فكانوا هم أول من وضع العراقيل أمامها. ومنذ أن تولينا شرف المسؤولية، لم يحدث أن اتخذنا قراراً من دون مشاركة أخواننا في القيادة في كافة المجالات. فأين ديمقراطية الغرب عندما تظاهر الملايين من شعوبهم ضد الحرب على العراق، ولم تسمع أصواتهم ونداءاتهم. وإن صدام حسين لا يغيظه ما يتفوّه به هؤلاء العملاء والأذناب الذين جاء بهم المحتل ونصّبهم كي يقولوا عن أنفسهم أنهم قضاة، لكن ما يؤلمني أن يقوم هؤلاء الأذناب

باستبدال العيد الوطني والرموز الوطنية بما هو دنيء. فبدلاً من أن يعتزوا بثورتهم وأعيادهم الوطنية التي نزفنا دماء عزيزة من أجلها، فإنهم يتكلمون عن جرائم هم من أسموها. وكأن دولتنا لم تكن دولة قانون ودولة عدل وأمن وأمان. وقد قلت لهم إن أحد المسؤولين تدخل يوماً في شأن القضاء، وعندما علمت، لم أنم تلك الليلة قبل أن أعيد الحق إلى نصابه. وكان للقضاة مكانة لائقة ويتمتعون بعيشة كريمة، وكنا نرعاهم بشكل متميز كي يحققوا العدل وينصفوا المظلومين، والحمد لله لم تشهد ساحة القضاء أي خرق أو انتهاك. كان الشعب يعيش بأمن وأمان في ظل دولة قانون ومؤسسات. وعندما يتحدثون عن الديمقراطية، فهم وفي مقدمتهم الأمريكان من وضعوا العراقيل في وجه الديمقراطية التي كنا ننشدها لشعبنا، الديمقراطية التي تحفظ للشعب أصالته ونابعة من دينه الإسلامي الحنيف وتحترم حقوق الآخرين من أطياف شعبنا الأبي.

ففي عام ١٩٩٠، كان العراق قد أعد برنامجاً للتعددية الحزبية، وكنا بصدد تفعيله والعمل به، لكن الظروف التي فرضتها علينا أمريكا والصهيونية العالمية وعملاؤهم وأذنابهم في المنطقة، حالت دون تحقيق ذلك.

«نعم، لقد كنا وما نزال حريصين على شعبنا أكثر مما نحرص على أنفسنا، وحريصين على حقه في الاختيار حين أقسمنا أمامه بقسم جليل، فحفظنا العهد الذي قطعناه، ودافعنا عن كل عراقي وعن شرفه الوطني ومصالحه الرئيسية. ومهما كان الثمن، لم نخن إرادته ولم نتنازل عن دور هذه الإرادة الوطنية لشعبنا التي ضحى من أجلها العراقيون منذ عقود أنهاراً من الدماء. وعلى هذا رفضنا ونرفض إرادة الغزاة الطامعين قبلاً وبعداً.

أما صغائر الأخطاء، فإذا ما قارناها بالإنجازات العملاقة، فهي عوالق لا تحسب ولا تقارن ولا تعيب مسيرة عملاقة كمسيرتنا، ولا يجوز أن يرمى عليها بكل أسباب ما حصل، لأن الأشرار والعدوانيين كانوا مصممين على غزو العراق وإيقاع الشر بأهله.

«إن ما يحصل اليوم لشعبنا الصابر المبتلى، يدمي القلوب، لا لشيء وإنما لدور هذا الشعب الطليعي والرائد لخدمة مبادىء أمته، وإلا ماذا فعل العراق، هل عبرنا المحيطات واعتدينا على أمريكا، هل لدينا أطماع في أمريكا .. إنها والله ثاراتهم وثارات الفرس من قديم الزمان ..

« لقد نزف شعبنا وما يزال ينزف، لكنه سينتصر في النهاية، وستكون مسيرته القادمة أكثر ثباتاً يقودها النشامى الذين حافظوا على المعاني العالية، مسيرة جميع الذين شاركوا في تحرير العراق بإذن الله، وإنني مؤمن بشعبنا ورجال الأمة، وبقدرتهم على مواجهة الأعداء، والمطاولة بأكبر قدر ممكن من الإيمان، وأنا ممتن لكل هؤلاء الرجال.

«إن الدماء التي سالت وتسيل في العراق، سواء في ساحات الوغى ومنها محاكمهم الهزيلة هذه، أو في أي مكان على أرض الجهاد في العراق، إنما المسؤول الأول عنها هو الاحتلال. وإن الأمريكان يعترفون الآن بمأزقهم الخطير في العراق، فالمقاومة تتحرك وفق ما نريد، وإنني سعيد وأنا أسمع عن بطولاتهم وكأنني أعيش بينهم. وحين يتحرر العراق بإذن الله، سيكون للنخبة المؤمنة الثابتة على مبادئها الدور الطليعي والريادي لقيادة العراق. ولا ننسى شعبنا العربي وواجباتنا تجاهه، ولا ننسى كذلك دور الرجال الذين جاءوا للدفاع عن العراق وقيمه ومبادئه من خلال الدفاع عن صدام حسين. سيرحل العدو بإذن الله وبهمة النشامى، وستتدحرج أمريكا إلى الهاوية ملعونة مدحورة ..».

الفصل الرابع عشر

الرئيس والموقف العربي والدولي

وتبقى هناك غصة في القلب بعد الذي جرى للعراق. والسؤال أين زعماء الدول التي كان لها مصالح مشتركة مع العراق ؟ أين قادة الدول العربية وما قيل عن التضامن العربي ؟ لماذا صمتت الأغلبية وتُرك العراق يستباح ويذبح أمام ملايين الشهود ؟ بعضهم غض الطرف والبعض الآخر ساهم في تدمير العراق خاصة والرئيس صدام حسين لم يقصّر مع أحد.

سألت الرئيس هل راهن على الموقف الدولي والعربي قبل الحرب، وهل توقع أن ترفع دولة ما صوتها لتقول إن ما تفعله أمريكا هو الجنون بعينه ؟

«بالطبع يا ولدي، فنحن لا نعيش في جزيرة معزولين عن العالم. والعراق يعتبر منطقة حيوية، بل ساحة للمصالح الدولية وليس لدولة واحدة فقط مهما عظمت. كانت تربط العراق علاقات قوية ومتينة مع بعض الدول، وعلاقات مصالح مشروعة وكذلك معاهدة دفاع مشترك مع الأقطار العربية. إلا أن موقف الإتحاد السوفيتي من القضايا العربية، لم يكن بالمستوى المطلوب. ثم إن روسيا من بعد، قصّرت كثيراً تجاه العراق والعرب، وكان عليها على الأقل حماية مصالحها في العراق.

«صحيح أن انهيار الإتحاد السوفيتي، وما حصل من تداعيات، جعل أمريكا تتغطرس أكثر بصفتها القطب الأوحد في العالم، وأن روسيا الآن أضعف مما كانت عليه ضمن الكتلة السوفيتية، لكنها ما زالت ثاني قوة في العالم، وبإمكانها أن تفعل الكثير وتحمي مصالحها ومصالح المرتبطين معها بمعاهدات واتفاقيات.

«أما دور فرنسا، فقد تأثر بموقف بعض الأطراف الغربية السائرة في ركب الولايات المتحدة، بل إن فرنسا ابتعدت عن مواقفها التي كانت عليها أيام ديغول. وأعتقد أن فرنسا، بفعل انفراد أمريكا بمصير العالم كقطب أوحد، ستتعرض لتأثيرات السياسة الأمريكية لحين بروز قطب آخر عملاق كالصين وتحالفاتها.

«إذن نقول، لم يكن الموقف الدولي، للأسف، بالمستوى المطلوب ولو بحدّه الأدنى في منع وقوع العدوانين على العراق عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣. لكنني أعتقد بعد أن تنهار الولايات المتحدة، وستنهار بإذن الله، ستظهر أوروبا الموحدة كقطب رئيسي مؤثر في السياسة الدولية له استقلاليته في المواقف على الساحة الدولية، فتتخلص بالتالي بعض الدول الأوروبية وتتحرر من التبعية للسياسة الأمريكية.

«قبل عام ١٩٩٠، توقعت انهيار الإتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، وما ينجم عن ذلك من اختلال في موازين القوى، وتوقعت أن أمريكا ستنفرد في السيطرة المنفلتة على العالم، وبسبب ذلك، سيدفع العرب الثمن.

«عندما كان المفتشون يجوبون العراق عرضاً وطولاً، كنا واثقين من عدم امتلاكنا أي شيء مما أعلنوا عنه وجاءوا من أجله. ورغم قناعتنا أنا وأخواني في القيادة من أن هؤلاء المفتشين هم جواسيس لخدمة المخطط الأمريكي، إلا أننا كنا نأمل من أخواننا العرب وأصدقائنا مثل فرنسا وروسيا ودول مهمة في أوروبا وآسيا، أن يكونوا مصدر عون لنصرة الحق ويحولوا دون نشوب الحرب أويساهموا على الأقل في نصح الأمريكيين بالتعقل وعدم الانسياق وراء حماقاتهم. بالإضافة لذلك، فإن الرأي العام الدولي كان يرفض الحرب وخاصة في الدول الداعية للحرب ذاتها، مثل أمريكا وبريطانيا وبعض الدول الأخرى. فكنا نأمل من حكومة أمريكا أن تتعقل وتأخذ هذا الرفض بعين الإعتبار. وكنا كذلك نأمل أن تأخذ بعض الدول دورها لمنع وقوع الحرب لوجود مصالح لها مهمّة في العراق مثل روسيا وفرنسا والصين وحتى اليابان، لأن العراق دولة مهمة وتمتلك ثاني أكبر إحتياطي بترولي في العالم. وعلى هذا الأساس، ومن باب تنافس المصالح بين الدول، كنا نأمل أن لا يتركوا الولايات المتحدة تنساق وراء جنون قيادتها وترتكب حماقة خطيرة ضد العراق. وبقي هذا

الأمل لدينا حتى بعد احتلال مدن مهمّة في العراق. ووفقاً لهذه المصالح الدولية، ولأهمية العراق، كان الاعتقاد بأن الحرب لن تقع أو إنها على الأقل ستتأخر. وإن وقعت، فلن تتطور تطوراً خطيراً وتصل إلى ما وصلت إليه الآن. وقد تحسبنا لوقوعها وفق الخيارات والإمكانات المتاحة لنا».

ما كان الرئيس صدام حسين يتوقع على ما يبدو أن تقدم الولايات المتحدة على احتلال العراق، رغم إعلان العراق أنه مستعد لصد العدوان، ولعدم وجود أي مبرر يعطي ذريعة لأمريكا للعدوان عليه خاصة وقد فتح أبوابه لكل المفتشين الجواسيس وغيرهم .. ورغم ذلك توقع كل الاحتمالات. فمهما كانت قوة العراق، فلا يمكن لأي دولة من دول العالم الثالث أن تصد أقوى قوة في العالم وأقوى جيش كان معداً لمواجهة الاتحاد السوفيتي. والعراق كان يرزح تحت حصار دام أكثر من ثلاثة عشر عاماً، وتعرض قبله لعدوان واسع لأكثر من أربعين يوماً عام ١٩٩١، قادته الولايات المتحدة وشاركت فيه جيوش أكثر من خمس وعشرين دولة، كما تعرض لهجمات جوية يومية ولأربعة اعتداءات كبيرة من جانب القوات الأمريكية والبريطانية في الفترة بين ١٩٩١ و٢٠٠٣. فكيف كان له أن يواجه جيشاً جراراً بقوة غير متكافئة نتيجة تلك الظروف، ينقصه الكثير من الأسلحة المهمة كالقوة الجوية والرادار وأسلحة مقاومة الطائرات والاتصالات وغيرها.

وكان الرئيس يتساءل باستمرار: «كيف يسمح المجتمع الدولي وأصدقاؤنا للولايات المتحدة بضرب العراق، لا سيما وأن كثيراً من مصالح هذه الدول موجودة في بلدنا، فضلاً عن أن الولايات المتحدة تحتاج إلى قرار من مجلس الأمن الدولي للموافقة على ضرب العراق، وهل سيقف الأصدقاء الروس والصين وفرنسا موقف المتفرج ؟».

ويضيف الرئيس:

«إن أمريكا دولة منفلتة، لكننا لا نعيش في عالم تسوده شريعة الغاب. فأين القانون الدولي ومواثيقه وأعرافه، وأين العالم فضلاً عن أخواننا العرب ؟ وإنني لا أستبعد أن بعض الحكومات العربية قصدوا بسكوتهم، الموافقة على العدوان على العراق.

«كنا نتوقع أن تقوم الولايات المتحدة بقصف العراق بالطائرات والصواريخ بعيدة المدى، وتضرب مواقع وأهدافاً محددة كما حصل عام ١٩٩١، فضلاً عن أنه لا يوجد أي مسوغ أمام أمريكا هذه المرة يجعل الدول العظمى وأصدقاءنا وأشقاءنا يوافقون مع أمريكا ويقفون مكتوفي الأيدي أمام الغول الأمريكي الهائج. لكنني ما توقعت أن تقوم بغزو مسلح بجيوش المشاة والمارينز وغيرهم، وإن حصل، فسيكون محدوداً وليس بالكيفية التي حصلت. وقد كنا قد تحسبنا لكل الاحتمالات، لكن وبإذن الله، سيتصدى لهم أبناء شعبنا «وهاي مو جديدة علينا»، فقد تحمل العراق كل موجات الغزو من قبل هولاكو ومن بعده، وأنا واثق بأن أبناء شعبنا الشامخ سيكونون لهم بالمرصاد».

لقاء الرئيس مع وزير إيراني

روى الرئيس لي قصصاً كثيرة عن لقاءاته مع الزعماء والسياسيين العرب ومن دول الجوار، ومنها هذه الحكاية:

«ذات يوم على هامش قمة حركة عدم الانحياز في كوبا عام ١٩٧٩، طلب وزير خارجية إيران، لا أذكر اسمه بالضبط، اللقاء بي. كان يحاول في هذا اللقاء تسويق ثورة الخميني وأهدافها. وتحدث عن علاقات الشاه بإسرائيل. وكان يطلب منا نحن العرب أن نرحب بالثورة الإسلامية. ومن طلباته الغريبة الاستفزازية أن لا يتدخل العراق في شؤون إيران.

قلت له دعوا ثورتكم لكم، واتركوا شعوب الدول المجاورة تقرر مصيرها بنفسها، وعليكم أن ترحلوا عن الجزر العربية الثلاث. وقلت كلاماً كثيراً من هذا القبيل. فأجابني بوقاحة: ليس لكم حق التدخل بمصير الجزر الثلاث، ولم يكلفكم أحد بالمطالبة والتحدث نيابة عن دولة الإمارات، ونحن غير مستعدين للتحدث معكم في هذا الشأن . فأخبرته أن عليهم أن يقرأوا نهجنا جيداً كي لا يخطئوا في التصرف، وعليهم أن يعرفوا أننا بعثيون، وكل قضية عربية هي قضيتنا، ولا نحتاج لمن يكلفنا بذلك.

«لذا، على أخواننا العرب وخاصة القادة أن يتذكروا كيف كان العراق سداً

منيعاً في وجه الفرس ونواياهم الشريرة. إن إيران تحلم بل وتخطط لاجتياح الخليج العربي بعد تغييب العراق، ولكن لو بقي العراق على ما كان عليه قبل العدوان الغاشم عليه، لما استطاعت إيران أن تتطاول على أشقائنا العرب.

«حين جاء الخميني إلى الحكم مدفوعاً من أمريكا، قامت جماعته بفوضى كبيرة في إيران. قلنا حينها: هذه ليست ثورة وإنما فوضى.

«وعلى أخواننا العرب أن يتذكروا دائما وصية الشاه لابنه عندما قال له: يا ولدي، لقد أمنت لك الضفة الشرقية لشط العرب والخليج «الفارسي»، فما عليك إلا أن تؤمن الضفة الغربية. وبالطبع ستكون الكويت أول الخاسرين. ورحم الله سيدنا عمر «رض» حين قال: ليت بيننا وبين فارس جبلاً من نار».

وهنا يروي الرئيس هذه القصة عن سبب رفض العراق أية تبرعات للأضرحة من إيران، فيقول:

«ذات يوم، عندما كنت نائباً للرئيس، كنت أتجول متنكراً في بعض مناطق بغداد، فإذا بتظاهرة حاشدة أمامي. وكان بعض المتظاهرين يحملون شبّاكاً حديدياً. فترجلت من السيارة وسألنا أحدهم عن القصة، فقال: هؤلاء معنا، وهم إيرانيون جلبوا من إيران تبرعات لجدنا الحسين. فقلنا له: لم نر سوى شبّاك واحد. فأجاب: هناك شبّاك آخر في المنطقة الفلانية. وفعلاً ذهبنا إلى هناك، فوجدنا أيضا تظاهرة حاشدة، ويحمل المتظاهرون شبّاكاً يمكن لأي حداد عراقي وبأقل المهارات أن يصنع أفضل منه ألف مرة. هنا نبهنا الوزارات المعنية بعدم قبول أي تبرع من إيران، فالحسين جدنا، ونحن أولى بإضافة أي شيء للمراقد من خيرات العراق الكثيرة. وللأسف، فإن الإيرانيين هم هكذا، يستغلون سذاجة بعض الناس البسطاء لتمرير مخططاتهم المشبوهة. أما الآن، فأتمنى على العراقيين الانتباه لهذه المسألة».

ذكريات مع بعض الأشقاء

تطرقت في الحديث مع الرئيس إلى بعض ذكرياته مع الأخوة العرب، فقال:

«في عام ١٩٨٠، وقعنا على قرار مع السعودية لتحذير دول العالم من نقل سفاراتها إلى القدس، وقبل عودتي إلى بغداد، بدأت الدول تعيد سفاراتها إلى تل

أبيب لمجرد أن قلنا إننا سنستخدم سلاح النفط ضد أي بلد ينقل سفارته إلى القدس. كان لهذا القرار تأثير كبير رغم أنه عقد بين دولتين فقط. فقد أدركوا جدية موقفنا.

وكانت علاقتنا جيدة بالسعودية. وقد قال لي الأخ الملك فهد رحمه الله: يا فلان، ما رأيك أن نحسم موضوع المنطقة الحدودية بين العراق والسعودية. فقمت بتكليف وزير الخارجية آنذاك من دون تدخل القيادتين».

زيارة الرئيس إلى السعودية عام ١٩٩٠

كان العراق عام ١٩٨٨ قد خرج للتوّ من حرب ضروس شنها النظام الإيراني عليه، محققاً أكبر انتصار في تاريخ العرب الحديث. وبدلاً من أن يخرج ضعيفاً كما أريد له، خرج برابع أقوى جيش في العالم، وترسانة من الأسلحة الحديثة وجيش جرار وقادة يمتلكون خبرة ميدانية في كل أنواع القتال.

عندما علم الملك فهد بن عبد العزيز بقدوم الرئيس صدام حسين إلى المملكة، وكانت طائرته ما زالت محلقة في الجو، هب لاستقبال ضيفه الكبير الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة منذ عام ١٩٨٠ عندما كان ولياً للعهد. حال وصول الرئيس إلى أرض المطار، عانقه الملك بحرارة. ومن الصدف أن السماء كانت تمطر، فقال الملك للرئيس: والله يا أبا عدي حتى السماء قد استقبلتك بخيرها.

التقى الزعيمان في المكان المخصص للرئيس، وتحدثا مطولاً عن هموم الأمة، والعلاقات الوطيدة بين العراق والمملكة، وعن مستقبل المنطقة وخاصة القضية الفلسطينية محور الصراع في الشرق الأوسط.

أبدى الرئيس صدام حسين للملك انزعاجه الشديد من تصرفات الكويت، وأن الكويت لا تقوم بهذه الاستفزازات إلا مدفوعة من جهات أجنبية. وقال إن العراق سيتكفل، عند أي تدخل خارجي، بحماية المملكة ودول الخليج الأخرى.

طلب الملك من الرئيس أن يعمل على تهدئة الأوضاع، وأن المملكة ستبذل قصارى جهدها لحل كل الاشكالات في المنطقة وخاصة بين العراق والكويت، وستقوم المملكة بتحسين الاقتصاد العراقي ليستعيد عافيته، وسيطلب من دول الخليج مساعدة العراق، وقال: يا أبا عدي، أرجو أن لا نقوم لا نحن ولا أنتم بأي

تصرف يزيد التوتر في المنطقة، ويكون ذريعة لقدوم الأساطيل والجيوش، وإلا ستحصل كارثة في المنطقة بأسرها تهدد حاضر الأمة ومستقبلها. وطلب من الرئيس صدام حسين ألا يصغي لاستفزازات الكويت قائلاً إن الكويت ما هي إلا دولة صغيرة، وللغرب وأمريكا مصالح كبيرة فيها، وإن أي مساس بها سيجلب الويل للمنطقة.

بعد انتهاء الزيارة، طلب الرئيس من الملك فهد أن يحل ضيفاً على العراق، وقد قبل الملك الدعوة وزار العراق في ذاك العام.

علاقة العراق بالأردن الشقيق

ويكمل الرئيس:

«وكان لدينا مطار داخل الأراضي الأردنية من أجل إسناد ودعم الأردن، وقد سألني الأخ الملك حسين قائلاً: نناشد حكمتك في هذا الموضوع. فقلت له: لك المطار وأرض المطار وما بعد المطار وما قبله. وهذا كله في جانب السيادة وليس السياسة.

«وأذكر أن الأردن الشقيق كان يمر في إحدى السنوات بضائقة مالية. وقد علمت أن الملك حسين كان في طريقه إلى الكويت. وقد أبلغ الكويتيون الملك أن وزير الخارجية الكويتي سيكون في استقباله في المطار، رغم وجود أمير الكويت جابر، ولم يكن هناك ما يشغله لنقول إن لديه عذراً. وهذا التصرف لا ينسجم مع البروتوكول الرسمي وأخلاقنا العربية.

تضايق الملك. فاتصلت به وطلبت تغيير مسار رحلته والتوجه إلى بغداد. وعلى الفور، ذهبت إلى المطار لاستقباله حتى إن بعض الرفاق فوجئوا لعدم وجود علم مسبق بالزيارة. كان العراق آنذاك تحت الحصار الظالم ، ولسرعة الإجراءات، طلبت من السكرتير إحضار محافظ البنك المركزي ووزير المالية، وطلبت منهما جرداً بالموجود الفعلي من العملة الصعبة للخزينة العراقية. ثم طلبت منهما أن تقسم إلى نصفين، نصف يبقى في الخزينة والنصف الآخر لأخواننا في الأردن. فقد كانت طلبات الملك حسين مستجابة لأننا كنا نعتبر العراق والأردن حالة واحدة.

«حصلت حالة مشابهة مع الرئيس حسني مبارك، حيث كانت أوضاع مصر المالية صعبة. واتخذنا موقفاً لا نريد الدخول في تفاصيله. أما أن يقف موقفاً ضدنا، فهذا أمر غريب، ولا يوجد ما يستوجب ذلك.

«عندما نذكر هذه المواقف، لا نذكرها من باب أننا نمنّ على أحد أو نتبجح بهذا القول، وإنما لأننا نؤمن بأن المال العربي واحد، وأن خيرات الأمة يجب أن توظف لخدمة شعوبها، فلم نكن يوماً قطريين، ولم تكن نظرتنا ضيقة، وإنما ننظر بعين واحدة إلى العراقي والموريتاني مثلما ننظر إلى الفلسطيني والمصري والأردني والخليجي وغيرهم. هذه النظرة ما كانت تروق لأعدائنا لأنها تقضي على حالة التجزئة والقطرية التي رسمها لنا سايكس بيكو وغيرها.

«في مؤتمرات القمة العربية، كانت أمريكا تتدخل بشكل سافر فيها، إما برسائل خطية أو عن طريق مبعوثيها، وتملي عليهم ما يقولونه أو يفعلونه. وكنا نقول لأخواننا القادة العرب لا تصغوا لأمريكا وكفى مهانة .. يبدو أن الأمة عليها ضغط، والكرسي أحياناً يستجيب للضغط من أجل الكرسي ذاته. لكن صدام حسين لن يستجيب للضغط، إنما استجابته تكون للأمة ونضالها. وكنا نقول دائماً إن العراق القوي قادر أن يمتص أي ارتطام، ويحمي الأمة، لكن بعض المسؤولين العرب تجاهلوا العراق إما لإهمال أو لضعف أو لغيرة، ونسوا أن العراق سند لهم وتتكسر على صخرته أحلام العدوان. وكما هو معروف في الوطن العربي، فإن هناك غيرة بين الزعامات، فعندما يبرز أحدهم كقائد، تبدأ سهام الغيرة تنهال عليه.

لذا، فإننا نطالب أخواننا العرب وخاصة أصحاب الشأن أن يتحملوا مسؤولياتهم تجاه الأمة وأطمئنهم أنني متمسك بالعروة الوثقى».



الرئيس صدام حسين مع الملك فهد بن عبد العزيز



الرئيس صدام حسين مع الملك حسين بن طلال

الفصل الخامس عشر

دعوة الرئيس للتنحي عن السلطة ومبادرة الشيخ زايد

لقد عرفنا شعبنا والحمد لله كما نحن،
بنظافة اليد والصدق.
وفي الوقت ذاته، عرف فينا القوة
والحزم والعدالة والرحمة.

(صدام حسين في المعتقل)

قبل أن أسأل الرئيس عن دعوة أطلقها المرحوم الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية، للرئيس صدام حسين بالتنحي عن الرئاسة، وسميت مبادرة الشيخ زايد، أثرت معه موضوع التخلي عن السلطة، فقال:

«نعم يا ولدي خليل، فإن شاء الله، بعد أن تنتهي المدة التي اختارنا الشعب لخدمته (الولاية الأخيرة في عام ٢٠٠٩)، فإنني كنت قد قررت سابقاً أن أستريح وأترك قيادة العراق لأخواننا ورفاقنا في القيادة. لقد تعبت كثيراً، وأريد أن أخلد للراحة وأتفرّغ لعبادة الله بشكل أكثر. أما أن نخرج من موقعنا الذي اختارنا له شعبنا العظيم بالقوة، فهذا من المستحيل، لأننا لا نخضع للضغط والابتزاز».

مبادرة الشيخ زايد

حين كان بوش يقرع طبوله للحرب، غير مصغ لكل النداءات بعدم الاعتداء على العراق، أطلق الشيخ زايد، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، مبادرته لتجنّب الحرب على العراق بعد أن ترددت المطالبة بتنحي الرئيس عن الحكم ومغادرة العراق. وهذه المبادرة وردت في رسالة وجهها الشيخ زايد إلى الشيخ حمد بن عيسى بن سلمان آل خليفة ملك البحرين باعتباره رئيساً للقمة العربية التي كانت منعقدة في شرم الشيخ في أواخر شهر شباط/ فبراير ٢٠٠٣، وتتضمن أربع نقاط هي:

١- تخلي القيادة العراقية عن السلطة، وتغادر العراق على أن تتمتع بكل المزايا المناسبة، وذلك خلال أسبوعين من تاريخ القبول بالمبادرة العربية.

٢ - تقديم ضمانات قانونية ملزمة محلياً ودولياً للقيادة العراقية بعدم التعرض لها أو ملاحقتها بأية صورة من الصور.

٣- إصدار عفو عام وشامل عن كل العراقيين داخل العراق وخارجه.

٤ - تتولى جامعة الدول العربية، بالتعاون مع الأمين العام للأمم المتحدة ، الإشراف على الوضع في العراق لفترة انتقالية يصار خلالها إلى اتخاذ ما يلزم من إجراءات من أجل عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية وفق ما يرتئيه الشعب العراقي.

إذن المبادرة تعني بأن لا حل لتجنب الحرب على العراق إلا بتنحي صدام حسين عن الحكم ! لكن القمة العربية رفضت المبادرة واعتبرتها سابقة خطيرة. ونحن ما زلنا نذكر زيارة بريماكوف الثانية للعراق، قبل بدء الحرب، حين سأله الرئيس: لو افترضنا بأننا استجبنا لهذا الطلب السخيف، التنحي ومغادرة العراق مع عائلتي، فهل سيتجنب شعبنا شرورهم. أجاب بريماكوف بالنفي. وقال: الأمريكان سيدخلون العراق بك أو بدونك...

دار الحديث بيني وبين الرئيس حول مبادرة الشيخ زايد ورفضه لهذه المبادرة آنذاك، فقال:

«قد يقول من يفتقد البصيرة في رؤية الأحداث، لماذا لم يقبل العراق وصدام حسين بهذه المبادرة ليتجنّب العراق ما حدث ؟ أقول لهؤلاء إن الشيخ زايد، رحمه الله، هو حكيم من حكماء العرب ويعرف كيف يتصرف. لكن ما نسب إليه من مبادرة، هي ليست مبادرته، وإنما ألصقت به تحت ضغط هذا أو تأثير ذاك، وقدمت باسمه. وكان عتبنا عليه كبيراً لقبوله بأن تحمل هذه المبادرة السيئة اسمه.

قلت حينها لأبي أحمد (عزّة الدوري): «إن الأعداء يتوهمون مرة أخرى، فهم لا يعرفون منهج البعث، ولا يعرفون حقيقة صدام حسين ورفاقه. فهم يتوقعون، وخاصة بوش، أن بإمكانهم أن يهزموا العراق ونظامه الوطني بمجرد التهديد والوعيد. وعندما تختلط نوايا الأشرار بمرضى النفوس الذين قد ينساقون إذلالاً ورضوخاً لأوامر الطغاة في أمريكا الشر وربيبتها إسرائيل، فإن مجاملة أي إنسان أو السكوت على فعله بإصراره على السوء والأذى، يوجب الرد على فعل كهذا بصوت عال دفاعاً عن الحق، ويلقم الباطل بحجر الحق تأديباً واستحقاقاً».

«كان لدي ثقة بأن النائب عزّة الدوري سيقف الموقف المطلوب، لكن سفره السريع، حال دون مناقشة هذا الأمر الخطير معه.

«تصور أصحاب هذه الفكرة أن القيادة الوطنية وصدام حسين سيستجيبون لهذا الرأي السيّئ، بسبب الخوف الذي تصوروه في مخيلتهم المريضة، هذا الخوف الذي باعتقادهم سيهزم أهل الإيمان، فتترك القيادة الوطنية شعب العراق ورفاق الدرب والنضال يواجهون بمفردهم عدوان أمريكا والصهيونية .. إن القدر اختارنا لهذه المسؤولية، ثواراً ومجاهدين، منذ البداية في عام ١٩٥٩، لنكون جزءاً من هذا الشعب العظيم الذي قدّم أغلى التضحيات، ونحن نتمسك به، ولن نتخلى عنه، كما أنه لن يتخلى عنّا في أصعب الظروف .. لقد قلت في أكثر من مناسبة، إن من يخاف أمريكا والصهيونية بسبب ضعفه، فإننا قادرون ومستعدون لتقويته بالإيمان والحق. ونحن لم تأتِ بنا أمريكا أو إسرائيل للحكم، فكيف نخافها .. لذلك فهي تتآمر علينا. حتى الدول التي وافقت، أو وافقت على مضض على ما سمي بالمبادرة وألصقت بالشيخ زايد، فإن هذه الدول لم تحمل سوءاً للعراق، لكنهم لم يقرأوا جيداً خبث ومكائد الصهيونية، باستثناء شيوخ الكويت الذين كانوا يقصدون كل السوء.

«إننا قبل أن نرفض مجرد سماع هذه المسماة المبادرة، كان أغلب أخواننا القادة العرب قد رفضوها بمن فيهم المملكة العربية السعودية. فليخسأوا إن كانوا يعتقدون أن صدام ورفاقه سيسلمونهم العراق على طبق من ذهب. قاتلناهم وسنقاتلهم حتى تدمى أقدامهم، وسنحرر بلدنا منهم وسنهزمهم هزيمة تريح العالم من شرورهم .

«كان في تصورهم أن موافقتنا على المبادرة، ستجعلهم يتسلمون العراق من دون قتال، وأنهم سيحرمون العراق من موقف أخوانه العرب طبقاً لمعاهدة الدفاع المشترك، في حال رفضنا مطالبهم. هذا الرفض غير القابل للمساومة حتى في أصعب الظروف وذلك بحجة إلقاء المسؤولية على صدام والعراق في رفضهم المبادرات. وبذلك، وفي كلتا الحالتين، فإن أمريكا والصهيونية ستحققان أغراضهما الدنيئة، فيكونون قد ضربوا عصفورين بحجر. لكنهم سيجدوننا دائماً في صدورهم، في خنادق القتال.. المنيّة ولا الدنيّة».

بوش وثمن التنحي!

في الوقت الـذي كانت فيه كل الضغـوط تنصبّ على الرئيس كـي يتنحّى عن الحكـم، لتوهـم الجميع بأن تنحيه سيكون لمصلحـة العراق، بالإضافـة إلى ما قاله بريماكـوف في زيارتـه الثانية للعراق، وكذلـك الجهود التي بذلتها الإمـارات العربية المتحـدة أمـام قمة للزعمـاء العرب من أجـل تنحي صدام حسـين وكبار مسـاعديه، واعتبـرت تلك المبـادرة آنـذاك بأنها المرة الأولـى التي توجـه فيها دولـة عربية نداء رسـمياً من هذا النـوع. كان بوش آنـذاك يجتمع مع رئيـس الوزراء الإسـباني خوزيه أثنار في مزرعته في كروفورد بتكسـاس في ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٣ حسـب صحيفة إل باييس الإسـبانية في عددها الصادر في ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٧. وقد قـال بوش أثناء ذلك الاجتماع إن صدام حسين مستعد أن يذهب إلى المنفى شرط أن يحصل على مليار دولار. وقد سأله أثنار إن كان صدام حسين سيرحل حقاً، فكان رد بوش نعم مع احتمال آخر بأنه سيغتال. وتقول الصحيفة إن بوش كان يضغط على الدول الأعضاء في مجلس الأمن التابـع للأمـم المتحدة في ذلـك الوقت لتأييـد قرار اسـتخدام القوة، وأنه قـال: مهما يحدث «سنكون في بغداد بنهاية آذار».

وحسـب الصحيفة، فـإن بوش أشـار بنبـرة متفائلة إلى إعـادة إعمـار العراق، واعتقـاده بـأن العـراق «يمكـن ترتيبه في إطـار اتحـاد». وقـال: «إن صدام لـن يتغير وسيواصل ممارسة اللعب. وقد حان الوقت للتخلص منه».

إن مـن يعرف صدام حسـين، يدرك أن كل أمـوال العالم لا تغريـه ليترك وطنه وشـعبه، يترك العراق لهـؤلاء الحثالة .. وإن كانـت الأموال تغريه كمـا يعتقد أعداؤه وأعداء العـراق، فلماذا لم يقبل بهـذه المبادرة. لقد كان الرئيس يدرك وبعمق نفسـية أعدائه وخاصة بـوش، ويدرك أنهم يريدون احتلال العراق بـأي ثمن، وأن صدام هو غصّة في حلوقهم.

الفصل السادس عشر

الجهود الدبلوماسية لإنقاذ الرئيس

إنني لا أفهم كيف تتعامل الجامعة العربية مع رموز الاحتلال رغم أنها تدرك أن العراق يمثل خط الدفاع الأول عن الأمة، فانهيار العراق وانهيار هذا الخط يعني أن الطوفان سيلحق الجميع.

(صدام حسين في المعتقل)

كان الرئيس صدام حسين قد منحني الثقة الكاملة للتحرك حسب رؤيتي للأمور، وحسب الظرف المتاح لزيارة الدول التي أرى أنها قد تؤثر في المشهد العراقي. فقد كان الرئيس يقدر دوري وخطورة ردود فعل خصومه وخصوم العراق، خاصة بعد أن علم بما تعرضت له من محاولات اغتيال (إحدى عشرة محاولة)، وكان يثني على دوري أمام زملائي المحامين، ويعتمد علي في أمور كثيرة خارج إطار الأمور القانونية. من هنا، ومع اشتداد حدة الوتيرة التصاعدية لمهزلة المحاكمة بعد الشهر الخامس من عام ٢٠٠٦، قام بتكليفي بنقل رسائل شفوية وخطية إلى عدد من الزعماء لتوضيح الصورة عن الوضع في العراق، وخولني قول ما أراه مناسباً من دون أن يفرض عليّ حواراً معيناً. كان هدفي الأول إنقاذ الرئيس وإنقاذ العراق من خلاله. فقمت بحملة نشطة بزيارة عدد كبير من سفارات دول وممثلي حكومات عربية وأجنبية. كنت ألتقي السفراء في مكاتبهم، وكانوا يستقبلونني بكل ترحاب وتقديم كافة التسهيلات. وبعضهم التقيتهم مساء في أمكنة خارج مكاتبهم. وكان الرئيس ممتناً لجهودي تلك، فقد قال في لقاء معنا، أنا وزملائي بتاريخ ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٦: « هيئة الدفاع عمل أخلاقي وجهادي ونضالي ثوري، فالجميع هدفهم واحد، فبارك الله فيكم، وعملكم يوازي عمل الأستاذ خليل وباتجاه واحد مع الهيئة»، من دون أن يعرف زملائي ماهية جهدي الآخر وهو الاتصال بالزعماء والسفراء. لكن عندما منعني الجانب الأمريكي في الأيام الأخيرة، بعد إصدار قرار الحكم الجائر، من التوجه إلى بغداد لمقابلة الرئيس صدام حسين، اضطررت والرئيس لتبادل الرسائل بواسطة أحد الزملاء لأطلعه على سير الأمور.

أثناء قيامي بتلك المهمة التي كلفني بها الرئيس، كان مطلبي محدداً وهو إنقاذ العراق. وقلت للزعماء الذين التقيتهم إن هذا لن يتم إلا بإعادة الرئيس صدام حسين لقيادة العراق . فقد كانت لدي قناعة بأن العراق لن ينعم بالأمن والاستقرار من دون صدام حسين، وستعم الفوضى، وسيضيع العراق، ومن المستحيل أن يحكم العراقيون بغير الطريقة التي نشأوا عليها. وقد حصلت على وعد بهذا الخصوص من الزعماء وحتى سفراء وممثلي الحكومات الأخرى الذين كانوا يؤكدون على ضرورة عودة الرئيس إلى الحكم كما كان، مع تجنّب بعض الأخطاء التي حصلت في الماضي، وكانوا يجمعون على أن المنطقة قد فقدت توازنها بسبب تدمير العراق ووضوح الخطر الفارسي على العرب والمسلمين. لكن جهودهم لم تفلح لأنها كانت محاولات فردية.

وهنا لا بد من الرد على بعض المزاعم التي تقول إنني وبعض أقرباء الرئيس قمنا بجهود شخصية للاتصال ببعض الزعماء، فهذا كلام غير دقيق، فالرئيس صدام حسين هو الذي طلب مني ذلك باعتباري كنت الأقرب له خلال فترة الاعتقال، ولدي رسائل بخط يده خاطب فيها بعض القادة العرب بخصوص العراق. وأحتفظ بها للتاريخ.

وفي أحد الأيام، كنت على موعد مع أحد السفراء البارزين في إحدى العواصم العربية، وحين وصلت إلى المكان، وجدت عناصر من المليشيات الطائفية يبدو أنهم كانوا يتعقبونني، فاضطررنا إلى تغيير المكان، وفي هذا المكان أيضا، كانت العناصر إياها موجودة، لكنني تجاهلت الأمر لئلا أسبب حرجاً للسفير. وأثناء جلوسنا، نهض قنصل إحدى الدول العربية، وكنت على علاقة وطيدة معه، فتبادلنا السلام، ثم نبهني إلى أنني مراقب من عناصر عراقية. كنت في تلك الفترة أجوب الشوارع العامة، وأتنقل بسيارات الأجرة لافتقاري لسيارة خاصة. وكنت أسابق الزمن، فالوقت يمر سريعاً ومسؤوليتي تجاه هذا الرجل تحتم علي الإسراع في إنقاذه، وكانت المهمة مضنية، فالعمل هذا يتطلب أن أقوم به بمفردي لأننا متفقان، الرئيس وأنا، على السرية التامة. في تلك اللحظات العصيبة كنت أشعر بأنني أسعى لإنقاذ الرئيس، بينما هو

يسعى لإنقاذ العراق .. كانت المهمة ثقيلة جداً. وللأسف، كان البعض لا يقدر تلك المعاناة، حيث كنت أهيم في شوارع عاصمة عربية، أخرج من سفارة لأدخل إلى سفارة أخرى. ولن أتطرق إلى المعوقات المؤلمة التي واجهتني في هذا الصدد .

كان هدفي إرضاء الله وإرضاء ضميري الإنساني والوطني انطلاقاً من إيماني بنبل الهدف الذي أسعى إليه. وكان الترحيب الذي كنت ألقاه من السادة السفراء، يسهل علي المهمة. وهنا لا بد من أن أشير، وللتاريخ، بأن كل السفارات العربية والأجنبية التي قصدتها، كان سفراؤها يستقبلونني بكل حفاوة واحترام باستثناء سفارة دولة فلسطين التي خرجت منها كما دخلت من دون أن يستقبلني أحد ..

اتصالات مع القادة العرب

كان الرئيس يأمل أن يهب القادة العرب للدفاع عن العراق، بوابة الأمة الشرقية. أخبرته أنني التقيت ببعض الزعماء العرب، ووضعتهم في صورة ما يجري في العراق، والرؤية المستقبلية لما سيجري في المنطقة. وكانوا جميعاً متعاطفين مع العراق والرئيس صدام حسين. أخبرته أنني التقيت برئيس عربي كان يقدره كثيراً، وجدته غاضباً جداً مما يجري في العراق، ومما يجري للرئيس في سجنه. وقال: كنت أتمناه أن يسقط شهيداً في ساحة المعركة أو ينتحر ليكون شهيداً أيضاً! وما يجري للرئيس صدام يعني إهانتنا جميعاً. وأشاد بجهود المحامين، لكنه كان متحفظاً على حضور الرئيس جلسات المحاكمة. قلت له إنهم سيحضرونه بالقوة لو امتنع. فتفهم الأمر، ووعد أن يبذل قصارى جهده من أجل العراق والرئيس صدام حسين.

الزعيم الآخر الذي قابلته قال لي: يا أخ خليل، كان الرئيس صدام حسين سياج العرب وسنحاول بكل ما أوتينا من إمكانات إعادة الحق إلى نصابه. وأبدى إعجابه الشديد بصلابة الرئيس وشجاعته أثناء المحاكمة. لقد بذل هذا الرئيس الذي استقبلني مرتين، أقصى الجهود من أجل العراق .

الزعيم الآخر استقبلني وقال لي: إن الله منح العرب جبلاً من نار يقيهم شر الفرس، وهو صدام. لكن العرب أضاعوه. سنعمل على إعادة الحق إلى نصابه. أريد فقط من أبي عديّ أن يصبر ويصبر. ونحن لا مصلحة لنا في العراق، لكن أبا

عديّ كان صمام الأمان لهذه الأمة. وقد بذل هذا الزعيم كل ما يستطيع، لكن التعنت الأمريكي بدد كل المحاولات للإصلاح.

(بعد اغتيال الرئيس، التقيت بأحد الرؤساء، وكان متأثراً جداً حتى إنه بكى مرات عديدة على ما جرى للرئيس وما يجري للعراق).

التقيت بعدها عدداً من ممثلي بعض الرؤساء العرب نيابة عن رؤسائهم بسبب ظروفهم وانشغالهم. كان الجميع متعاطفين مع العراق والرئيس صدام حسين! وللتاريخ أقول إن دولتين لم يستقبلني رئيساها أو ممثلان عنهما. وربما أجد العذر للأولى لأنها تقع في الضفة الأخرى. أما الثانية، فلا عذر لها. لكن الضغط عليها غير اعتيادي. وكان بإمكان زعيمها أن يلتقي معنا سراً كما حصل مع كل الزعماء وبعيداً عن وسائل الإعلام.

يقول الرئيس: «لا ألوم الرؤساء العرب، ولا أريد إحراجهم، لكن في الوقت ذاته لا ألتمس لهم عذراً، فدعوا رقبتي بعيدة عنهم. فقد وضعتها بين يدي الله، وحياتي لا تهمني بقدر ما يهمني أن ينصفني التاريخ».

لكنني أقول إن موقف بعض القادة العرب خذل الرئيس صدام حسين. فالموقف القومي الريادي للرئيس صدام، بالإضافة إلى فضل العراق على الأمة، قد وضعا على ما يبدو بعض هؤلاء القادة في موقف حرج. فبعضهم ساهم في تدمير العراق سواء علموا أو لم يعلموا، وافقوا أم لم يوافقوا. فالقوات الأمريكية كانت قد دخلت العراق من أراضي بعض الدول العربية، ودخلت قوات تابعة وعميلة من دولة إسلامية مجاورة.

أما ما يتعلق بالجامعة العربية، فقد قال الرئيس وفي مرات عديدة إن عتبه كبير على الجامعة العربية وعلى السيد عمرو موسى، إذ «لم نر منذ احتلال العراق موقفا واضحا، بل إنني لا أفهم كيف تتعامل الجامعة مع رموز الاحتلال، رغم أنها تدرك أن العراق يمثل خط الدفاع الأول عن الأمة. فانهيار العراق وانهيار هذا الخط يعني أن الطوفان سيلحق الجميع»..

وكانت أثناء ذلك قد سرت إشاعة أن عمرو موسى سيقوم بزيارة إلى العراق،

وكانت بعض المصادر قد صرّحت بأنه سيزور الرئيس صدام حسين في معتقله. سألني الرئيس إن كان عمرو موسى سيزوره حقاً، فأخبرته أن بعض الصحف ذكرت هذا الخبر. فقال:

«إن زارني فسأستقبله بكل ترحيب، فحسناً يفعل، لأن هذه الزيارة قد تكون نقطة تحول حاسمة، وقد تغير الكثير من الأمور. ويقيناً سيكون في جعبته شيء ما، وسأكون منفتحاً معه بشكل إيجابي لما يمكن أن يخدم شعبي الصابر المجاهد».

لكن عمرو موسى لم يأتِ..

بعض المبادرات لإطلاق سراح الرئيس

بعد أن قمت شخصياً، وبتكليف من الرئيس، بالاتصال بعدد من الزعماء العرب، لتوضيح حقيقة ما يتعرّض له العراق من تخريب وتفتيت وتدمير شامل، قام عدد منهم بمحاولات لإقناع الإدارة الأمريكية بإطلاق سراح الرئيس صدام حسين. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل لسببين:

الأول: إن هذه الجهود كانت فردية، وقد اقترحت على بعض السادة الزعماء أن تعقد قمة عربية مصغرة ينتج عنها مبادرة، إذ من العار أن يبقى الرئيس صدام حسين خلف القضبان.

والثاني: تعنت الإدارة الأمريكية وغباؤها المفرط، إذ دفعت إيران ومن والاها في داخل العراق، بعض القادة السياسيين والعسكريين الأمريكان لتشويه صورة الحقائق عما يجري في العراق، وذلك من خلال تقارير هؤلاء القادة إلى البيت الأبيض. وكنت على علم تام بأن بعض الحكومات العربية نجحت إلى حد ما في إقناع الإدارة الأمريكية بتغيير بعض هذه القيادات السياسية والعسكرية الميدانية. وبدأت فعلاً تصل الحقائق إلى الإدارة الأمريكية. وبدأ الموقف يتغير قليلاً. وعندما استشعرت إيران وتابعوها بهذه التغييرات، استعجلت الأمر قبل فوات الأوان، وضغطت باتجاه التخلص من الرئيس صدام حسين. وإننا ولكي لا نحرج هذه الدول العربية بمواقفها التاريخية تجاه العراق والرئيس صدام حسين، فإننا نتحفظ على ذكر أسمائها حتى زوال هذه الشدة.

أما في ما يتعلق بالمبادرات الشخصية، فقد كنت أطلع على تفاصيل أي لقاء مع ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية أو الحكومة البريطانية، من باب تخويل الرئيس لي أن أجعله في صورة كل ما يحدث، **مع رفضه المسبق لأي تفاوض خارج نطاق القيادة الشرعية في المعتقل**. فقد كانت هناك عدة مبادرات نوجز منها على سبيل المثال ما يلي:

ذات يوم من عام ٢٠٠٥، طلب ممثل الإدارة الأمريكية وممثل توني بلير الالتقاء مع ممثلين عن حزب البعث في إحدى العواصم العربية تحت رعاية عربية. وكان اللقاء الأول مع مستشار توني بلير وبحضور أحد سفراء بريطانيا في تلك العاصمة العربية. فكانت مبادرة الدولة العربية ما يلي:

- إلغاء قانون اجتثاث البعث.
- تعديل الدستور لإلغاء الفدرالية وتوزيع الثروات.
- المحافظة على وحدة العراق.
- حرية العمل السياسي في العراق.
- إعادة الجيش العراقي السابق.
- إطلاق سراح كافة المعتقلين والأسرى.

أما مطالب الجانب العراقي فكانت:

- إعلان الانسحاب أولاً.
- إعادة الجيش العراقي وكل المؤسسات الدستورية.
- إطلاق سراح الأسرى بما فيهم الرئيس صدام حسين.
- إلغاء كل ما ترتب على الاحتلال عام ٢٠٠٣ من إجراءا ت وما صدر من قوانين.
- العودة في كل نقطة تفاوض إلى الرئيس صدام حسين.

كان رد المستشار البريطاني الذي يجيد العربية بطلاقة: لا يمكن الحديث عن صدام لأنه موجود عند العلوج (مازحاً)، ويمكن الحديث في الأمور الأخرى. وسأقوم بنقل هذه المقترحات إلى حكومتي.

ولـم تثمـر كل تلـك المفاوضـات عـن شـيء لأن المفاوضيـن الأمريـكان والبريطانيين ذهبوا إلى بلدانهم من دون رد أي جواب. وكل تلك المفاوضات كانت استجابة لوساطة عربية من دون علم الرئيس أو موافقته.

أطلعت الرئيس صدام حسـين على تلك المبادرات، وكذلـك مبادرة الدكتور خيـر الدين حسـيب، الأمين العام السـابق والمؤسـس للمؤتمر القومـي العربي في بيـروت، فرفض أي اتصـال مع الأمريـكان أو البريطانيـن يقود إلى تحديد مسـتقبل العراق خارج حدود القيادة الشـرعية في المعتقل، وقـال: «إذا كان الأمريكان جادين فلا داعـي للمناورة هنا وهناك، والالتفاف على هذا الطـرف أو ذاك. نحن موجودون لديهـم، والاتصال معنا ليس صعبـاً، ونرفض تهميش دورنـا. إن الأمريكان يحاولون تشخيص قيادات الحزب والجيش لضرب المقاومة».

الفصل السابع عشر

الرئيس وسير المحاكمة

هذه محكمة غير شرعية وغير دستورية، وهي صنيعة الاحتلال.. لقد شكلوا المحكمة بقرارات باطلة وتحت ظلّ الاحتلال وبيد الحاكم الأمريكي، وهذا يعني اغتصاباً للسلطة الشرعية واعتداءً سافراً على القانون العراقي والدولي على السواء.

(صدام حسين في المعتقل)

خلال لقاء الرئيس صدام حسين مع المحامين بتاريخ ١٩/ ٤/ ٢٠٠٦، طرح السيد رمزي كلارك فكرة نقل المحاكمة إلى خارج العراق، وقال إن المحكمة العليا الأمريكية بدأت تقبل الدعاوى المقدمة ضد حكومتها حتى للجرائم التي وقعت خارج الأراضي الأمريكية، وقد أقيمت الآن عدة دعاوى ضد الحكومة الأمريكية، وعليه فإنه يمكن للمحامين أن يتقدموا برفع دعوى ضد الحكومة الأمريكية لصالح الرئيس، ويمكن للسيد طارق عزيز أن يقوم برفع دعوى كهذه .

وفي ما يتعلق بطارق عزيز وعواد البندر أو باقي الرفاق، قال الرئيس إن بإمكانهم أن يرفعوا مثل هذه الدعاوى، وأي واحد منهم يرى أن هذه الدعوى قد تفيده، فلا مانع لدي. لكنه شخصياً، لا يريد. وأضاف: «أنا لم أستجدِ أحداً منذ شبابي ولن، وقد حكمت بالإعدام عدة مرات، ولم أطلب الحياة لي، فكيف والآن عمري ما يقارب السبعين. والسؤال الذي يطرح نفسه في ما إذا كان للمحكمة أن تعقد في ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٦، وقد تؤجل لمدة شهر أو أكثر وربما أقل». ويتساءل الرئيس: كم يا ترى يتطلب الأمر من وقت لردة فعل المحكمة الأمريكية. لكن السيد رمزي كلارك أكد أنه من الأفضل رفع الدعوى بعد ذاك التاريخ. وكان هذا رأي بقية المحامين. فقال الرئيس: «إذا ذهبنا إلى محكمة دولية، فإننا سنبقى على ذمة التحقيق والمحاكمة لعدة سنوات مثل الرئيس اليوغسلافي ميلوسوفيتش. ومجرد القبول بالمحكمة خارج العراق، يعني التسليم والإقرار بأننا متهمون، وبالتالي الاعتراف بأننا مذنبون. وأعتقد أن الأمريكان ومحكمة كهذه، لا أمان لهم، وقد يصدرون حكمهم يوم ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٦».

ويضيف الرئيس :

«إنني أعرف إنسانية الأستاذ رمزي كلارك وزملائه المحامين الشرفاء ومساعيهم لإنقاذ حياتي، ولكنني لا أريد إنقاذها بهذه الطريقة، وقد أديت واجبي والحمد لله، وأفضل أن يموت صدام بيد العدو من أن يعيش ألف سنة. وهذا ما أتمناه. فالحسين عليه السلام، توفاه الله في كربلاء، ولأنه مات مظلوماً، فإنه يعيش حتى الآن في قلوب ملايين الناس، والمظلوم يعيش في قلوب الناس وليس الظالم. والحسين جدنا، وكما يقول أهل الدليم - إذا صدكت الجدّات - حتى المحامي خافيير حين عرض عليَّ في إحدى الجلسات رفع دعوى ضد إيران لدورها في مأساة بلدة حلبجة، فإنني رفضت قائلاً لقد علمنا أجدادنا أن لا نشتكي من أحد، لأن التشكي وفقاً لعادات أجدادنا أمر معيب. وعلى هذا الأساس توارثنا ذلك، وليس من صفات صدام حسين مقاضاة أحد، وقد سبق وأن رفضت مقاضاة صحيفة الصن لإساءتها لحقوقي كأسير حرب. وأعتقد أن وثائق حلبجة موجودة لديكم. فأنا يا أخواني، ولدت في العراق، وأعيش فيه، وسأموت فيه. فقد تعودت أن أعيش في بلدي، وأتنفس هواءه وأعيش بين شعبي .. وقضية المحاكمة مع كل قضايا العراق، لن يحسمها إلا رجال المقاومة الشجعان. وما تسمى بالمحكمة العراقية خاضعة للتغيرات والظروف السياسية ولظرف الحال بفعل المقاومة، حيث يزداد الضغط الشعبي الأمريكي للانسحاب من العراق. وأنا لن أستجدي أحداً. لذا أفضل أن تكون المحاكمة عراقية وفي العراق ليطلع الشعب على الحقائق، إضافة إلى أن المحاكمة تتأثر بواقع العراق السياسي على الأرض كلما اشتدت المقاومة.

«إنني أرفض نقل المحاكمة هذه إلى محكمة دولية، لأن المحكمة الدولية لا تستطيع أن تتوقف لو تغير الموقف السياسي، وكذلك فإن رفضي يأتي في سياق أن المحكمة الدولية لا تستطيع أن تعفو لو أصدرت حكمها. إن الحكم إذا صدر في أمريكا، فإنه يشكل سابقة، وسيكون لمصلحة الشعب الأمريكي والشعوب الأخرى وسيكون تحدياً للحاكم الأمريكي بما سيكون لها من تأثير على العالم، وسيعرف الحاكم الأمريكي بأن حكمه وسلوكه، إن كانا غير قانونيين، فسيرفضه شعبه. وإن ما يقلقني هو ذهابكم وإيابكم معرضين أنفسكم لأخطار جسيمة.

«أما بخصوص هـذه المحكمة، فأنا لا أعترف بها ولا بالذي أوعز بتأسيسـها، وقـد قلت للقاضـي الجوحي حين قال لي: أنت صدام حسـين، تولـد ١٩٣٧، رئيس جمهوريـة العراق السـابق والقائـد العام للقوات المسـلحة المنحلـة ورئيس مجلس قيادة الثـورة المنحـل .. قلت له: أنا صدام حسـين رئيـس جمهورية العـراق والقائد العـام للقوات المسـلحة ورئيـس مجلس قيـادة الثورة وما أزال أسـكن فـي العراق. وحين سـألني أعتقد أنك خريـج قانون ؟ أجبته: وأنـا أعتقد أنك قـاض .. وقلت له: واللـه يا ابـن الجوحي، لو لـم تصبـح قاضياً زمن صدام حسـين، لما كنـت الآن، لأن فرصة الدراسـة لـم تكن تتوفر لأبناء الفلاحين وغيرهم لولا الظروف التي أتاحها لكم صدام حسين».

أذكر أن الرئيس سـألني بعد جلسـة الاسـتماع الأولـى في المحكمـة مع رائد الجوحـي إن كان قد تم نقل هذه الجلسـة على التلفاز ووسـائل الإعلام، فقلت له إن بعـض المقاطع قد تم نقلها، وتركت أثـراً كبيراً على معنويات الشـارع العربي، وكان رأي الجميع أن الرئيس صدام حسـين كان يحاكم من يزعمون محاكمته، وأن الشارع العربـي معجب جداً بصموده وكبريائه ورفضه التراجع عـن مواقفه رغم الضغوطات التي تمارس عليه .. يقول الرئيس:

«هـذه محكمـة غير شـرعية وغيـر دسـتورية، وهـي صنيعـة الاحتـلال، ومن مسـوغات الغزو الكاذب، وواحدة من ثمرات جريمة العدوان الخارج على الشرعية الدولية والقانون والقيم والعدالة». واستطرد قائلا: «إنها تمثل إهانة للعدالة والقانون، وهي مسرحية هزلية المقصود منها خداع الرأي العام وتصوير الأمر وكأنهم يرضخون للعدالـة والقانون وهـم أبعد ما يكون عن ذلـك. لقد قرأت اتفاقيـة جنيف، خاصة ما يتعلق منها بالأسـرى. لذلك أنصح أن يتم الطعن شكلياً بتشكيل المحكمة المخالف للقانون ودستور العراق واتفاقيات جنيف، لأن كل ما بني على باطل فهو باطل».. ثم أضاف: «لقد شـكلوا المحكمة بقـرارات باطلة وتحت ظل الاحتـلال، وبيد الحاكم الأمريكي. وهذا يعني اغتصاباً للسـلطة الشـرعية واعتداءً سافراً على القانون العراقي والدولي على السواء. لذلك، أرجو أن يكون دفاعكم قانونياً وسياسياً وإعلامياً».

«أما بخصوص هـذه المحكمة، فأنا لا أعترف بها ولا بالذي أوعز بتأسيسـها، وقـد قلت للقاضـي الجوحي حين قال لي: أنت صدام حسـين، تولـد ١٩٣٧، رئيس جمهوريـة العراق السـابق والقائـد العام للقوات المسـلحة المنحلـة ورئيس مجلس قيادة الثـورة المنحـل .. قلت له: أنا صدام حسـين رئيـس جمهورية العـراق والقائد العـام للقوات المسـلحة ورئيـس مجلس قيـادة الثورة وما أزال أسـكن فـي العراق. وحين سألني: أعتقد أنك خريج قانون؟ أجبته: وأنا أعتقد أنك قاض .. وقلت له: واللـه يا ابـن الجوحي، لو لـم تصبـح قاضياً زمن صدام حسـين، لما كنـت الآن، لأن فرصة الدراسـة لم تكن تتوفر لأبناء الفلاحين وغيرهم لولا الظروف التي أتاحها لكم صدام حسين».

أذكر أن الرئيس سـألني بعد جلسـة الاسـتماع الأولـى في المحكمـة مع رائد الجوحـي إن كان قد تم نقل هذه الجلسـة على التلفاز ووسـائل الإعلام، فقلت له إن بعـض المقاطع قد تم نقلها، وتركت أثـراً كبيراً على معنويات الشـارع العربي، وكان رأي الجميع أن الرئيس صدام حسـين كان يحاكم من يزعمون محاكمته، وأن الشارع العربـي معجب جداً بصموده وكبريائه ورفضه التراجع عـن مواقفه رغم الضغوطات التي تمارس عليه .. يقول الرئيس:

«هـذه محكمـة غير شـرعية وغيـر دسـتورية، وهـي صنيعـة الاحتـلال، ومن مسـوغات الغزو الكاذب، وواحدة من ثمرات جريمة العدوان الخارج على الشرعية الدولية والقانون والقيم والعدالة». واستطرد قائلا: «إنها تمثل إهانة للعدالة والقانون، وهي مسرحية هزلية المقصود منها خداع الرأي العام وتصوير الأمر وكأنهم يرضخون للعدالـة والقانون وهـم أبعد ما يكون عن ذلـك. لقد قرأت اتفاقيـة جنيف، خاصة ما يتعلق منها بالأسـرى. لذلك أنصح أن يتم الطعن شكلياً بتشكيل المحكمة المخالف للقانون ودستور العراق واتفاقيات جنيف، لأن كل ما بني على باطل فهو باطل».. ثم أضاف: «لقد شـكلوا المحكمة بقـرارات باطلة وتحت ظل الاحتـلال، وبيد الحاكم الأمريكي. وهذا يعني اغتصاباً للسـلطة الشـرعية واعتداءً سافراً على القانون العراقي والدولي على السواء. لذلك، أرجو أن يكون دفاعكم قانونياً وسياسياً وإعلامياً».

حين سأل القاضي الرئيس في إحدى جلسات التحقيق قائلاً إن جماعة الرئيس (رفاقه) يقولون إن الأوامر صدرت منه، أجاب الرئيس: عام ١٩٦٤، كنت عضو قيادة، وخططنا للثورة. ثم بعد ثلاثة أشهر اعتقلت بعد خيانة كخيانة قيس. وأثناء التحقيق، ضعف أحدهم، وكشف الخطة. وعندما سألني القاضي في تلك المحكمة، قلت له إنني أنا من خطط. وسأل: وأبو هيثم (أحمد حسن البكر) ؟ أجبته أشك بوجود علاقة لأبي هيثم بعبد السلام عارف. فقد رفعت عنه الثقل. وهكذا الرجال يقاسون بمثل تلك المواقف».

ويكمل الرئيس حديثه بقوله:

«نحن خلقنا للتضحية، وعلى القائد أن يتحمل التضحية، وإذا حكمني بوش بالإعدام، فهو عندي لا يساوي حذائي. وإذا كان على القاضي أن يتلو حكم الإعدام، فعليه أن يتذكر بأنني رجل عسكري ولا بد أن يتم تنفيذ الحكم رمياً بالرصاص».

وتساءل الرئيس:

«هل من حق المحامي أن يحمل رسالة من موكله لعائلته؟ فإذا كانت عن طريق الصليب الأحمر، فهذا يعني أننا أسرى، والأسير لا يقدم للمحاكمة، وإذا كان الأمر خلاف ذلك، فهذه تعتبر إزدواجية. وأسأل لماذا لا ترتجف شوارب الادعاء العام على عشرات بل مئات من الذين يسقطون يومياً نتيجة الفتنة الطائفية في بغداد ومناطق العراق الأخرى؟

«نحن لم نفاجأ بأسلوب المحكمة في طرقها وأساليبها المستخدمة معنا، كتجزئة المعتقلين أو إحضارهم جميعاً أو إدخالهم قبل المحامين. وقلت للقاضي لا يجوز الخلط، كجانب قانوني بين ما هو شرعي وما هو خلاف ذلك. وطلبت منه أن يثبت توضيحي بأن العراق محكوم من قبل الأمريكان، وحين احتد، قلت له لا تحتد علي لأني أصير فوكاك (فوقك). إن الذي يملك غيرة وشرفاً، لا يمكن أن يقبل بهذه المحكمة المهزلة.

«وقد لاحظت في جلسة اليوم تحولاً في كلام بعض الأخوة المحامين حين وصفوا المحكمة بالعادلة. ولأن المحكمة غير شرعية، وأي خطاب دبلوماسي من

ناحيتنا غير مطلوب، لذلك نراهم استهدفوا الأستاذ خليل لأنه لا يجاملهم. وأعتبر أنه فضل منا عندما نخاطب المحكمة بأي كلام، فهم غير شرعيين. إن المجاملة التي تكون على حساب المبادىء، مؤذية، ونتائجها سلبية. لذلك يجب أن ننأى بالمبادىء عن المجاملة. وأرجو ألا تسقطوا من حساباتكم ودفوعكم أخطاء وهفوات المحكمة وخاصة في المسائل الإجرائية، وما يخص تعيين القضاة والأسس الطائفية والسياسية. وتذكروا أن هذه المحكمة تجري على الطريقة الفارسية».

وهنا طلب الرئيس مني أن أبلغ سلامه وشكره إلى القاضي رزكار محمد أمين. ويقول له عفيتين (عافيتين) عليه، ويخبره أن الرئيس كتب له شعراً. فرزكار، كما يقول الرئيس، عندما اصطدم بالحقيقة تراجع.

ويوجّه الرئيس كلامه للمحامين قائلاً:

«لقد كبرتم بنا وكبرنا بكم أيها الأبطال. وقد شاهدنا في الجلسة السابقة شهود الدفاع، وهؤلاء يدافعون عن العراق وعن المسيرة ولا نريد الدفاع عن صدام حسين. وهجوم المحكمة على المحامي هو محاولة مرتبة على دفاع الحق، وهجوم الباطل فيه ألف ثغرة وثغرة. وكان غرضهم التشكيك في نزاهة المحامين الأبطال.

«إذا كان هؤلاء الذين يحكمون العراق لا يحكمون بالإعدام، فذلك من أجل أنفسهم، وهؤلاء يريدون أن يثبتوا أنهم ضد الإعدام تحسباً لأنفسهم. والسؤال: لماذا هذه المحاكمة ؟ من ضمن توقعاتي الشخصية الأدنى، فإنني أرى أنهم سيحكمون أحكاماً خفيفة لأنهم شاهدوا بأن هذه القضية لا يوجد فيها أي مجال للغش واللعب، وكل ما فيها كشف بسرعة، ويريدون أن يعطوا انطباعاً للرأي العام خاطئاً بأن المحكمة عادلة، وهي تفرج عن البعض. ومن جانب آخر، فإن المسؤولين الأمريكان، وحتى ربما الموجودين هناك في الحكم، صاروا مستعجلين على إصدار الحكم. وقد يتصور البعض منهم بأن إصداره أحكاماً عن جرائم ضد الإنسانية أو مخلة بالإنسانية، إنما فقط ليقولوا إن هؤلاء لا يمكن إشراكهم في العملية السياسية لأن أحكاماً بجرائم ضد الإنسانية قد صدرت ضدهم.

«لقد ارتكبوا سلسلة من المخالفات، وتعرفون بأنه لا يحكمنا القاضي أو

المحكمـة، وإنما هم الأمريكان. وأنـا مقتنع بهذه الحقيقة. فأمريـكا والصهيونية هما مـن يحكم علينا، وقد صدر الحكم ضدي قبل عشـرات السـنين. ولا يهمني فقط إلا الرأي العام، وأن يقتنع بأن الأحكام صادرة بحقي مسبقاً.

«ومن مخالفاتهم التي تظهر عدم احترامهم لهيئة الدفاع هو تعليقهم على ربطة عنق الأسـتاذ المحامي دوبلير بطريقة مخزية، إذ حاولوا التقليل من شأنه، والاستهزاء به. ثم كيف يكون القضاء نزيها إذا كان وزير العدل جزءاً من حكومة الاحتلال».

ويضيف الرئيس:

«قد يسـأل سائل، لماذا جعلوا قضية الدجيل أولاً، خاصة وحزب الدعوة ليس قويـاً إلى درجة فرض قـراره على المحكمـة. أعتقد أن الأمريكان هـم الذين قرروا. وبرأيي، فإن أمام المحكمة طريقين: إما أن يقرروا أنهم لا يحتاجون أي غطاء، وأنهم سيطبقون نواياهـم الشـريرة، أو أن يؤجلـوا المرافعـة يـوم ٢٤/ ٧/ ٢٠٠٦ إذا كانوا محتاجيـن غطاء أي غطـاء. علينا أن نفهـم أن ذهابنا إلى المحكمة مـن دون أن تبدي المحكمة أية مرونة، سـيدفعها لمزيد من السوء ضدنا وضد المحامين. وستقوم بطرد المزيـد من المحاميـن، وأول المحامين الذين سـيتعرضون للتهديد والطرد الأسـتاذ خليل، لأن أي محام يشوّش على الظلام الذي أحدثته المحكمة سيعاقب بالطرد».

توجيهات الرئيس للمحامين في جلسات عديدة

أبدى الرئيس بعض الملاحظات بخصوص المحكمة:

«- نحـن أمام حالتيـن، إما أن نلقـي الدفـاع أو أن نعترض، وأنـا أفضل الحل الأخير.

- دكتـور نجيب، أنتم لا تحتاجون للقول والتوضيـح، لأن الصغير لا يثلم من شـأن الكبير، بل علـى العكس، وأرجـو أن لا تحسـبوا تصرفات هـؤلاء الغرباء على شعب العراق العظيم. إنهم غرباء.

- إننـي أقدر ما تعانـون منه بدءاً من ذهابكـم ثم مجيئكم، وأقدر مـا يعاني منه السيد كلارك والسيد دوبلير. فأنتم مجاهدون بكل معنى الكلمة.

- لـو افترضنا مجازاً أن أسـاس المحكمـة قانوني، فإن ما يقدمونه في مسـرح المحكمة باطل ويفضح أمام الشعب أساسهم غير القانوني.

- أنا أؤيد رسالة السيد أحمد بن بيلا حول عدم قانونية المحكمة، لذلك يجب تكرار الطعن باستمرار. وأستاذ خليل لم يقصر في هذا المجال.

- الدكتور نجيـب النعيمـي مناضل عربي أصيـل والذي حصل له هو شـرف وعزّ.

- إمنحوا علي حسن المجيد فرصة للإدلاء بشهادته لأنه بحاجة إليها.

- أمر القبض يجب أن يصدر من قاض عراقي وتنفيذ سلطة عراقية. وأمر إلقاء القبض صدر بعد ستة أشهر من الاعتقال.

- الجانـب الأمريكي في المحكمة موجود بقـوة ويصارعه تياران الجمهوري والديمقراطي.

- أسـتاذ خليل، الحمد لله، فأخواني المعتقلون مرتاحـون لأدائك ومعجبون بشجاعتك وبموقفك.

- كان تصـرف المدعـي العـام استفزازياً وغير لائـق، وهو لم يمـارس صفة الادعاء العـام وإنما مارس المهنة كخصم شـخصي وبصفة الادعاء العام الشـخصي وبشكل قبيح. وإذا استمرت المحكمة على هذا النهج، فيعني أنها مستمرة بالخضوع لضغوط الحكومة. إن الظلم إذا زاد عن حده، يتوجب على الإنسان أن يثور عليه.

- نحـن لا نتوقع أن يجهل القاضي الحقوق الأساسـية لحـق الدفاع، ربما هو يجهل ذلك أو هو مرغم على التجاهل. وهذا سيؤثر على نتائج قراره.

- بخصوص موقـف المحكمة من رفـض المحامين العـرب والأجانب ومن التأجيلات، أرجو أن يكون موقفكم متشدداً جداً.

- أسـتاذ رمزي، أنت عملت دعاية لأمريكا لا تعملها عشرون سفارة وملايين الدولارات، وأنصفت وجه الشعب الأمريكي بما لا تستطيع أن تفعله كل الفضائيات ووسائل الإعلام.

- لـو افترضنا مجازاً أن أسـاس المحكمـة قانوني، فإن ما يقدمونه في مسـرح المحكمة باطل ويفضح أمام الشعب أساسهم غير القانوني.

- أنا أؤيد رسالة السيد أحمد بن بيلا حول عدم قانونية المحكمة، لذلك يجب تكرار الطعن باستمرار. وأستاذ خليل لم يقصر في هذا المجال.

- الدكتـور نجيـب النعيمـي مناضل عربي أصيـل والذي حصل له هو شـرف وعزّ.

- إمنحوا علي حسن المجيد فرصة للإدلاء بشهادته لأنه بحاجة إليها.

- أمر القبض يجب أن يصدر من قاض عراقي وتنفيذ سلطة عراقية. وأمر إلقاء القبض صدر بعد ستة أشهر من الاعتقال.

- الجانـب الأمريكي في المحكمة موجود بقـوة ويصارعه تياران الجمهوري والديمقراطي.

- أسـتاذ خليل، الحمد لله، فأخواني المعتقلون مرتاحـون لأدائك ومعجبون بشجاعتك وبموقفك.

- كان تصـرف المدعـي العـام اسـتفزازياً وغير لائـق، وهو لـم يمـارس صفة الادعاء العـام وإنما مارس المهنة كخصم شـخصي وبصفة الادعاء العام الشـخصي وبشكل قبيح. وإذا استمرت المحكمة على هذا النهج، فيعني أنها مستمرة بالخضوع لضغوط الحكومة. إن الظلم إذا زاد عن حده، يتوجب على الإنسان أن يثور عليه.

- نحـن لا نتوقع أن يجهل القاضي الحقوق الأسـاسـية لحـق الدفاع، ربما هو يجهل ذلك أو هو مرغم على التجاهل. وهذا سيؤثر على نتائج قراره.

- بخصوص موقـف المحكمة من رفـض المحامين العـرب والأجانب ومن التأجيلات، أرجو أن يكون موقفكم متشدداً جداً.

- أسـتاذ رمزي، أنت عملت دعاية لأمريكا لا تعملها عشرون سفارة وملايين الدولارات، وأنصفت وجه الشعب الأمريكي بما لا تستطيع أن تفعله كل الفضائيات ووسائل الإعلام.

- الإنســان يعمل ولا يعتمد بطريقــة إتكالية على إرادة الرحمــن، وأنا عملت بطريقة نضالية وبهذا العمق. وما أريد أن أقوله إذا ما صدرت أي أحكام، أن لا يصاب أحد بالإحباط، وأنتم عملتم للعراق ولصدام حسين كما عملتم لبلدانكم، لأن شعب العراق والناس الذين ليســوا بالحضور الذهني والمســتوى في اللحظة التي ســيصدر فيهــا الحكم، ســتجعلونهم يجمعون وتلفــت أنظارهم وأذهانهم إلــى أن قرار الحكم صدر من الحكّام ولا علاقة للشــعوب بهذه الأفعال الشــريرة .. فأنتم عملتم للحاضر والمســتقبل.

- العمــلاء الموجــودون في المحكمة جميعهــم يريدون إعدامي بلا اســتثناء، والذين لا يريدون الإعدام ليس رأفة بي ولكن خشية على أنفسهم من العواقب.

- ألفــت نظركم إلى أنه توجــد كلمات ومصطلحات لاتينيــة في لائحة مكتب الدفاع المعيّن من المحكمة.

- إننــي لــم أتفاجأ بشــاهد الــزور الكردي. ومــن خــلال التدقيق بمــا يقوله، استنتجت بأنه جاسوس لإسرائيل.

- عندما يدافع أحدكم عن أي معتقل آخر، فكأنه يدافع عني مرتين.

- التراجــع عــن قرارنــا يجعــل كل هــؤلاء يســتهينون بمــا يســمى بالمتهــم وبالمحامين.

- العدد الكبير من شــهود الدفاع من أهل الدجيل سيرفعون عن مدينة الدجيل هذا الثقل، لأن سمعتها قد لطخها البعض، ومن مصلحة مدينة الدجيل أن يشهد أهلها بحق مسيرة العراق وليس دفاعاً عن صدام حسين.

- أجّلوا طلب الانسحاب لأن الضغط كبير على القاضي عبد الله العامري من كل الأطراف.

- القاضــي عبد الله العامري قــال كلاماً عظيماً مــن دون أن نكلفه بهذا، فكان كلامه ضربة قاضية لبوش مــن قاض هم الذين عيّنوه في محكمة هم من صنعها. هذه الكلمــة هي أقوى من خســارة بوش في الانتخابــات، وكانت إقالته لهذا الســبب. أما القاضي رزكار، فاستقال لأنه علم مسبقاً أن القرار سيكون بيد غيره.

- نحن نعرف حجم الضغط على الأستاذ خليل، ولذلك نرى أن يعطي ما يريد قوله للزملاء، ثم يناور.

- بالأمس، أردنا تنبيه المحكمة إلى ما يحصل من تلقين واضح، والهدف هو تنبيه الرأي العام منذ اللحظة الأولى كي يكون متيقظاً لما يحصل من تشويه للحقائق.

- لقد أبدع المحامون وكانوا يشكلون فريقاً رائعاً.

- بناء على اتفاقي معكم، سأتقدم بطلب إلى محكمة الدجيل لإخراج لائحة مكتب الدفاع من ملف القضية لوجود هيئة دفاع موكلة من قبلي.

- عدم حضور هيئة الدفاع أقوى للتساؤلات من حضورها حتى نستغل الزمن، والسؤال هنا: ماذا لو اتخذت المحكمة قرارا بعدم حضور محامي هيئة الدفاع؟ أعتقد أن الحل هو أن تتحول هيئة الدفاع إلى مركز قانوني وتختار هيئة دفاع جديدة، لكن للقضايا الأخرى وليس لهذه القضية.

- والسؤال الآخر: إذا حضرنا إلى بناية المحكمة، أو أجبرنا أن نؤخذ بالقوة، فهل نلقي دفاعنا أم لا ؟ أيهما أقوى أن نقرأ دفاعنا مكتوباً أم كجزء من احتجاجنا نرفض أن نقول شيئاً، ونثبت هذا، ونقول نحن لدينا دفاع مكتوب. ولكن احتجاجاً على عدم تلبية طلبات الدفاع القانونية، فإننا نمتنع عن إلقائه، وسنلقيه خارج المحكمة.

- لا يشرفني أن أحضر جلسة يقودها هذا المسخ (العريبي). وعندما ذكرت لهذا القاضي بعض ما أعرفه عنه، لم يكن الهدف الإساءة لأحد من العراقيين، وإنما لتذكير هذا الشخص بما لا يعرفه هو عن نفسه عندما قال ذات يوم في التحقيق: أنا من عائلة من أشهر عشر عوائل في بغداد.

- شهادة الأستاذ طارق عزيز مهمة، لأنه كان عضواً في الوفد المفاوض وكذلك لأن لديه معلومات عن الكيماوي ومن الذي استخدمه.

- عندما أتمسك بالشرعية أمام هذه المحكمة غير الشرعية، فإنني لا أتمسك بالشكل بقدر ما أتمسك باليمين الذي أديته، والعهد الذي قطعته أمام الله والشعب.

ما الذي حصل في الدجيل ؟

يسأل الرئيس صدام حسين في مداخلة له في جلسة المحاكمة بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥:

* عندما يطلق النار على رئيس الجمهورية، وحتى الرئيس الذي عيّنته أمريكا، ألا يجري تحقيق؟ أليس من حق الأجهزة الأمنية أن تتابع وتحقق في حادث كهذا؟
* إن المسؤول هو صدام حسين، فقد كان باستطاعته أن يأمر بعدم التحقيق وعدم المصادقة على حكم الإعدام.
* إن البساتين التي استملكت وتم إطلاق النار منها، تم تعويض أصحابها تعويضاً مجزياً، وأعيدت إلى أصحابها مع التعويض في ما بعد.
* إذا أردتم أن تحاسبوا، أو أراد الأمريكان أن يحاسبوا، فأنا مسؤول مارست صلاحياتي الدستورية والقانونية كرئيس دولة.
* لا يجوز أن تستمروا في هذه اللعبة، وإذا أردتم رقبة صدام حسين، فلكم ما طلبتم.

في أحد لقاءاتي الخاصة مع الرئيس، قلت له إن بعض الأمريكيين يقولون إن تهمة قضية الدجيل هي تهمة تافهة، ولا تستحق أن تأخذ كل هذا الضجيج، وبعض هؤلاء الأمريكيين ليسوا رجال قانون، بل من الضباط والمراتب الذين نلتقيهم هنا في أروقة المعتقل أو داخل أسوار ما يسمى بالمحكمة ..

يعلق الرئيس قائلاً:

«بعد أن فشلت حكومة الدبليو بوش وجوقتها من المتصهينين وذيولهم الصفويين، ومن صفق لهم من داخل العراق وخارجه، وبعد أن فشلوا في تزوير الحقائق حول ما أسموه أسلحة الدمار الشامل العراقية، وعلاقة العراق بالإرهاب، ذهبوا إلى تأسيس هذه المحكمة، وبدأوا يفتشون عن تهم زائفة. ثم جاءوا برجال قانون بعضهم كان دخيلاً وغريباً على هذه المهنة النبيلة، وذلك لغرض في نفسه أو هوى الشيطان الرجيم، وإما لأنه خان القسم، قسم المهنة. لكن كان بينهم رجال

شـرفاء أنصفوا مهنة القضاء، وانتصروا للحق وعلى رأسـهم الشـجاع الأمين الأستاذ رزكار محمـد أمين والقاضي عبـد الله العامري. ومثلهم كان فـي جانب الحق رجال قانون، محامون شجعان، تطوعوا وحملوا أرواحهم على أكفهم لينتصروا للحق رغم كل المخاطر التي تواجههم، ولم تكن لهم صلة بنا في السابق، لكن نخوتهم هي التي دفعتهـم لهذه الوقفة الشـجاعة. وعلى كل حال، بعد محاولة الغـزاة وأعوانهم طمس الحقائق بما أسـموه قضية الدجيل، نسأل ما هي حقيقة هذه القضية التي يحاكم عليها صدام حسين ورفاقه، وأناس أتوا بهم معنا أسموهم كبار معاوني صدام حسين، وهم في الحقيقة موظف بدالة ومعلم مدرسة ابتدائية ورجل جمعيات فلاحية ...

«في تلـك الفتـرة، كان العـراق منهمكا فـي الدفاع عـن البوابة الشـرقية بوجه أطماع الخميني. وكان علينا رفد الجبهة العسـكرية من خلال تلاحم الشـعب وإعلاء البنيـان واسـتمرار الحيـاة. وعليـه كان لا بد مـن تفقد أحوال شـعبنا، وزيـارة المدن والقصبات والقرى والأهوار. وهذه المرة كانت الزيارة إلى قضاء الفارس (الدجيل). بعد أن وصل الموكـب، اسـتقبلنا العراقيون في هذا القضاء بكل حفاوة وتكريم، وهم معروفـون بالكـرم حالهم حال مـدن العراق الأخـرى وقصباتـه « كان أهـل القضاء ينحرون الذبائح تكريماً لنا. وكانت بعض النسـاء يتقدمن إلينا لتحيتنا. وعندما أردت الصعـود إلى السـيارة المخصصة لي ضمن الموكب، اقترب مني أحد المرافقين من الحمايـة الخاصة، وطلب منـي الصعود في سـيارة أخرى ضمن سـيارات الموكب. وأوضح بأن إحدى النسـاء قامـت بوضع كفها فـي دم الذبائح، وختمـت بكفها على السـيارة المخصصة لي. وهذه عادة معروفة يسـتخدمها العراقيون عند شـراء سيارة، وأحيانـا لتكريم الضيـوف. إلا أن أفراد الحماية الخاصة وضعوا في حسـاباتهم الأمر الأسـوأ، وهي أن تكون إشـارة لعمل ما في ما بعد. ثم تركنا السـيارة تسـير في مقدمة الموكب وفيها بعض أفراد الحماية. وعلى ما أذكر، كان ترتيب السيارة التي كنت فيها الثالث أو الرابع.

«أثناء سـير الموكـب، وبعد انقضاء الزيارة، كنا عائدين من الشـارع الرئيسـي، قامت عصابة من المجرمين عملاء إيران بإمطار الموكب بوابل من الرصاص. وكانت

النيران تنطلق بكثافة من البساتين من الجهة اليسرى من الشارع، فأصابوا عدداً من سيارات الموكب. وكان النصيب الأكبر من رصاصهم يتجه إلى السيارة المؤشرة بكف تلك المرأة. فاستشهد عدد من أفراد الحماية الخاصة، وهم المجموعة الأقرب لحماية شخص رئيس الدولة، وكذلك فصيل الحماية، وهو الطوق الثاني الأبعد بقليل عن شخصية الرئيس، وفقد هذا الفصيل عدداً من أفراده ، أما طائرات الهليكوبتر التي حلقت فوق تلك البساتين، والتي كانت تستطلع أماكن تواجد هؤلاء المجرمين، فقد تعرضت لإطلاق النار من أسلحة مختلفة بما فيها مدافع رشاشة. وقد خسرنا بعض طيارينا في ذاك الحادث. ومن الطبيعي أن يكون للحماية الخاصة وفصيل الحماية رد فعل سريع على مصادر النيران لإسكات الجناة الذين ولوا هاربين إلى عمق البساتين التي كانت كثيفة وتشكل خطورة حتى على أهل المنطقة. عندئذ، هب الغيارى من أهل الدجيل، وآزروا فصيل الحماية وقتلوا عدداً من المجرمين من بينهم المجرم المسمى السيد الكربلائي، وهو القائد والمخطط لعملية الاغتيال. وهذا الشخص هو إيراني وليس عراقياً.

اعتذر منا أهل الدجيل وشيوخها، وأعربوا عن أسفهم لما حصل. فأكملت زيارتي وعدت إلى بغداد. ثم قامت أجهزة الدولة، وهو أمر طبيعي، بالتحقيق في الحادث، وتعقب المجرمين. فهذا الفعل الإجرامي يشكل تهديداً خطيراً لتماسك الجبهة الداخلية. وأخذت الأجهزة القضائية دورها في التحقيق وفي المحاكمة من دون أن نتدخل. وكان من الطبيعي أن يصدر الحكم بحق الجناة، وقد عفونا عن الكثير منهم. لذلك، وطبقاً للقانون والدستور، قررت الجهة المختصة صاحبة القرار استملاك البساتين المتداخلة مع المدينة والتي تشكل تهديداً لأمن المدينة والشارع الرئيسي فيها. ثم قامت الدولة بتعويض المشمولين تعويضاً مجزياً، وكذلك تعويضهم بقطع أراض زراعية وسكنية بعد مدة من الزمن. ثم لاحقاً أعيدت الأراضي التي استملكت لأصحابها.

« أما عوائل المجرمين، فقد تم ترحيلهم وإسكانهم في بيوت آمنة. وكان هذا لصالحهم وللمحافظة على حياتهم من الأعمال الثأرية. وكانت هذه العوائل تتمتع

بكامل حريتها بالإضافة إلى المحافظة على مصوغاتها وحليها أما من يدعي حدوث حالات انتهاك لشرف بعض العراقيات في هذه القضية، فنقول إنه غرض مقصود للإساءة للمسيرة، خاصة والجميع يعرف أن صدام حسين لا ينام حين تضام عراقية إلا وينتصر لها.

«هذا ما حصل. ولو كان الادعاء العام صادقاً، لأحضر الإضبارة الأصلية للقضية، والتي تتضمن اعترافات المجرمين وتواقيعهم على ما خططوا له وما اقترفوه، ووقوف إيران وراء الحادث، حيث إن حزب الدعوة المحظور في القانون والدستور العراقي، والذي ينتمي إليه رئيس حكومة الاحتلال، هو الذي نفذ هذه العملية الجبانة، حتى إن إيران أعلنت عن الخبر قبل أن تعلنه إذاعات العراق.

«أما الطلب ممن أسموهم بالمتهمين (المعتقلين)، ومن محامي هيئة الدفاع جلب إضبارة القضية الأصلية، فهذا طلب تعجيزي. فهم يعرفون أن المعتقلين والمحامين مهددون بالموت، والذين أسموا أنفسهم بالادعاء العام، ومن خلفهم الغزاة وعملائهم، يعرفون أين إضبارة القضية. هذه هي القضية التي يحاكم عليها صدام حسين ورفاقه».

FAMILY NEWS ONLY

IQS

أخبار عائلية فقط

بسم الله الرحمن الرحيم / ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . صدق الله العظيم .
أخي هاني / تحية وسلام ومحبة . بلغني من عائلتي
عنوانك .. وهم يشيدون بأصالتك وخلقك .. وعلى هذا
عهدناك منذ كنا في القاهرة / فبارك الله فيك وبآل الخصاونة
وجزاكم الله خيراً .. وسلامي من خلالك إليهم جميعاً وإلى
شعبنا الأردني العربي الشقيق .. وإلى من يسأل عنا من أهلنا
في أمتنا الكريمة الماجدة .. نفسي وما ولدت فداء لها
ومنها فلسطيننا الغالية وعراقنا الصابر الجريح المحتل .
إن الحياة بدونها تفقد معاني الإيمان والمحبة .. والقابلية المورثة
في أمتنا .. بوار .. ومن يقتضي لا أمتك بها يهدل ويزودها
فليس كثيراً علينا إنما هو استحقاقنا فقد أوجبنا بأمر الله
وأمر شعبنا أرضاً ما يمكن أن يحدث للإنسان من أمته .
حبوا أخي هاني شعبكم .. حبوا فلسطين .. وعاشت
فلسطين .. حبوا أمتكم
[redacted]
لك حظ .. أخي هاني .. أرجو أن تتفضل بالعفو عن
الشطب .. الأمر .. لأنهم أبى عدوانا

Date / / التاريخ Signature .... التوقيع

The addressee is my صلة قرابة المرسل إليه: زميل الدراسة في كلية الحقوق القاهرة

رسالة من الرئيس صدام حسين إلى صديقه وزميل دراسته الدكتور هاني الخصاونة،
ويلاحظ أن إدارة المعتقل شطبت بحبر خاص بعض أسطر الرسالة

CENTRAL TRACING AGENCY — وكالة البحث المركزية

INTERNATIONAL COMMITTEE — اللجنة الدولية

OF THE RED CROSS — للصليب الأحمر

GENEVA - SWITZERLAND — جنيف - سويسرا

IQS

RED CROSS MESSAGE 14 -08- 2005 رسالة الصليب الأحمر

SENDER المرسل

Authority No. .... رقم السلطة ICRC No. .... رقم الصليب

Full name .... صدام حسين المجيد الاسم الكامل

Family/Tribe name .... اسم العائلة/العشيرة

Sex [M] [F] [أ] [ذ] الجنس

Mother's name .... اسم الأم

Date of birth .... تاريخ الميلاد

Nationality .... الجنسية

Address .... العراق / الأمة العربية العنوان

Country .... البلد

Postal / E.mail address .... العنوان البريدي/الالكتروني

Telephone .... رقم الهاتف

ADDRESSEE المرسل إليه

Authority No. .... رقم السلطة ICRC No. .... رقم الصليب

Full name .... هاني الخصاونة الاسم الكامل

Family/Tribe name .... الخصاونة اسم العائلة/العشيرة

Sex [M] [F] [أ] [ذ] الجنس

Mother's name .... اسم الأم

Date of birth .... تاريخ الميلاد

Nationality .... الجنسية

Address .... الأردن / عمان / أم أذينة العنوان

صندوق بريد ٧٩٥٥٣٣٣٣ / ٤٤٤٦١ ٧٧٨

Country .... البلد

Postal / E.mail address .... العنوان البريدي/الالكتروني

Telephone .... رقم الهاتف

Please write very clearly — الرجاء الكتابة بخط واضح جداً

RC-0-8581

CENTRAL TRACING AGENCY
INTERNATIONAL COMMITTEE
OF THE RED CROSS
GENEVA - SWITZERLAND

وكالة البحث المركزية
اللجنة الدولية
الصليب الأحمر
جنيف - سويسرا

IQS

RED CROSS MESSAGE 14-08-2005 رسالة الصليب الاحمر

SENDER المرسـل

Authority No. .... رقم السلطة ICRC No. .... رقم الصليب
Full name صدام حسين المجيد الاسم الكامل
Family/Tribe name .... اسم العائلة/العشيرة
Sex [M] [F] [أ] [ذ] الجنس
Mother's name .... اسم الأم
Date of birth .... تاريخ الميلاد
Nationality .... الجنسية
Address العراق / الأمة العربية العنوان
Country .... البلـد
Postal / E.mail address .... العنوان البريدي/الالكتروني
Telephone .... رقم الهاتف

ADDRESSEE المرسل إليه

Authority No. .... رقم السلطة ICRC No. .... رقم الصليب
Full name هاني الخصاونة الاسم الكامل
Family/Tribe name الخصاونة اسم العائلة/العشيرة
Sex [M] [F] [أ] [ذ] الجنس
Mother's name .... اسم الأم
Date of birth .... تاريخ الميلاد
Nationality .... الجنسية
Address الأردن / عمان / أم أذينة العنوان
صندوق بريد ٩٥٥٣٣٣٣٨ / ٧٧٨ ٢٤٤٤١
Country .... البلـد
Postal / E.mail address .... العنوان البريدي/الالكتروني
Telephone .... رقم الهاتف

Please write very clearly الرجاء الكتابة بخط واضح جداً

RC-0-8581

الفصل الثامن عشر

مساومة الرئيس صدام حسين

أدعو شعبي والقوات المسلحة المجاهدة لأن يفرّقوا
بين حكومات الدول المعتدية وبين شعوبها،
وأن يتصرّفوا على هذا الأساس بحكمة وتروٍّ،
بعيداً عن الحقد والضغينة التي تعمي الأبصار.

(صدام حسين في المعتقل)

سألت الرئيس صدام حسين في بداية شهر تشرين الأول/ أكتوبر من عام ٢٠٠٦ عما إذا كان المحتلون الأمريكيون قد حاولوا مساومته، فأجاب:

«بعد اعتقالي بعشرة أيام، جاءني جنرال أمريكي، وأعتقد أنه كان من جنرالات المعتقل، وكان برفقته مترجم مصري يحمل ورقة في يده. قال لي الجنرال: يا صدام أمامك فرصة أخيرة، إما أن تكون كنابليون بونابارت أو أن تكون كموسوليني .. فانتفضت، وضربت المترجم على يده، وقلت له: إذهب أنت وسيدك، والله لن أكون إلا صدام حسين، ولن أدعو شعبي إلا إلى المزيد من المقاومة والجهاد لتحرير العراق وطردكم بالقوة. إذ كان الهدف من كلام الجنرال أن أطلب من شعبي وقف المقاومة .. ألا خسئوا..

«أما عن مفاوضات أخرى مثل زيارة بوش العابرة، أو ما تناولته الصحيفة المصرية التي أحضرتها لي أستاذ خليل، من مفاوضات جرت بيني وبين رامسفيلد، فوالله لم يفاوضني أحد .. إنهم يحاولون وبشتى الطرق تهميش دوري بل وإلغاءه، وعزلي عن الشعب، معتقدين أنهم بهذه الطريقة يستطيعون أن يغيروا من موقفنا. إنهم واهمون. فموقفنا ثابت وقائم على أسس واضحة. أما ما يقال عن مفاوضات تجري مع البعض، فإننا لم ولن نخوّل أحدا بالتفاوض نيابة عنا، فنحن معروفون لديهم، وموجودون عندهم، وإنني لا أطلب شيئاً من العدو إلا أن يحترم حق الشعوب في تقرير مصيرها. ونحن اختارنا الشعب ولن نخذله أبداً وبعون الله. إذن نقول إن القيادة موجودة عندهم وقائد القيادة كذلك، وإذا ما أرادوا التحدث معنا، فليتحدثوا. وليس

لدينا هدف شخصي .. فنحن الآن على كرسي الحكم وخارج كرسي الحكم، وإن الموت والحياة بالنسبة لنا سيّان. وعلى كل سيأتون .. فدعهم يطرقون كل الأبواب، وعندما يعجزون، سيعرفون الأبواب الصحيحة التي عليهم أن يطرقوها «هيّة كل ما غبارها يصعد يكون الفرج قريب».

«إنني أحذّر قيادة الحزب، خارج المعتقل، والقيادات العسكرية من أي تفاوض مع العدو. فالعدو يترنح الآن تحت ضرباتهم. وهم يحاولون جاهدين تشخيص هذه القيادات ليسهل عليهم ضربها. فعلى من يتصل به الأمريكان من أجل التفاوض، أن يجيبهم بالقول إن القيادة لديكم ورئيسها كذلك، فلتتفاوضوا معهم. ونحن نقول إن أرادوها سرية فلا مانع، وإن أرادوها علنية، فالأمر يعود إليهم. أما أن نكون نحن الذين نطرق أبوابهم للتفاوض، فهذا الأمر يضعف موقفنا. وهذا مستحيل ولن يحصل أبداً.

«إن من يريد الحل السلمي، فليطرق الباب الصحيح ويقول نريد حواراً. والحل السلمي في العراق هو أسهل الحلول التي يمكن أن تتجه إليه أمريكا، فالعراقيون رغم أنهم «صعبين»، إلا أنهم «سهلين» في الوقت ذاته.

«نحن نملك تاريخاً، وصدام حسين لم يكن سوى قزم قياساً على علي وأبي بكر وعمر، رضوان الله عليهم. فإن كان هناك توفيق، فمن الله. وإذا وجد خطأ ما، فالخطأ مني. وجل من لا يخطىء. وصمودي هذا هو أقل ما يمكن أن أقدمه لشعبي.

أما ما قيل عن مفاوضات بينهم وبين السيد طه ياسين رمضان وعبد حمود، فأقول إن هؤلاء الأمريكان هم محققون يريدون انتزاع اعترافات بأية طريقة ولا علاقة لهم بالقرار السياسي، وهم لم يفاوضوا بمعنى التفاوض معي أو مع غيري بل يتعمدون إهمالنا، لكنني أقول إنهم لن ينالوا من عزيمتنا ولا بد لهم من أن يطرقوا أبوابنا لكي يهربوا من العراق».

وهنا التفت الرئيس إلى المحامي رمزي كلارك وقال مازحاً:

«يا سيد رمزي، أعتقد أن بوش حماكم من أن تتورطوا باحتلال العالم، وكذلك العراق. وهو قد آذى بلده قبل أن يؤذي الآخرين، ربما كتب علينا أن نجرب بوش

مرة أخرى لنقيس مدى كفاءته .. فهل يترك الحزب الجمهوري بشخوصه الرئيسيين والرئيس نفسه السفينة على حالها حتى تصطدم بالجرف وتتحطم؟ فالعراق قد جرب أمريكا وجرب خطرها، أنتم فقط تخافون على العالم من الإدارة الأمريكية، أما نحن فلم تعد نخاف من أمريكا.

«إنني واقعي أستاذ رمزي، وأتصرف بمرونة أعلى عندما تكون هذه المرونة من غير مواقحة من الحاكم في بلدي، وأتشدد عندما ينظر إلى بلدي نظرة دونية، وكلما تشدد العدو معي أكون أكثر صعوبة. لكن المزيد من التصرف الانساني المقابل، قادر أن يأخذ حتى جانباً من حقوقي. وهم فهموا حالة صدام حسين، وفهموا أن استقرار العراق يأتي من رجاله، وأن حياتي لا أجعلها ثمناً ولو بشيء شكلي».

وهنا يأخذ الرئيس بالحديث في أمور كثيرة عامة وفيها شيء من الدعابة ليضفي جواً حميمياً بيننا فقال:

«في (١/١/٢٠٠٦) ضربنا النشامى صاروخاً سقط في البحيرة (بحيرة النور) وصار واحدهم (أي الأمريكان) جريذي (جرذ)، وأرادوا أن يدخلوني بعيداً حرصاً منهم علي! فرفضت وقلت لهم دعوني أسمع طك النشامى.. وقلت لرفاقي في المعتقل إننا سنخرج في الربيع إذا أوسمت (أمطرت). وأعتقد أننا تأخرنا في المجيء (الولادة)، وكان علينا أن نأتي قبل مائة عام.

العراقيون لم يتعوّدوا مني أن أقول كلاماً وأتراجع عنه، ونقول من يتشبث بحق من حقوقه، فاهدوه إلى طريق قانوني وكونوا حازمين بعد ذلك».

أحاديث عن الأمريكيين والروس

وهنا يلتفت الرئيس ليحدث الأستاذ رمزي كلارك عن الانتخابات الأمريكية فيقول:

«أعتقد أن الديمقراطيين ممكن أن يصلوا إلى طريق الانقاذ إذا ما استعانوا بالعرب، خاصة أن لدى العرب قناعة أن عراق صدام حسين، مع سوئه ،أفضل من عراق مفتوح. لكن العرب لا يستطيعون أن يجاهروا برأيهم إلا إذا سمعوا هذا من

الأمريكان، وإذا حصل الديمقراطيون على الأغلبية في الانتخابات، فإنهم سيعجلون طرح فكرة تنحية بوش، وبوش لا يمكن إنقاذه لأن سمعته انتهت في أمريكا وخارجها. ونقول لكم إن أمريكا كانت مكروهة في السابق على أساس دعمها لإسرائيل التي كانت تقوم بالحروب بدلاً عن أمريكا، ولكنها مكروهة الآن أكثر لأنها نفسها من تقوم بالحرب، فتقتل العراقيين والمسلمين في كل مكان. لقد أعلنوا أمام شعبهم أن غزو العراق كان من أجل أسلحة الدمار الشامل. وما داموا قد كذبوا على شعبهم وعلى المجتمع الدولي، فعليهم إما أن يسقطوا حكومتهم أو أن يقيلوها. هم متورطون في العراق الآن ولسان حالهم يقول «اللي شبكنا يخلصنا» .. وهم يضغطون ليعزلوني بأساليب كثيرة كي أتغير، لكن « مو عيب على صدام حسين أن تغيره الظروف؟» .. وقد قلت لأحد جنرالاتهم من مسؤولي المعتقل: إبقوا دوروا حول الأبواب، ولكن في النهاية ستعرفون الباب الحقيقي. والله يبيّن الجماعة «الأمريكان» نعَجوا (جبنوا). وهذول أهل الحرب «الأمريكان» جزمة المقاتل العراقي والطفل العراقي أفضل منهم. فإذا جاءتك الفرصة أستاذ رمزي للكلام مع الشعب الأمريكي، فقل له إن صدام حسين لا يستجدي موقفاً ولو وضع نفسه غنيمة بدلاًعن شعبه وأمته».

ويستطرد الرئيس في حديثه، فيقول:

«عموماً، فإن الدول الغربية الكبرى، وكل الدول الكبرى في العالم كالصين وروسيا، لا يريدون لأي بلد يرفع شعار الوحدة والتنمية ويملك نفطاً أن يستقر، سواء أكان هذا البلد إيران أو غيرها. ولكنهم أكثر تشدداً مع العرب لحساسيتهم (أي تلك الدول) تجاه قضية فلسطين، وعدم وجود الحساسية ذاتها مع إيران. لكنني أقول إن على الدول الكبرى، إذا أرادت أن تمنع حروباً أخرى، أن تلوّح بالقوة، ولا تستخدمها. وعندما تلوّح ولا تأتي النتائج كما تريد، فإن هذه هي الطامة الكبرى.

«أما بالنسبة إلى الصحف، أقول إن الصحف التي بدأت تصلني تصل مبتورة، إذ يجردونها من أحداث كثيرة تقع وخاصة عن انتفاضة العشائر العراقية الآن، حتى لا أطلع على ما يجري.

وأقول للأستاذ رمزي رداً على قوله من أن الحكومة الأمريكية حصلت من

العراق على كل ما تريد، نعم فهي وبمباركة من الحكومة العميلة ستحقق أرباحاً للعام القادم بمقدار ٢٠٠ مليار دولار. وهذا الرقم ضروري جداً إعلانه، وستستفيد من نفط العراق إلى حد كبير، ولكن المستفيد الأكثر هي الشركات حليفة الحكومة الأمريكية، والذي خسر هو الشعب الأمريكي، خسر أمام العالم وخسر كل عناصر القوة. ونحن عندما نقول الحقائق، ليس خشية، وليس رغبة في أن ينتصر لنا الشعب الأمريكي لكي نخرج من المعتقل، وإنما لنقول الحقيقة. فلا حكومة العراق ولا شعب العراق كانا يوماً ضد أمريكا، وأنتم تعرفون طريقنا وعقيدتنا السياسية. والشعب الأمريكي ليس له مصلحة في الحرب، بل هو ضدها، وسيكتشف يوما كم ارتكبت حكومته من جرائم بحق شعوب الأرض ومنها العراق. وقد وجدت من مسؤوليتي الأخلاقية أن أخاطب الشعب الأمريكي، وتساءلت في رسالتي هل الحكومة الأمريكية لا تعرف بأن العراق خال من أسلحة الدمار الشامل، أم هي لا تستطيع أن تعرف أم لا تريد أن تعرف، وكذلك أشرت إلى عدم وجود علاقة للعراق بالإرهاب. وقلت لهم إن حكومتكم ورطتكم في موقف لا مصلحة لكم فيه، وقلت إنكم قادرون على إصلاح هذا الموقف إذا كنتم تريدون، وكنتم حازمين في ما تريدون، عندئذ تنقذون بلدكم والإنسانية جمعاء بما في ذلك العراق».

وحول رسالته إلى الشعوب الأمريكية، يقول الرئيس:

«كان لدي نقطة مهمة وددت أن أضمنها الرسالة، ولكن لم أرغب في أن أطيل، وهي رغبتنا في السلام بما في ذلك كل المنطقة. ففي ربيع عام ١٩٩٠ في أواخر الشهر الثالث أو بداية الرابع، زارني وفد من مجلس الشيوخ الأمريكي برفقة شخصيات ويرأس هذا الوفد السناتور بوب دول، وقد استدعيتهم بطائرة خاصة إلى الموصل حيث كنت. التقيت بهم واقترحت عليهم أن نجعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من كل أسلحة الدمار الشامل تمهيداً لإخلائه من العالم، وأن تقوم الولايات المتحدة بدور فاعل في ذلك. لم يكن العراق آنذاك في حرب معهم، بل كان منتصراً على إيران، ولم يكن بيننا وبين الولايات المتحدة أية مشاكل. وحين زارني الرئيس حسني مبارك، كلفته أن يتحدث باسم العراق ومصر، وعندما قلت

له نريد أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية تماماً من أسلحة الدمار بما في ذلك إسرائيل، استغرب وقال: أنت تقول هذا؟ قلت: تستطيع أن تتحدث بذلك نيابة عنا. وضمنا هذه المفردات برسالة سلمت للسفارة الأمريكية. كنت قد شرحت للسيناتور ضرورة أن يتحقق ذلك. وسألته: ماذا تفعلون إذا قام أحد الإرهابيين بوضع أسلحة دمار شامل في سيارة وفجرها في واشنطن؟ ونصحته بأن تتوقف أمريكا عن الضغط على المنظمات الفلسطينية بينما تناصر إسرائيل ضد العرب. وقلت لهم إذا ما قامت إسرائيل بضربنا، فسنضربها. وكان كلامي واضحاً، وقلت لهم ورغم أننا نطالب بخلو المنطقة من أسلحة الدمار، لكن من حق العرب أن يمتلكوا أي سلاح يمتلكه العدو. واعتبر البعض كلامنا تهديداً لإسرائيل. كان هذا الكلام قبل الحرب أي قبل دخول الكويت، وقبل أن يثار موضوع أسلحة الدمار الشامل. إن صدام حسين كان يريد السلام دوماً له وللآخرين، وصدام حسين ليس من هواة جمع الأسلحة. ولكننا كنا مقتنعين، وما زلنا، بأن العراق يجب أن يكون قوياً دائماً. فحدوده مع إيران تستوجب أن يكون متيقظاً. ولنا معها حدود أطول مما لدينا مع العرب، وإذا بقي العراق ضعيفاً، فسيؤكل..

«والله، لقد كانت الأضواء مسلطة على صدام حسين منذ عام ١٩٥٩. وكانت الشعوبية آنذاك قد سيطرت على الحكم، وكانت حقيقة واقعة بسبب هذه الجيرة المنحوسة من إيران، لكن الشعوبية على المدى البعيد جبانة تقتل وتبطش. الشعوبية في العراق توجه دموي، وهي منهج وجد لتدمير العراق، وهي مرتبطة كلياً بإيران. وهؤلاء الشعوبيون هم الخنجر المغروز في ظهر الأمة .. لقد فضح أمرهم وظهرت وجوههم على حقيقتها وبدوا أضعف مما يعتقد الكثيرون، وسدد أبطالنا لهم الضربات وألحقوا بهم الهزائم المتتالية. لم يكن للفكر القومي آنذاك قدرته التنظيمية بعد، لكن في النتيجة النهائية، فإن هذا الفكر سينتصر.

«حينما كانت الأضواء مسلطة علينا، لم يكن ذلك يعنيني، فالألقاب والعناوين لم تشغلني يوماً، وهي لا تساوي عندي شيئاً. وعندما تمسكت بلقب «الرئيس»، لم يكن ذلك لنفسي، وإنما من أجل إرادة شعبي الذي يتمسك بي. والحمد لله فنحن لا تهمنا العناوين ولا الشهرة، وشعبنا منحنا الجزء الأكثر حيوية في حياتنا. أما

التضحيـة، فمن العيب أن نتحـدث عنها وعن الشـجاعة، ولكن في مرحلـة ما، لا بد للحاكم أن يبرهن بأنه شجاع. وأقول هنا بكل شجاعة إن الإنجازات التي حققناها في زمن الحصار تعادل ما صنعناه خلال خمسة وثلاثين عاماً.

«أتسـاءل الآن لم لا يأتي هذا السـيناتور الأمريكي ويقابل طـارق عزيز ويطلع على كافة الأمور».

أخبرت الرئيس عن اختطاف الدبلوماسيين الروس، فقال:

«أعتقـد أن مـن اختطفهم هـم الأمريكان بقصـد ترحيلهم من العـراق حتى لا يقولوا بخلو العراق من الأسـلحة ويطلعوا على حقيقة وضـع الأمريكان في العراق، وكذب ادعاءاتهم.

«نحـن لا نريد أن تكون أمريكا نمـراً من ورق، ولا نخشـاها عندما تكون نمراً على الأرض ولا نريدها أن تظلم، بل نريدها من أجل الحق. وكان أمامها فرصة على الأرض. فلـو اكتفت باجتياح أفغانسـتان، وقالت نقف هنا لأننا حققنـا ما نريد، لكان أفضل لها بدلاً من أن تبدد كل قوتها وتضع نفسها في هذه الورطة. ولو لم تكن أمريكا بحاجة لبقـاء صدام حياً لقضـت عليه. لكنها تبقيه حياً لأسـباب منهـا: لتهديد إيران، والتوازن الداخلي والتلويح بصدام، ثم تحسبها من ردود فعل المقاومة العراقية. فقد يقع جنرالات لهم أسرى في يد المقاومة، عندها يكون صدام ورقة ثمينة جداً.

«أما بوش، فإنه يريد أن يكسـب وقتـاً، يقوم خلاله بتهدئة الشـعب الأمريكي، لكنـه في الحقيقة فـي مأزق كبير. وقد قلـت لرفاقي قبل فترة من الزمـن حين تحدثوا لي عن انهيار شـعبية بوش، نحن جميعـاً نريد أن يعرف الشـعب الأمريكي الحقائق، عندها نقول انتهى الأمر. والموضوع الآن عبارة عن وقت. والرئيس الذي يسـقط في المرحلـة الثانية لحكمـه، لا يمكن إنقاذه .. فـي نهاية المطاف، سـينتصر الحق، ولن يكون النصر للشـعب العراقي وحده، وإنما للشـعب الأمريكي أيضاً ولكل من يقول للحـرب لا. وهنـا أحب أن أقـول للقاضي (صادق علـي) يا قاضي ، أحـب أن تقفوا بعيونهم (أمامهـم) وتقولوا لهم هذا غلط. فأمريكا دولـة أجنبية محتلة، نخرجهم من العراق وهم يبكون»..

رسالة إلى واشنطن

جرت العادة في اللقاءات التي تعقد بين الرئيس صدام حسين وهيئة الدفاع، بكل جوانبها البروتوكولية، أن يقسم اللقاء إلى لقاءين، أحدهما لقاء عام مع المحامين وآخر خاص يكون بناء على طلب من الرئيس من الجانب الأمريكي، ويكون حصرياً مع رئيس هيئة الدفاع.

بتاريخ ٧ تموز من عام ٢٠٠٦، توجه فريق الدفاع من مطار الملكة علياء الدولي في عمّان إلى مطار بغداد الدولي. ثم نقل فريق هيئة الدفاع إلى المكان المخصص للقاء الرئيس عادة وهو جنوبي المطار، في أحد معسكرات الحرس الجمهوري الخاص (منطقة الرضوانية)، والتي هي الآن مقر للفرقة الخاصة لقوات المارينز حيث يعتقل فيها أعضاء القيادة. وصل الرئيس صدام حسين بواسطة الآليات المدرعة الأمريكية المموهة، على إحداها إشارة الصليب الأحمر (مدرعة إسعاف) ثم طلب القائد الأمريكي من الفريق عدم الدخول إلى مكان اللقاء، قائلاً إن الرئيس يريد فقط الاجتماع برئيس الهيئة والسيد رمزي كلارك عضو الهيئة. بعد دخولنا، رحب بنا ترحيباً حاراً، فطلبنا منه أن يأذن لأعضاء الفريق بالدخول والسلام عليه. ثم خرجوا بعدها وبقيت مع السيد كلارك. كان الرئيس يعتقد أنني أجيد الإنجليزية بشكل متقن، خاصة وأن السيد كلارك يحتاج لمترجم يتقن اللغة.

كان الرئيس يريد أن يبقي الموضوع خارج إطار التأويلات الإعلامية وتحليلات المغرضين، وأن يوجه رسالة توضيحية شفوية خاصة للحكومة الأمريكية عن طريق السيد كلارك، ولا يريد أن يطلع عليها أحد غيري وغير الأستاذ رمزي كلارك، إلا أنه اصطدم بموضوع الترجمة. فاضطررنا إلى إدخال أحد الزملاء العرب ليترجم بين الرئيس والسيد كلارك، مما حدا بالرئيس حينها إلى الاكتفاء بتوجيه رسالة إلى الشعب الأمريكي، وترك حرية التصرف للسيد كلارك في طريقة إيصالها للشعب الأمريكي، سواء أراد بثها من داخل الولايات المتحدة من خلال قنواتهم الفضائية، أو من خلال قناة عربية من خارج أمريكا. وقال للسيد كلارك:

«لدي رسالة خطية للشعب الأمريكي، وهي رسالة طويلة أشرت فيها إلى

جهودكم، وإلى أنني أحملها للسيد كلارك لأنه يحظى بثقتي وثقة الشعب الأمريكي، فإذا شئت أحملك إياها، وأنت حر في التصرف فيها مع الإعلام، ويمكن أن تبث في الوقت نفسه من أمريكا ومن إحدى القنوات العربية إذا رأيت ذلك».

أما الرسالة (الشفوية) التي يبدو أنها تتعلق بحل شامل لمشكلة العراق والمنطقة برمتها، والتي كان الرئيس يرغب في إرسالها عن طريق السيد كلارك، فقد شاءت الظروف وشاءت (اللغة) أن تحول دون ذلك. فاضطر الرئيس إلى الاكتفاء برسالته الخطية المعروفة إلى الشعب الأمريكي.

وكما أكدت سابقاً، فإنه لم يتم أي تفاوض مع الرئيس صدام حسين على الإطلاق. وحين قمت بزيارته مع أحد الزملاء المحامين في كروبر، طلبت من الرئيس أن يسمح لي بالتحدث معه هذه المرة بكل وضوح، وألا يفسر كلامي في غير موضعه. طلبت منه أن يقوم بالانفتاح على الجانب الأمريكي والتفاهم معهم لحفظ ما تبقى من العراق، وللحفاظ على وحدته الوطنية وكيانه المهدد، وكان طلبي هذا بناء على إلحاح ورسائل من أناس يهمهم أمر الرئيس وحياته. وزميلي المحامي يعرف ما كنت أقصده، وما الذي حصل قبل يوم من الزيارة، كي لا يتهمنا أحد بأننا جعلنا الرئيس يعيش على أمل زائف لا يرى الأمور معها كما ينبغي. بعد إلحاحي الشديد، قال الرئيس:

«إن شاء الله لن أقصر، لكنهم لم يأتوا لحد الآن. هم يعرفون مع من يتصلون. وكل رفاقي في المعتقل الذين اتصلوا بهم للتعاون معهم، رفضوا التعاون مع الجهات الأمريكية. وإذا أراد الأمريكان التفاوض، فعليهم التفاوض من منطق الندية، فنحن لا نقبل منطق التعالي من أحد، أو التعامل بالفوقية بغض النظر عن قوة الطرف الآخر (الأمريكان). فإذا تعاملوا بالعقلانية، فإنهم سيجدون أنه من السهل التعامل مع العراقي، أما بالفوقية، فلن يجدوا أكثر صلابة من العراقي، ويعرفون أن المفتاح هو صدام حسين».

الفصل التاسع عشر

توقّعات ومشاعر ورسائل

حزبنا حزب عظيم في تراثه وسيرته ومنجزاته وتوجّهاته القومية والإنسانية ويؤلمني قلبي كثيراً عندما أسمع دعوات الأعداء ومن سار في فلكهم وأعماه الهوى والضغينة لتغيير اسم هذا الصرح النضالي الذي نحن جزء منه وهو جزء من شعب العراق ومحيطه العربي.

(صدام حسين في المعتقل)

في أحاديث عديدة، أبدى الرئيس صدام حسين توقعات وأعرب عن مشاعر إزاء أشقائه وأبنائه العراقيين. ثم تحدث عن رسائل معينة فقال :

«ما أتوقعه أن حكومة أخرى ستأتي بعد حكومة المالكي، ثم سيأتي بوش أو الحكومة الأمريكية إلى طرق الباب الصحيح . وسيجلبون أناساً أو تشكيلة من خارج حزب البعث ويقولون إن هذه هي الحكومة التي تمثل الشعب. وأعتقد أن هذا سيحدث في غضون الستة أشهر القادمة .

«قبل أربعة أيام (٢٨/ ٩/ ٢٠٠٦)، كنت أتكلم مع رفاقي المعتقلين في بناية المحكمة، فقلت لهم إذا انتهت هذه الأزمة وتحرر العراق، فسيكون الأمر على الوجه التالي:

بيان النصر :

١ - **البيان الأول:** من يعد إلى العراق فعفا الله عما سلف بمن فيهم من وشى على أبناء صدام حسين أي إسقاط كل الذي حصل نهائياً.

٢ - **البيان الثاني:** من يرفع السلاح فقاتلوه حتى الموت إلا إذا سلّم، فيعامل طبقاً لقانون الجريمة. لأنه لا يمكن لنا أن نتغير من حازمين إلى رقعة (حمقى). فهذا غير ممكن. إنما ننذر، نوجه، نسامح، ولكن الحزم لا بد منه.

«ذات يوم، أحسست من معتقلي هنا أن هناك وضعاً غير اعتيادي في بغداد، وحين استفسرت، قالوا إن الحكومة وضعت خطة أمنية. ضحكت . تصوروا ، بعد

أكثر من ثلاث سنوات من الاحتلال يريد الأمريكان والحكومة العميلة أن يضعوا خطة أمنية. وجاءوا بتعزيزات أمريكية في الأنبار، فماذا فعل لهم جيش ال ١٥٠٠٠٠ حتى تفعل لهم هذه الفرقة أو الكتيبة، فبغداد تسرطهم وتسرط ألفاً مثلهم (تبلعهم). وأقول للذين يريدون أن يضعوا دستوراً، إن أي تصرف مع وجود الاحتلال هو إقرار بالاحتلال. وأقول لهم: اللي مو شعبه وياه ما يكدر يسوّي شي. وفي العراق لم يحصل منع تجوال في أي يوم من الأيام منذ ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨. إنني أتألم على الدماء التي تسيل من شعبنا، فهي عزيزة علينا. وأنا أفهم شعبي أكثر من غيري لأنني قاتلت به إيران، ويهمني أن ينتصر شعبي ومقاومة العراق وتنتصر الأمة. فماذا تعني الحياة مع الذل، ونحن عيشة بذلّة ما نريدها، جهنم بالعز أطيب منزل. هكذا قال الأوّلون.

«قبل مجيئي إلى الحكم، كان الناس يعيشون في فقر، فأمّنت لهم حياة كريمة. وصدام إلى الآن يعيش على راتب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، وأخجل من نفسي ومن رفاقي أن أطلب منهم أن يعدلوا راتبي. عندما كانت الطماطة (البندورة) يرتفع سعرها، كان صدام لا ينام الليل. أما الآن..».

وخاطب المحامين قائلاً:

«قولوا للعراقيين أنتم عشتم شعباً واحداً، فعليكم أن تعيشوا هكذا وعليكم أن تعملوا على طرد الأجنبي. وإذا ما قدر لي أن أعود، فإنني أستطيع أن أجعل العراق يزدهر من دون معاونة أحد وخلال سبع سنوات وأفضل من الساعة السويسرية. لكن إذا كان الأمر بمساعدة أحد ما، أجعله يزدهر خلال خمس سنوات. وأعتقد أن الأمريكان لن يمدوا يدهم لتدمير أية دولة لمدة خمسين عاماً قادمة. والقبضة الأمريكية ستكون قبضة زائلة بسرعة عكس الامبراطوريات السابقة.

«أسألكم دائماً عن الشعب وأخباره عندما تزورونني. وأقول لكم باللهجة العراقية بحيل الله وحياتكم حتى عظامي اتحاربهم وتحرر العراق، فالبدوي بعد أربعين سنة أخذ ثأره وقال استعجلت .. خلص استنفرت فينا الحالة .. شلون مدينة الرماح، لقد عشت مع رجالها، وهم يقدمون تضحيات عالية. إن ما يزعجني هو أن

يتقاتل أبناء شعبنا بفتنة طائفية. لم يكن يهمني إن كان الإنسان حزبيا أو غير حزبي، شيعياً أو سنياً أو مسيحياً أو غير ذلك، إذ لا تعنيني الخلفيات الضيقة. وقد قلت يوماً لرئيس الديوان أحمد حسين، عليك أن تتعامل مع الناس على أساس عراقية الإنسان، والمعرفة الخلفية ضرورية لكن تتعامل فقط على أساس الاستحقاق. وعندما أتحدث عن الصفويين أقول إنهم ليسوا مخدوعين لأن علاقتهم بإيران تجعلهم يسلكون هذا الطريق المعادي للشعب، فالعمل السري من طرفهم لا يمثل الحقيقة، إذ ليس كل عمل سري هو عمل وطني، خاصة إذا كان الشعب ينحاز للطرف الآخر الذي تحاربهم هذه الجماعة السرية التي تقيم بأعمالها السرية هالة من حولها. وربما من الضروري أن تحكم زمناً لكي تنكشف على حقيقتها، وهذا مقدر من رب العالمين. حتى من قيل عنهم إنهم «إرهابيون» مثل الزرقاوي وغير الزرقاوي، فإن أعمال هؤلاء نعتبرها أقل سوءاً من تصرفات هؤلاء الحاقدين.

«أما عن نظرتي للمستقبل كما أراه، فأقول: إذا اعترف بوش بخطئه، فعليه أن يصلح ما أفسده.. وأمريكا ستخسر الكثير حتى تعرف ثمن جرائمها. وبرأيي فإن الشعوب لن تفيدها الرأسمالية ولا الشيوعية، وإنما العدالة هي ضمانة استقرار الشعوب. أما عن بريطانيا، فلقد كنت أتحدث مع رفاقي بأنه قد يظهر من داخل حزب العمال من يسعى لإنقاذ هذا الحزب وليس لإنقاذ شخصية بلير. وهذه طريقة ذكية للتخلص من عبء المسؤولية وتخليص الحزب منها. هذا ما حصل وسيحصل في بريطانيا. والجمهوريون في أمريكا يعملون بهذا الخط».

رسالة الرئيس إلى طالباني

أعلن جلال طالباني في وقت لاحق من اعتقال الرئيس، استعداده لاستضافة عائلة الرئيس. وقد وصلني عن طريق المحامي الأستاذ خميس العبيدي (الذي اغتالته الميليشيات الموالية لإيران لاحقاً)، أن جلال طالباني يودّ لقاء رئيس هيئة الدفاع ونائبه المحامي خميس العبيدي. وقد أبلغنا الرئيس صدام حسين لاحقاً حول رأيه في الموضوع، فقال:

«إنني أرى بأن مجرد الإعلان عن استعداده لاستضافة عائلتي في شمالي

العراق، ينطوي على رغبة صادقة إذا كانت مرتبطة بقرار. وهذا يستحق أن ينظر إليه بتقدير. أما بخصوص مقابلة رئيس الهيئة ونائبه، فالأمر متروك لكما. ونقول ربما يكون السيد جلال قد اعتقد أو حدس أن الأمريكان قد وصلوا إلى قناعة بأن العراق يتمزق من دون صدام حسين، فاحتمال معالجة هذا الموضوع بجدية من قبلهم وارد، إذا ظنوا أن تمزيق العراق أو سيطرة إيران في العراق يهدد مصالحهم. فإذا كان جلال قد لمس هذا الموقف أو يتوقعه، فإن تقربه جزء من منهجه. وإذا طلبكم لمقابلته، فقولوا له:

«إن صدام يسلم عليك ويقول لك: إن العراقيين يمكن أن يختلفوا في ما بينهم، ولكن الأجنبي يستغل هذا الاختلاف لإشعال نار الاحتراب بينهم. وأنت تعلم بأن صدام حسين أكثر ما يؤذيه أن يحترب العراقيون في ما بينهم تحت أي مسمى. وعليه، فإنني أبقيت الحالة في كردستان على ما تعرفون من غير اتفاق مسبق معكم، ولم تستخدم القوة العسكرية إلا في قضية أربيل، وأنتم تعرفون الأسباب. وإنني أقدر موقفكم في إطفاء الفتنة بين العراقيين، وإن كنت، كعادتك، لم تحسم موقفك لحد الآن ضمن حسابات سياسية خاصة».

لكن المقابلة المشار إليها لم تتم، وبذلك لم يتم إيصال رسالة الرئيس إلى جلال طالباني.

ويكمل الرئيس الحديث رداً على تساؤل حول جلال طالباني، فيقول:

« إن جلال رجل ذكي، ولكنه أحياناً يستعجل الأمور في بعض القضايا.. ليس لدي الكثير لأقوله لأنني داخل السجن، ولو لم أكن فيه، لكان لدي أشياء كثيرة أقولها كذلك للسيد مسعود البرزاني، فإذا قلتها الآن، فسيفسر بأنه ضعف مني كوني في السجن».

اعتزاز بالعرب والعراقيين

«سلامي للأنبار البطلة، أما السماوة والديوانية والعمارة، فإنني سعيد بهم وهم صلب العرب. وأقول لكم أشبعوني من أخبار شعبي. إنني سعيد بموقف الإمام الحسني لأنه أعلن بوضوح أنه مع المقاومة. أما الإمام البغدادي، فقد قلت لرفاقي إن البعثيين سينضمون إليه لأنه لا يفرق بين فئات الشعب.

وأقول لكـم إن التخريب الذي حصل في العراق، سـيجعل شـعبنا ينهض من جديـد أكثر حماسـة للبناء. فالإعمار سـيزدهر والبلد سـيتنور بإذن الله. سـلامي إلى كل العرب وعلى الأخص شـعبنا الأردني العربي الأصيل. وهنا أؤكد لكم أن العراق سـيبقى عظيماً كعهده. وما زلت أذكر مراهنة القائد المؤسـس من أن العراق سيحمل راية العروبة وسـيكون بلداً مميزاً. وكانت فراسته في مكانها. فليرحمه الله، وسلامي وتقديري لعائلته الكريمة».

ويصمـت الرئيس برهـة، كان العراق يحضـر دائماً بيننا بـكل محافظاته ومدنه ورجالـه الأبطال ونسـائه الماجـدات و..و.. وبالذات تحضر الأنبـار أكثر من صلاح الدين. ويقول:

«الأنبـار عدلت عقالنا عندما مال عام ١٩٩١، والآن فإن الأسـتاذ خليل وربعه يحاولون أن يشيلوا العقال ويرجعوه على رؤوسنا. إنهم مع كل العراقيين مفخرة كبيرة لنـا. وكانت محافظات الأنبار وصلاح الدين وديالـى ونينوى، من أوائل المحافظات التي رفعت السلاح لأجل تأميم النفط».

ويكمل الرئيس:

« إنني لا أتكلم كثيراً عن محافظة صلاح الدين لاعتبارات معروفة. فالمفروض إذا قاتل ابن ديالى مرتين، فعلى صلاح الدين أن تقاتل أربع مرات. لذلك فإن الإعمار، ضمن هذه الملاحظة، كان آخر ما يصـل إلى صلاح الدين. وفي العوجة، وهي قرية، قلت لهـم إنني لا أقبل إعطاءها أسـبقية على باقي قرى العراق، وحتـى قرار تحويلها إلى ناحية، ألغيته بنفسي.

سـلّموا لي على الفلوجة والبصرة الفيحاء والبيجي، وغيرها من مدننا الحبيبة، وقولوا للشـيوخ في الفرات الأوسـط إن تاريخكم عظيم وعروبتكم صائبة. وسـلموا لي على الشـيخ حارث الضاري وعفيه عليه. وسلموا لي على عشيرة البو عامر وعلى شـيخها. وأقول عن شـعبنا الكردي، كنت أفـرح عندما أجد قائداً مـن الأكراد، فأبقى أتابعه حتـى يصبح قائداً مرموقـاً. وعندما كنت أقرأ طلبات شـعبنا في الشـمال، أجد تواريـخ الطلبات تشـير إلى تواريـخ قديمة، لأنهـم كانـوا يتوقعون أنهم سـيقابلونني ذات يوم».

تمر لحظات صمت، يسرح فيها خاطري، وأتذكر أيام كان الرئيس يخاطب الشعب في المناسبات الرسمية وغيرها، بعضها أذكره والبعض يروى في مجالس القرى. كان يقول: «إن بعض الناس في العراق، وبسبب نهب الاستعمار لثرواتهم قبل تأميم النفط، كانوا فقراء جداً، وكانوا حفاة. فكان البعض ممن يعيشون في المدن، خاصة بعد التأميم، يتضايقون والبعض غير مصدقين هذا الكلام لأنهم يعيشون في المدن». لكنني أقول بصدق، ورغم حداثة سني آنذاك، كنت حافياً في معظم الوقت في عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩. وكان الناس لا يملكون شيئاً. وكنا حتى نهاية الستينات ندرس ونقرأ على الفانوس، ومن دون ماء نظيف أو خدمات صحية لائقة. لكن العراق، في عهد الرئيس صدام حسين، انتقل إلى مصاف الدول المتقدمة على كافة المستويات المعروفة للجميع.

رسالة إلى التيارات الوطنية

أخبرت الرئيس عن التيارات الوطنية التي ظهرت في العراق والتي ترفض الاحتلال، وعما أشيع عن دعم حزب البعث للبعض منهم، فرد: «إنني داخل السجن، ولا أعرف موقف أخواني في الخط العام. ففي الخط العام للحزب، ينبغي للحزب أن يدعم جميع التيارات التي لا صلة لها بإيران، ويجب أن يحث كل التيارات التي تعمل على وحدة العراق للتوحد ضمن منهج مناهض للاحتلال. لذا علينا أن نتعاون معهم ونشجعهم».

البعث والمستقبل

ويتحدث الرئيس صدام حسين عن تصوراته لحزب البعث في المستقبل فيقول:

«حزبنا حزب عظيم أغنى بفكره ونضاله المسيرة. وبقدر ما يكون الكم مطلوباً لمرحلة ما، فإنه يكون أحياناً مضراً وعبئاً على المسيرة وعلى كاهل الحزب إذا كان الكم مبنياً على أسس غير صحيحة، أو معبأ تعبئة غير صحيحة. لكننا بعد هذا المخاض العسير، وبعد تحرير العراق، نقول إذا خرج بإذن الله مائتا مناضل مؤمن إيماناً مطلقاً وعلى أسس من الشجاعة والثقة بالنفس، يكون هذا ما ننشده. فوجود

الكم غير الجيد، ولا نقول السيّئ، لأن حزبنا لا يضم في صفوفه إلا الخيرين، هذا الكم إن وجد مع النوع الجيد في خندق واحد، فمن المؤكد أنه سيثقل كاهل الخيرين المؤمنين إيماناً مطلقاً، وسيؤدي إلى شيء من الاختلال أو لا سمح الله تداخل الصفوف، فمطلوب من حزبنا في المرحلة القادمة، التأكيد على النوع مع عدم إهمال الكم الجيد. رغم أنني أؤمن بأن المرحلة القادمة بعد التحرير، سوف يكون مع حزبنا أحزاب أخرى. فالعراق لمن يحرره، وخنادق القتال الآن لتحرير العراق مليئة بالأبطال من غير البعثيين».

رسالة إلى الأستاذ عزّة الدوري: البعث والإيمان

وفي ١٣/ ٩/ ٢٠٠٥، بعث الرئيس الأسير صدام حسين إلى أخيه ورفيق دربه عزّة الدوري رسالة شفوية مهمة هي:

«قل لهم يا أبا أحمد إن الشيعة هم جزء مهم من شعبي، ولولا الشيعة لما انتصرنا في حربنا مع إيران. فلا تضعوا اللوم على الشيعة بسبب تصرف الخائنين منهم. وأرجو أن توضحوا لكافة التيارات والفصائل الدينية إن من أكبر الأخطاء، الافتراض بأننا خصوم، أو أننا أعداء لهم. ورؤيتنا قديمة، ولن نختلف معكم وخاصة في أمور الدين. فنحن في ذلك، الدولة الوحيدة التي تلتزم بالوازع الأخلاقي والديني والعرفي. بالإضافة إلى رعايتنا للأيتام والجانب الاجتماعي في العراق. ونحن الدولة الوحيدة التي لم تترك للأجنبي فيها أي نفوذ، والعراق هو الدولة الوحيدة التي عممت دراسة الدّين من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية، وعلى كل من هو مدير عام فما فوق، وكل عضو فرقة صعوداً، وعلى كل القضاة. والعراق كذلك منع الخمّارات، ووضع عقوبة للإفطار العلني في رمضان، وكذلك عقوبة الحنث باليمين.

«قل لهم كنا دائماً ندعو إلى الإيمان، ونحن لسنا حياديين في ذلك، وكان نهجنا عدم زج الدولة في المذهبية».



الرئيس صدام حسين مع جلال طالباني

الفصل العشرون

محاولات اقتحام سجن الرئيس

أبا عمّار وفعلك فيها عامر   يحكي به أهلونا والسامر
أقدم تفديك نفوس العدا   فلكل توقيت والربّ قاهر

(صدام حسين في المعتقل)

اتصل بي المحامي الأستاذ زياد الخصاونة ذات يوم عندما كان رئيساً لهيئة الإسناد، وطلب مني الحضور إلى المكتب فوراً لأن هناك شخصاً ما يريد مقابلة السيدة رغد صدام حسين. حين وصلت إلى هناك، التقيت بهذا الرجل على انفراد، وعمره يزيد عن الخامسة والخمسين عاماً. كان يبدو أنه من رجال الصاعقة. قال لي إنه نائب ضابط قوات خاصة. ثم قدم لي نفسه باسم مزعوم. وقال إنه يريد أن يقابل السيدة رغد، وحين استفسرت عن السبب، قال إنهم يريدون أن يقتحموا مكان الرئيس «لنخرجه من هذا الوضع المهين لنا وله». كان يتكلم بلكنة جنوبي العراق. طلبت رقم هاتفه، فاعتذر بأنه لا يجيد استعمال الهاتف. كان حديثه يثير الشكوك. وقد تبين لنا بعد التحري أنه مبعوث من أطراف صفوية تقف خلفها إيران، للقيام بعملية اقتحام سجن الرئيس، ومن ثم اختطافه إلى إيران، إذ كان الصفويون وإيران يعتقدون أن أمريكا لن تصدر حكماً على الرئيس، وقد تعيده إلى الحكم! وسرّبوا إشاعة كبيرة بهذا الخصوص.

تكررت مثل هذه المحاولات. فأخبرت عائلة الرئيس، وتحديداً ابنته رغد التي رفضت رفضاً قاطعاً مقابلة مثل هؤلاء.

أثناء ذهابي في أحد الأيام إلى بغداد لزيارة الرئيس، عرض علي الشخص الذي يؤمن لي مداخل بغداد ومخارجها، وكذلك حمايتي الشخصية برجاله، وهو قائد لأحد فصائل المقاومة العراقية، وكان عزيزاً جداً على الرئيس صدام حسين، عرض علي إخبار الرئيس بأنه سيقوم بإعداد فرقة من رجال القوات الخاصة

والفدائيين لاقتحام مكان الرئيس وإنقاذه. حين أخبرت الرئيس، كان مسروراً وقال: «والله يا ولدي لا أريد أن يخسر أي عراقي من أجلي، ومع ذلك فليعد قوته ويجعلها على أهبة الاستعداد، لكننا سنترك قرار التنفيذ حسب الظروف المحيطة بنا. وآمل أن يعود الأمريكان إلى رشدهم ويفهموا أن صدام حسين ما يزال الرقم الأصعب في المعادلة، وأن محاولاتهم عزلي لا تجدي نفعاً، فإذا ما وصلت إلى حالة من اليأس تجاه أي حل آخر مع الأمريكان، فإنني سأعطي الجماعة الموافقة على اقتحام السجن».

وفي يوم ما، قابلت في عاصمة عربية شخصاً يكنى (أبو عمار) بناء على اتصاله وإلحاحه الشديد، وكان معنا أحد أبناء عم الرئيس من المخلصين له. قال أبو عمار: نحن قوة تقدر الآن بفرقة من مختلف صنوف الجيش، ولدينا لواء قوات خاصة، وهي القوة التي أسسها الرئيس قبل اعتقاله، وحدد لها واجباً وهو اقتحام سجنه إذا ما وقع في الأسر، رغم يقين الرئيس أن احتمال وقوعه في الأسر كان ضعيفاً جداً. وحدد لنا الرئيس كلمة سر بيننا. فطلبت منه كلمة السر المتفق عليها بينه وبين الرئيس. ثم قال: نحن جاهزون لاقتحام مكان الرئيس وإخراجه لقيادة المقاومة. وقال: لقد هيأنا له أكثر من أربعين مكاناً، والعملية ناجحة بنسبة ٩٠٪. واشترط أن يكون الرد مكتوباً بخط الرئيس كي يحمي نفسه إذا ما فشلت المحاولة أو لامه أحد..

أخبرت الرئيس بكل ما جرى من حديث مع كلمة السر، فقال: «الحمد لله، لقد تركتهم لواء وأصبحوا الآن فرقة كاملة وربما أكثر، وهم من خيرة رجال العراق الشرفاء». ثم قال: «أخبرهم ليستطلعوا الهدف بشكل دقيق، وبعدها دعهم يحددون نسبة النجاح أو الفشل، ومن ثم أعطيهم تفاصيل مواضع العدو، والأسلحة التي يجب أن يستعملوها، والقوة المهاجمة والساندة». ثم طلب مني زيارات فردية متكررة له في المعتقل (فسرها البعض على هواه).

أخبرت الجماعة ، فاستطلعوا المكان، ونقلوا قواتهم وأسلحتهم بالقرب من الهدف، وقالوا: أبلغ الرئيس أننا جاهزون، والوقت من صالحنا.

طلب مني الرئيس عدم إخبار عائلته، وأن يبقى الموضوع في غاية الكتمان.

وطلب أن أحضر له ملابس كي يرتديها عند الخروج (دشداشة زرقاء وشماغ أحمر وغيرها). وأخبرني أن أعود لزيارته في اليوم (الفلاني) ليعطيني القرار النهائي والتوقيت.

يوم السابع عشر من تموز عام ٢٠٠٦، ذهبت لمقابلته، فقال لي: «قل (لأبو عمار) أن يتكل على الله» وكانت كلمة السر في هذه الأبيات:

أبا عمّار وفعلك فيها عامر
يحكي به أهلونا والسامر
تذكّره الطيور حيث أرعبت
وغزال ترانا إذ فزّ نافر
تعرف أن الأفعال لحمايتها
يعرفها الكريم الله والناظر
فما أخافه هبوات عدونا
ولا فتّ في عضده متآمر
أقدم تفديك نفوس العدا
فلكل توقيت والربّ قاهر.

ثم قال: «ليأتوا وبصحبة كل واحد منهم رديف».

قبل الشروع بالعملية بعدة أيام، اتصل بي أحد الأشخاص يقيم خارج العراق، من هاتف الثريا وقال لي: أبا علاء، قل للرئيس هل وصلت الرسالة ؟ وحين استوضحته، تبين بأن لا علاقة له بالموضوع الذي كنا بصدد تنفيذه ولا يعلم شيئاً.. لكن كان من الواضح أنه بعمله وغموض محاولته قد عقّد الأمور وعطل الخطة بل كل المحاولات لتنفيذ العملية سواء كان قاصداً ذلك أم لم يقصد.

حين ذهبت للرئيس، وجدته متعباً جداً من السهر، وعلامات التعب تبدو على وجهه وعينيه. قال:

«يا وليدي، سمعت قبل أربعة أيام، صوت إطلاق نار من بندقيتين والأغلب

كلاشنكوف، أطلقت على السياج الخارجي للمعتقل. هرع الأمريكان عندها يحملون آلات لحام وقطع حديد وأقفالاً كبيرة جداً لم أرها من قبل. ومنذ ثلاثة أيام وهم يعملون في لحم أقفال كثيرة لهذه الأبواب الأربعة ليلاً ونهاراً، ومن شدة ارتفاع وضجيج هذه الأصوات، لم أنم ساعة واحدة، ولا أدري من سبب لي هذه المتاعب. لذلك دع (أبو عمار) ورجاله يتريثون حتى تهدأ الأمور».

بعدئذ، طلب مني أن أخبر الجماعة أن يعدوا أنفسهم جيداً، ويستوثقوا من بعضهم البعض، وأعطاني خطة الاقتحام كاملة. وحين طلبت منه أن أشارك مع قوة الاقتحام، قال: «يا أبا علاء، أنت لم تقصر أبداً وأحتاجك لمواقف أخرى، وأريدك بعيداً عن هذا الموضوع كي لا تلاحق أو تعتقل».

كنا ندرك أن الأمريكان قد وضعوا أجهزة تسجيل صوتي في مكان ما من الطاولة الكبيرة. لذلك كنا نبتعد عن الطاولة ونقف تحت أحد أجهزة التكييف حيث يقوم الرئيس بزيادة درجتها لتعمل بصوت عال يشوش على الأمريكان وأجهزتهم. ولم تكن تلك المرة الأولى التي نستعمل فيها هذه الطريقة للحيلولة دون سماعهم حديثنا.

كنت مطمئناً للعملية التي ستجري بإشراف ومشاركة أوفى رجال الرئيس من الذين كان أغلبهم مهمشاً بسبب البطانة التي كانت تحيط بالرئيس في السابق. وقد ظهر بعضهم وهم يدافعون عنه في المحكمة، ومنهم من لم يعرف الرئيس إلا من خلال التلفاز. وبعضهم من أقاربه المخلصين الشرفاء، وهم أيضاً من المبعدين عنه. إنهم الرجال الرجال الذين يظهرون في الظروف الصعبة بدافع الرجولة والوطنية المتأصلة فيهم.

كانت عملية إطلاق النار من الكلاشنكوف على سياج المعتقل، وما تبعها، السبب الذي عطل تنفيذ المهمة آنذاك، وتأجيلها لما بعد. واضطر الرئيس إلى تحديد وقت آخر يسبق قرار النطق بالحكم، ليمنح الأمريكان فرصة أخيرة لأي عمل تفاوضي قد يحدث مع تحرك دبلوماسي كلفني به، وأعطى أوامره بذلك إلى قائد القوة.

تم الاستعداد للعملية بشكل فائق وبسرية مطلقة، ولم يطلع على عملية تحديد الهدف إلا ثلاثة من قادة قوة التنفيذ بالإضافة لي. ثم انتقلوا إلى منطقة العمليات، وقد أعدت المواقع والمواقع البديلة التي سيؤخذ إليها الرئيس ليبدأ بقيادة المقاومة، وليسقط من يد الأمريكان ورقته القوية التي لعبوا بها كثيراً عندما اعتقلوه وحرموا الشعب ومقاومته الباسلة من الميزات النفسية لوجود القائد بين صفوفهم.

أعطى الرئيس أوامره للقوة بالتهيؤ، ولم يبق إلا تحديد الوقت والتوكل على الله للشروع بالعملية ... كان الآمر المشرف الأعلى على هذه القوة، قد طلب الأمر مكتوباً أيضاً مع كلمة السر من الرئيس. فكان رد الرئيس بهذه الأبيات:

أعزنا الرحمن بأحسن هدية	هديّته صديقنا رحمن
عبد ربه صقر في أمتنا	يخزى إذ يقدم الشيطان
في كل ركن تضاء مكارمهم	أكرم بهم مكارمهم ألوان
أقدم فديت وعزت أفعالك	العزم عزم والهوان هوان

ثم طلب مني أن يطلع الأستاذ عزّة الدوري على العملية ويترك بصماته على الخطة قبل تنفيذها. فذهب الشخص المقرّب من الرئيس لمقابلة الدوري، لكنه بقي عالقاً لعدة أسابيع من دون التمكن من الوصول إلى «أبو أحمد»، فالوضع الأمني كان صعباً جداً.

يوم ٢٦/ آب/ ٢٠٠٦، إتصل بي الجانب الأمريكي (مكتب الارتباط)، وطلبوا مني زيارة الرئيس وحددوا اللقاء يوم ٢٨ آب. وكنت متفقاً مع الرئيس على هذه الزيارة بناء على رغبته لأنها ستكون الزيارة الحاسمة لوضع الرئيس كأسير، وكان الرئيس قد خطط لهذه الزيارة ونصحني أن أصطحب معي أحد الزملاء كي لا أتهم بمسؤوليتي عن اقتحام السجن. وكالعادة، تكون هذه الزيارات بموافقة بعض الأطراف المعنية، وتكون هذه الأطراف على علم تام بهذه الزيارة. لكن بسبب الأنانية المفرطة للبعض، وعدم تقدير الأمور كما ينبغي، فقد تم التشويش على هذه الزيارة على أنها رغبة شخصية مني، وأنها ستؤثر على الزيارة المقررة للهيئة

يوم ٩/ ٩/ ٢٠٠٦ رغم تأكيد الجانب الأمريكي بأن هذه الزيارة لا تؤثر مطلقاً على برنامج الزيارة المقرر.

بعد ذلك تشدّد الأمريكان في إجراءات الحراسة حول الرئيس، وتم استبدال القوة التي كانت تحرسه كالعادة، ولكن هذه المرة بقوة وصفها الرئيس بأسوأ ما يكون.. وهنا أقول ضاعت الفرصة التي كان من الممكن فيها إنقاذ الرئيس.

يوم ٥/ ١١/ ٢٠٠٦، صدر قرار الحكم الأمريكي الإيراني الجائر بإعدام الرئيس صدام حسين. التقيت وزملائي بالرئيس يوم ٧/ ١١/ ٢٠٠٦ في بناية المحكمة، وغادرنا بغداد يوم ٩/ ١١. وقد أوصاني الرئيس في هذا اللقاء، ما يأتي: «أستاذ خليل، أوصيك بشكل خاص عندما تتحرك، فلك حق التصرف المطلق وفق تقديراتك وتصوراتك شرط أن لا تضع رقبة صدام حسين في ميزان كلامك مع الحكام العرب أو الآخرين، توضح فقط الموقف توضيحاً عاماً وموقف الشعب. أما صدام حسين، فله الله والخيرون من أبناء شعبه العراقي والعربي، والخيرون في الإنسانية. فإذا قرر الله شيئاً، فلا راد لأمره سبحانه وتعالى. وربما أراد سبحانه وتعالى لنا موقفاً آخر، فالحمد لله، الحمد لله. أما العائلة، فطمئنهم، وقل لهم «اللي إيريده الله هو اللي إيصير». إذن في أمان الله، في أمان الله».

بعد عدة أيام، قمت بإرسال كتاب إلى مكتب الارتباط (الجانب الأمريكي) لمقابلة الرئيس وطلب تأمين حماية لي من مطار بغداد وإليه. فجاءني الجواب بأن أتريث. وبعد أسبوع، أرسلت طلباً آخر، فقيل لي إن هناك مذكرة اعتقال بحقي من «الحكومة العراقية». فكتبت إلى وزارة الداخلية في حكومة الاحتلال، وإلى رئيس المحكمة مستفسراً، فأنكروا وجود أية مذكرة. ثم أعلن جعفر الموسوي، رئيس الادعاء لهذه المحكمة بعدم وجود أية مذكرة بحقي.

أدركت عندها بوجود شيء ما ضد الرئيس لحرمانه من حلقة مهمة من حلقات اتصاله بالعالم. قمت بإرسال رسالة خطية للرئيس مع أحد المحامين، فطلب مني أن أتصل بطرف عربي له علاقة جيدة مع الأمريكان لتسهيل زيارتي له. حاولت الاتصال بالسفير الأمريكي في عمّان بواسطة البريد الإلكتروني، لكن تبين لي أن في الأمر سراً ودسائس قد تكشفها الأيام القادمة.

وقد جاء حرماني من مقابلته بسبب (....)، ولكن قد نضطر لكشف المسبب والأسباب في قادم الأيام.

خطة الاقتحام:

وضع الرئيس صدام حسين الخطة الكاملة لاقتحام سجنه من قبل رجال المقاومة إذا ما باءت كل الجهود السياسية بالفشل، وبقي معزولاً لم يفاوضه أحد. وقد أملاها علي كالتالي:

«العدو

أولاً: أخبرهم بأن قوة العدو تقدر بأقل من سرية يتوزع قسم منها على أربعة أبراج حديدية يمكن مشاغلتها بسهولة وإيقاع خسائر فيها. أما القوة الباقية، فتوجد في الدار الصغيرة في الطابق العلوي (حيث يعتقل الرئيس في الطابق الأرضي). وقل لهم إن سلاح القوة التي تحتجز الرئيس خفيف ومتوسط (بنادق جي سي وبي كيه سي)، رمانات يدوية ومسدسات». وقد أخبرني الرئيس بأن القوة جبانة وأفرادها أطفال ويمكن لأي شخص أن يأخذ سلاحهم (بالراشديات) أي بضربات الكف.

«القوة الاقتحامية

ثانياً: تقوم بتهيئة ثلاث شفلات ثقيلة مسرفنة يضاف إليها تدريع أكثر وخاصة غرفة السائق مع وجود فتحات عن يمين ويسار السائق لوضع رشاشين (بي كيه سي). ثم تدرع كيلة الشفل. يقوم أحد الشفلات بعمل فتحة في السياج الرئيسي. وقبل هذه العملية تقوم قوة من الهاونات والصواريخ وراجمات الكاتيوشا بإغراق المنطقة الخضراء بوابل من القصف لإشغال العدو، ثم تقوم قوة أخرى بالقصف على مقر قوات المارينز في المطار أيضاً للمشاغلة. تقوم سرية بغلق مخارج الطرق ومداخلها التي سيسلكها الرئيس بعد تحريره. ثم تتحرك سرية إسناد كاملة لمقاومة الطائرات تحمل صواريخ (الستريلا و آر بي جي ٧) ومقاومة طائرات أحادية وبنادق متوسطة (بي كيه سي). ثم وجود لواء مراباة على الطريق المؤدية من بغداد إلى صلاح الدين، ولواء مراباة على الطريق المؤدية من بغداد إلى الأنبار. بعدها تقوم سرية باقتحام المقر بعد خرق سياج الموقع، وتنقضّ على الهدف بقاذفات (آر بي جي٧)، مع تغطية نارية

بأسلحة (بي كيه سي) من الأجنحة وبحزمة نارية كثيفة. ويكون لكل شخص في هذه السرية بديل جاهز، يدخل شفل آخر لسحب الأبواب لأن أقفالها غير قابلة للكسر أو التفجير». يكون الرئيس في ذلك اليوم مهيئاً، وبكامل ملابسه التي تم تزويده بها.

وأضاف الرئيس: «لا بد من تهيئة عجلات خاصة وعامة، يتم تبديلها كل حين. بعد إخراج الهدف، تقوم قوة بإمطار مكان الاعتقال بقصف مكثف من الهاون والكاتيوشا، كما تتوجه قوة أخرى كبيرة بالهجوم على معسكر كروبر لتحرير رفاقنا من أعضاء القيادة والوزراء وكافة الأسرى المعتقلين». ثم يتوجه الرئيس إلى الأنبار، وبعدها يقوم بإعداد خطة سريعة لتوحيد المقاومة والهجوم على بغداد ومن ثم تقوم فصائل المقاومة في كل محافظة بمهاجمة العدو.

الفصل الحادي والعشرون

محاولات اختطاف الرئيس

والله لن أخرج من هذا المكان
إلا رئيساً كما اختارني الشعب
أو شهيداً إلى قبري.

(صدام حسين في المعتقل)

طلب بول بريمر، الحاكم الأمريكي للعراق، من أعضاء مجلس الحكم التابع له، التوقيع على شروطه ومطالبه. فتردد من تردد، فهددهم قائلا لهم: إذا لم توقعوا، فإن صدام هنا، وقريب، وسنعيده. فقام الأعضاء جميعهم بالتوقيع. وبعدها كثرت الأخبار والمقالات والتصريحات والتقارير، تتحدث عن خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل، وعدم وجود علاقة بين العراق والقاعدة، وأن العراق، بوجود صدام حسين، أفضل من الذي يحصل للعراق الآن، وأن أمريكا قد تلجأ مرة أخرى إليه بناء على نصيحة ساستها والمعتدلين في العالم، وبناء على مطالبات من داخل العراق. عندها بدأت الاحتجاجات على هذه التصريحات. وكانت إيران من أول المحتجين، ثم تبعها مقتدى الصدر، ثم قادة الأحزاب الكردية وغيرهم. وبدأت الشكوك حول جدية المحاكمة والمحكمة، وما قد تؤول إليه وفقاً للإرادة الأمريكية بعدم إعدام الرئيس صدام حسين، ومن ثم احتمال عودته إلى الحكم وفق شروط واتفاقيات، أو ما قد ينجم عن ذلك من تداعيات خطيرة في حالة إعدامه، داخل العراق وخارجه، إذ كان الجميع متخوفين من ردود الأفعال في حال إعدامه، بما فيهم الأمريكان.

إزاء ذلك، قامت الدوائر والأحزاب التي أتت على ظهر الدبابات الأمريكية، بالتشاور مع أربابها في الدوائر المعادية، وخاصة في إيران وإسرائيل، ووضعت عدة تصورات وخطط للتخلص من الرئيس صدام حسين أو إسكاته، وعدم الاعتماد على نتيجة ما ستؤول إليه المحكمة والمحاكمة، أو فرض شروطها عليه عندما يكون في وضع، حسب تصورها، يسهل عليه فيه أن يقبل ويمتثل لتلك الشروط، من دون أن يعرفوا جيداً شخصية الرئيس وصلابته وعدم قبوله أية مساومة.

محاولة لتخليص الرئيس أو التخلّص منه

في بداية عام ٢٠٠٦، قامت جهة معينة، نعرف حضورها جيداً في المشهد السياسي للعراق المحتل، ومدى تحالفاتها مع إيران وإسرائيل، ممثلة بشخصية رفيعة المستوى لرئيس أحد الأحزاب الحاكمة في العراق، قامت بدفع شخص ليقوم بالاتصال بالمحامي الأستاذ زياد الخصاونة، عارضاً عليه ما يلي:

تتعهد هذه الجهة بإخراج الرئيس صدام حسين من معتقله بطريقة ما، وتسليمه إلينا أو إلى الشخص الذي يختاره ويسميه هو (أي الرئيس)، أو عائلته، وفي أي مكان من دون أي مقابل. وتحبذ هذه الجهة الاتصال بالمحامي خليل الدليمي.

اتصل بي الأستاذ زياد الخصاونة، طالباً مني الحضور إلى مكتبه الذي كان مكتباً لكل من يتطوع للدفاع عن الرئيس صدام حسين، وما يزال المكتب على عهده حتى الآن. ذهبت إليه، وأبلغني بالأمر. فطلبت منه أن يبقي الأمر سراً لحين دراسة الموضوع، ثم عرضه على الرئيس وعلى من يعنيهم الأمر، ثم طلبت منه أن يعطي الجهة التي اتصلت به رقم هاتفي للاتصال المباشر معي.

بعد يومين، اتصل هذا الشخص، وسرد لي ما كان قد قاله للأستاذ الخصاونة، وقال: ما عليك يا أستاذ خليل إلا أن توافق، وسنقوم حينها بتسليم الرئيس إليك في أي مكان ترتئيه داخل العراق أو خارجه، وتستطيع أنت أو غيرك ممن تخوله وتثق به، أن يأتي ليستلم الأمانة (الرئيس)، وهو يتمتع بصحة ممتازة، وسنقوم بتأمينه لك أينما شئت. وإذا لم تكن تملك مصاريف التنقل والإقامة، سنؤمن لك كل التسهيلات أنت أو من تخوّله. وزيادة في الثقة، فإننا سنقوم بوضع شخص مهم رهينة عندكم حتى يصلكم الرئيس، وبعد عدة أيام، تقومون بإطلاق سراح الرهينة.

سألته أسئلة كثيرة، واعتقدت لأول وهلة أنه مجنون، أو يحلم. وسألته: كيف ستقومون بهذه العملية الخطيرة، وهل الأمريكان معكم، هل إيران وراءكم، هل إسرائيل والموساد معكم، هل ..هل..

قال: ما عليك إلا أن تقبل ولا تسأل عن أية تفاصيل. خطط فقط لاستلام الرئيس شرط ألا يصرح بعد إطلاق سراحه بأي تصريح، وأن لا يدخل العراق بعدها،

ويعيش في أية دولة يريد. ونحن سنضمن له عدم الملاحقة من أية جهة بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية، أو أية جهة عراقية أو غيرها، كما سنضمن وصوله إلى عائلته سالماً، وما عليكم إلا أن تستلموه. وإذا أردتم مالاً، فسنعطيكم، وسيتم تأمين وضعه المالي ووضع عائلته، وأنت معهم.

بعد شدّ وجذب ومداخلات، قلت له: دعني أعرض الموضوع على من يعنيهم الأمر، وعليه أولاً.

إنني من حيث المبدأ، أتحفظ حيال طلب كهذا، ولا أدري ما وراءه من دسائس وتآمر. فعرضت الموضوع على من يعنيه بعضاً من الأمر، فكان جوابهم أين نذهب بصدام حسين، هل هو رجل عادي حتى نخفيه، ثم إذا كان هؤلاء يتعاملون بجدية، فإنهم يريدون إبعاد صدام حسين عن الواجهة السياسية، لأنه أقوى منافس لهم، أو قد يريدون التخلص منه بهذه الطريقة. ثم قالوا: نحن لا نوافق، ولا نتحمل مسؤولية كهذه.

اتصلت بمكتب الارتباط الأمريكي (الجانب المسؤول عن حمايتنا وإيصالنا إلى المحكمة) لتحديد موعد لزيارة الرئيس في أقرب فرصة. وحين اللقاء بالرئيس، طرحت عليه الموضوع بطريقة التحايل على التسجيل الإلكتروني الموجود في غرفة اللقاء، وبالطريقة التي ذكرتها سابقاً. وهي الطريقة التي يستخدمها الرئيس عندما يريد الحديث معي في المقابلات الخاصة.

أوضحت للرئيس الصورة كاملة، والاحتمالات، ثم سوء النية. فالموضوع غامض. قال: وما هو رأيك. شرحت له موقفي المتحفظ حول هذا الموضوع، وأنني أخبره فقط من باب الأمانة، وقد عاهدته ألا أخفي عليه أمراً يخص حياته.

قال إنه يوافقني الرأي، وأن رؤيتي ورؤية من استشرته هي الصواب. واستطرد قائلاً: «إذا كان الأمر يتعلق بحياة صدام حسين ورقبته، فإنني قد طلقت الحياة منذ سنوات، ولن أساوم على العراق وتحريره في سبيل حياتي. وعليه، فإنني أرفض رفضاً قاطعاً هذا العرض، قل لهم: أمام صدام حسين خياران، إما تحرير العراق والعودة إلى حيث اختارني الشعب، وإما شهادة أعز بها بلدي وكل الخيرين من الأمة العربية وشعب العراق والخيرين في الإنسانية».

هذا ما كان يخطط لـه أعداء العراق. وكون الرئيس رقماً صعباً في المعادلة، ولا يمكن تجاوزه أو إهماله، فقد كانوا يخشون من بقائه، ويخشون في الوقت ذاته من النتائج التي تترتب على إعدامه. وهذا يدل على عمق التغلغل المخابراتي الإيراني والإسرائيلي في العراق. فمن يجرؤ على إخراج الرئيس صدام حسين من الأسر إلى خارج العراق، غير الموساد وتحالفاته المعروفة في العراق، والمخابرات الإيرانية وجماعاتها المهيمنة في حكومة الاحتلال. لقد أرادوا أن يكمموا فم الرئيس بهذه الطريقة، ويخرجوه ضعيفاً، ثم يقومون بتصفيته لاحقاً وبالتالي تشويه صورته وتاريخه.

وأذكر القصة التالية التي رواها الرئيس لي. ففي اليوم الذي ذهبت لمقابلته قبل موعد الجلسة الأولى للمحاكمة في ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٥، وبالذات في اليوم السابق، وصل الرئيس إلى بناية المحكمة (مبنى القيادة القومية) ليلاً، وهو المكان المخصص لمسرحية المحاكمة. كانت الأوامر قد صدرت إلى السجانين الأمريكان أنه في حال سألهم الرئيس صدام عن الموقع واسم البناية، فعليهم أن يجيبوه بأنها بناية التصنيع العسكري. وفعلاً سألهم الرئيس عن المكان فأجابوه بما أمروا به. حين وقف الرئيس صدام حسين في قاعة المحكمة في الجلسة الأولى، قال للقاضي: هذه بناية التصنيع العسكري. كان يريد إرسال رسالة إلى قادة المقاومة بقصف وتدمير الموقع بمن فيه. ثم تأجلت المحاكمة والتقيت به في كروبر، وسرد لي ذلك، فأخبرته بأنها ليست بناية التصنيع العسكري وإنما هي بناية القيادة القومية لأننا كنا كمحامين نجهل مكان المحكمة قبل انعقادها، فقد أخفوه عنا للسبب ذاته وأسباب أخرى قد تدفع بالمقاومة والفدائيين لاقتحام المكان. وإذا حصل أي اقتحام لمكان المحكمة، لقامت مجزرة لن ينجو منها أحد بسبب تحسبات واحتياطات الجانب الأمريكي المبالغ فيها. وقد نسي الجانب الأمريكي أنه لولا خشية قادة المقاومة على حياة الرئيس وسلامته، لاقتحموا معتقله في اليوم التالي لمقابلتي الأولى معه عام ٢٠٠٤، لكن الاستعداد وروح الإقدام والتضحية لدى رجال المقاومة كان جارياً على قدم وساق، لأن المقاومة والعراقيين كانوا على يقين بأن أمريكا بأسرها الرئيس واستمرار احتجازه هو تحد سافر للعراقيين والعرب والمسلمين. ولكن مأزق سلامة الرئيس كان هو المانع. وعندما أعلن الرئيس موضحاً عن مكان المحكمة لاحقاً في جلسة

المحاكمة، تم قطع البث في المحكمة من قبل الجانب الأمريكي. ولهذا السبب، قام الأمريكان بنقل وقائع المسرحية بعد عشرين دقيقة وبعد فلترة التسجيل.

كان الأمريكان يبدون اهتماماً بسلامة الرئيس وإخفاء مكانه، وكان يتم نقله بسرية تامة حين كنا نذهب للقائه، أو حين ينقل إلى المحكمة. وقد تنوعت وسائط النقل بين مدرعة تحمل إشارة الصليب الأحمر (إسعاف)، وبين حوامات بلاك هوك. وكانت إيران جادة بالوصول إلى الرئيس خاصة المليشيات التابعة لها(بدر والصدر). واستطاعت مخابراتها أن تدس عدداً مدرباً من المترجمين مع الجيش الأمريكي، مستغلة نفوذها في العراق تارة، والغباء الأمريكي تارة أخرى، حتى إنها استطاعت بهؤلاء المترجمين أن تقترب من الرئيس نوعاً ما. وأعلنت ذات يوم أنها قريبة من صدام، وما عليها في أية لحظة إلا أن تأمر بإطلاق النار على رأسه. وكنت أحذر دائماً الجانب الأمريكي من ذلك. ثم تلاشت الخطورة عندما بدأت ألاحظ أن أغلب المترجمين القريبين من الرئيس هم مسيحيون أو عرب جاءوا مع الجيش الأمريكي.

كانت خطة إيران وميليشياتها، تقضي بأنه إذا ما تم تحديد مكان اعتقال الرئيس، ستقوم إطلاعات (المخابرات الإيرانية) ونخبة مختارة من الميليشيات بإمطار المعتقل بقذائف وصواريخ ميدان خاصة ومتطورة إيرانية الصنع، وتدميره بمن فيه. وخطة أخرى محكمة نجحت إلى حد ما، وهي «إذا تم اختراق الطوق الأمريكي بالحيلة والوصول إلى الرئيس، يقوم الشخص المكلف بهذه المهمة باستغفال الجندي الأمريكي ونهب سلاحه وإطلاق النار على رأس الرئيس ثم الانتحار. أما في المحكمة، فقد كان مخططاً بالطريقة نفسها. وبعد قتل الرئيس، يقوم زملاء الجندي بإطلاق النار وقتل زميلهم لطمس معالم الجريمة. لكن حذر الأمريكان حال دون ذلك، بعد أن نبهناهم عدة مرات سواء في وسائل الإعلام، أو من خلال لقاءاتنا معهم أثناء زياراتنا للرئيس أو فترة المحاكمة المسرحية.

عرض نفي الرئيس

بعد مؤتمر القمة العربي المذكور في شرم الشيخ في أواخر شباط/ فبراير ٢٠٠٣، والمبادرات التي عرضت على الرئيس للتنحي وقبول النفي، كان الرئيس يرفض باستمرار ويقول: عشت في العراق، وأموت فيه.

عـام ٢٠٠٥، تكـررت المحاولات بعـرض النفي عليه. فكانـت هناك دولتان عربيتان مرشّحتان لاستقباله، إحداهما دولة (...). وقد رأيت القصر بأم عيني. وكان معداً خصيصاً لاستقبال الرئيس صدام حسين. لكنهم أبلغوني أن هذا القصر هو ليس قصـر النهاية بالنسـبة للرئيس، علـى أن يعيش مع عائلتـه، بالإضافة إلـى أموال طائلة يحدد مقدارها هو بنفسه. وفهمت الغرض من خلال بعض التفاصيل الأخرى التي لا أريد الخوض فيها لئلا أحرج أحداً. لكن الرئيس، رفض ذلك رفضاً باتاً، وقال مكرراً العبارة أكثر من مرة: «والله لن أخرج من هذا المكان إلا رئيسـاً كما اختارني الشـعب أو شهيداً إلى قبري».

في أحـد لقاءاتي الخاصة مـع الرئيس، سـألته مجدداً إن كان قـد تم التفاوض معـه من قبل الأمريكان أو أي طرف آخر. فنفـى ذلك بالمطلق باسـتثناء طلب لأحد الجنـرالات الأمريكان بعد عشـرة أيام من اعتقالـه. وكان هذا الطلـب محدداً وليس تفاوضـاً. وقد جاء سـؤالي هذا للرئيس بعد سلسـلة أقاويل صحفيـة وإعلامية هدفها واضح ومعروف ألا وهو الإثارة والربح، أو تشـويه سـيرة هذا الرجل العظيم ومسيرة ٣٥ عاماً من النضال والبناء. كما جاء السـؤال هذا إثر كلام لأحد الضباط في الجيش الأمريكـي، وهو من الحـرس الخاص الذي يشـرف على اعتقال الرئيـس، وكان هذا الضابط غير راض عما يجري من مسلسـل التحقيق، وقبل أن تبدأ المحاكمة سـألني: هل اطلعت على أوراق الدعوى، هل تناقشت مع موكلك .. إلخ من الأسئلة القانونية، وقد بدا عليه أنه ممتعض مما يجري، وكان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وهي الغرفة التي أتواجد فيها لمقابلة الرئيس صدام حسين. ثم ما لبث أن قال: لا أعتقد أن هذا الطريق سـيوصلك وموكلك إلى مبتغاكم، وإنما الطريق الدبلوماسـي هو الصائب. فقلت له إنني محام ..

هذا الكلام نقلتـه للرئيس، فقال: «لم يطرقوا بابي للتفـاوض ولا يمكن لي أن أطرق بابهم، فذلك سيحسب علينا ضعفاً».

وقـد أبلغت أنا شـخصياً كل الأطراف المعنية بذلك، حيـث كنت أدرك، ومنذ اليوم الأول لمهمتي الخطيرة، أنها ليست هي طريق النجاة، لأن الأمريكان لا يفهمون

لغة القانون. وكنت مقتنعاً بأن الطريق السياسي هو الأسلم لخلاص الرئيس وبالتالي خلاص العراق من هذه المحنة.

لعبة التصيّد

كان الأمريكيون يأملون أن يوقف الرئيس صدام حسين المقاومة العراقية مقابل إطلاق سراحه، وبالطبع نفيه إلى خارج العراق. وأذكر في أحد الأيام، كان ذلك في الربع الأخير من عام ٢٠٠٥، من دون تحديد التاريخ ! كنت عائداً من زيارة لبلد عربي في إطار المشاورات. عند وصولي إلى أحد الفنادق في عاصمة عربية، اتصل بي شخص أمريكي، وطلب مني أن نلتقي، فاعتذرت لأنني مرهق من السفر، وأود أن أعود إلى العراق لرؤية أهلي، وأنني سألتقيه بعد عودتي من العراق. لكن الرجل أصرّ، وقال إن الأمر مهم جداً. وفعلاً، التقيت به في الساعة الثانية عشرة ليلاً. كنت أعتقد، ومعي من يشاطرني الرأي، أن هذا الشخص هو أحد رجال المخابرات الأمريكية، لأنه من غير المعقول أن تترك أمريكا ومخابراتها هيئة الدفاع تعمل كما تشاء من دون أدوات أو رقيب.

قال لي: يا سيد خليل، إنني أعرف كم أنت مهتم بموضوع صدام، وأعرف بأنك لم تلتقِ به في حياتك إلا داخل السجن، ولم تكن يوماً مقرباً من السلطة و.. و.. إلخ، لكنني أريد أن أطرح عليك سؤالين، ويمكن بعد الإجابة عليهما أن أحقق لك ما تريد وتسعى من أجله (إنقاذ الرئيس)، لكن أود أن أسألك أولاً لماذا تجازف بحياتك وحياة عائلتك؟

قلت له: إن عدوان أمريكا على العراق أمر لا يمكن أن نغفره لأمريكا، وإنني كعراقي شاهدت الطريقة التي حاولت أمريكا استفزازنا بها باعتقال رئيسنا وعرض صورته على شاشات التلفزة بطريقة حاولتم فيها أن تقتلوا روح العراقيين والعرب، بالإضافة إلى أنكم أنتم من دمر بلدي، وأودعتم القيادة العراقية الشرعية داخل السجون. ثم إن الرئيس صدام حسين رجل قارب السبعين من عمره، فليس من الأخلاق أو العدل أن يحصل له ما حصل منكم.

قال: ماذا لو كان حصل انقلاب من الشعب والقوات المسلحة، ماذا سيكون

موقفك ؟ قلت: سيكون موقفي مع ما يريده الشعب، وبالطبع، فأنت تعرف أن الرئيس صدام حسين قد أعيد انتخابه مرتين، وقد شهد العالم أجمع نتائج هذين الاستفتاءين، ولم يتم الطعن فيهما من أية جهة، وبذلك اكتسبا الشرعية الدستورية والقانونية. وهذه هي إرادة الشعب. تفضل واطرح أسئلتك.

فقال: إن صدام حسين يثق بك ويحترمك، وندرك بأنك تستطيع التأثير عليه، فهل تستطيع إقناعه بأن يوجه نداء إلى المقاومة في إحدى جلسات المحكمة للتوقف عن عملياتها ضد الأمريكان؟

بالطبع رفضت، وقلت: لست أنا من يُطلب منه ذلك.

ثم عاد ليسألني: هل صدام هو من يقود المقاومة، وما النسبة التي يقودها من الرجال؟

قلت: الرئيس صدام حسين هو من خطط للمقاومة، ويحظى بقيادة ما نسبته أكثر من ٨٥٪ لعمليات المقاومة إن لم نقل أكثر. ثم أرجو أن تعلم بأن خليل الدليمي هو محام وليس سياسياً. وقررت أن أغير اتجاهي وأذهب إلى سوريا بدلاً من العراق من باب الاحتياطات الأمنية.

هكذا، كانت المخابرات الأمريكية تحاول الدخول إلينا من شتى الأبواب، ولم يدركوا بأن إرادة العراقي الشريف لا تقبل المساومة.

حين نقلت للرئيس ما قاله هذا الرجل، قال: «أحسنت يا ولدي، وكأنني أوصيتك مسبقاً ما تقوله. لقد كانوا يسعون أن يحققوا مبتغاهم بوقف المقاومة، ومثلي لا يفعلها، ولو وضعوا رقبتي في الميزان. ثم إن هذا الرجل كان يريد أن يعرف مدى تأثير صدام حسين ونفوذه على المقاومة، لكن المقاومة لا تدافع فقط عن صدام حسين وإنما عن جميع الأسرى والمعتقلين، وبالأساس عن العراق».

لا مساومات

وأكرر، وأنا مسؤول أمام الله والتاريخ، أنه لم تحدث أية مساومة مع الرئيس صدام حسين منذ اعتقاله. ولو أراد الأمريكان أن يفاوضوه لحدث ذلك، إن لم يكن

بعـد الاعتقـال، فالأولى أن يكون بعـد صدور قرار حكـم الإعدام. وعندها سـتكون الخيارات أمام الرئيس صعبة لأنها سـتكون وفق الخيـار الأمريكي. لكن كل ذلك لم يحدث. أمـا الذين عاونوا الأمريكان وحالفوهم وأعطوهم المشـورة من المتخاذلين والخونـة، والذين خانـوا الأمانة والعهـد والوعد مـع الرئيس، وقالـوا للأمريكان إن الرئيس هو عقبـة كأداء أمامنا لأي تفـاوض معكم، هـؤلاء جعلوا من ورقـة الرئيس ورقة محروقة. أما ما تناولته الصحف عن المسـاومة، فإنما للإثارة الإعلامية وللسبق الصحفي ولأغراض أخرى معروفة لنا.

البيان المجهول ؟

بتاريـخ ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٦، اتصل بنا في مكتب «إسـناد» (هيئة الإسـناد للدفاع عـن الرئيـس ورفاقه) في عمّان، شـخص ادعى أنـه الدكتور فلان من مصـر. لم تكن لدي أية فكرة عن هذا الشـخص ولـم أسـمع به من قبـل. قال إن لديه بيانـاً من القيادة العراقيـة توضح فيه مـا يجري من أحـداث في العـراق والمنطقة، وخلـو العراق من أسلحة الدمار الشـامل، وعدم ممانعة العراق من تسوية قضية الشرق الأوسط بشكل عام بمـا فيها القضية الفلسـطينية وإخلاء منطقة الشـرق الأوسـط من أسـلحة الدمار الشامل بتعاون كافة الدول.

وحسـب زعـم الدكتور، فإن عديّ صدام حسـين قام بتسـليمه هـذا البيان قبل العـدوان، أي قبـل الغـزو الأمريكي للعـراق بثمـان وأربعين سـاعة. لـم يتمكن هذا الشخص من مغادرة العراق لتسليم البيان لوكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة، إذ تمت عرقلة سفره بشكل متعمد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. هذا ما زعمه الدكتور.

سـألته عما يريده بالضبط، فأجـاب: أريد إرسـال البيان لكم لكي تسـلمه إلى الرئيس، وله أن يغير أو يحذف أو يضيف ما يشاء، أو كتابة بيان لتوضيح الحقائق بدلاً من هذا البيان كي يطلع العالم على حقائق الأمور بعد العدوان والتدمير، لأن الحقائق شوّهت بالكامل وخاصة ما تعلق منها بالرئيس نفسه.

بعدها، قام الدكتور بإرسال البيان المزعوم.

أثناء اجتماعنا في مكتب «إسناد» قبل تفويض ثلاثة من الزملاء المحامين بزيارة الرئيس في ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦، ناقشنا هذا الموضوع مع الزملاء الموجودين، واتفقنا على أن يأخذ الزملاء المفوضون البيان ليطلع عليه الرئيس ويتأكد من صحته، والخيارات أمامه مفتوحة. واعتبرنا هذا الاتفاق فرصة قد يكون للرئيس القول الفصل فيها، وقد تساعد في الخروج من المأزق الذي يمر به العراق وقيادته. لكن الرئيس صدام حسين، لم يعلق على الموضوع. فاتصلت بالزميل المعني، فأجابني: «عرضت الموضوع ولم يجب».

الفصل الثاني والعشرون

ماذا دار في جلسات التحقيق؟



سأواصل الدفاع عنك ولو كلّفني ذلك حياتي.

خليل الدليمي

عقدت هيئات التحقيق التي شكلتها سلطات حكومة الاحتلال عدة جلسات للتحقيق مع الرئيس الأسير صدام حسين ورفاقه الأسرى. وقد سبقت جلسات المحاكمة التي بدأت في ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٥ .

وفي ما يلي مقتطفات من محاضر هذه الجلسات التي تحمل دلالات غنية عن الجوانب الإنسانية والجهادية والبطولية والقيادية في شخصية صدام حسين:

الرئيس صدام حسين وعزل المحامين

في إحدى جلسات التحقيق عام ٢٠٠٥، تلا القاضي رائد الجوحي على الرئيس الطلب الذي أرسلته عائلته إلى المحكمة عن طريق البريد الإلكتروني لعزل جميع المحامين باستثناء المحامي خليل الدليمي، وذلك لتنظيم الوكالات الجزائية. فسألني الرئيس بما عهدناه فيه من حكمة وأخلاق عالية عن السبب، فأوضحت له بأنها رغبة عائلته بناء على مشورة مستشارها القانوني لإعادة تنظيم العمل بدقة ومسؤولية. فأبدى استياءه وقال: والله أنا خجل من هذا، ولا أريد أن أخدش كرامة أي عراقي، فكيف لي أن أجرح من يتطوع للدفاع عني في أصعب الظروف. وقال للجوحي: بعد أن استوضحت ذلك، فإنني أوافق على طلب عائلتي لأغراض التنظيم الأكثر دقة فقط، وليس لأي سبب آخر.

لقاء الرئيس مع القاضي في ٢٣/ ٨/ ٢٠٠٥

رائد الجوحي: صدام، هل توافق على عزل الوكلاء وتكتفي بالمحامي الأستاذ خليل الدليمي أم تبقي على وكالاتهم، وهذا بناء على طلب ابنتك رغد، والطلب هذا بيدي؟

الرئيس: «ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك لا تخلف الميعاد». بدءاً، فإنني أشكر جميع المحامين على جهودهم، لكن من أجل إعادة التنظيم ولضرورات المرحلة وما يحدث، فإنني أوافق على إلغاء جميع الوكالات والاحتفاظ فقط بوكالة الأستاذ خليل الدليمي.

رائد الجوحي: مستقبلاً، إذا قدم المحامي وكالة جديدة لتوكيل آخرين، هل توافق عليه؟

الرئيس: إنني أوافق على من يوافق عليه الأستاذ خليل، وأمنح تفويضاً للأستاذ خليل باختيار من يريده كشرط من شروط موافقتي على توقيع أية وكالة.

رائد الجوحي: في ما يتعلق بالمحامين العرب والأجانب، هل تطلب محامين عرباً وأجانب؟

الرئيس: إن كانوا محامين عراقيين أو عرباً أو أجانب، فإنني أحتاج للتوكيل والاستشارة. وأفوّض الأمر كله للأستاذ خليل.

جلسة ١٥/ ٩/ ٢٠٠٥: صلابة وتحدٍّ ورجولة

القاضي: صدام، اليوم باعتبارك القائد العام للقوات المسلحة سابقاً، نريد أن نعرف منك ما جرى في عمليات الأنفال؟

الرئيس: بسم الله الرحمن الرحيم: «ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» صدق الله العظيم.

في البداية أريد أن أقول إن صدام حسين ما زال رئيس جمهورية العراق والقائد العام للقوات المسلحة، إلا إذا أراد الشعب خلاف ذلك. وعليه فإنني أمتنع عن الإجابة لأن العدوان الذي قامت به أمريكا وما نتج عن ذلك باطل جملة وتفصيلاً.

القاضي: نحن قضاة، وكنا قضاة في ظل النظام الذي كنت أنت رئيسه، وما زلنا قضاة.

الرئيس: لا يمكن وجود نظام قضائي بدون سلطتين تشريعية وتنفيذية. وأضيف، لو كانت لدي فرصة لأكون خارج المعتقل، لواصلت قيادة المقاومة ضد الاحتلال.

القاضي: هذه الجلسة تتعلق بما جرى عام ١٩٨٨ في عملية الأنفال. وباعتبارك كنت القائد العام للقوات المسلحة وتمتلك أوامر حركة القطعات العسكرية، أجبنا بشكل مفصل عن صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة؟

الرئيس: أكرر بأنني أمتنع عن الإجابة، ليس على هذا السؤال فقط، وإنما على جميع الأسئلة. وسبب امتناعي كوني ما زلت رئيساً للجمهورية، والقائد العام للقوات المسلحة العراقية، ورئيساً لمجلس قيادة الثورة، وأمتلك حصانة قضائية كاملة وفق الدستور. وثانياً وربما أولاً، لأن الاحتلال الأمريكي والتحالف الذي معه هو غزو وباطل، وما يترتب على الغزو والعدوان باطل. والتحقيق الجاري والهيئات التحقيقية في ظل الاحتلال باطلة لأن كل ذلك مخالف للدستور.

القاضي: أعتقد بأنك خريج قانون.

الرئيس: أتعتقد ؟! وأنا أيضاً أعتقد أنك خريج قانون. وأقول إن هيئة التحقيق فيها أناس هم أخواني وأعتز بهم، وعندما أتحدث، لا أقصد أحداً أو الإساءة لأحد.

القاضي: هل تمتنع عن الإجابة بشكل كامل؟

الرئيس: إلا إذا أراد الشعب.

القاضي: من المعيب أن لا تتكلم عن صلاحياتك.

الرئيس : توجد هيئات تحقيقية أخرى امتنع فيها القضاة عن إعطاء أسمائهم. ثم إنني مسؤول عن صلاحياتي الدستورية كاملة، وأفخر بها وعليها إن شاء الله، وأعتز بها أمام الله.

القاضي: استجوبنا سلطان، وعلي حسن، وفرحان الجبوري، وحسين رشيد،

وثبتوا حالـة بأن الأنفال عمليات عسـكرية. ولنتـرك الأمور العسـكرية ولنذهب إلى الجرائـد (فلان يزف برقية تهنئة حول عملية الأنفال) وهذه العمليات استمرت ستة أشهر وشاهدناها وشـاهدها العالم. وعندما تأتي على سلطان يقول إن الأوامر تأتيني من نزار الخزرجي أو من صدام حسين.

الرئيس: علي حسن المجيد أو غيره، له صلاحيات وفق الدستور. وإن امتناعي عن الإجابة ليس انتقاصاً منك أو من شخصيتك.

القاضي: ليس لدي مشكلة في الإجابة أو الامتناع. أنا قاضٍ منذ مدة، ويمكنني الوصول إلى جميع الأدلة بطرق أخرى. إذا أغلقت الباب، ليس لدي مشكلة، أنا أضع التكييف القانوني، وإن إغلاق الأبواب تحسباً من الإجابة أو التبرير هذا ليس له مبرر. هناك عدة أشخاص في العملية التحقيقية قد يتغير وضعهم وفقاً للتحقيق معك.

الرئيس: هـل أكملـت؟ ... عندمـا تجتـزأ النظـرة القانونيـة فنيـاً، تصل إلى خطوات خاطئة. إنني داخـل احتلال ودولتي محتلة، وإذا بقي لدي عمر، فسـأصرفه في طرد المحتل.

القاضي: تكلم في الجانب القانوني فقط.

الرئيس: أعتز بنفسي كمواطن أكثر من اعتزازي بالعناوين.

القاضي: إذا قلـت كمواطن فالمواطن محترم أمام القانـون عليه واجبات. فلا أريـد أن أدخـل في مسـاجلات أخرى، ولـدي واجب محـدد في ضوء ذلـك، أحقق وأصـدر قراراتي. أنا أعتز بقضائي الذي تعبت عليـه. فحتى نكون محترفين، أنا أوجه الأسئلة والأمر متروك لك في الإجابة من عدمها.

الرئيـس: قبولـك أن تحقـق خلافاً للدسـتور وتخـرق القوانيـن وأنت خرقت الدسـتور بقبولـك تشـكيل الهيئـات التحقيقيـة في ظـل غياب السـلطتين التشـريعية والتنفيذية وتحت الاحتلال.

القاضي: عمليات الدفوع في الشرعية وغير الشرعية لا تتم في طور التحقيق.

الرئيس: عندما لا يضبط الأساس ينهدم البناء.

القاضي: جاء في أقوال المتهمين سلطان هاشم وحسين رشيد أن عمليات الأنفال هي عمليات عسكرية جاءت بقرارات عسكرية وصدرت عن القائد العام للقوات المسلحة في تلك الفترة، ونفذت من قبل القادة الميدانيين. وبما أنك كنت تشغل هذا المنصب في تلك الفترة من عام ١٩٨٨ حسب الوثائق والمستندات المتوافرة لدى المحكمة، فإنهم نفذوا الأوامر الصادرة منك مباشرة حسب السياق العسكري، فماذا تقول أنت ؟

الرئيس: (صمت الرئيس وفتح القرآن، ثم نظر محدقاً طويلاً في وجه القاضي).

القاضي: هل أكتب صمت ولم يجب؟

الرئيس: ....

القاضي: جاء في أقوال المتهم علي حسن المجيد الذي عيّن بموجب القرار ١٢٠ في ٢٩/ ٣/ ١٩٨٧، مسؤول المنطقة الشمالية، ومنح الصلاحيات المشار إليها في القرار، ومذيّلة بتوقيع يعزى إليك، وهو قرار ترحيل القرى الكردية من المنطقة المحظورة أمنياً كانت بأوامر مباشرة منك. ما هو جوابك على ذلك؟

الرئيس: ....

القاضي للكاتب: أكتب «سكت ولم يجب على السؤال ولم يتفوّه بكلمة ويستخدم فيها حقوقه القانونية». أكو نيّة تجاوب أو لا؟

الرئيس: أنا جوابي واحد ولن أتغير.

القاضي: في مفاوضات عام ١٩٩٢ التي جرت بين القيادات الكردية في تلك الفترة وبينكم، تم مطالبتكم بمعرفة مصير هذه العوائل وهؤلاء الأشخاص، وأجاب الوفد المفاوض الذي كان قسم من أعضائه علي حسن المجيد وطارق عزيز .. بأن ما جرى قد جرى ونتيجة عمليات الأنفال فقد انتهوا. باعتبارك كنت المسؤول الأعلى في الدولة، ما هي إجابتك على هذا السؤال؟

الرئيس: إن الذي كان ضمن الوفد هو الآن رئيس الدولة وعيّنه الأمريكان. وأنا لم أقابل أحداً منهم ولم ألتقِ بالوفد.

القاضي: حتى الرَبع (الجماعة) ؟

الرئيس: من هم الرَبع ؟

القاضي: طارق عزيز وعلي حسن المجيد.

الرئيس: نِعمَ الرَبع ! الله يدري.

القاضي: الله يدري بكل شيء، بالصغار والكبار ومسجلات عنده.

الرئيس: لا يضيع شيء إن شاء الله.

القاضي: (يبتسم) قواتنا تطهر قرداغ !

الرئيس: ألا تعرف هذا الكلام، أراكَ متعجباً، ألم تسمع هذا الكلام وكنت تعيشه؟

القاضي: كل كلام تريد أن أسجله فأنا أسجله. اليوم هاي هيّه الكعدة ما عندنا شي. (القاضي يقرأ مقتطفات من جريدة).

الرئيس: ألم يرقص شعبنا من أقصاه إلى أقصاه فرحاً بالانتصار على إيران في الشوارع؟

القاضي: سؤال خارجي.. صدام كم مرة (إنسألت وما جاوبت) من عام ١٩٣٧ وحتى عام ٢٠٠٥ ؟

الرئيس: كنت أجيب عندما أريد أن أجيب، وتاريخ صدام حسين واضح ولم يتغير منذ الخامس إبتدائي.

القاضي: (يكرر ذات السؤال).

القاضي: شرف المهنة قد يتطلب ترك الميز (الطاولة).

الرئيس: الأساس هو المبدأ عندما قلت أمتنع عن الإجابة.

القاضي: ستظلم أناساً أبرياء.

القاضي: أنا لا أعلم بالغيب. لدي وثائق وأستجوب وأعزز. فعندما يطلب فلان الشهادة ويقول إسألوا صدام، وأنت لم تجب ماذا نقول؟

الرئيس: بيد الله.

القاضي: كلنا بيد الله.

القاضي: حرب إيران/ الرد في ٢١/ ٩/ ١٩٨٠ هل كانت هذه الحركة بأمرك؟

الرئيس: لقد أجبتك.

القاضي: لماذا تم استخدام الأسلحة الكيماوية في هذه العمليات، وباعتبارها من الأسلحة الاستراتيجية، فلا يتم استخدامها إلا بأمرك، فلماذا أعطيت الأوامر باستخدامها ؟

الرئيس: أحب أن أقول شيئاً للتاريخ، إذا اتقطع إيدين صدام حسين ولا يعطي أمر بقتل عراقي، ولو تقطع رقبة صدام حسين لا يمكن أن يضرب شعبه بالكيماوي.

القاضي: سيتم إسماعك تسجيلاً صوتياً باجتماع للقيادة العامة للقوات المسلحة في تلك الفترة يبين فيها أحد الضباط تأثير الأسلحة الكيماوية في تلك العمليات وبالتحديد في منطقة قرداغ وهي التي كانت إحدى المناطق في عمليات الأنفال الثانية.

القاضي: سأبيّن لك صوتك وأنت جالس في الاجتماع.

الرئيس: الدوبلاج يعمل كل شيء والتسجيلات الصوتية، وأنت كقاض، لا يؤخذ بها.

الرئيس: (أثناء سماعه الشريط) هذا حديث يجري والحرب جارية مع إيران.

القاضي: أنا لم أقل خلاف ذلك.

القاضي: أحد الضباط يقول في التسجيل إن الضربات الكيماوية لم تستثمر في قرداغ عندما استخدمت. فما تعليقك؟

الرئيس: تصحيحاً لكلامك، هذا الحديث أثناء الحرب مع إيران، والحديث كان لطرد العدو الإيراني من قرداغ.

الرئيس: هل سألت نزار الخزرجي .. لم تستطيعوا سؤاله لأنه هرب وتعرفون موقفه.

القاضي: وعن وفيق ماذا تقول ؟

الرئيس: أنت لا تسجل ما أقوله، وتجتزىء وتسجل ما تريده أنت.

القاضي: من خلال الوثائق والمستندات والصحف التي يشير تاريخها إلى عام ١٩٨٨ فإن من الواضح أن ما جرى في عمليات الأنفال من عمليات عسكرية وأوامر صدرت من المسؤولين كانت صادرة منك. ماذا تقول؟

الرئيس: هل يجوز لك كقاض أن تستخدم ما ينشر في الصحف كدليل؟

القاضي: هل لديك جواب؟

القاضي: تم العثور في القبور الجماعية في منطقة الحضر الواقعة في صحراء نينوى ومنطقة صحراء السماوة قرب (نقرة السلمان) على مئات الجثث تعود لنساء وأطفال ورجال، وإن أغلب المستندات التي بحوزتهم تشير وتؤكد أنهم من أبناء شعبنا الكردي والذين تم أسرهم في عمليات الأنفال ومن سكنة القرى التي شملت بعمليات الأنفال .. وباعتبارك القائد العام للقوات المسلحة في تلك الفترة، فإن العمليات العسكرية تكون بناء على أوامرك. فلماذا تم قتل هؤلاء الأسرى؟

الرئيس صدام: إذا كان تم قتل هؤلاء بعمليات عسكرية، فهذا شيء. وإذا أردت أن تمهلني ٧٢ ساعة، فإنني أستطيع أن أجمع لك مئات الجثث.

القاضي: لماذا منحت علي حسن المجيد كافة السلطات في مكتب تنظيم الشمال، ومنحته أيضاً سلطة إصدار الأوامر إلى القيادات العسكرية في منطقة الشمال، هل كانت هناك أسباب خاصة؟ وهذه الصلاحيات منحت إلى المذكور بموجب القرار ٦٠ في ٢٩/ ٣/ ١٩٨٧ .

الرئيس: لقد أجبتك عند خط البداية .

القاضي: لماذا سمحت لعلي حسن المجيد أن يستخدم الأسلحة الكيماوية في هذه المنطقة ؟

الرئيس: أعطني الوثيقة التي تثبت ذلك، فهذه طريقة لتهييج (إثارة) الرأي العام، وأتحدى كل العالم أن يثبت أن علي حسن المجيد أو غيره استخدم الكيماوي ضد شعبه.

القاضي: أنت لا تجيب وتضع الحقيقة في مكانها.

الرئيس: كل شيء في وقته حلو.

القاضي: ماذا تعني الضربات الخاصة ؟ هل المقصود بها الضربات بالأسلحة الكيماوية؟

الرئيس: الضربات الخاصة تعني ضربات بعينها .

القاضي: كل المتهمين أجابوا بأن الضربات الخاصة هي استخدام الكيماوي.

الرئيس: تعليقاً على كلامك، حتى ضربات المدفعية استفهمت عليها.

القاضي: هل أثبت ذلك أم على المبدأ ؟

الرئيس: لا ... على المبدأ .

القاضي: كم عدد المكرمين بعد الأنفال ؟

الرئيس: كل الأبطال الذين أبلوا بلاءً حسناً في الحرب تم تكريمهم .

القاضي: كم عدد الضباط والمراتب الذين تم تكريمهم ؟

الرئيس: لو كنت أنت رئيساً للجمهورية، هل تتذكر عدد الذين كرمتهم ؟

القاضي: هل أثبت هذا الجواب ؟

الرئيس: على المبدأ .

القاضي: أنت أصدرت الأوامر بعمليات الأنفال وكنت مباركاً لذلك ؟

الرئيس: خطي معروف وتوقيعي مثبت .

القاضي: هل بزونه (قطة) راحت بالأنفال ؟

الرئيس: السيّئ والعميل، البزونه أفضل وأشرف منه .

القاضي: لم أقتنع بالإجابة .

الرئيس: تراني أعلى منك فإذا اقتنعت بشيء تصرف .

القاضي: من هو ؟

الرئيس: المتكلم .

القاضي: لماذا أصدرت الأوامر بتدمير المناطق المدنية على الرغم أن هذا الأمر مخالف للقانون في المناطق الشمالية ؟

الرئيس صدام: تدمير الرمادي وفق القانون ؟ تدمير تكريت بطائرات إف ١٦ هذا قانون ؟

القاضي: (جاوبني) على سؤالي.

القاضي: أنت سكتّ عن الحق.

الرئيس: لن أسكت عن الحق لا والله.

القاضي: لم (تجاوب).

الرئيس: لا جواب .. على المبدأ.

القاضي: وفقاً للمسؤولية وكونك كنت قائداً عاماً للقوات المسلحة وأمين سر التنظيم للقيادة القطرية، فأنت المسؤول الأول عن قتل جميع السكان المدنيين في عمليات الأنفال.

الرئيس: من أين أتيت بهذه الفذلكة؟

القاضي: لا تقل لي هذا، من حقي أن أوجّه كل الأسئلة.

الرئيس: أنت تسألني للاستفزاز.

الرئيس: والله يا رائد يا ابن الجوحي لو لم تصبح قاضياً بزمن صدام حسين، لما كنت الآن، لأن فرصة الدراسة لم تكن تتوفر لأبناء الفلاحين وغيرهم لولا الفرصة التي منحها صدام حسين.

القاضي: لا (تجاوب) على أمور خارجية.

القاضي: أنت اليوم حتى اللي عيّنته تقول ما عيّنته.

الرئيس: أنت شتقول (ماذا تقول)؟

القاضي: أنا ما عندي جواب.

القاضي: إن المتهم علي حسن المجيد ذكر أن الترحيل صدر بناء على أوامر بالنسبة للقرى الكردية؟

الرئيس: جنابك تعرف من رحّل أهل الموصل تحت تدمير الجيش الأمريكي.

القاضي: أريد جواباً أضعه على الورق.

القاضي: قدمت إليك مديرية الاستخبارات العسكرية عام ١٩٨٧ دراسة حول استخدام الأسلحة الكيماوية، وحصلت موافقتك بعد نهاية هذه الدراسة لمادتي (الزارين والخردل) والمخاطبات التي جرت فيها. وقد أكد المتهم صابر الدوري وجود هذه الدراسة كما أكد هذه الواقعة حامد يوسف حمادي الذي كان يعمل سكرتيراً لديك، فما هو تعليقك؟

الرئيس: استخدامها ضد الشعب لو ما تريد ذكر الدولة؟

الرئيس: ليس لدي إجابة .

القاضي: ماذا تقرأ الآن ؟

الرئيس: ما تيسره الحكومة الأمريكية، الأشياء التي ليس فيها سياسة كالشعر والقرآن الكريم.

القاضي: هذه ليس فيها سياسة.

الرئيس: الديمقراطية الأمريكية لا تحب السياسة. لا صحف ولا مجلات ولا راديو ولا تلفزيون، باعتبارها من مستلزمات الديمقراطية.

القاضي: أرى صحتك الآن أفضل من السابق!

الرئيس: إن شاء الله.

القاضي: متى يراك الطبيب ؟

الرئيس: موجود.

القاضي: كيف وضع عملية الفتق التي أجريت لك ؟

الرئيس: الحمد لله.

القاضي: لكن خارج نطاق الخدمة.

الرئيس: سالم مسلح لا يكبر إلا في عقله.

القاضي: لم (تجاوبني) على أسئلتي. هم يقولون أوامر وأنت لم تجبني.

الرئيس: في عام ١٩٦٤ كنت عضو قيادة وخططنا للثورة، ثم بعد ثلاثة أشهر اعتقلت بعد خيانة كخيانة قيس النامق، وأثناء التحقيق ضعف أحدهم فكشف في التحقيق الخطة ضد البكر، وعندما سألني القاضي، قلت له أنا خططت. فقال وأبو هيثم (البكر) ؟ قلت له: نشك بعلاقة (أبو هيثم) بعبد السلام عارف.. وهكذا رفعت عنه الثقل، فالرجال مواقف. وكان عدد الذين اعتقلوا آنذاك من ١٢٠٠٠-١٣٠٠٠ بينما كان عدد المنفذين ٧ أشخاص.

القاضي: لكنك لم ترفع التهمة عن أحد.

الرئيس: في مذكراتي التي قدمتها لك فيها وضوح كاف.

القاضي: لم ترفع عن ربعك أي شيء.

الرئيس: كل شيء بوقته.

القاضي: هناك قصة عن هديب وشقيقه.

الرئيس: لا تحاول أن تدس.

القاضي: هل أنت محكوم سابقاً ؟

الرئيس: أعود إلى إجابتي عند خط البداية .. وحتى لا يحصل التباس. لم أحكم إلا على ما يخص خدمة الشعب.

القاضي: أختم .. هل توقع أم تحتفظ بحقك بعدم التوقيع؟

الرئيس: أحتفظ بحقي بعدم التوقيع.

جلسة التحقيق في أحداث عام ١٩٩١

رئيس الجلسة التحقيقية: القاضي علي الربيعي

الأعضاء: عدنان البدري وعبد الحسين حطاب

مكان التحقيق: مبنى القيادة القومية.

القاضي: أستاذ خليل هل عملت الوكالات ؟

خليل الدليمي: نعم وهذه ثلاث نسخ .

الرئيس: أليس من المفروض أن ألتقي بالمحامين قبل المجيء إلى هنا ؟

القاضي: هل توقع وكالات السادة المحامين ؟

الرئيس: أية قضية التي أوقع وكالاتها ؟

القاضي: قضية عام ١٩٩١ .

الرئيس: أوقع لهم على كل شيء.

القاضي: أعطني اسمك وعنوانك.

الرئيس: هل أنت قاض ؟

القاضي: نعم أنا قاض.

الرئيس: أنت تعرف وشعب العراق يعرف ما هو اسمي وعنواني.

القاضي: بموجب المحضر ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٥.

الرئيس: أنا لن أتنازل عن صفتي الرسمية. شعب العراق اختارني رئيساً وقائداً له.

الدليمي: استناداً إلى الفقرة ب من المادة ١٢٦ من قانون إصول المحاكمات الجزائية، والفقرة ٩ من المادة ١٩ من قانون المحكمة، والفقرة ج من القاعدة ٢٧

من قواعد الاجراءات وجمع الأدلة، فإن لموكلي السيد الرئيس صدام حسين الحق في التزام الصمت، ولا يجبر على الإجابة على الأسئلة التي توجه إليه أو الإدلاء بأية إفادة أو بيان باستثناء التعريف بالاسم واللقب والمنصب والمواليد، من دون أن يفسر هذا الصمت كدليل ضده. والسبب لأن الغزو باطل، وكل ما بني على باطل فهو باطل جملة وتفصيلاً بما في ذلك محكمتكم، وكل هيئات التحقيق المشكلة من خلالها. وكان المفروض أن نلتقي مع موكلنا السيد الرئيس قبل حضور الجلسة، ولكنك رفضت.

القاضي: أنا لم أرفض.

الدليمي: أنت رفضت. هكذا أبلغنا الأمريكان.

القاضي: كان من المفروض أن تقدم طلباً.

الدليمي: هذه سابقة غير معمول بها إلا من قبلك أنت. فعادة تتم اللقاءات بدون طلبات، وهذا حق مشروع. ولا تنس أن هذه جلسة تحقيق وليست محاكمة.

القاضي: نحن لدينا اسمك وعنوانك، فهل تعطينا اسمك وعنوانك ؟

الرئيس: إسمي صدام حسين عبد الغفور المجيد. مهنتي/ رئيس جمهورية العراق والقائد العام للقوات المسلحة العراقية المجاهدة. مواليد/ ١٩٣٧. أسكن في بغداد عاصمة العراق، القصر الجمهوري.

القاضي: ما هو منصبك الحزبي ؟

الرئيس: لا أقوله لأن الحزب الآن سري، ولا تسمح لي أخلاقي أن أقول ذلك لأنه يؤثر على عملنا النضالي وهو سرّ من أسرار العمل.

القاضي: بتاريخ ٢/ ٣/ ١٩٩١ حصل اجتماع للقيادة حيث استدعيت عدداً من أعضاء القيادة القطرية المنحلة وأعضاء مجلس قيادة الثورة المنحل، فما الذي حصل في هذا الاجتماع ؟

الرئيس: لم أطلع على أية ورقة، ولم ألتق بالمحامين، وبالتالي فلا إجابة.

القاضي: تفضل السؤال من الهيئة التحقيقية.

الرئيس: لو افترضنا مجازاً أن المتهم هو غير صدام حسين، أليس من المفروض أن يطلع المتهم على الأوراق وخاصة نحن في العراق ويوجد قضاة ؟

القاضي: المحكمة ترجع للمتهم، يوكل محامياً أو لا حسب رغبته.

الرئيس: المحامي وكيل وليس بديلاً، ولا يمكن أن يلغي دوري حتى ولو وجد ألف محام. كان من الواجب أن أطلع على الأوراق لأمارس دوري.

القاضي: كان من المفروض أن يبلغك المحامي بالتفاصيل.

الرئيس: ليس المحامي، وإنما أنتم. كان من المفروض أن تتركوا لي فرصة الاطلاع على الأوراق.

القاضي: بتاريخ ٢/ ٣/ ١٩٩١ حصل اجتماع لعدد من أعضاء القيادة، حيث تم استدعاء عدد من أعضاء القيادة القطرية وأعضاء مجلس قيادة الثورة، وكان من بين الحاضرين طه ياسين رمضان ومحمد حمزة الزبيدي وحسين كامل وعبد حميد محمود وآخرون. وكان هذا الاجتماع يتعلق بأحداث ١٩٩١. فما الغاية من هذا الاجتماع، وهل تم تكليف الحاضرين بقيادة القطعات العسكرية في تلك الفترة، وهل تم وضع الخطط والأسلوب والمنهج الذي يتم الاعتماد عليه من قبل المذكورين؟

الرئيس: أقول رغم أن قولي هذا لا يعني اعترافاً بالحكومة أو بالذي شكل هذه الهيئات، فلهذا ألتزم الصمت.

القاضي: لا يوجد لديك أي جواب عليه ؟

الرئيس: أجبت.

القاضي: ما عندك جواب غير الصمت ؟

الرئيس: أليس الصمت حقاً ؟

القاضي: أجاب: ألتزم الصمت والسكوت.

الرئيس: لم أقل السكوت.

القاضي: كان هناك في المنطقة الجنوبية المقر المتقدم للقوات المسلحة، وهم أعضاء هذا المقر. لماذا تم تشكيل هذا المقر، وما هي صلاحيات هذا المقر المتقدم في البصرة؟

الرئيس: لو كنت أنت أحد أعضاء القيادة افتراضاً، وصدام رئيسك، هل تتأمل أن يقول إن أعضاء القيادة فلان وفلان ؟ لو كان بالتكريم لقلنا وأنصفنا الرجال ولقلنا أسماء الرجال. إذن ألتزم الصمت.

القاضي: هل أثبت ذلك ؟

الرئيس: هذا سؤال للتوضيح ولأنك لم تثبت ما أردت سابقاً، فإنني ألتزم الصمت.

الرئيس: ثبت توضيحي إن العراق محكوم من قبل أميركا ولا تحتد علي لأني أصير فوكاك (فوقك).

القاضي: هل تريد أن أثبت التوضيح أم لا ؟

الرئيس: ألتزم الصمت.

الرئيس: استجابة مني لهيئة الدفاع، فإنني ألتزم الصمت.

القاضي: لقد تم تكليف حسين كامل بقيادة القطعات العسكرية بالقرب من محافظة كربلاء، وعند تواجده قرب محافظة كربلاء، قام بضرب وقصف المدينة وضرب مرقدي الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام، فهل أمرته بذلك، وهل علمت بما قام به حسين كامل في كربلاء، وما هي الإجراءات التي اتخذتها آنذاك ولا سيما كانت له مقولة شهيرة في كربلاء مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام: أنت حسين وآني حسين وانشوف من ينتصر.

الرئيس: ألتزم الصمت.

القاضي: هل اطلعت على تقرير طارق عزيز بخصوص الممثل الخاص للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان والمعلومات الواردة فيه، وما هي إجراءاتك بخصوص ذلك التقرير، وما القرار الذي اتخذته في حينه ؟

الرئيس: ألتزم الصمت.

القاضي: بعد الانتهاء من أحداث ١٩٩١، حصل تكريم لأعضاء القيادة والقادة العسكريين والأجهزة الحزبية وخاصة بموجب المرسوم الجمهوري رقم ٢٣٩ في ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢، فعن وعلى أي شيء تم هذا التكريم ؟

الرئيس: كثير من الناس تم تكريمهم. وإن كل وثيقة تحمل توقيعي، وثبت صحتها، فأنا أتحمل مسؤوليتها.

المدعي العام: شاهد عيان وهو من مئات الشهود من ذوي الفطنة وأصحاب الكفاءة، تم اعتقاله وإرساله إلى الرضوانية. وهناك تم وضعه في أحد الجملونات التي

يقـدر عددها ب ١٢ جملونـاً. وكان في كل جملون أكثر مـن ٢٠٠٠ معتقل تم إعدام الموجوديـن في القاعة جميعهم. والسـؤال هنا يدور حول المتهـم طارق عزيز الذي كان يقوم بالتنسـيق مـع مدير الأمن العام علـى اختزال عدد المعتقليـن حول أحداث ١٩٩١ وجعلهـا من ١٠٥٠٠٠ إلـى ١٥٠٠٠ ثم اختزلتم العـدد وجعلتموه ١١٠٠٠. وهـؤلاء تم إصدار الأمر بتنفيذ حكم الإعدام بهـم من قبل المحاكم الخاصة التي أمر بتشكيلها .. فما هي إجابتك ؟

الرئيس: ما ذكـره المدعي العام، كان يفترض التحقق منه من خلال السـاكنين في الرضوانية من عدد الجملونات، حيث إن الرضوانية منطقة كبيرة مأهولة بالسكان. أما الجوانب الأخرى من السؤال، فليس لدي إجابة عليها.

المدعي العام: شـاهد من كردسـتان من ذوي الفطنة والأخـلاق والمصداقية، ذكر أنه في ٤/ ٤/ ١٩٩١ أحاطت قوات الجيش بالمدينة إحاطة المحبس بالمعصم، ثم قامت بصب حممها عليها.

الرئيـس: أيها الذوات، لقد اسـتمعتم إلـى الخطبة وليـس الإفادة التـي ألقاها المدعـي العام لتتبين هيئة التحقيـق الحقيقة من الهوى. إن المنطقة الشـمالية معروفة من الناحية المناخية، ومن المعروف أن الأسبوع الأخير ما بين ٢٦-٢٧/ ٤/ ١٩٩١، يكون الطقـس في ذلك الوقت ليـس كالطقس الذي ذكره المدعـي العام. أما هروب المواطنيـن فيفتـرض التحقـق منه، هل حصـل قبل مجـيء القوات المسـلحة أم بعد مجيئها. وعند ذلك بإمـكان الهيئة التحقيقية أن تتحقق، حيث يوجد قبر واحد مدفون فيه ٤٠٠ شـخص الذين وقفوا مع الأسـتاذ عزة إبراهيم، وبإمكانكم التحقق من ذلك مـن خلال قادة الفرق والأسـتاذ جلال طالباني والسـيد طه محي الديـن معروف. أما الجوانب الأخرى، فألتزم الصمت.

المدعـي العـام: شـاهد عيان آخـر برتبة عسـكرية كبيـرة من الفرات الأوسـط يفيـد بأن طالع الدوري وفرحـان الدليمي ومحمد جواد عنيفص كانـوا ينفذون القتل أمامه. وقد اعتقل هذا الشـاهد أثناء الأحداث، وأبناء عمومته. وقد شاهد هذا الشاهد

الصواريخ والمدفعية تطلق نيرانها على كربلاء، وشاهد قبوراً جماعية تم استخراج ٤٠٠ قتيل منها، فماذا يعلق المتهم على ذلك ؟

الرئيس: لماذا لا ترتجف شوارب الادعاء العام على عشرات ومئات الذين يسقطون الآن يومياً نتيجة الفتنة الطائفية في بغداد وبعض مناطق العراق ؟ إذن تعليق صدام حسين على كل إيذاء يحصل لعراقي الآن أو قبل الآن بدون وجه حق، ومن غير حق، فإن هذا عمل جبان وجريمة.

المدعي العام: هل كان المتهم داخل العراق ويمارس صلاحياته كرئيس جمهورية ؟

الرئيس: لا أجيب عن هذا السؤال لأنه لا يستحق الإجابة.

الفصل الثالث والعشرون

جوانب إنسانية في شخصية الرئيس

يهمنا ألا نخسر أيّ عراقي، وقد قلت لرفاقي في المعتقل عندما التقيتهم على هامش ما يسمى بالمحكمة، إن كلّ عراقي إذا أخطأ النظر أو التصرف وأراد أن يعيد النظر بموقفه ويعدل ويتوب، فإن باب التوبة مفتوح حتى آخر ساعة قبل إعلان النصر بإذن الله. ولكن لن يتساوى مع أصحاب الإيمان والحظوة الوطنية الذين بقوا على إيمانهم، وكلّ على أساس الموقف والعطاء.

(صدام حسين في المعتقل)

روى لي الرئيس بعضاً مما يتذكره عن علاقته بأبناء شعبه فقال:

«كنت أحب تربية ورعاية المواشي والإبل، وأنواع أخرى من الحيوانات وخاصة الأليفة. وذات يوم، وأثناء زيارتي لمحافظة صلاح الدين، انتهزت الفرصة لأتفقد الأغنام العائدة لي شخصياً. كان الوقت ربيعاً، وكانت الأرض مغطاة بالعشب. لكنني، حال وصولي، فوجئت براعي الغنم يضع تلك الأغنام في مكان لا عشب فيه، أو فيه القليل. وكنت أمسك عصا في يدي، أتوكأ عليها في تلك الأرض الموحلة، وأنبش بها الأرض لجني الكمأة. فسألت الراعي لماذا لا يرعى الأغنام في مكان مجاور أفضل. وكنت قد تأثرت جداً لوضع تلك الأغنام الجائعة. فقمت بوخز الراعي في كتفه، لكن بشكل لا يؤذيه، وتنبيهه بألا يحصل ذلك في المستقبل. وعدت إلى بغداد .. لكنني لم أنم تلك الليلة، لاحتمال أنني ربما آذيت ذلك الراعي. في اليوم التالي، أبلغت السكرتير بضرورة إحضار الراعي. وحين جاء، كان خائفاً، متوقعاً أن أعاقبه. استقبلته، وعانقته، واعتذرت منه. ثم كرمته وانصرف غير مصدق ما حصل. عندها شعرت براحة البال والضمير.

«وذات يوم، كنت أتجول في بغداد، فشاهدت بعض المتسولين، وكنت أكره هذه الظاهرة، وأشدد على دور رعاية الأيتام ورعاية العجزة، وإعطاء الرواتب لكبار السن، بالإضافة إلى منح الرواتب لمن يعيل العجزة. طلبت من السكرتير جمع كل المتسولين في بغداد، ولأكثر من مرة، فتناولت الطعام معهم وقمت كذلك بتكريمهم، وتمنيت عليهم ألا يعودوا لمزاولة تلك الحالة غير الحميدة.

«كنت أفتح مكتبي لمقابلة أبناء شعبي، وحتى من أخواننا العرب الذين يقيمون وسط شعبنا. وكنت أقابل المواطنين حتى أوقات متأخرة تصل أحياناً إلى الفجر وحتى الصباح، ثم أواصل عملي في اليوم التالي بين العراقيين، أتفقد أحوالهم وأمورهم المعيشية. وكنت أشعر بالراحة التامة عندما أقابل عدداً أكبر، وأحل مشاكلهم. وحين أخلد للنوم، أشعر أن ضميري مرتاح وأنني أديت خدمة ملموسة للمواطن».

وتحدث الرئيس عن ظروف حياة عائلته منذ ولادته فقال:

«عندما ولدت عام ١٩٣٧، كان والدي قد توفي قبل خمسة أشهر. وعلمت أنه، رحمه الله، توفي بعد معاناة من مضاعفات إثر تمزق في إحدى كليتيه نتيجة كسر في أحد الأضلاع، مما أدى إلى بروز عظم ضرب كليته ومزقها. وهذا حصل نتيجة موقف رجولي لوالدي عندما انتخى لامرأة عراقية من الأقارب كادت أن تضام. فلم يحتمل والدي الموقف، فقام بالقفز من أعلى حائط الطين المرتفع لكي يحمي تلك المرأة. وحاول أن يلحق باللص، لكن حصل له ما حصل، وبقي فترة طويلة، حسب ما روته والدتي، رحمها الله، يتبول دماً. ثم بدأت إصابته تتضاعف، وحالته تنحدر نحو الهزال، حتى ضعف جسمه شيئاً فشيئاً.

«بعد ولادتي، تزوجت أمي. وهذه عادة من عادات أهل العراق بشكل عام، وأهل القرى خاصة، أن تتزوج الأرملة لكي لا تواجه قسوة الحياة. لكن والدتي لم تكن موفقة في هذا الزواج، حيث كان الحاج إبراهيم الحسن، رحمه الله، قاسياً جداً معها بسبب طبيعة الريف وصعوبة الحياة والفقر والتخلف، وأمور أخرى .. حتى شملت قسوته أحياناً صدام حسين، حيث كان عمري آنذاك بضع سنوات. لكنه ما كان يفرق بيني وبين ولده إدهام الذي كان من زوجة أخرى له.

«كنت أنهض في الصباح الباكر وأذهب بعيداً عن الدار والقرية، فأقوم بجمع الحطب، مهمتي اليومية رغم قسوة الجو شتاء وصيفاً. كما كنت أقوم بمساعدة الوالدة برعي البقرات والنعجات التي كنا نملكها. وكنت أنفذ أوامر الحاج إبراهيم الحسن لحبه لي وعدم تفرقته في المعاملة بيني وبين باقي أولاده، سبعاوي، وبرزان ووطبان، وكان قاسياً مع إبنه إدهام لاعتقاده أنه لم يوفق بالذكاء.

بالإضافة لذلك، كنت أقوم بممارسة الزراعة، والسقي، ورعي المواشي والأغنام ... وبسبب رغبتي في التعلم، انتقلت إلى بيت خالي خير الله طلفاح، رحمه الله.

«عشت حياة قاسية جداً سواء في طفولتي أو شبابي. وحينما كنت في سدة الحكم، كنت حريصاً على خدمة شعبي، لأكسب رضاه ورضا الله. لم أفرق بين أبناء شعبي، ولم أحقد على أحد، حتى الشخص الذي يسيء، لم أكن أكرهه، بل أكره فعله. وكنت أفرح كثيراً عندما يعود عن الخطأ إلى جادة الصواب».

عندما قرر الرئيس الخروج من بغداد في ١١/ ٤/ ٢٠٠٣، طلب من حمايته الانصراف إلى عوائلهم، وشكرهم على مواقفهم، وبقي معه عدد قليل من أفراد حمايته الخاصة الذين يثق بهم. وكان يستفسر منهم عن أحوالهم وأوضاعهم الاجتماعية، ويسأل الواحد تلو الآخر إن كان متزوجاً، وعدد أولاده، وعدد الإناث، وهل هناك من يعيل العائلة غيره .. وكثير من الأسئلة التي تدل على الجانب الإنساني فيه. ومن ذلك أن الرئيس كان يعيل مجموعة من الأطفال اليتامى كانوا يقيمون معه. وقد كبر هؤلاء الأطفال، وكانوا يدعونه «بابا». وبعد احتلال بغداد، كان الرئيس يجلس مع ابنه قصيّ وثلاثة من أفراد حمايته، حين التفت قصيّ إلى أحدهم، وكانت تربطه به رابطة قوية، وقال له: يا فلان، أنت تبقى مع عائلتي تحرسها. فقال هذا الشاب: أنا لم ولن أبقى إلا مع عمي ووالدي الرئيس.

علاقة الرئيس بالمحامين

كان يستقبلنا بفرح غامر مطلقاً عبارات الترحيب ويردد في أكثر من مناسبة: «أنتم نشامى لم تقصروا في المحكمة وخارجها وعملتم كل ما في وسعكم، وأنا لا أسمعكم فقط وإنما أحترمكم وأحترم رأيكم بل وأنتم في مقدمة الذين أحترمهم». وكنت أتقدم زملائي بالسلام عليه، إذ كان الرئيس حريصاً حتى وهو في المعتقل، على القدم والمنصب على أساس المسؤولية ويؤكد على التزامنا بالأقدمية. وكان يقول لزملائي إن عليهم أن يجلسوا بعد أن يجلس زميلهم «أبو علاء»، أي خليل الدليمي، لأنني رئيس الهيئة وأقدمهم من حيث التطوع.

لم تؤثر سنوات المعتقل الطويلة بالنسبة للرئيس على سلوكياته وطبيعته التي نشأ عليها، فقد كان يهتم بسلوكنا ومظهرنا باعتبارنا محسوبين عليه في كل شيء. فقد كان يلفت نظره مظهرنا وحتى طريقة الجلوس والكلام والحركات. كان يحب التنظيم في كل شيء. وحتى حين كنا نتناول وجبات الطعام معه على مائدة واحدة، وفي جميع اللقاءات، كان يتفقد كمية الطعام المقدمة لكل واحد منا.

كان الرئيس يطلب منا نقل تحياته إلى عوائلنا، بالإضافة إلى الأقرباء والشعوب التي ينتمي إليها الزملاء المحامون. وفي كل مقابلة، كان يطلب مني أن أقبل رأس والدتي، ويحملني السلام لأولادي وأقربائي وعشيرتي وشيخها وشيوخ القبيلة. كان يفرح كثيراً عندما يبلغه سجانوه بقدوم المحامين. وكذلك في المناسبات والأعياد. وفي ذكرى أعياد ميلاده، كان يتذكر كيف كان العراقيون يحتفلون بهذه المناسبة، ويشعر بالألم. ويقول:

« لم أطلب من أحد أن يقيم أية مراسم أو احتفالات تخص صدام حسين، سواء في عيد ميلادي أو ما يتعلق بي شخصياً. وتركت الأمر للشعب يتصرف كما يشاء، وحتى بالنسبة للنصب التي أقيمت، لم يكن لي أي مقترح، ولم يطلب مني شخصياً ذلك، وتركنا للشعب ومنظماته حرية التعبير، إلا بعض الأمور التي تعتبر جزءاً من تراثنا مثل نصب الجندي المجهول أو نصب الشهيد أو نصب لبعض الرموز التاريخية أو بعض النصب الرسمية أو التي تزيد من جمالية العراق وتاريخه وحضارته. فقد كان لنا دور فيها». وفي الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية، كان يطلب مني زيارته. فكنت أزوره حاملاً معي الهدايا من المحبين.

لقد كنا نحن المحامين، الصلة الوحيدة له مع العالم. وبعد استشهاد الزميل المحامي خميس العبيدي، نائب رئيس الهيئة، طلب مني الرئيس، وقد تأثر جدا لاستشهاد الزميل، أن أتوقف عن زيارته، وكذلك بقية الزملاء، خوفاً علينا. وقال لي: «يا وليدي «أبو علاء»، أخشى عليك من هؤلاء الأوغاد، فأطفالك بحاجة إلى رعايتك أكثر مني. أما أنا فلي رب لن يهملني». ويضيف: «إن ضميري يؤنبني لاستشهاد زملائك ولا أريد أن يخسر أحد منكم حياته في سبيلي».

هكذا كان هذا الرجل العظيم. وكان يتأثر جداً عندما ننقل له مشاعر العراقيين والعرب.

قرارات المحاكم سابقاً

وقد سألت الرئيس حول ما يقال بشأن قرارات الإعدام التي اتخذت في عهد الدولة الوطنية وموقفه منها، فقال :

« إن عقوبة الإعدام وضعها دستور العراق وقوانينه. وهذه العقوبة معمول بها، ليس في العراق فحسب، وإنما في معظم دول العالم بما فيها الولايات المتحدة. وقد وجدت هذه العقوبة لجرائم كبرى مثل الخيانة العظمى، أو عندما يصل الجاني إلى مرحلة لا يمكن إصلاحه بعدها، أو إنه ارتكب جرائم قتل أو انتهاك شرف .

« إن الذي يخون بلده، لا يمكن أن نرجو منه خيراً بعد. وإذا تركناه، فقد يوغل أكثر. ويشهد العراقيون أننا عفونا عن الكثير الكثير ممن استحقّوا هذه العقوبة، بعضهم صلح وتولى مناصب قيادية في الدولة، وبعضهم لم يغتنم الفرصة، لأن الإنسان في ضميره قد مات. ومع ذلك، ربما حصلت أخطاء لا تستوجب إنزال هذه العقوبة، ولم يكن الخطأ من عندنا، وإنما من التحقيق. ورغم ذلك، كنا نتألم كثيراً عندما تحصل مثل هذه الحالات، وكنا نعتبره شهيداً لغايات، منها، حتى لا تتأثر معنويات أبنائه وأقربائه وعشيرته. وحتى بعض الحالات التي استحقت إنزال هذه العقوبة، من دون وجود أي خطأ في التحقيق، فإننا اعتبرناهم شهداء، لكي لا يتأثر ذووه سواء من الناحية المعنوية أو المادية، لأننا لا نريد أن نلحق ضرراً بذويه. بالإضافة إلى أن الذين اعتبرناهم شهداء، ليسوا كلهم أبرياء.

«عندما كنت أصادق على هذه العقوبة، كنت أطلب من السكرتير ألا يقدمها لي إلا وأنا في أفضل حالاتي النفسية والبدنية، بعيداً عن إرهاق الوظيفة. وكنت أفحص بدقة كل حالة، بل في أحيان كثيرة، كنت أطلب إعادة التحقيق. وعندما أكون أمام حالة، كان علي فيها أن أضع توقيعي استجابة للأمانة الدستورية التي وضعها الشعب في عنقي، وأديت بموجبها القسم من أجل حماية مصالح الشعب، كنت غالباً ما أتردد، رغم أنني لا أحب المترددين. وعندما كنت أوقع على القرار، أبقى لمدة غير مرتاح، لأننا خسرنا عراقياً. هكذا كنا نتعامل مع شعبنا. وقد قمنا بإصدار عشرات القرارات من العفو العام والخاص، وبيضنا السجون أكثر من مرة،

وأعطينا المزيد من الفرص. فشعب العراق يستحق أن يقدم الإنسان عمره فداء له، حتى إنني بعد احتلال بغداد، سمعت كثيراً من العتب على حالات العفو. وقبل ذلك، كان بعض رفاقنا في القيادة لا يرغبون بالعفو عن بعض المجرمين وأرباب السوابق وغيرهم».

ويروي الرئيس هذه القصة التي حدثت معه بعد نجاح الثورة، فيقول :

« في عام ١٩٥٩، نشأ تحالف بين الحزب الشيوعي وعبد الكريم قاسم. وحدثت أثناءها مجازر في العراق تصدى لها حزبنا بكل بسالة، وأحلت لمحكمة عسكرية حيث كانت العقوبة الإعدام. كنت في السنة الأخيرة للإعدادية. وقد شهّدوا علي تسعين شاهداً، كانت كل شهاداتهم زوراً مثل هؤلاء الذين في هذه المحكمة. وقد نجحت ثورتنا بعد ذلك. وكان باستطاعتي أن أفعل بهم ما أشاء، لكنني والله لم أفعل. أحد الضباط واسمه عبد الهادي من أهل الموصل، وكان قد مد يده علي وضربني أثناء الاعتقال .. بعد نجاح الثورة، تم اعتقاله إما لأربعة أشهر أو أربعين يوماً، لا أذكر. وكان الاحتجاز من أجل حمايته حتى لا يتأذى. وفي تلك الفترة، زارتني عائلته، فرعيتها مثلما رعيت عائلتي. ثم أخرجت عبد الهادي من المعتقل وعينته معاون مدير عام في وزارة العمل والشؤون الإجتماعية. فالحمد لله، فنحن لا نحقد على أحد ولا ننتقم من أحد ..» .

طعام الرئيس

كان الرئيس يبتدىء طعامه بتناول حبتين من التمر إلى أربع حبات يومياً، وذلك لما للتمر من فوائد، ولمعالجة بعض الاضطرابات في المعدة أحياناً. وفي بداية الاعتقال، لم يكن الأمريكان يقدمون له ما يكفي من الطعام بالإضافة إلى رداءة نوعيته. وقد تكلمت مع الأمريكان بخصوص طعام الرئيس. فبدأوا بعدها بإحضار وجبات طعام يقول حراسه الأمريكيون إنها مما يخصص لضباط الجيش الأمريكي، رغم أنه قال أكثر من مرة «ليست لدي أية مشكلة في ما يقدم أو ما لا يقدم لي من طعام، نوعاً أو كماً، فأنا لست شرهاً في الأكل. وهذه الأمور أعتبرها ثانوية».

الحذر الأمني والنظافة

كان الرئيس حريصاً جداً على نظافة ملابسه وبدنه. وكان يعلق على ذلك بقوله إن من واجبات المسلم والمؤمن أن يعطي أولوية للنظافة. حتى عندما نشرت صحيفة الصن البريطانية صورته، وهو ينظف ملابسه، علق قائلاً: «هل يعيبون علينا أن نلتزم بتقاليد ديننا الحنيف وعاداتنا العربية في أن ننظف أنفسنا وحاجاتنا من ملابس وغيرها. وما العيب في ذلك؟». ويضيف: «إن النظافة من صلب إيماننا، وقد أوصانا ديننا الحنيف بالنظافة، واهتمام الإنسان بصحته ونظافته من باب الوقاية خير من العلاج». ورغم أن الأمريكان خصصوا له من يخدمه إلا أنه كان حريصاً على نفسه بنفسه، فيقوم بغسل ملابسه ويضعها في مكان لتجف. يقول الرئيس: «وكما هو معروف، فإنني لا أستطيع الجزم بخلو الجنود الأمريكان الذين يقومون بحراستي من الأمراض الانتقالية والوبائية والتي قد تنتقل بواسطة الملابس، فإنني تحوطت من ذلك، لأن هؤلاء الحراس هم شباب ومن مجتمعات غير مجتمعاتنا، ولهم تقاليدهم التي تختلف عنا. لذا فهم أقرب إلى الإصابة ونقل أمراض خطيرة. وقد كنت أمنعهم من تعليق ملابسهم قرب ملابسي. لذا أعتقد أن نظافة أي شخص تسجل له وليس عليه».

لكن الرئيس، وقبل جلسات المحاكمة المهزلة، كان يضطر أن يرسل بذلته التي يختارها ليلبسها في المحكمة، إلى قسم الغسيل والكي التابع للجيش الأمريكي.

كانت عائلته، ومنهم إحدى شقيقاته، وبعض أقربائه يرسلون له الملابس، ولكن، وبناء على تعليمات محددة لنا، ومن باب الاحتياطات الأمنية على الرئيس، كنت أحمل له الهدايا والملابس المقدمة من الأصدقاء والأقرباء. لكنه ما كان يرتديها، ويقوم بإعادتها لنا لاحقاً. وكنت أخبره عن أصحاب تلك الهدايا، فكان يشكرني ويطلب مني الاستمرار في الحذر، وتنبيهه عن الملابس التي ترسل له من عائلته، من تلك التي ترسل له من غير العائلة. وكان يقول: الحمد لله لأنك تحرص علي يا ولدي خليل، كما أحرص أنا على نفسي.

كان يحتفظ أحياناً ببعض الملابس المرسله له من العائلة، فيرتديها، ثم يقوم

بتوزيعها مرة أخرى. وكان يرسل لرفاقه المعتقلين بعض الملابس وجزءا من الهدايا التي ترسل إليه عن طريق الأمريكان، بالإضافة إلى أنه كان يقدم للزملاء المحامين بعضاً من تلك الهدايا مثل السيجار وغيره. وقد أهداني بعضاً من الملابس وساعة يدوية وحقيبة ملابس شخصية بالإضافة إلى مسبحة وغيرها.

أما بالنسبة لبعض المأكولات مثل الحلويات وغيرها التي ترسل له من بعض الأقرباء المقربين له، أو المحبين له، فكنت أخبره عنها ولا أعطيها له.

وفي المقابل، كان الأمريكان في المعتقل حريصين على سؤالي عن مصدر كل شيء أحمله له، وكانوا يثقون بإخلاصي له وحرصي عليه.

وذات يوم، أرسلت له عائلته، وتحديداً كريمته رغد، باقة ورد طبيعي بمناسبة ذكرى عيد ميلاده في ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٦. حين دخلت عليه، حييته بالطريقة التي كانت تبهر الأمريكان، وكان يشدد الرئيس على الاستمرار بها، ويشكرني على ذلك. وقد منع الأمريكان دخول باقة الورد معي، لكنني أخبرتهم بأنها من ابنته. فتساءلوا عن مصدر الباقة، وشككوا أن يكون المصدر غير نزيه. أقنعتهم بصعوبة، وقمت بشم الباقة بنفسي، وأكدت لهم أنني على استعداد لأكل أي جزء منها لإثبات حسن النوايا. بعد تلك الحالة (المزحة)، سمحوا بإدخالها للرئيس، لكنهم منعوا كمية من حبات الهيل التي أرسلتها كريمته الثانية رنا. وقالوا: نحن نخشى عليه، ولا نريد أن يحصل له ما حصل مع الرئيس اليوغسلافي ميلوسوفيتش.

لم يكن الأمريكان يسمحون لأي شخص آخر أن يقدم للرئيس أياً من هذه الأمور إلا من خلالي لتيقنهم من مصدرها، أي من عائلته. وفي الأسابيع التي سبقت اغتيال الرئيس، كان أحد زملائي المحامين ينوب عني بعد أن قدمت للأمريكان كتاباً من بريدي الإلكتروني الخاص بناء على الاتفاق معهم. وحتى في موضوع الزيارات، فقد صادف أن أحد الزملاء كان يزور والده المعتقل في معسكر كروبر، وكنا نخوله زيارة الرئيس أحياناً، وهذا حصل بعد استشهاد الزميل خميس العبيدي فقط، فلم يسمح له الجانب الأمريكي بزيارة الرئيس إلا بعد أن أرسل لهم تفويضاً وموافقة شخصية مني، مبيناً لهم الأسباب من بريدي الخاص، فأحدد لهم وقت زيارة الزميل ليقوموا بإيصاله إلى المكان المخصص للمقابلة.

الرئيس في قاعة المحكمة

رغم كل الإساءات التي تعرض لها الرئيس صدام حسين داخل المحكمة، إلا أنه كان يتصرف بشكل طبيعي مع الجميع. فعندما كان يدخل إلى قاعة المحكمة، كان يسلم على الجميع، بابتسامته المعروفة الهادئة. فقد كان شخصية متوازنة بشكل كبير ومثيرة للجدل في آن معاً. وحين كان يقطع الأمتار من الباب حتى مكان جلوسه في القفص اللعين، يتركه الأمريكان ويقفون خلف الباب. وكان له حضور قوي بهيبته وشموخه. فكان أعضاء حكومة الاحتلال ينظرون إليه من أعلى القاعة على بعد أربعة أمتار تقريبا، ينظرون إليه بحقد وكراهية وتشف، يملأ الغيظ قلوبهم لأنه أبى إلا أن يكون شامخاً، لا ينحني إلا لخالقه. كان أحمد الجلبي يحدق في وجه الرئيس ويداه على وجهه، وينظر إليه بابتسامة صفراء . وكان موفق الربيعي يبتسم حين كان الأمريكان والجورجيون يقومون بتفتيشه بالأيدي والأجهزة، وكذلك كل أقطاب حكومة الاحتلال الذين كانوا يستسلمون للتفتيش، باستثناء المعتقلين الذين لم يكونوا يتعرضون للتفتيش .

كان الرئيس صدام حسين ينظر للقضاة ويتعامل معهم بكل إنسانية، وكذلك الحال مع الادعاء العام. وكان بعض محامي الحق الشخصي يسلمون عليه في فترة الاستراحة، ثم يستأنفون تجريحهم له بعدها. كان يتألم كثيراً عندما يرى القضاة يوغلون في إيذائه وعدم إعطائه فرصة للكلام .

ممارسة الشعائر الإسلامية

لم يملك الرئيس، في بداية اعتقاله مصحفاً. ثم حصل على المصحف ذي القصة المعروفة. وقمت بإهدائه واحداً وكذلك عائلته. كان يمتلك كتباً دينية وأدعية كثيرة وكان يكثر من القراءة فيها، حتى قال لي يوماً: أحمد الله الذي وهبني الوقت لأتفرغ لديني .. وكان يختم القرآن عدة مرات في الشهر، بالإضافة إلى كتابة الشعر. كان الرئيس حريصاً على مطالعة الكتب التي نحضرها له بناء على طلبه والتي غالباً ما تكون هدايا من محبيه، وكان يفضل ما كان منها متعلقاً بالتراث والموروث الشعبي والشعر والفقه والنحو، بالإضافة إلى الصحف والمقالات والبيانات التي تم السماح لنا أخيراً بإدخالها.

كان كثير الإذكار والاستغفار، يصوم بعض أيام الاسبوع تقرباً من الله، كثير الحمد له، ويردد دائماً في لقاءاتنا معه، أو لقائي به، عبارة « إيه الحمد لله، هذه أرادها لنا، ليغفر الله لنا ويكفر عنا ذنوبنا ويكثر حسناتنا»، وكان يوصينا دائماً بعمل الخير والعفو عند المقدرة، وبعدم الحقد كرد فعل على إساءات الآخرين .

أما في شهر رمضان، فقد كان يتعمّق في ممارسة الشعائر الإسلامية، فكان كثير التطوع في الصيام قبل وبعد الشهر الفضيل وخلال أيام السنة. وكان يفطر على تمور البركة، ويوصينا دائماً بإحضارها. وكانت عائلته ترسل له المزيد من هذه التمور المعلبة والتي كان يفضلها على التمور الأخرى .

وفي يوم من الأيام، كان الحديث مع الرئيس يتناول بعض الأمور الدينية، فقال لي: « إننا لم نتصرف يوماً أو نقف في موقف حيادي بين الدين والإلحاد، حتى في أيديولوجيات حزبنا، فنحن مع الدين ضد الإلحاد، ونحترم في الوقت ذاته حقوق الآخرين». ويضيف الرئيس: «إن كل بنيان بنيناه أو مسجد أقمناه أو ضريح جددناه، إنما هو واجب علينا، خالص لوجه الله».

الرئيس والمرجعيات

بعد اللقاء الأول لي مع الرئيس صدام حسين عام ٢٠٠٤، جاء شخص مهم إلى داري في الأنبار يرافقه أحد شيوخ العشائر المعروفة. عرفني بنفسه وأنه على اتصال بمقتدى الصدر، وأنه يريد الاستفسار من الرئيس من خلالي عن مقتل والد مقتدى، وأنه سينقل ذلك بأمانة إلى مقتدى، معللاً إصراره على طلبه كي يئد فتنة أُعد لها .

نقلت ذلك للرئيس لاحقاً حين كان يدور الحديث معه عن جيش المهدي، فأجابني: «إن كل المعلومات التي توفرت لدي عن والد مقتدى أنه كان يسعى ليجمع العراقيين ويؤمهم في صلاة الجمعة (أي الصلاة المليونية) من خلال المعلومات المتوفرة لدى الأجهزة الأمنية. بعد وقوع الحادث، تبين لنا أن إيران دبرت هذه المكيدة لتلقي بها كعادتها على الدولة العراقية لشرخ الصف وخلق الفتنة. وهذا هو منهج الفرس الذي عرفناه في إيقاع الفتنة بين المسلمين والشعب الواحد». ويضيف

الرئيس: «لم يكـن لي علم بالحادث، وعندما استفسـرت من المسـؤولين والأجهزة الأمنيـة، أخبرونـي أن لا علم لهم مـن قريب أو بعيـد بهذا الموضـوع .. فأيقنا عندها أن إيـران هي من دبر هـذا الحادث علـى أرض بلادنا لنتهم نحـن، وبالتالي تقوم فتنة شريرة، وحينها قمنا بمواساة مقتدى وقدمنا له التعازي وأرسل لنا برقية شكر».

وسألت الرئيس عن محمد باقر الحكيم (قتل في حادث تفجير في كربلاء بعد احتـلال العراق)، قال: « عندما وقع الحادث، كنت خارج المسـؤولية وبين شـعبي، وقد أوضحت لشعبنا ذلك برسالة كتبتها ونشرتها وسائل الإعلام. فالأمر كان واضحاً ولا يحتـاج إلى جهد كبيـر في الوصول إلـى الحقيقة. إنها إيران وبعـض عملائها في الداخل، وقد دبروا الحادث لأمـور تتعلق بالحوزة والمرجعية»[1]. ويضيف الرئيس: «كنا نحترم كل رجال الدين من مختلف أطياف شـعبنا، سواء المسلم أو المسيحي أو الصابئـي وكل الطوائف الأخـرى، ولـم نفرق بين هذا وذاك إلا على أسـاس المواطنة والإخلاص للعراق».

مواقف صعبة

مرت بالرئيس صدام حسـين مواقف وحالات شد وتوتر في جلسات التحقيق ومنها المشـادات الكلامية بينه وبين القاضي رائد الجوحي في جلسات التحقيق عام ٢٠٠٥ في ما سـمي بقضية الدجيـل وقضية الأنفال. كان هـذا القاضي يديم التحديق فـي وجه الرئيس من دون أن يرف له جفن، ويبادله الرئيس تلك النظرة بإصرار أشـد. وكنت أعترض على هذا القاضي بين الفينة والأخرى.

في إحدى جلسات التحقيق في قضية الدجيل عام ٢٠٠٥، قابلت الرئيس وكان متعباً، ويبـدو أنه لم يأخذ كفايته من النوم. وفي لحظة تهيأ لي أن شـكله مختلف عما عهدته، فراودني شك أنه ليس الرئيس صدام حسين. وعندما دخل إلى قاعة التحقيق، نظر إليه القاضي الجوحي بشيء من التفحص والغرابة. بعدها جرت مشادات كلامية بينه وبين القاضي...

---

(١) انظـر مقالـة الدكتور عبد الإلـه الراوي «من يقـف وراء جريمتي النجف؟ ..»، شـبكة البصرة، ٨-٤-٢٠٠٨.

ومن المواقف الصعبة أيضاً، الموقف في جلسة تحقيق في قضية التجار. كان القاضي آنذاك رئيس هيئة التحقيق علي الربيعي، يعاونه القاضي عبد الحسين حطاب. قبل أن يبدأ التحقيق، استفزه القاضي حطاب، ودارت مشادة كلامية بين الرئيس، وبين القاضي الذي تلفظ بألفاظ نابية، فقمنا، الرئيس وأنا، برد الصاع صاعين. إلا أن القاضي علي الربيعي لم يكن راضياً عن تصرفات زميله.

في تلك الأثناء، نهض شخص يدعى تحسين، وهو محقق عدلي، من المكان المخصص لرجال المخابرات الأمريكية، واتجه بسرعة ناحية الرئيس الذي غادر ليأخذ فترة استراحة بعد أن رفضت من ناحيتي الاستمرار في التحقيق. قام هذا الرجل بمسك معصم الرئيس استعداداً للاعتداء عليه. تحركت على الفور، ووضعت الرئيس خلف ظهري لحمايته، وأمسكت بهذا الشخص، وقبل أن أسدد له الضربات، تدخل الضابط الأمريكي الكابتن مايك ماكوي. طلبت من القضاة ومن الأمريكان إخراج هذا المحقّق كشرط لعودة الرئيس إلى قاعة التحقيق، إلا أنهم طلبوا مني الموافقة على إبعاد هذا الشخص إلى الكراسي الخلفية للقاعة خلف الجالسين. وطلبت من الرئيس أن يرفض التحقيق، وأن لا يتكلم ولا يجيب عن أي سؤال، مما اضطر القاضي إلى أن يطلب مني تقديم طلب بتأجيل الجلسة.

ومن المواقف الصعبة كذلك، في إحدى جلسات المحاكمة، كان دور الرئيس في الكلام. فكان يقرأ مطالعة أغاظت القاضي رؤوف بعدد صفحاتها ونوع الكلام والشعر فيها. فقاطعه القاضي عدة مرات وباستفزاز. وكان الرئيس يصر على حقه في الكلام من دون مقاطعة. وما إن سمح له القاضي بالكلام، حتى بدأ يقاطعه وباستفزاز أكبر، مما أغضب الرئيس، فنظر إلى القاضي، وكان الرئيس يمسك بيده اليمنى مجموعة من المحارم الورقية، فقام بشد يده بقوة على ما فيها، واغرورقت عيناه والغضب يتطاير منهما، وكأن لسان حاله يقول للقاضي: ويحك، لو كنت طليقاً.. ولكن لم يتم تصوير هذه اللقطة. بعدها أعلن القاضي سرية الجلسة حين وصلته ورقة من غرفة الجنرالات والسي آي إيه وحكومة الاحتلال.

كان الرئيس يتألم عندما يقف أحد من رفاقه المعتقلين (في قضية الدجيل)

أمام القاضي ويقول إنه كان يتلقى الأوامر، وما كان عليه إلا تنفيذها. وكان الرئيس ينظر إليه بعتب شديد. وتكرر الموقف (في قضية الأنفال). وحينما كنت أزوره، كان يستعيد ما حصل في جلسات المحاكمة ويقول: «لا أدري كيف وجد من يقول كلاماً كهذا وهو في سلم المسؤولية في الدولة العراقية». ثم يضيف: «إن البعض أثقلته السلطة وأوساخها، والرجل يبقى رجلاً ويتصرف برجولة على هذا الأساس». ويقول: «كان موقف بعض رفاقي ضعيفاً، وكان من المفروض أن يخرجوا عندما شاهدوا تصرف هذا السفيه (القاضي) معي. إن موقف المعتقلين في قضية الدجيل أقوى بكثير من الموجودين في هذه القضية». ثم تكرر هذا الكلام حول تلقي الأوامر، فامتعض الرئيس في إحدى الجلسات، فوقف وقال للقاضي: «أنا صدام حسين، أتحمل عبء أو مسؤولية أي عراقي لا يستطيع تحملها». وكان يقول ذلك بألم شديد.

في جلسة ما سمي بالاستكتاب، وضعوا الكرسي الذي اعتاد أن يجلس عليه الرئيس بطريقة معكوسة مخالفة للشرع والعرف. فاعترض الرئيس وقال لهم: «أتريدون أن أجلس كما يجلس المجوس؟». وقام بوضع كرسيه بالطريقة المعتادة.

من الأمور التي كانت تزعج الرئيس كلما تذكرها، قصة اعتقاله، والخيانة التي حصلت. فيبدأ بالوعيد والويل للشخص الذي قام بخيانته، حتى قال لي: أنا لم أتعرف على الشخص الذي وشى بأولادي، فإن كنت أسامحه على فعلته أمام الله وأمام شعب العراق وأعتبر ذلك تحت «البساط»، لكنني لن أتساهل، مهما حصل، مع الشخص الذي خانني من دون سبب أو تقصير مني. ثم سرد لي قصة حدثت معه قبل نهاية شهر حزيران/ يونيو ٢٠٠٣ قائلاً:

« كنت أقوم بجولة بين أبناء شعبي حين قررت أن أذهب إلى إحدى قرى الموصل. نزلت عند شيخ من شيوخها المخلصين (لا نذكر اسمه الآن لاعتبارات أمنية). كان الوقت عصراً وكان الشيخ مشغولاً بعمل ما قريباً من داره. طلبت من أفراد حمايتي الذين بقوا معي أن يقربوا سيارة الأجرة التي جئنا بها نحو الدار أكثر.

كنت في ذلك اليوم أرتدي لباساً مموهاً ولم تكن ذقني قد طالت بشكل كبير، إذ كانت الفترة هي بعد احتلال بغداد بشهرين تقريباً. وكان صاحب الدار مرتبكاً وقال لي إنه كان يتمنى هذه الزيارة منذ زمن، لكنه الآن يخاف علي. طلبت منه أن يهدأ، وقلت له إنني أريد طعاماً محدداً وهو الدبس مع الطحينة والخبز فقط. وكنت قد عودت نفسي في تلك الفترة على القليل مما أجده. لكن الشيخ رفض طلبي، وطلب من ولده الأكبر أن يقوم بذبح خروف لإعداد عشاء لي. كان قد شاهدني أثناء دخولي الدار أحد الأشخاص الذي عرفني رغم محاولة إخفاء شخصيتي، فأخبر شخصاً آخر يبدو أنه عميل للأمريكان. بعد برهة سمعنا أصوات طائرات وحركة غير عادية في المنطقة. خرج الشيخ ليستطلع الأمر، فإذا بطائرات أمريكية تحمل مدرعات وآليات تحوم في سماء المنطقة. أخذني الشيخ في سيارته بعد أن طلبت من حمايتي أن يعودوا أدراجهم. كان الشيخ ما يزال مضطرباً، فقلت له إنه أمر اعتيادي بالنسبة لي، بالإضافة إلى أنني أحمل سلاحي، مسدسين وكلاشنكوف. ثم أخبرني الشيخ أن الأمريكان أنزلوا قواتهم على مفارق الطرق، لذا علينا أن نسلك طريقاً بعيدة عنهم. قطعنا بعدها أميالاً في الصحراء والوديان والشعاب، من دون الاستعانة بضوء السيارة، حتى وصلنا المكان الذي أريده ومن هناك صعدت سيارة حمل صغيرة نوع بيك أب تويوتا، فطلبت من الشيخ أن يعود. وشكرته، ولم يتركني إلا بعد أن تحركت السيارة، وكنت متضايقاً جداً من الرجل الذي وشى بنا. بعد أكثر من شهر، بعثت برسالة خطية إلى ذاك الشيخ الجليل، وطلبت منه أن يذهب إلى أحد أقربائي الذي كنت قد ائتمنته على مبلغ من المال لتمويل رجالنا الشجعان في المقاومة، وحين وصل مبعوثي إلى بيت قريبي يطلب المبلغ، غضب ومزق الرسالة وأنكر الأمانة وقال إنه لم يرني منذ عشر سنوات. ولم يكتف بذلك، بل قام بإرسال ولده ليخبر الأمريكان عن الضيف، وهذه أمور لم نألفها في مجتمعنا أن يخون العراقي ضيفه. لكن هذا الضيف كان متيقظاً، فاستطاع أن يتوارى بسرعة، وزبن (لجأ) عند أحد أفراد العشيرة الذي لامه لذهابه إلى ذاك الرجل»..

ومن المواقف الصعبة كانت في إحدى جلسات المحاكمة المهزلة، عندما

أمر القاضي رؤوف بإخراج الشهيد برزان من القاعة، فقام حراس الداخلية بالاعتداء عليه وضربه أمام الرئيس، فغضب الرئيس غضباً شديداً.

إن أكثر المواقف صعوبة كانت في لقاء لنا مع الرئيس في ٢٠٠٦/١١/٤، أي قبل يوم واحد من جلسة النطق بالحكم. كنا نتبادل النظرات معه وكأننا في ساعة الوداع. الأجواء مشحونة في ذاك المساء في قاعة المحكمة حيث كنا في لقاء مع الرئيس. كنا نترقب ما تخبئه الأقدار صباح اليوم التالي. كان الرئيس يجلس على كرسي له مسندان، وبلا قواعد أربعة كالعادة، وإنما كانت قاعدته من الأمام. كنا أثناء ذلك نتبادل الحديث معه. وكان الرئيس يسند ظهره تارة إلى الخلف وتارة يتقدم إلى الأمام، ثم فجأة كسر الكرسي، ووقع الرئيس على ظهره. فأسرعت وحملته من تحت إبطيه، وعاونني الضابط الأمريكي وتم تغيير الكرسي. كان ذاك الموقف نذير شؤم لي. ثم أخبرنا الضابط أن وقت المقابلة قد انتهى. فانصرف زملائي خارج القاعة. سألت الرئيس إن كان يرغب في أن ألقاه منفرداً كالعادة. نظر إلي نظرة لم أرها في عينيه طيلة السنوات الثلاث. قرأت نظرة وداع، أدركتها بكل مشاعري نظراً للعلاقة الحميمة التي وطدتها الأيام العصيبة بيني وبينه .. تمنيت في تلك اللحظة ألا يطلب مني الجلوس أو اللقاء المنفرد، وكأنه قرأ ما يجول في خاطري بنظرته الثاقبة وحدسه. فتوادعنا بنظرة متبادلة، وكأننا لن نلتقي ثانية. تمالكت نفسي، وحملت جرحي، وما أن توارى خلف الباب، حتى انفجرت بالبكاء وبشدة على غير عادتي وبصوت مسموع. هرع إلي الكابتن والأمريكان، وأخذوا يربتون على كتفي. ناديت زملائي، إذ لم أرغب في أن يواسيني الأمريكان الذين كانوا السبب في كل ما حدث للعراق.

هذا غيض من فيض مما عانيته خلال السنوات الثلاث العجاف التي قضيت فيها أكثر من عام ونصف وحدي مع الرئيس الشهيد صدام حسين. ومهما كتبت عن تلك الأيام، فإن قلمي ليعجز عن أن يخط المشاعر والأحداث والمعاناة التي واجهناها أنا وزملائي الأبطال الذين حملوا المسؤولية جبالاً فوق كاهلهم ليضعوا الحق في نصابه .. إنها ساعات وأيام وليال وسنوات عمر لا تنسى ..

صحة الرئيس ؟

هل دسّوا السم للرئيس في المعتقل ؟

كان الرئيس يتمتع بصحة جيدة، وحين ألقي القبض عليه قبل منتصف كانون الأول من عام ٢٠٠٣ كان لا يتجاوز السادسة والستين من عمره. قوي البنية، ممتلىء الجسم، طويل القامة. وقد لاحظت في المقابلة الأولى التي أجريتها معه في نهاية عام ٢٠٠٤ أنه فقد الكثير من وزنه، حتى اعتقدت للحظة أنه الشبيه. ومع ذلك كانت صحته جيدة. وعللت نحوله إلى فترة وجوده بين رجال المقاومة حيث كان يوصل الليل بالنهار متنقلا بين المناطق المختلفة، يحث على المزيد من الضربات التي توجع العدو، ويدعو إلى رص الصفوف ودحر العدوان.

بعد منتصف عام ٢٠٠٥، عندما كنت أجلس معه، لاحظت أن إحدى يديه ترتجف، وقد ظهرت تجاعيد كثيرة على وجهه. عرضت الموضوع على عدد من الأطباء، فقالوا إنه ربما أعطي جرعات سموم بطيئة، أحد مضاعفاتها رعشة اليد. لم أخبر زملائي بالأمر لاعتقادي بأنهم سيتنبهون للأمر. وقد أشاروا الي لاحقاً بذلك بعد أن اكتملت وكالاتهم الجزائية وأصبح بإمكانهم مقابلته عام ٢٠٠٦ .

إبتدأت شكوكي تزداد، ومسؤوليتي الأخلاقية تحتم علي أن أزيد البحث في هذا الموضوع. عرضت الأمر على أحد العراقيين من أصحاب الخبرة والاختصاص وتحديداً في دولة إسكندنافية. فذهب إلى أحد المختبرات، وروى لهم هذه الحالة من دون أن يعطيهم اسم الرئيس. فأكدوا له أن هذا الشخص يعطى جرعات سموم بطيئة، وطلبوا منه أن يمسك ورقة بيضاء معقمة لا يمسها أي شخص غيره، وبعد أن تتعرق يده، تعاد هذه الورقة إلى كيس نايلون معقم، وهذا هو الحل الوحيد في حال استحالة الحصول على عينات من البول أو الدم وما إلى ذلك. ولأن وضع الرئيس لا يسمح بأخذ هذه العينات، فقد أخذت ثلاث أوراق بيضاء معقمة من أحد المختبرات ووضعتها في الكيس، ثم طلبت من الرئيس أن يمسكها بيده. وقد حسبت أن الجانب الأمريكي سيتدخل لمنعنا، وبالتالي فإنني سأطلب من الرئيس إعادتها إلى الكيس، وسأوضح للأمريكان أنني حاولت إعطاءه هذه الأوراق كي

يقوم بكتابة أسماء المحامين الذين يختارهم ليكونوا معنا في الدفاع عنه. ونخبرهم أننا أعدنا الأوراق من دون أن يكتب الرئيس عليها شيئا. ويبدو أن الأمريكان كانوا متنبهين لذلك، فأخذوها بعد أن منعوني من إعطائها للرئيس. وتساءلت في ذاتي: هل كانت هذه السموم المعطاة للرئيس أحد أسباب التعجيل في إعدامه خوفاً من أن تكتشف هذه الفضيحة؟

كما كان الرئيس يشكو لي دائما من آلام في معدته، حتى إن القاضي الجوحي كان يعلم تفصيلياً بهذه الآلام، وسأله ذات يوم عن كيفية وضع معدته. وقد أخبرني الرئيس أنه تعرض مرة لحالة إغماء فجائية، فتم نقله بطائرة بلاك هوك إلى مستشفى ابن سينا (داخل المنطقة الخضراء). بالإضافة لعملية الفتق التي أجريت له من دون تخدير.

وهذا يقودنا إلى الشك بالمعاملة الصحية المبالغ فيها من قبل الأمريكان للرئيس، حيث كان يعتقل في أحد بيوته. ويشرف عليه قسم الطبابة الذي يقوم بفحص درجة حرارته ورطوبة الغرفة وفحص شامل للرئيس ثلاث مرات في اليوم، مما يبعث على الشك بأن الأمريكان يضمرون شيئاً وليست هذه العناية اهتماماً بالرئيس. وهذا يقودنا كذلك إلى زيارات المحامين إلى المعتقل، حيث كنا نتناول الطعام أحياناً مع الرئيس، وكان أحد المحامين الأجانب كثير الحذر لا يشاركنا مطلقاً في تناول الطعام، ويكتفي بتناول قطع من البسكويت والشوكولاته التي يجلبها معه من عمّان.

ونظراً لأننا لسنا أطباء، فإننا لا نستطيع الجزم في هذا الموضوع..



بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

القائد الفذ صدام حسين رئيس جمهورية العراق حفظه الله ورعاه كانت مواساتكم لنا باستشهاد اية الله العظمى السيد محمد الصدر ونجليه لها اعظم الاثر في نفوسنا جنبكم الله تعالى كل سوء ودفع عن عراقنا العزيز ما يريده الاشرار من دمار واذلال

حفظكم الله وسدد خطاكم نحو الخير لتبقى راعيا للحوزة الدينية ولقادتها المخلصين في هذا البلد الذي كان ولا يزال مشعا بانوار اهل البيت عليهم السلام وسيبقى مصدر اشعاع للاجيال القادمة ان شاء الله تعالى

ادام الله بقائكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقتدى الصدر واسرته

13 ذي القعدة الحرام

نص البرقية التي تلقاها الرئيس صدام حسين من أسرة السيد محمد باقر الصدر المنشورة في جريدة القادسية في ٢/ ٣/ ١٩٩٩

الفصل الرابع والعشرون

اللقاء الأخير مع المحامين



إنني أوصي أهلنا جميعا أن يتمسكوا بوحدتهم وأن يتسامحوا في ما بينهم. فالفتنة هي مخطط الأعداء الذين لن يحققوا احتلالهم وتوسعهم إلا عبر إثارة تلك النعرات المرفوضة من الجميع. وأقول لكم بارك الله فيكم فأنتم أناس مخلصون مؤمنون وضعتم حياتكم في خطر .. لم أر منكم إلا الصبر والمثابرة والتضحية بلا حدود..

(صدام حسين في المعتقل)

كنا قد أوفدنا ثلاثة من الزملاء المحامين للقاء الرئيس صدام حسين بسبب منعي شخصياً من التوجه إلى بغداد من قبل سلطات الاحتلال لسبب أجهله. وأثناء لقاء المحامين بالرئيس في ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦، اتصل بي الجانب الأمريكي وأبلغني أن المحكمة صدقت على قرار الحكم، وأن علي أن أرسل موفداً عني لاستلام حاجيات وأغراض الرئيس الشخصية. وقد طلبت منهم أن يقوموا بترتيب لقاء آخر للزملاء المحامين في اليوم التالي، كي يبلغوا الرئيس بقرار التصديق على الحكم. بعد أن انتهت المقابلة، ووصول الزملاء المحامين إلى المقر المخصص لسكنهم، قاموا بفتح هواتفهم المحمولة. فاتصلت بهم وأبلغتهم بضرورة العودة للقاء الرئيس وأنني رتبت ذلك لهم. وتم تحديد اللقاء الأخير يوم ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦. لكن أحد الزملاء اعتذر لظرف خاص، فغادر بغداد يوم ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٧ عائداً إلى عمّان.

في الثامن والعشرين من شهر كانون الأول / ديسمبر عام ٢٠٠٦، جرى اللقاء الأخير بين الرئيس صدام حسين والزملاء المحامين بعد التصديق على حكم الإعدام ضد الرئيس والسادة برزان التكريتي وعواد البندر. وقد جرى اللقاء في قاعدة أمريكية بالقرب من المطار.

رحب الرئيس بالمحامين. وعندما استمع منهم إلى خبر التصديق على القرار، بدا رابط الجأش، واثقاً بنفسه إلى أقصى درجة. وكان يبدو ساخراً من الحكم، قال:

«هذا أمر لا يزعجني، بل أحمد الله على كل شيء، فمهما يكن الثمن، فإن كل هذا قليل على العراق. لقد انفضح أمر أعدائنا، وظهرت وجوههم على حقيقتها:

وبدوا أضعف مما يعتقد الكثيرون. أما رجالنا، فقد سددوا لهم الضربات التي ألحقت بهم الهزائم، ونحمد الله كثيراً على ذلك ونسأله حسن العاقبة لنا جميعاً».

ثم نظر الرئيس إلى الحاضرين وقال:

«لقد أيقنت أنهم سيقدمون على تنفيذ هذا الحكم الجائر، فقد قاموا بتعطيل الراديو الذي كنت أستمع فيه إلى الأخبار، وأدركت أنهم يريدون أن يخفوا عني خبر التصديق النهائي على حكم الإعدام.. ولكنهم جلبوا لي راديو آخر كبيراً يتولى المترجم تشغيله وفقاً لما يريد وتبعاً لما يراه ملائماً. لذلك بعد هذه الإجراءات وعمليات التشديد الأمني والحراسة من جانب الأمريكان، شعرت أن هناك شيئاً ما، وأنهم اتخذوا قرارهم».

هنا سأله أحد المحامين إن كان يريد أن يوجه نداء أو رسالة من أجل وقف حكم الإعدام، فأجاب الرئيس:

«أنا لا أوافق، ثم إلى من أوجه النداء، هل أخاطب أعدائي؟ إنهم هم الذين رتبوا لهذه المحكمة غير العادلة، وهم الذين أعدوا السيناريو من البداية إلى النهاية. ومع ذلك أقول لكم أنا مرتاح، مرتاح لأنني سأواجه ربي بقلب طاهر وصلب، ونظافة يد، وإخلاص في الأداء وراحة ضمير، وانحياز دائم للحق والعدل. لقد واجهت الباطل وتصديت له. كان بإمكاني لو أردت أن أعقد صفقة معهم، وأن أجد لنفسي مبرراً، لكنني عاهدت الله سبحانه وتعالى دائماً ألا أفعل إلا ما يرضى عنه ضميري وديني وحبي وانتمائي للعراق والأمة. بعد كل ذلك، وبعد كل هذه التحديات ورفض كل المحاولات التي عرضوها علي، هل يمكن الآن لصدام حسين أن يساوم على رقبته وأن يطلب الإفراج عنه لسبب أو لآخر؟ ليس صدام الذي تعرفونه يمكن أن يفعل ذلك.. وإذا فعلت ذلك، ماذا أقول لربي وللمناضلين؟.. قولوا لمن طرح هذا العرض إن صدام حسين لا يناشد إلا ربه، ولن يناشد أحداً مهما كان. الله يخزي الأعداء وينصر المؤمنين.

«بعد التصديق على حكم الاعدام، حضر إلي طبيب وسألني: هل تحتاج إلى أدوية مهدئة؟ فقلت له: الجبل لا يحتاج إلى مهدئات. لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى

من الإيمـان ما يجعلنا لا نحتاج إلى مثـل هذه الأمور. إن المهدئـات تُعطى للضعفاء الذين يحرصون على الحياة الدنيا بأي ثمن، أما أنا فأقول إنني سـأقابل الموت بثبات وإيمان، وأحمد الله على ذلك ..

«إنني أدعوكـم أن تتذكروا باسـتمرار إيمانكم كلما أصيبـت النفس بالوهن أو الاكتئـاب. إن الصبر والتضحيـة والجهاد والجود بالنفس من أجـل الحق والمبادىء الشريفة هي أسمى معاني الإيمان. تذكروا أن العدل هو الإنصاف وليس القانون، أي أن القانون ينبغي أن يقوم على الإنصاف، وإلا فإنه لا يحقق العدل ..

«منذ أن علمـت بنبأ التصديق علـى الحكم، بدأت أسـتخدم الدراجة الخاصة بالرياضة التي جاءوا بها، وذلك بجهد إضافي لكي أثبت لهم طبيعة الشخصية العربية المؤمنة. وقـد زدت الوقت المخصص للرياضـة منذ أمس واليوم مـن ١٢ دقيقة إلى ٣٥ دقيقـة. عليهم أن يعرفوا ويدركـوا أننا قوم نحب الحياة، ولكـن عندما يأتي وقت التضحية، فنحن نتقبل الموت من دون خوف أو رهبة».

وهنا تحدث لهـم الرئيس عن قصة عبوره لنهر دجلة قبل إلقاء القبض عليه في كانون الأول ٢٠٠٣. ثم أضاف:

«أرجو أن لا يتسـرب اليأس إليكم، فهذا قدر الله. ولكن كل ما يهم هو العراق والأمة ودحـر المسـتعمرين وهزيمتهم. وأنا أعتقد أن الربيع القادم سـيكون حاسـماً لأنهـم وصلوا إلى العجز، بينمـا رجالنا يمتلكـون الآن زمام المبادرة. إن الله سـوف يحمي الشـعب والأمة من الأعـداء وينصرنا عليهم نصـراً عزيزاً، فأمتنا تسـتحق هذا النصـر الغالي الذي تصنعه الآن بدماء أبنائها الأوفيـاء. إن النتيجة المتوخاة والأفضل هـي أن تصل إلـى النصر بالوسـائل السـلمية، ولكـن إذا كنـت مضطـراً، فبالمقاومة ودحـر الطغاة. ولا شـك أن الظلم الذي وقـع على العراق ومن خلالـه على الأمة لم تكن له مبررات. لقد قالوا وتحدثوا عن أسـباب الغزو والعدوان، ولكن كل أكاذيبهم تكشـفت، وأصبح وضعهم أمام الـرأي العام في منتهى السـوء. ولكـن الغريب أنهم لا يزالون مستمرين في غيهم واحتلالهـم وقتلهم للأبرياء، ونهب ثـروات بلد عربي مسـتقل وذي سـيادة. مرة يقولون سـنحقق النصر، وتارة أخرى يقولـون لا منتصرين

ولا مهزومين. ثم يعودون مجدداً ويقولون سوف نزيد من أعداد قواتنا في العراق. وهكذا أصبحوا يتخبطون بعد أن لحقت بهم خسائر فادحة بفعل المقاومة البطلة لشعبنا العظيم. لقد حاولوا أن يبثوا بذور الفتنة بين أبناء العراق الواحد، ونسوا أن شعبنا صاحب الحضارة والتاريخ ظل يعيش على مدى قرون طويلة كنسيج واحد، لا يعرف الفرقة، ولا يعرف الطائفية أو المذهبية أو العرقية.

«إن من الأخبار المهمة التي أسعد بها ويفرح لها قلبي حين يقوم شعبنا في الجنوب بعمليات ضد قوات الاحتلال. وكذلك الأخبار الطيبة عن أهلنا في منطقة الحكم الذاتي وفي حلبجة بالذات، حيث جرت هناك اعتقالات لأفراد من شعبنا الكردي لأنهم يرفضون الاحتلال ويتمسكون بالعراق الواحد الموحد.

«إنني أوصي أهلنا جميعا بأن يتمسكوا بوحدتهم، وأن يتسامحوا في ما بينهم. فالفتنة هي مخطط الأعداء الذين لن يحققوا احتلالهم وتوسعهم إلا عبر إثارة تلك النعرات المرفوضة من الجميع. وأنا على ثقة من أن شعبنا وأمتنا بخير، ولن يسمحوا أبداً للمحتلين وعملائهم أن ينجحوا في مخططاتهم التي تريد تفتيت العراق بل وتفتيت الأمة .. إنني أطلب منكم أن تحملوا رسالة إلى جميع أبناء شعبنا للحفاظ على وحدتهم ومواجهة عدوهم المشترك الذي لا يريد خيرا لأحد من أبناء العراق.

«إنني أقول لأبناء شعبنا: صبراً، فساعة النصر قادمة، والوضع الدولي يتحرك الآن مجبراً، والسياسة الأمريكية دمرت كل الفرص وأصبح خيارنا الوحيد الآن هو المقاومة .. لقد تحدثوا كثيراً عن المصالحة، وطرحوا هذا الأمر أكثر من مرة، وأنا قلت لهم: هذا مستحيل. ولو أن صدام حسين ذهب إلى المصالحة بنفسه ومن دون حزب البعث، فهذا لن يجدي شيئاً. إن أي حوار أو مفاوضات، إن لم تكن مع الحزب كمؤسسة رسمية معنية، لن تكون لها أية قيمة أو جدوى. والذين يقدمون أنفسهم بعيداً عن الحزب، فهؤلاء لا يمثلون الحزب.

«إن العقل الأمريكي ما زال قاصراً عن معالجة الأخطاء، وهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يدقوا الأبواب الصحيحة، وأن يقروا بمطالب أبناء الشعب العراقي. ولكن أقول لكم وبكل ثقة إنه، وخلال شهرين من الآن، سوف تكون الثورة مختلفة،

وسوف يكون المحتلون في حال غير هذه الحال التي هم عليها الآن، وذلك عندما يتسلم الديمقراطيون المهام الرسمية، ويطلعون على الوثائق والأوراق كاملة .. هنا سوف يعملون ويسعون إلى بلورة حل لقضية العراق. وحسب اعتقادي، فإن ذلك سيتم خلال ثلاثة أشهر .

«صدقوني، إن أكثر ما يؤرقني ليس مصيري ولا مصير العراق، لأن العراق له رجاله الذين سيحررونه من المحتلين حتماً. ولكن ما يقلقني هو أنني لا أدري حجم الحقد الذي سيتنامى في نفوس الكثير من العراقيين إذا ما أعدموني، لأن من امتلك الحقد قلبه فسوف تعمى بصيرته ..

«إنني أقول لأبناء شعبي: إياكم ثم إياكم أن تحقدوا. لقد حاربت الخميني طيلة ثماني سنوات دفاعاً عن العراق وعن أمن الأمة في مواجهة المخططات التوسعية وتصدير الثورة، ولكن أقسم بدماء أبنائي أنني لم أحقد على الخميني مرة واحدة. هذا خصمي قاتلته بشرف .. والأمر ذاته ينطبق على الرئيس الأمريكي جورج بوش. لقد دمر بوش بلدي وشرد شعبي، وأنا أقاومه بكل إرادة وأدعو إلى مقاومته وهزيمته. ولكنني لا أحقد عليه. هناك خط فاصل بين الحقد وبين الخصومة .

«أقول لكم لا تنسوا أن «صدام» بدأ مناضلاً، ودخل صفوف البعث مناضلاً، واقتلع السلطة من الفوضى والخراب بعقلية المناضل. لقد بنينا العراق طابوقة طابوقة، وعندما جاءت اللحظة الحاسمة، واجهت أعداء العراق وأعداء الأمة بروح المناضل والمقاوم.

«كنت أدرك بأنني قد أستشهد ويستشهد أبنائي، وكان كل ذلك دافعاً لي للاستمرار في المقاومة، وليس الهروب، والبقاء وسط أبناء شعبي مهما كان الثمن.

«لقد اختفيت طيلة ثمانية أشهر، كنت أتجول خلالها في ربوع العراق، أتابع وأتواصل مع رجال المقاومة. وقد نمت عند أناس لا أعرفهم .. بعد ثلاثة أسابيع فقط من احتلال بغداد، قمت بتسريح كل الحرس الخاص، وبقي معي واحد فقط.

«لقد خدمت هذا الشعب العظيم طيلة ٣٥ عاماً. والآن أسلم نفسي له. ومن المؤكد أنه سيحضنني، وإذا لم يفعل، فحتماً هناك خطأ ما ...

«خــلال تجـوالـي، ارتـديـت مـلابـس مختلفــة، وتجولـت فـي المـزارع والحقـول والجبال. وطيلة هذه الفترة، كنت أتحـرك بعقلية المناضل، وكذلك خلال فتـرة الاعتقال حيـث أرادوا الإسـاءة إلـي بوقائـع كاذبة وصـور ملفقـة. وكذلك في فترة المحاكمة.

«إننـي لا أهاب إلا اللـه، وأنا راض عن نفسـي تماماً. فالمناضـل يختلف عن الإنســان العادي. والإنســان العادي، تبعاً لمهمته، يوصي أولاده طبقاً لما هو مخطط لهـم. وعندما يتقاعـد، يعتبر أنه قـد انتهى، وأن الحيـاة توقفت. بينمـا المناضل يعتبر مهمته مستمرة حتى آخر لحظة في حياته. ولهذا، فهو لا ينتهي .. إننا نحتاج إلى حالة كهذه كـي نتطهـر، لأن النضال في ظـل القانون والدولـة يختلف عـن النضال خارج نطاق الدولة والقانون.

«عندمـا قامت الثورة عام ١٩٦٨، كان عـدد أعضاء حزب البعث حوالى ٧٧٠ عضـواً فقط. كنا نحتاج إلى حالة نضال غير اعتيادية، فالمسـيرة ليسـت سـهلة، وهي أصعب حالـة مرت على الحزب حتـى الآن. فهناك أعداء في الداخـل، والمحتل هو أكبر دولة في العالم. وكان الاختبار العملي هو كيف يخرج حزبنا من هذه المحنة من دون أن يقدم تنازلات أو يتراجع عن مبادئه وعقيدته.

«يبـدو أننـي صدعـت رؤوسـكم. وأقول لكـم بـارك الله فيكـم، فأنتـم أناس مخلصون مؤمنون وضعتم حياتكم في خطر، وأصبحتم مهددين في كل لحظة. لم أر منكم إلا الصبر والمثابرة والتضحية بلا حـدود .. بارك الله فيكم وبارك في عوائلكم التي لم تخذلكم عندما قررتم الدفاع عني وعن رفاقي. أسـأل الله سبحانه وتعالى أن يعوضكم في الدنيا والآخرة، والرحمة للمحامي الشهيد خميس العبيدي، وأسأل الله أن يعز جيشنا وشعبنا.

«سـلموا لي علـى أمّ علي وأمهـا وأخواتها، وعلـى أبنائهم، أحفـادي جميعاً وعلى كل الأسرة. هم مؤمنون بأمر الله. فلكل إنسان أجل وكتاب. عليهم أن يرضوا بما كتبه الله علينا بقلوب مؤمنة، وأن يتذكروا أن أباهم ناضل وجاهد بشـرف، ليس سـعياً وراء منصـب، وإنما من أجل الشـعب والأمة واسـتحقاقها والـذي هو عظيم

فينا. إن الصورة التي أحملها هي ثقتي بشعبي وجيشي حتى لو اهتز البعض، فهناك قسم من الناس يسمون الطليعة والناس الآخرون يسمون بالآخرين. وإن تجاربنا بحر زاخر، وشعبنا شعب أصيل، وحزبنا حزب أصيل في مبادئه وإصراره على الحق والإنصاف».

في هذا اللقاء، افتقدني الرئيس. وكان يتألم لمنعي من مقابلته خاصة في الأيام الأخيرة حيث كان بحاجة إلى بقائي قريباً منه، فدوري مع الرئيس لا يعلم حدوده إلا الله. ويبدو أنه كان يقرأ ما بين السطور من أن جهات معينة حاولت إبعادي عنه لغايات وأهداف معينة .. فكان أن أرسل لي مع أخواني المحامين هذه القصيدة التي أعتز بها:

أصيل خليل وليس له بديل
عذب الماء هو وأعداؤنا سحول
ما ارتجف خيانة في صعبة
وإنما يلطم سفينة تجرهم وتصول
يشتد وقد صابرها مسفرا
ويطغى موجه لو واجهه غول
كالنار مستعرة واجهها هوى
لا يحتويها عرض ولا طول
يشمخ في العالي ويعلوها بهمة
لا يلتوي له في الجذور أصول
كالبحر الزاخر لو تغضب أمواجه
وسيف له لو واجهه هبيل
صابرها أول وهو بها أول
إذ تكاثرت علينا بظلمها الدول
وها هي الآن وقد اشتد ظلمها
يعلو العقوب وللسيوف صليل

أبا علاء لا يظن فيك سوى كرم
وهل ظننا سوى ما يستحق الفحول
ما جفلت عنها وتلطم شرها
أصيل الفرع أصيل نبيل.

صدام حسين
رئيس جمهورية العراق
والقائد العام للقوات المسلحة المجاهدة

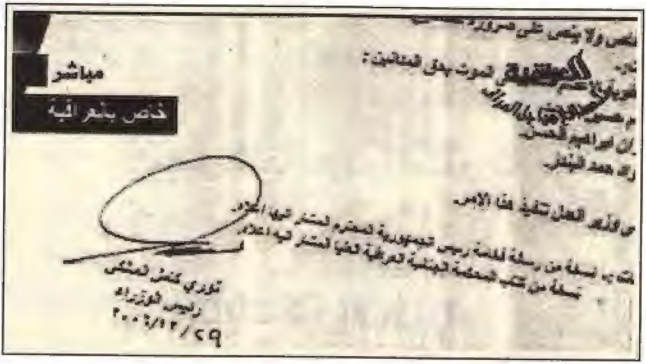
في ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٦

الفصل الخامس والعشرون

الساعات الأخيرة

إنني أدعوكم أن تتذكروا باستمرار إيمانكم كلما أصيبت النفس بالوهن أو الاكتئاب. إن الصبر والتضحية والجهاد والجود بالنفس من أجل الحقّ والمبادىء الشريفة هي أسمى معاني الإيمان. تذكروا أن العدل هو الإنصاف وليس القانون اي أن القانون ينبغي أن يقوم على الإنصاف وإلا فإنه لا يحقق العدل ..

(صدام حسين في المعتقل)



مصادقة نوري المالكي على قرار إعدام الرئيس صدام حسين

حصلت في تلك الفترة مراسلات عديدة بين السفارة الأمريكية والقادة العسكريين من الأمريكيين. ويبدو أن هؤلاء أدركوا في النهاية أنهم قد أخطأوا في غزوهم العراق، وما نتج عن ذلك من دمار وخسارة باهظة لكلا الطرفين، العراق وأمريكا، وأنه لا يمكن حكم العراق وإدارته بطريقة أفضل من إدارة صدام حسين لشعب يمثل أطيافاً متعددة خاصة وأن بعض مستشاري المحكمة الأمريكان قالوا إن تهمة الدجيل لا ترقى إلى المستوى الذي يمكن إدانة الرئيس فيه لأكثر من سنتين سجن.

قضية الدجيل كانت فصلاً من فصول التآمر على الرئيس داخل المحكمة الأمريكية الإيرانية. فالرئيس قد تعرّض لمحاولة اغتيال من إعداد حزب الدعوة المحظور الموالي لإيران حين كان العراق يخوض حرباً ضروساً مع إيران. وكان من عادة الرئيس أن يزور مختلف مناطق العراق بلباسه العسكري آنذاك. ومثل أي قائد يتعرض لمحاولة اغتيال، فإن السلطات المختصة هي من يقوم بالتحقيق للوصول إلى كافة التفاصيل، ومن ثم تقوم السلطات القضائية المستقلة بأخذ دورها وفقا للصلاحيات المنوطة بها. ومثل أي رئيس دولة، فإن صدام حسين لم يتدخل بمجريات التحقيق ولا بقضايا الاعتقال أو الحكم على المتهمين. لكنه كرئيس دولة، يمارس سلطاته وصلاحياته التي خولها له الدستور النافذ، أي المصادقة على الأحكام القضائية أو تخفيف الأحكام أو الإعفاء حسب قناعته. فعندما أوجد الدستور هذه الفرصة وأناط بها رئيس الجمهورية حصراً، فإنما لتكون الفرصة الأخيرة أمام

المتهم كي يستفيد منها. وفي هذه القضية بالذات، فقد صادق الرئيس على بعض الأحكام، وعفا عن البعض. وكما نعلم، فإن حزب الدعوة حزب محظور في العراق وفق القانون الذي يقضي بإنزال عقوبة الإعدام بمن يثبت إنتماؤه له، وذلك بسبب ارتباطه بالعدو (إيران) الذي اعتدى على العراق وكانت تدور معه حرب طاحنة بعد عدوانه. كما ارتكب أعضاء هذا الحزب (وأغلبهم من الهاربين من الخدمة العسكرية في زمن الحرب) جرائم منكرة بحق أبناء الشعب بالتفجيرات الإرهابية في عدد كبير من الأماكن العامة والحكومية مثل جامعة المستنصرية والوزيرية ومبنى الإذاعة ومقر وزارة الإعلام وغيرها. يقول الرئيس في مداخلة له في جلسة المحاكمة بتاريخ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٥: «عندما يطلق النار على رئيس الجمهورية وحتى الرئيس الذي عينته أمريكا، ألا يجري تحقيق في ذلك، أليس من حق الأجهزة الأمنية أن تتابع وتحقق في حادث كهذا. المسؤول الأول هو صدام حسين لأنه كان باستطاعته أن يأمر بعدم التحقيق وعدم المصادقة على حكم الإعدام، فلا يجوز أن تستمروا في هذه اللعبة، فإذا أردتم رقبة صدام حسين فلكم ما طلبتم، وإذا أردتم أن تحاسبوا، أو إذا أراد الأمريكان أن يحاسبوا، فإنني مسؤول مارست صلاحياتي الدستورية والقانونية كرئيس للعراق ..».

لكن، بعد سيطرة حزب الدعوة على حكومة الاحتلال وأجهزتها ومنها هذه المحاكمة المهزلة، كان من الطبيعي أن يدفع باتجاه إعدام الرئيس. لكن هيئة الدفاع عن الرئيس، بكل إمكانات أعضائها الفردية وإمكاناتهم الجماعية كهيئة دفاع، قاموا بتفنيد أكاذيب المحكمة وأباطيلها. وكان لشهود الدفاع دور كبير في إحراج القائمين على المحكمة، مما دفع بهؤلاء بعد أن فقدوا صوابهم، بسجن الشهود. وهذا السلوك لم تشهده ساحات القضاء في أي بلد وفي أي زمان.

ألاعيب ودسائس

كنت في عمّان يوم ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٦، فاتصل بي شخص اعتقدت للوهلة الأولى أنه ربما يكون صحفياً أمريكياً من صحيفة نيويورك تايمز أو من صحيفة واشنطن بوست أو إحدى محطات التلفزة الأمريكية، خاصة ورقم الهاتف يشير بأنه

رقم أمريكي. كان المتكلم يعمل مترجماً لإحدى الشخصيات الأمريكية المهمة في المحكمة، وهذا المترجم من أصول عربية ويحمل الجنسية الأمريكية، ويتكلم من السفارة الأمريكية في المنطقة الخضراء. وقد طلب مني موعداً لألتقي مع شخصية ستأتي إلى عمّان خصيصاً لمقابلتي ومن ثم تغادر إلى قطر للالتقاء بالمحامي الأستاذ نجيب النعيمي. وأخبرني أن هذا الشخص سيأتي إلى عمّان في ٦/ ٥/ ٢٠٠٦. في ذاك اليوم، اتصل بي الشخص وكان يدير دفة المحكمة بكل تفاصيلها، واتفقنا أن نلتقي في اليوم التالي، أي يوم الأحد في ٧/ ٥/ ٢٠٠٦.

كانت المحكمة تمر آنذاك بظروف عصيبة، من إقالات واستقالات لقضاتها، بالإضافة إلى المخالفات الخطيرة التي ترتكبها المحكمة، بعد أن أبلى شهود الدفاع بلاء حسنا في دحض الأدلة المزعومة رغم تزويرها. التقيت مع هذا الشخص في أحد فنادق عمّان، يرافقني أحد الزملاء المحامين، بالإضافة إلى مترجمة أحضرتها برفقتها سكرتيرة السيدة رغد لتقوم بالترجمة. قال لنا: بصفتي مستشاراً قانونياً، فإن الأمريكان يدفعون لي راتباً شهرياً كبيراً وأنا لست أمريكياً!! (من المخابرات الأمريكية)، ومهمتي مساعدة الدفاع، راجياً أن يكون هذا اللقاء سرياً بعيداً عن الإعلام، وكذلك ألا يعلم به المحامون المعينون من المحكمة أو حتى المحكمة ذاتها. كنت وزميلي حذرين مما سيقوله. وكان قرارنا أن نستمع إليه من دون إعطاء أية ردود قبل استشارة زملائنا المحامين وإخبارهم بالتفاصيل كافة. ثم استطرد (المستشار) في حديثه قائلا: إنني مهتم بالمشاكل التي تواجهكم في المحكمة، وأسعى لإيجاد نقطة التقاء بين الطرفين، وأطلب منكم أن تركّزوا على الجوانب القانونية وعلى الإثباتات التي تدين الادعاء العام، لأن كل أدلتهم ضعيفة ومهلهلة ويمكن نسفها ببساطة، ولا يوجد أدلة لما تقدم به الادعاء. ثم تابع قائلا: إن أقصى عقوبة يمكن أن يأخذها صدام في هذه القضية هي السجن لمدة سنتين. ولكن أنبهكم إلى القضية الثانية وهي (الأنفال). ففي قضية الدجيل، فإنني أطمئنكم أن الرئيس ليس مستهدفاً وإنما المستهدف منها هو برزان. وعليكم الحذر من (الأنفال) لأن فيها أسلحة غير تقليدية، وأرجو أن تلتزموا الهدوء داخل المحكمة.

قلنا له إن لدينا مشاكل كبيرة مع الجانب الأمريكي الذي يمنع تبادل الأوراق والوثائق القانونية والمذكرات بيننا وبين الرئيس ورفاقه، فضلاً عن عدم تأمينه حماية للمحامين، فقال: بخصوص الحماية للمحامين، بإمكانكم أن توجهوا كتاباً إلى الكابتن Lee (ضابط مارينز برتبة نقيب من أصول صينية)، فهو المسؤول عن حمايتكم. أما بخصوص تبادل الأوراق والوثائق وأية أوراق حتى ولو كانت بيضاء، مع صدام، فالأمريكان يخشون عليه من أن يقوم أحد ما بتسميم الورقة، وإعطائها لكم لتوصلوها إليه. قلنا: حسناً، إذن استنسخوا هذه الأوراق وسلموه النسخ المصورة غير الملوثة، وقوموا بعدها بفحص الأوراق الأصلية الموجودة لديكم. بالإضافة إلى أن الأوراق الموجودة مع الرئيس، أنتم من زوده بها، وبالتالي فهي غير ملوثة، فلماذا لا تسمحون لنا باستلامها منه. وطرحنا أسئلة كثيرة تتعلق بالعراقيل المتعلقة بعمل هيئة الدفاع من تزوير متعمد للوثائق، وازدواجية التعامل داخل المحكمة بما يخص هيئة الدفاع والادعاء العام. وفي نهاية اللقاء قال: يجب أن تقوموا بفك الارتباط بينكم وبين موكليكم، أي أن لا يدافع المحامي عن متهم آخر (إن تعاضد المحامين وتنسيق الخطط بينهم، أربك المحكمة ومستشاريها). وأضاف: فمثلاً على المحامي الذي يدافع عن صدام أن لا يدافع عن برزان أو رمضان أو أي متهم آخر، وأعتقد أن المتهم الرئيسي الذي سيدان في هذه القضية هو برزان.

قبل أن ينتهي اللقاء الذي استمر عدة ساعات، قلت له: عليك أن تبلغ الأمريكان بأن وحدة العراق ومستقبله وصدام حسين هي خط أحمر.

وهنا يطرح السؤال، إذا كان الأمريكيون يدركون أن قضية الدجيل تنفي التهمة عن الرئيس، فلماذا سارعوا بتسليمه لأعدائه من أجل إعدامه، وتبرئة ذمتهم من قتله..

إن القاصي والداني يعلم أن قرار إعدام الرئيس صدام حسين كان معداً سلفاً، وأن من شكل المحكمة بهذه الصورة هم أعداء الرئيس، وأن محاكمة الرئيس كانت تمويهاً ليقال إن الرئيس نال محاكمة عادلة. لكن قرار إعدامه السريع كان مفاجأة خاصة والأمريكيون مقتنعون أن قضية الدجيل لا تستوجب الاعدام، وهي القضية الأولى من سلسلة قضايا كان سيحاكم عليها الرئيس لاحقاً.

هذا هو السيناريو الذي أعدوه، وهو توزيع الإدانات على القضايا. وكما قال الرئيس صدام حسين، فإن الأحكام ستكون على الأسماء وبالتوزيع على القضايا المزعومة. والسؤال هو لماذا تأخر إصدار الحكم من شهر حزيران إلى شهر تشرين الثاني ؟

ثمة معلومات تفيد أن أطرافاً في قيادة الحزبين الكرديين، بالإضافة إلى أطراف أخرى محلية وإقليمية، نصحوا الإدارة الأمريكية بإعدام الرئيس في قضية تحسب على طائفة عراقية أكبر بكثير من الأكراد، وذات أحزاب أكثر استعدادا لتحمل تبعات ذلك، لثقتهم أن غالبية أبناء الشعب الكردي وبنسبة قد تصل إلى ٩٠ بالمائة لا تقبل ذلك .

أمريكا وإيران وحلبجة والمحامون

ونسأل: هل ثمة صفقة بين الأمريكان والإيرانيين لكي يتقاسما العراق بينهما مما يساعد الأمريكيين على الخروج من ورطتهم الكبرى في العراق ؟

لقد تأكد للأمريكيين صلابة موقف الرئيس، وأنه من داخل سجنه يتواصل مع أبنائه أبطال المقاومة ويؤثر في الشارع العراقي، وأن صلابته وإيمانه بعدالة قضيته وموقفه الشجاع داخل المحكمة، تركت كلها تأثيراً كبيراً لدى رفاقه الأسرى داخل المعتقل، وأثراً هائلاً لدى الشارع العربي وأحرار العالم من صحفيين وكتّاب وبرلمانيين وسياسيين ورؤساء دول عديدة، حتى إن الكثيرين من الضباط الأمريكيين ممن كانوا يلتقونه داخل السجن، قد أخذوا يتعاطفون معه ويعجبون بشخصيته. إن التعجيل في إعدام صدام حسين في قضية الدجيل له تفسيرات عديدة. فلو حضر الرئيس قضية الأنفال، فإنه من المحتمل أن يتطرق إلى أمور قد تحرج الكثير من الدول، ومنها الولايات المتحدة التي كانت تزود العراق بصورة غير مباشرة عن طريق بعض الدول العربية بمعلومات وهمية عن تحرك ومواقع الجيش الإيراني. وفي الوقت ذاته، كانت أمريكا وإسرائيل تمدان إيران بالأسلحة (إيران غيت)، أي كانت أمريكا تمارس سياسة مزدوجة، وتسعى لاستنزاف طاقات وموارد البلدين، العراق وإيران، في آن واحد، من أجل الاستفراد والهيمنة الكاملة على مقدرات

دول الخليج العربي، والاقتراب من آسيا الوسطى والتحكم بمصير روسيا والصين، وإضعاف العراق وإيران ليبقى الكيان الصهيوني القوة الوحيدة في المنطقة.

بالإضافة لذلك، كان من المحتمل أن يتطرق الرئيس صدام حسين إلى بعض المعلومات التي يعرفها زعيما الحزبين الكرديين حول بعض تفاصيل المفاوضات بين القيادتين الكرديتين والحكومة الوطنية في بغداد. ومنها أن الرئيس طلب ذات يوم أن يكون جلال طالباني شاهداً في التحقيق في قضية الأنفال. كما أن الرئيس كان سيتطرق إلى معلومات ووثائق موجودة لدى وزارة الخارجية الوطنية العراقية، حول موضوع حلبجة، قد تحرج الأمريكان والألمان ودول أخرى لها علاقة بموضوع حلبجة بالذات، وهناك سر خطير ووثيقة في غاية الأهمية ولا يعرف هذا السر إلا جلال طالباني. وإذا ما تم فتح قضية حلبجة فإن الرئيس سيكشف ذلك السر وسيدان فيه جلال طالباني. ولذلك قامت أمريكا وتابعوها بفصل موضوع الأنفال عن موضوع حلبجة كي لا يتطرق الرئيس إلى الموضوع الأخير. وعليه جاءت النصيحة بإعدام الرئيس. وقد شارك بهذه النصيحة قيادات عربية معروفة!.

وأشير هنا إلى أن إيران كانت تسعى جاهدة ألا يطرح موضوع حلبجة في المحكمة. وحسب ما وردني، فإن السلطات الإيرانية التقت ببعض أعضاء هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين من المحامين العرب قبل توحيد الهيئتين العربية والدولية، في باريس، وعرضت عليهم ملايين الدولارات مقابل عدم التحدث في قضية حلبجة، وإلقاء مسؤوليتها على مجاهدي خلق إذا ما أثير الموضوع. وكانت المخابرات الأمريكية قد أرسلت فريقاً أخذ عينات من التربة والزرع والمصابين في حلبجة، وقاموا بتحليلها. وثبت أن الغاز المستعمل لا يمتلكه العراق، بل تستخدمه إيران في قواتها المسلحة، وهو ما يعرف بغاز السيانيد، وقد صرح بذلك الجنرال الأمريكي ستيفن بلليتير. وفي هذا الصدد، نذكر ما قاله الرئيس صدام حسين في لقائه مع السناتور بوب دول عام ١٩٩٠، حين سأله الأخير حول استخدام العراق الغازات في حلبجة، فكان جواب الرئيس أن العراق على استعداد أن يهيء للوفد طائرات هليكوبتر تنقلهم إلى حلبجة وإلى المدن الكردية ليقابلوا الناس هناك، ويأخذوا عينات من التربة ليتأكدوا أن العراق لم يستخدم هذه الغازات.

مقابل كل مواقف الرئيس الصلبة، اقتنع الأمريكيون باستحالة مساومته وخاصة في قضية تصاعد المقاومة العراقية وامتدادها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، واستحالة اندلاع حرب أهلية بين مختلف مكونات الشعب العراقي. كذلك تأكد لهم استحالة اختراق القيادة العراقية وجميع الأسرى داخل المعتقلات الأمريكية، كي يكونوا شهود زور ضد الرئيس رغم المغريات والوعود والتهديد والابتزاز، ورغم ضعف البعض في المرحلة الأولى بسبب حجم الضغوط التي كان يتعرض لها الأسرى، خاصة وقد تعلموا من موقف الرئيس بأنه لا يساوم بأي ثمن على أرض العراق وحريته. وكان الرئيس قد أصدر أوامره إلى جميع العراقيين، بعثيين وعسكريين ورجال المقاومة وغيرهم بعدم التفاوض مع الأمريكان، وحصر موضوع التفاوض بشخصه ورفاقه داخل المعتقل، لكي يحرم الأمريكان من تحقيق اختراق للمقاومة بكشف قياداتها وجرها إلى المساومات المهينة. وقد اقتنع الأمريكيون أن أية مساومة مع الرئيس أمر مستحيل، وأن التفاوض لن يحقق أغراضهم ومطامعهم في العراق.

لقد التقت أجندات عدة حول إعدام الرئيس، وهي أجندات الإدارة الأمريكية، وإسرائيل، والنظام الإيراني الصفوي، وأطراف كردية من الحزبين، ومليشيات إيران العاملة في خدمة الاحتلال الأمريكي في العراق، وعملاء أمريكا وبريطانيا .

وخلافاً لمسؤولياتها القانونية بموجب اتفاقيات جنيف، قامت أمريكا بتسليم أسير الحرب الرئيس صدام حسين إلى خصومه وأعدائه الحاقدين عليه وعلى شعب العراق، لكي يغتالوه في أقدس يوم عند المسلمين في كل أنحاء العالم، ولتوجيه إهانة لكل العرب والمسلمين، وإيصال رسالة إلى زعماء العالم وخاصة الزعماء العرب بأن هذا هو مصير من يخرج عن بيت الطاعة الأمريكي، ورسالة إلى أبنائه وأشقائه من أبناء شعبه والمقاومة العراقية بجميع فصائلها في محاولة لإرباكهم وهز إيمانهم وعزيمتهم. ولكن ما حصل كان العكس تماماً. فها هو شعب العراق يزداد تماسكاً وقوة، وها هي المقاومة بجميع فصائلها تتوحد وتزداد قوة وبأساً وثباتاً وإيماناً.

صفقة قتل الرئيس

ونعود هنا إلى رواية المصادر الأمريكية لما حدث في الساعات الأخيرة :

تشير المصادر الأمريكية، في محاولة لإلقاء مسؤولية ارتكاب جريمة قتل رئيس الدولة الشرعي بكاملها على حكومة الاحتلال الموالية لإيران، إلى أن عدداً من كبار الضباط الأمريكيين ضغطوا على السفارة الأمريكية للاتصال بواشنطن لتأجيل تنفيذ عملية قتل الرئيس. وتذهب هذه المصادر إلى حد القول إن بعض هؤلاء الضباط أوحى بأنه سيرفض تسليم الرئيس إلى حكومة المالكي، وأن الحاكم الأمريكي الفعلي للعراق زلماي خليل زاد، سفير أمريكا في المنطقة الخضراء قد فشل في إقناع المالكي بتأجيل عملية القتل. وتقول المصادر ذاتها في تشخيص هو أقرب إلى الحقيقة إن زعماء المليشيات والعصابات الإيرانية المهيمنة على حكومة الاحتلال قد وقعوا على صفقة مفتوحة مع الرئيس الأمريكي بوش لدى زيارته إحدى العواصم العربية. وشارك في هذه الصفقة المالكي وعبد العزيز الحكيم ومقتدى الصدر بصورة غير مباشرة (عن طريق المالكي).

وأمام التعهدات المفتوحة بخدمة الاحتلال الأمريكي وأهدافه ومصالحه في العراق، جاء جواب بوش: «سلموهم رأس صدام». وقد سبق وأعلن بوش قبل عام أن المهمة ستنتهي مع نهاية عام ٢٠٠٦. فعن أية مهمة يتحدث غير قتل الرئيس صدام حسين. ومهما قيل عن الصفقات وجريمة اغتيال الرئيس، إلا أن أمريكا تبقى هي المسؤول الأول والمجرم الأول في قتل الرئيس وتدمير العراق وتشريد شعبه وسرقة ونهب خيراته.

يقول الأستاذ مازن شندب في كتابه «الأعاصير» الصادر عام ٢٠٠٧، إن «...سيناريو هذا الفعل الاستباقي الإيراني يبدأ من الموقف الذي كان قد اتخذه مقتدى الصدر من لقاء كان مقرراً أن يتم بين الرئيس الأميركي جورج بوش ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي في العاصمة الأردنية عمّان في أواخر شهر تشرين الثاني، حيث هدد مقتدى الصدر بتعليق عضوية وزرائه في الحكومة فيما لو تم اللقاء. ونفذ مقتدى الصدر تهديده بعد حصول اللقاء بين الرجلين، لكن أحد أعضاء

الكتلة الصدرية نصار الربيعي أعلن في ما بعد، وبالتحديد في ١٤ كانون الثاني، أي بعد أسبوعين على إعدام صدام حسين، وقبل يوم واحد من إعدام «برزان» و «عواد البندر»، أعلن عن عودة قريبة للصدريين إلى الحكومة والبرلمان. وتمت العودة بالفعل في ٢١ من الشهر نفسه، فطرحت هذه العودة السؤال الذي لم يتوقف عنده أحد: لماذا تراجع مقتدى الصدر وعاد وزراؤه ونوابه إلى الحكومة والبرلمان بعدما انسحبوا منهما احتجاجاً على لقاء المالكي-بوش؟ .. من يريد جواباً شافياً لكل هذه القطب المخفية، عليه أن يقتنع بأن تهديد مقتدى الصدر بالانسحاب من الحكومة والبرلمان لم يكن إلا شيفرة لرسالة شديدة اللهجة وسرية للغاية حملها مقتدى لنوري المالكي قبل أن يتوجه هذا الأخير للقاء بوش، وتقول الرسالة الصارمة: «إذا لم يسمح الأمريكيون بتنفيذ حكم الإعدام بحق صدام في أول أيام عيد الأضحى، فسيعلن شيعة العراق الحرب على أكثر من ١٥٠ ألف جندي أميركي في العراق». وبالطبع لم يكن أمام بوش من خيار سوى القبول الاضطراري بتهديدات مقتدى، وهو القبول الذي عكسه مقتدى الصدر بعودة وزرائه إلى الحكومة» (ص٢٥٠-٢٥٢).

كان الرئيس صدام حسين في معتقله في الطابق الأرضي في بيت له على بحيرة النور، وهو يقع على الجانب الأيسر من الجسر العائم على تلك البحيرة. وهذا البيت (المعتقل)، أخفي وجرى تمويهه من الخارج لكي لا تكتشف أمره الأقمار الصناعية التابعة لدول أخرى التي قد تقوم بتزويد صور هذا الموقع للمقاومة العراقية أو لإيران. كذلك جرى تمويهه من الداخل بتغطية جدرانه ونقوشه بالفلين كي لا يتعرف عليه الرئيس، لأنه هو من أشرف على بنائه، وخشية أن يزود محاميه بهذه المعلومة ليسهل تحديد الهدف على المقاومة.

آخر طلب للرئيس

في الساعات الأولى من ليلة الجمعة، قبل الإعدام، اصطف بعض الضباط الأمريكان، منهم قائد المعتقل، وقاموا بتوديع الرئيس الذي طالب بتوديع أخويه برزان وسبعاوي.. وتمضي الساعات. وقضى الرئيس تلك الليلة كعادته على سريره

بعد صلاة العشاء يقرأ القرآن .. بعد أن أبلغه الضابط الأمريكي، قائد المعتقل بأن موعد الإعدام سيكون فجراً. كان حراسه الأمريكان يراقبونه بكل حذر اعتقاداً منهم بأنه ربما يشنق نفسه.. في الرابعة فجراً، قدم إلى غرفة الرئيس، قائد المعتقل، وأخبره بأنهم سيسلمونه للعراقيين، وسأله عما يطلب. توضأ الرئيس وأخذ المصحف وقرأ ما تيسر له في ذلك الوقت القصير. ثم طلب أن تسلم حاجياته الشخصية إلى محاميه ومن ثم إلى كريمته رغد. وطلب منهم أن يبلغوا كريمته بأنه في طريقه إلى الجنة للقاء ربه بضمير مرتاح ويد نظيفة، وسيذهب بصفته جندياً يضحي بنفسه وعائلته من أجل العراق وشعبه.

ارتدى بذلته الرمادية مع قميصه الأبيض ومعطفه الأسود، ووضع صداري بغدادية على رأسه، ثم ارتدى السترة الواقية التي كان يرتديها حين يذهب إلى المحكمة أو حين لقاء محاميه في معسكر كروبر جنوبي مطار بغداد الدولي.

صعد، وأفراد حراسته الأمريكان إحدى العربات المخصصة لنقل الرئيس، وهي مدرعة تحمل علامة الصليب الأحمر الدولي، ثم نقل بعدها إلى إحدى طائرات البلاك هوك الأمريكية حسب المصدر الأمريكي نفسه، وقد طلب منهم عدم تغطية عينيه.. تأمل بغداد.... وربما تلقي بغداد على ابنها الراحل نظرة حب أخيرة .. اخترق سماء بغداد، كأنه كان يلقي عليها نظرة الوداع الأخيرة، كأن هذه المدينة التي بناها وأعزها ومنحها عمره .. ترحل رويداً رويداً .. تتوارى بعيداً. وما هي إلا دقائق معدودة، حتى حطت الطائرة في معسكر أمريكي يقع داخل منظومة الاستخبارات العسكرية السابقة الواقعة على الجانب الغربي لنهر دجلة في منطقة الكاظمية، حيث قسمت هذه المديرية في زمن الاحتلال إلى ثلاث مناطق، إحداها أصبحت معسكراً أمريكياً، والثانية تتبع لما أسموه بقوات حفظ النظام، والقسم الآخر يتبع دائرة الحماية القصوى التابعة لوزارة العدل في حكومة الاحتلال.

ترجل الرئيس من الطائرة في المعسكر الأمريكي، فغطوا عينيه بنظارات داكنة يستخدمها الجيش الأمريكي عند نقل الأسرى من مكان إلى آخر. كان الرئيس محاطاً بعدد من الأمريكيين (رجال الشرطة العسكرية) (المارشال). وأدخل

إلـى دائرة الحمايـة القصـوى، وهنا انتهـى دور الحـراس الأمريكان عنـد أول بوابة، فعادوا أدراجهم.

تسليم الرئيس لحكومة الاحتلال

بعد نزع سـترة الرئيس الواقية والنظارة، أدخل إلى أول قسـم فـي الدائرة وهو مكافحـة الإرهاب، وهذا القسـم مختص بتنفيـذ الإعدام (عمليات القتـل) بحق قادة وأبطال العراق الذين تصدر بحقهم أحكام الإعدام من المحاكم الهزيلة غير الشرعية فـي زمن اللاشـرعية هـذا. كانـت السـاعة الخامسـة والنصف فجـراً. وحيـن دخول الرئيس، شاهد أقفاصاً حديدية فيها رجال من العراقيين والعرب المقاومين، الصادرة بحقهم أحكام الاغتيال.

نظـر إليهم الرئيس مبتسـماً وباعتزاز، فقد عـرف مواقفهـم البطولية من خلال وقوفهـم هنـاك. وأكمـل سـيره باتجـاه إحـدى الغـرف .. هـو الآن محـاط بحراسـة مـن المليشـيات الطائفية الذين كانوا يشـتمونه بسـبب الحـرب العراقيـة الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي. حين دخل الرئيس إحدى الغرف التابعة للحماية القصوى، وجد أمامه المحامـي منير حداد الذي أصبح قاضي تحقيق فـي زمن الاحتلال، أعلن فـي إحدى جلسـات التحقيق في قضيـة (ترحيل الكـرد الفيليين) مـع الرئيس صدام حسين عام ٢٠٠٥، أنه يقيم في دولة خليجية، وأنه مليونير ولن يؤثر أحد على قراره. ثـم أضاف قائلاً للرئيس: كفى يا صدام تتكلم بالسياسـة. لقد تكلمت خمس وثلا" سنة، وشبعنا من هذا الكلام، والآن أنت متهم بجرائم حرب.

في تلك الأثناء، كانت فرق الموت من ميليشـيا جيش المهدي تحيط ب[illegible]رية الاسـتخبارات العسـكرية، وقد عقـدت العزم علـى اقتحـام المديرية حيـث [illegible]جد الرئيس لاختطافه وتسـليمه إلى إيـران مقابل مبالغ خيالية. وقـد تدخل المالكي لدى مقتـدى الصـدر تجنبـاً لفضيحة مدويـة تضاف إلـى فضائحهـم في العـراق، وكي لا يغضـب الأمريـكان أيضاً. وقـد تأخرت جريمـة الاغتيال بعض الوقـت لحين مجيء مقتـدى الذى تنفي بعـض المصادر وجـوده لأسـباب معروفة كي لا تحـرج حكومة الاحتـلال ولا حتـى الاحتلال نفسـه. ثم جـاء مقتدى ومعه حراسـه، وحينما شـاهد

الرئيس جالساً يقرأ القرآن، قال له: ها شـلون الطاغية؟، نظر إليه الرئيس باحتقار مما حدا بأحد حراسه بضرب الرئيس بعقب بندقيته على رأسه.

طلـب القاضي منير حداد من الرئيس أن يجلس على الكرسـي المخصص له. ثـم تلا عليه قرار حكم الاغتيال الباطل وتوقيع نـوري المالكي عليه من دون مصادقة مجلس ما يسمى بالرئاسة كما حدد ذلك قانون المحكمة المهزلة ذاتها.

كيف تصرف الرئيس بمواجهة السفاحين

بـدأ الرئيس عندهـا يهتف: يحيا الشـعب، عـاش الجهاد، تعيـش الأمة، عاش العراق، عاشـت فلسـطين حرة عربية، يسـقط العملاء .. ثم: نحن في الجنة وأعداؤنا فـي النـار. وهتـف بوجـه القاضـي والمدعـي العـام: يسـقط الفـرس والأمريـكان والعمـلاء.. أدخـل الرئيس بعدها إلـى الغرفة المشـؤومة ليواجه أمامـه كل قادة فرق الموت ومنهم: عبد العزيز الحكيم، موفق الربيعي، علي الدباغ، سـامي العسـكري، بهـاء الأعرجي ومريم الريس، وكذلك منقذ الفرعون. ولـم يتواجد أي إمام سـني كما ادعوا . بالإضافة إلى ضبـاط مخابرات إيرانيين يجيدون اللغة العربية وتحت أسـماء عراقيـة، تواجـدوا للتأكد من شـخص الرئيـس وأنه ليس الشـبيه كما أشـيع. وهؤلاء الضبـاط الإيرانيون حضـروا كل حالات الإعدام التـي نفذت في أعضـاء القيادة، بل قامـوا بالتحقيق مع السـيد برزان قبل ذبحـه بالسـكاكين والتي قال عنهـا علي الدباغ إنها، حالة انفصال الرأس عن الجسـد، حالة نادرة الحدوث، وأحد هؤلاء من ضباط المخابرات الإيرانية، كان قد صعد إلى منصة الإعدام ووجهه مظللاً. ومن أبرز هؤلاء الضباط، الضابط الكبير أحمد فروزندة، مسـؤول الإطلاعات (المخابرات) الإيرانية في العراق. وقد اجتمع فـور مجيئه من أوروبا وقبل تنفيذ الجريمة، مع أحمد الجلبي وموفق الربيعي وجـلال الدين الصغير، وضغط عليهم للإسـراع فـي تنفيذ الاغتيال. وحضر كذلك عـدد من قادة جيش المهدي وعلي الأديب وخضير الخزاعي وصادق الركابي وأشخاص آخرون من السـفارة الإيرانية. أما السبب الرئيسي لمنع المحامين من الحضور، أو حضور أي شـخص من الطائفة السـنية، فقد كان بسـبب وجود قادة كبـار من المخابـرات الايرانية والحرس الثـوري وقادة فيلق القـدس الإيراني ومنهم

الجنرال سليماني. وقد قام هؤلاء بالتحدث مع الرئيس قبل صعوده سلم الشهادة باللغة الفارسية كي يرسلوا رسالة واضحة للرئيس بأن مصيره النهائي ومصير العراق أصبح بيد إيران. وهذه الفضيحة تكتم عليها الاحتلال وحكومته.

الرئيس يصعد سلم الشهادة والمجد

مشى الرئيس صدام حسين بكل كبرياء وشموخ، مستقبلاً قدره بإيمان عميق. واستقبلته هذه الجماعات بالشتم والكلام البذيء والهتافات المعادية، بل حاول بعض هؤلاء المسؤولين وقادة فرق الموت الاعتداء على الرئيس وضربه، وهو مكبل اليدين، لكنه كان صامداً شامخاً رابط الجأش. رد عليهم قائلاً: أنتم خونة.. عملاء.. أعداء الشعب.. تسقط أمريكا وعملاؤها.. مؤشراً برأسه إليهم. وكان موفق الربيعي يشتمه متشفياً، قال له الرئيس.. أنتم إرهابيون.. إرهابيون.. ثم.. تعيش المقاومة.. يعيش الشعب.. يعيش العراق.. تعيش فلسطين.. تعيش الأمة العربية. ثم أضاف إنه خدم العراق، وقام ببنائه.

في تلك الأثناء، قام مصور المالكي (علي المسعدي) بتسجيل اللقطات وتصويرها. ثم فك سفاحو الميليشيات الأصفاد من الأمام، وأوثقوا يدي الرئيس من الخلف، واستبدلوا السلسلة التي كانت تتدلى بين قدميه بوثاق آخر خاص بحالات الإعدام. طلب الرئيس من المدعي العام منقذ الفرعون تسليم القرآن الذي كان برفقته إلى أحد الأشخاص، (المحامي بدر البندر) كي يقوم بتسليمه إلى عائلته.

وقف الرئيس أمام حبل المشنقة، بكل شموخ وصبر وإيمان، كما شاهده العالم أجمع. وهذا المشهد العظيم للرئيس، كان عكس ما قاله الربيعي من أن الرئيس صدام حسين بدا خائفاً. صعد إلى المشنقة وهو يقول: يا الله يا الله. وقف أمام الحبل بكل شجاعة، وبعزيمة قوية لا تلين، كالطود الشامخ، كنخلة عراقية سامقة.. وكانت تلك الوقفة الجبارة عكس ما توقعه المتآمرون.. الحاضرون.

كان أفراد العصابة الأربعة الموجودين أمام الرئيس ومن خلفه، من كبار قادة فرق الموت (جيش المهدي). قام رياض النوري صهر مقتدى الصدر بوضع حبل المشنقة حول عنق الرئيس، ولكي لا ينفضح أمرهم إرتدى الجميع أقنعة الجريمة.

ومهما تكتموا أو نفوا ذلك فإننا متأكدون مما حدث بالفعل، ومن حضور مقتدى الصدر لتنفيذ الإعدام. أما الذي عدل الحبل بعد أن وضعوه حول عنق الرئيس، فكان مقتدى الصدر الذي وقف على الجانب الأيمن من الرئيس، وقد ارتدى قناعاً لإخفاء هويته، واشترط على المالكي أن يقوم بنفسه بتنفيذ عملية قتل الرئيس.

لماذا ٣٩ عقدة ؟!

رفض الرئيس وضع الكيس الأسود على رأسه، وسمح لهم أن يضعوه على عنقه تحت الحبل. هذا الحبل أخذه الأمريكان عن جندي صهيوني، وصنع بطريقة مخالفة للقانون من حيث الطول ونوعية الحبل وكذلك (الدركة) .. وقد وضع على عنق الرئيس كما أراد .. قبل ذلك، دخل إلى القاعة أحد الجنود الأمريكان من أصل يهودي، فأخذ يقيس طول الحبل حتى وصل إلى ٣٩ عقدة (وهو عدد الصواريخ التي أطلقها العراق على تل أبيب عام ١٩٩١، والتي كانت من أسباب حقد الصهاينة على الرئيس صدام حسين والسعي لإعدامه)[1]، فطلب من الحاضرين أن يزودوه بآلة قطع، فأعطاه أحد رجال العصابة سكين جزار، والتي كانت معدة ليقطعوا بها عنق الرئيس، ويفصلوا الرأس عن الجسد لكي يحتفلوا بعدها بحمل الرأس ويطوفوا به بمسيرات طائفية كبيرة في مدينة الثورة تشفياً به..

تقدم مقتدى ووضع الحبل حول عنق الرئيس بإحكام بعد أن تيقن من أن الذي سيعدمه بيديه هو صدام حسين وليس الشبيه. تقدم الرئيس بكل ثبات، ووقف فوق الباب الأفقي الذي تبلغ مساحته ٨٠×٨٠ سنتيمتر. هنا هتف أحد أفراد الحكومة (وليس الحارس كما زعم) بطريقة طائفية على الطريقة الإيرانية «بالصلاة على

---

(١) وجه الرئيس صدام حسين في ١٧/١٠/١٩٩١ رسالته الشهيرة إلى القوة الصاروخية العراقية أثناء العدوان الثلاثيني للمباشرة بقصف العدو الصهيوني. وهذا نص الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم. العميد الركن حازم عبد الرزاق. السلام عليكم. باشروا على بركة الله بضرب الأهداف داخل الكيان الصهيوني المجرم بأثقل ما يمكن من النيران مع ضرورة التنبه تجاه احتمالات الكشف وأن تنفذ الضربات بالعتاد التقليدي «الاعتيادي» للصواريخ ويستمر الرمي حتى إشعار آخر».

صدام حسين ١٧/١/١٩٩١. (الصورة مرفقة بخط يد الرئيس).

محمد وآل محمد»، ثم هتف آخر باسـم محمد باقر الصدر، وهتف الحاضرون باسم مقتدى.. بعد ذلك جرى سـجال بين هـؤلاء الحاقدين والرئيس صدام حسـين، مما دعا الرئيس للرد عليهم «مقتدى.. هيّه هاي المرجلة؟».. لم يسـلم الرئيس من هؤلاء الجلادين حتى وهـو يواجه قضاء ربه. وفي اللحظات الأخيـرة.: صرخ أحدهم وهو من كبـار حكومة المالكي الطائفية «إلى جهنم»، فأجاب الرئيس: «إلى الجنة إن شـاء اللـه فداءً للعـراق». عندها قـام اثنان من كبـار الحاضريـن بتصوير المشـهد بالهاتف المحمول حيث باع أحدهما الفيلم لإحـدى القنوات الفضائية بمبلغ ١٨٠٠٠ دولار أمريكي!

حاول منقذ الفرعون، نائب المدعي العام في المحكمة الطائفية غير الشرعية، إيقـاف الهتافات والتجاوزات ضد الرئيس صدام حسـين، على الأقـل أمام الكاميرا، وليس بحسـن نية قائلاً: اخوان .. أرجوكم، الرجل فـي حالة إعدام ، إلا أن نداءاته لم تلق آذاناً صاغية وسط الهرج والضجيج.

وهـذا ليس غريباً على هؤلاء الذيـن ما تزال فضائحهم مسـتمرة منذ أن تآمروا على العـراق وعلى نظامه الوطنـي، مروراً بهـذه المحكمة الهزيلة، حتـى إنهم كلفوا محامياً هو عبد الصمد الحسيني، ويحمل شهادة حقوق مزورة، ليقرأ ما يسمى بلائحة الدفاع عن الشـهيد صدام حسين التي أعدها الأمريكان بأنفسـهم بعـد أن قاموا بمنع محامي هيئة الدفـاع المتطوعين، ووضع كافة العراقيل أمامهـم لمنعهم من الوصول الى المحكمة.

هل شنق أم قتل ؟

نطق الرئيس بالشـهادة كاملة ولـم يدعوه يكمل النطق بالشـهادة للمرة الثانية .. هوى الجسـد الطاهر من تلـك الفتحة اللعينة، وقـد أطيل الحبل وبشـكل متعمد كي يسـقط الرئيس حياً علـى الأرض ويقتلـوه ركلاً. وفعلاً هوى الرئيـس على الأرض، ورفع رأسـه مبتسماً، إلا أنهم قاموا بركله وضربه بشـدة وخاصة موفق الربيعي ومريم الريـس حتى فـارق الحياة تحـت ضرباتهم وركلاتهم بعيـداً عن كاميـرا التصوير. ثم أعادوه جثة هامدة لتعلق على الحبل ليعطوا انطباعاً بأن الرئيس أعدم بطريقة قانونية.

بعد ذلك، قام الفرعون بقيادة مظاهرة شارك فيها الضباط الإيرانيون وعناصر فرق الموت الموالية لإيران، وحملوه على الأكتاف وهم يرددون عبارات إيرانية طائفية تعبر عن مدى عدالة ونزاهة وحيادية المحكمة التي نصبها الاحتلال وشكلها من ميليشيات وجهات مرتبطة بأعداء العراق: إيران وإسرائيل.

ثم أخذ جثمان الرئيس إلى بيت أحد قادة الميليشيات لإتمام العمل الفارسي المجوسي المشين.. وهناك استقبلت العصابة الإيرانية الصفوية الجثمان الطاهر لشهيد العراق والأمة بالشتم والركل وغرس الآلات الحادة (سكاكين) في أنحاء مختلفة من جسده الطاهر. وشارك في هذا كل قادة ورموز الأحزاب الإيرانية وقادة الميليشيات الصفوية وبقية جوقة السفاحين والجلادين وغيرهم من الإيرانيين الحاقدين على الإسلام والإنسانية. وكانوا أثناء ذلك يصرخون بطريقة هيستيرية. ثم قام بعض ضباط المخابرات والأخصائيين الإيرانيين بالتأكد من الجثة وهوية الرئيس. بعدها قاموا بقطع حنجرته بسكين خوفاً من أن يعود إلى الحياة.!![(1)].

كان مخططاً أن تتولى أجهزة وزارة الداخلية في حكومة الاحتلال عملية إعدام الرئيس صدام حسين بعد أن يرتدوا الزي الرسمي الخاص بوضع كهذا، إلا أن إصرار بعض قادة الميليشيات على إعدام الرئيس بأنفسهم، أربك مخطط حكومة الاحتلال.

دلالات المكان

إن تنفيذ عملية قتل الرئيس ورفاقه في مبنى الاستخبارات، كان له أكثر من مغزى، فضلاً عن أنه مطلب إيراني جاء بالتنسيق مع أتباعهم، حكومة الاحتلال. فقد جرت عملية القتل في مبنى الشعبة الخامسة في مديرية الاستخبارات العسكرية سابقاً في خطوة ذات دلالات تتصل بالحقد الصفوي على العراق وقائده. وهي

---

(١) يقول الأستاذ عبد الباري عطوان، رئيس تحرير جريدة القدس العربي، إن موفق الربيعي «اعترف بأن ممارسات مخجلة وقعت لجثة الرئيس بعد إعدامه من قبل حراس العدالة يتعفف عن ذكرها ويتبرأ منها». «إنه عزيز وهم الأذلاء» (طارق عزيز)، القدس العربي في ٢٠٠٨/٥/١.

الشعبة التي كانت تتولى تزويد القوات المسلحة العراقية بالمعلومات عن العدو الإيراني في أثناء الحرب العراقية الإيرانية. ولذلك فقد اختير هذا المبنى للدلالة على روح الانتقام الإيرانية من العراق الذي تمكن بقيادة الرئيس الشهيد صدام حسين من صد الحملة الخمينية الرامية لغزوه واستباحة أرضه ومن ثم غزو الدول العربية في الخليج والجزيرة.

في اليوم التالي، قام المالكي بالاحتفاء بهذا الحدث بعد أن أهان مع عصابته الإسلام والمسلمين يوم عيدهم الكبير، عيد الأضحى، إذ قام بتزويج ولده أحمد. وحضر الحفل جميع الإيرانيين الذين شاركوا في عملية الاغتيال وغيرهم، بعد أن قاموا بتأجيل عيد الأضحى إلى اليوم التالي خلافاً لكل الشعوب الإسلامية وللتقاليد الشرعية التي توجب عدم الاختلاف على الإطلاق حول تحديد موعد عيد الأضحى لارتباطه بشعائر الحج، وقاموا بذلك تناغماً مع المعتقدات الإيرانية التي تخالف الشعائر الاسلامية الحقيقية ومواقيتها.

أما إصرار المالكي ومن قبله الجعفري على إعدام الرئيس صدام حسين أثناء ولايتهما، فذلك لأن قضية الدجيل المزعومة هي قضية حزب الدعوة الذي ينتمي إليه المالكي والجعفري، وهذه كانت أحد بنود الصفقة الأمريكية-المالكية. ولهذا قال المالكي بعد اغتيال الرئيس إنه لا يأبه إذا تمت تنحيته من رئاسة الوزراء لأنه حقق ما يريد.

ثمة مداولات واتصالات أجرتها عائلة الرئيس ومحاميه الرئيسي مع دولتين عربيتين للتدخل لدى الإدارة الأمريكية لنقل جثمان الرئيس إلى اليمن ليوارى الثرى هناك. وأثناء ذلك اتصل سكرتير رئيس إحدى هاتين الدولتين بي معرباً عن أسفه وانزعاجه الشديد مما حصل.

استلم جثمان الرئيس الشهيد صدام حسين نائب محافظ صلاح الدين وشيخ عشيرة البو ناصر. وكانت فرق الموت (الميليشيات الطائفية وجيش المهدي) قد خططت للسيطرة على طريق بغداد-صلاح الدين، وقتل حملة الجثمان لاختطافه وأخذه إلى إيران، فالثمن ما زال جاهزاً وبملايين الدولارات، ولكن قيام الطائرات

الأمريكية بنقل الجثمان إلى القاعدة العسكرية في تكريت ، حال دون تنفيذ مآرب هؤلاء المجرمين.. وهناك في القاعدة الأمريكية، كان ينتظر جثمان الشهيد آلاف العراقيين ومعهم شيوخ العشائر وأبناء شرطة المحافظة الذين استلموا الجثمان وهم يجهشون بالبكاء وسط ذهول الأمريكان وهم يتابعون المشهد.

في وصيته لعائلته، كان الرئيس صدام حسين قد طلب أن يوارى جثمانه إما في مسقط رأسه، أو في مدينة الرمادي تكريماً لهذه المدينة التي انطلقت من أرضها هيئة الدفاع، ولأن المقاومة ركّعت الأمريكان وهزمتهم في معارك الفلوجة الباسلة وأخواتها من مدن محافظة الأنبار.

كانت مخاوف الغزاة وحكومة الاحتلال آخذة بالازدياد بعد استشهاد الرئيس، حيث انتفض الشعب في أغلب محافظات العراق ومدنه، منددا بجريمة الاحتلال وأعوانه، رغم التكتم الاعلامي وحظر التجوال والاجراءات الأمنية الصارمة.

وهنا جاءت التعليمات الأمريكية بعدم الموافقة على نقل جثمان الشهيد إلى خارج العراق، وأن يدفن في وقت متأخر من ليلة تسليمه أي في الساعة الثالثة والنصف فجراً في المكان الذي ولد فيه قائد العراق، أي في العوجة.

الرئيس وتسليم مسؤولياته الدستورية

بخلاف التكهنات والإشاعات التي ادعت بأن الرئيس الشهيد، بعد صدور قرار الاغتيال الجائر، أو بعد التصديق على قرار الاغتيال، أمر بتسليم مسؤولياته الدستورية في الحزب والدولة إلى السيد عزّة إبراهيم، فهذا كلام غير صحيح، لأن الرئيس الشهيد يعرف أن ذلك يخالف الواقع ويخالف دستور العراق والنظام الداخلي للحزب. فالدستور العراقي يمنح نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب القائد العام للقوات المسلحة ورئاسة الدولة صلاحية رئاسة المجلس والقيادة العامة للقوات المسلحة ورئاسة الدولة في حال تعذر فيها على الرئيس ممارسة سلطاته الدستورية بصورة مانعة (الأسر، الموت، الاستشهاد أو أي حال مانعة) من دون الحاجة لإصدار قرار إضافي. وبعد ممارسة النائب لسلطات الرئيس وأمين سر القطر

فعلياً، تجري عملية انتخابات جديدة، في وقت يتقرر في ضوء الظروف السائدة، لانتخاب يؤكد أو يغير الرئيس.

أما النظام الداخلي للحزب، فهو أيضاً يمنح نائب أمين سر القطر كافة صلاحيات أمين سر القطر في حالات تعذر ممارسته لصلاحياته ومسؤولياته الحزبية، وبصورة تلقائية، ويصبح (أمين سر القطر وكالة)، تجري بعدها انتخابات حزبية لأمين سر القطر بصورة أصولية.

ووفقاً للقواعد الدستورية ونصوص النظام الداخلي للحزب، وكاستحقاق، فإن السيد عزّة إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب القائد العام للقوات المسلحة قد شغل السلطات الخاصة برئيس المجلس وأمين سر القطر تلقائياً بعد أسر الرئيس، لأنها حالة تمنعه (أي الرئيس صدام حسين) بصورة كاملة من ممارسة صلاحياته الدستورية، واعتباراً من ١٣/١٢/٢٠٠٣ وهو تاريخ الأسر، لكي لا يكون هناك أي فراغ في القيادة سواء في الحزب أو في الدولة. وهذا ما أكده الرئيس الشهيد في اللقاء الأول معي في نهاية عام ٢٠٠٤، حين قال إن سلطاته انتقلت تلقائياً للسيد النائب. ثم جاء تأكيده خلال اللقاء الثاني في بداية عام ٢٠٠٥ بقوله: «قل «لأبو أحمد» أن يشغل مكانه الطبيعي وأن لا يترك أي فراغ يحصل».

له ألف رحمة .. فعلى المبادىء التي آمن بها، عاش .. وعلى المبادىء تلك.. استشهد.

يقول الأستاذ صلاح المختار: «إن الإنسان الموضوعي الذي رأى ذلك المشهد الفريد جداً (الإعدام)، وجد نفسه أمام سؤال لا يمكن التهرب من مواجهته وهو: هل هذا الإنسان، الشجاع بمستوى أعلى وأغرب من أساطير البطولة ذاتها التي قرأنا عنها في التاريخ، والرافض بوعي تام للمساومات، هو نفسه الذي صوره الإعلام الغربي المتصهين والإيراني العنصري الحاقد بشكل سلبي منفر لمن لا يعرف حقيقته؟ وأعقب هذا السؤال سؤال ثان: هل يمكن لمن يبتسم لحظة اغتياله وهو عارف أنه سيموت إلا أن يكون قديساً نقياً وتقياً وعظيماً بكل المقاييس الأخلاقية والمنطقية؟ ثم توالت الأسئلة بمتواليات هندسية: ما هي طبيعة المبادىء التي تربى عليها هذا

الأسطورة الحية والمعاصرة والتي جعلته يواجه الموت بابتسامة من يدخل عالم السعادة الأبدية؟ ما هي التكوينات النفسية لصدام والتي استطاع بها اختراق حدود المعقول والصعود إلى مستوى خارق للمألوف في البطولة والكبرياء والوطنية؟ ومن له مصلحة في شيطنة قديس معاصر في زمن لم يعد فيه أي قديس؟ وماذا فعل هذا الرجل الفريد جداً، في زمانه وفي ما مضى من أزمان، ليستحق الإعدام بطريقة بشعة على يد مثلث الشر الذي رقص فرحاً بإعدامه وهو أمريكا وإسرائيل وإيران؟»[1].

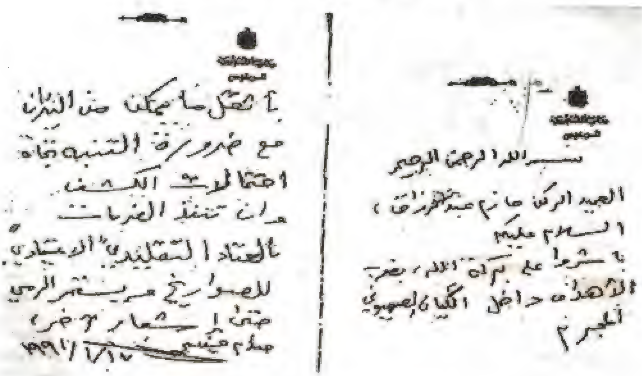
ويقول جيل مونييه، السكرتير العام لجمعية الصداقة الفرنسية العراقية: «سيترك صدام حسين أثر رئيس سعى لاستعادة مجد بلاد ما بين النهرين القديم، وليجعل من بغداد منارة العالم العربي. مات في المعركة، لكن لا مجال للشك بأن غيابه لن يغيّب رسالته»[2].

(١) «المناسبة ميلاد سيد الشهداء: الوجه الحقيقي لصدام»، شبكة البصرة، ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٧.

(٢) «صدام مات .. رسالته باقية» في لقاء أجراه معه دنيس غورتو على موقع info-efair que.



الرئيس صدام حسين قبل لحظات من اغتياله



بسم الله الرحمن الرحيم

العميد الركن حازم عبد الرزاق

السلام عليكم

١. شرعوا على بركة الله بضرب الأهداف داخل الكيان الصهيوني المجرم

٢. أطلق ما يمكن من النيران مع ضرورة التنبيه تجاه احتمال الكشف وأن تنفذ الضربات بالعتاد التقليدي الاعتيادي للصواريخ إلى أن يستقر الرأي حتى إشعار آخر

صدام حسين

١٩٩١/١/١٧

صورة عن رسالة الرئيس الشهيد صدام حسين في أيام العدوان الثلاثيني ١٩٩١

إلى قائد القوة الصاروخية العراقية لقصف العدو الصهيوني

الفصل السادس والعشرون

الوصيّة - الوثيقة التاريخية

أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جعلتكم تحملون الإيمان بجدارة، وأن تكونوا القنديل المشعّ في الحضارة، وأن تكون أرضكم مهد الانبياء إبراهيم الخليل وأنبياء آخرين على المعاني التي جعلتكم تحملون معاني صفة العظمة بصورة موثقة ورسمية فداءً للوطن والشعب.

(صدام حسين في المعتقل)

كتب الرئيس الشهيد صدام حسين وصيته بقلمه وجّهها إلى شعبه العراقي وأمته العربية وأبناء القوات العراقية المسلحة المجاهدة.

وجاءت الوصية وثيقة تاريخية شاملة لكل معاني المعركة الوطنية الإيمانية الجهادية التي خاضها العراقيون وما يزالون يرفعون لواءها بوجه القوى الاستعمارية والصهيونية والشعوبية الطامعة في خيرات العراق، والساعية لتدميره وتفتيته خدمة لأطماعها وأحقادها وللمشروع الصهيوني، والتي كان للرئيس الشهيد شرف قيادة جانب كبير وأساسي منها.

وفي ما يلي نص هذه الوثيقة التاريخية:



بسم الله الرحمن الرحيم I - I4

قُلْ لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا "

أيّها الشعب العظيم ... أيّتها النشامى في قوّاتنا المسلحة

المجاهدة أيّتها العراقيّات الماجدات ... يا أبناء أمّتنا المجيدة

... أيّها الشجعان المؤمنون، في المقاومة الباسلة ... كنت

كنت كما تعرفون في الأيّام السالفات، وأراد الله

سبحانه أن أكون مرّةً أخرى في ساح الجهاد والنضال

على لون وروح ما كنّا به قبل الثورة مع محنة أشدّ وأقسى

أيّها الأحبّة إنّ هذا الحال القاسي الذي نحن جميعاً عليه فيه

منذ [illegible] وابتلي به العراق العظيم،

درساً جديداً وبلوى جديدة ليعرف به الناس كلٌّ على وصف

صفاته فيصير لهم عنواناً أمام الله وأمام الناس في

الحاضر وعندما يغدو الحال الذي نحن فيه تاريخاً

صورة عن الصفحة الأولى من الوصيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

أيها الشعب العراقي العظيم..

أيها النشامى في قواتنا المسلحة المجاهدة ..

أيتها العراقيات الماجدات ..

يا أبناء أمتنا المجيدة ..

أيها الشجعان المؤمنون في المقاومة الباسلة

كنت كما تعرفونني في الأيام السالفات، وأراد الله سبحانه أن أكون مرة أخرى في ساح الجهاد والنضال على لون وروح ما كنا به قبل الثورة مع محنة أشد وأقسى. أيها الأحبة، إن هذا الحال القاسي الذي نحن جميعاً فيه وابتلي به العراق العظيم، درس جديد وبلوى جديدة ليعرف به الناس كل على وصف مسعاه، فيصير له عنواناً أمام الله وأمام الناس في الحاضر، عندما يغدو الحال الذي نحن فيه تاريخاً مجيداً وهو قبل غيره أساس ما يُبنى النجاح عليه لمراحل تاريخية قادمة، والموقف فيه وليس غيره الأمين الأصيل حيثما يصح، وغيره زائف حيثما كان نقيض.. وكل عمل ومسعى فيه وفي غيره لا يضع المرء الله وسط ضميره وبين عيونه معيوب وزائف، وإن استقواء التافهين بالأجنبي على أبناء جلدتهم تافه وحقير مثل أهله. وليس يصح في نتيجة ما هو في بلادنا إلا الصحيح، «أمّا الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» صدق الله العظيم.

أيها الشعب العظيم... أيها الناس في أمتنا والإنسانية ... لقد عرف كثر منكم صاحب هذا الخطاب في الصدق والنزاهة ونظافة اليد والحرص على الشعب، والحكمة والروية والعدالة والحزم في معالجة الأمور، والحرص على أموال الناس وأموال الدولة، وأن يعيشَ كل شيء في ضميره وعقله، وأن يتوجع قلبه، ولا يهدأ له بال حتى يرفع من شأن الفقراء ويلبي حاجةَ المعوزين، وأن يتسع قلبه لكل شعبه وأمته، وأن يكون مؤمنا أمينا ... من غير أن يفرق بين أبناء شعبه إلا بصدق الجهد المبذول والكفاءة والوطنية. ها أنا أقول اليوم باسمكم ومن أجل عيونكم وعيون أمتنا وعيون المنصفين أهل الحق حيث رفعت رايته: أيها العراقيون .. يا شعبنا وأهلنا، وأهل كل شريف ماجد وماجدة في أمتنا .. لقد عرفتم أخاكم وقائدكم مثلما يعرفه أهله، لم يحنِ هامته للعتاة الظالمين، وبقي سيفاً وعلماً على ما يحب الخلص ويغيظُ الظالمين. أليس هكذا تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم ..؟! بلى هكذا .. يجب أن يكون صدام حسين وعلى وصف كهذا ينبغي أن تكون مواقفه، ولو لم تكن مواقفه على هذا الوصف، لا سمح الله، لرفضته نفسه، وعلى هذا ينبغي أن تكون مواقف من يتولى قيادتكم ومن يكون علماً في الأمة ومثلها بعد الله العزيز القدير ...

ها أنا أقدم نفسي فداءً، فإذا أراد الرحمن هذا، صعد بها إلى حيث يأمر سبحانه مع الصديقين والشهداء، وإن أجل قراره على وفق ما يرى، فهو الرحمن الرحيم، وهو الذي أنشأنا ونحن إليه راجعون. فصبراً جميلاً وبه المستعان على القوم الظالمين.

أيها الأخوة ... أيها الشعب العظيم .. أدعوكم أن تحافظوا على المعاني التي جعلتكم تحملون الإيمان بجدارة، وأن تكونوا القنديل المشع في الحضارة، وأن تكون أرضكم مهد أبي الأنبياء إبراهيم الخليل وأنبياء آخرين، على المعاني التي جعلتكم تحملون معاني صفة العظمة بصورة موثقة ورسمية فداءً للوطن والشعب، بل رهن كل حياته وحياة عائلته، صغاراً وكباراً، منذ خط البداية للأمة والشعب العظيم الوفي الكريم، واستمر عليها ولم ينثنِ .. ورغم كل الصعوبات والعواصف التي مرت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة، لم يشأ الله سبحانه أن يميت صدام حسين، فإذا أرادها في هذه المرة، فهي زرعه .. وهو الذي أنشأها وحماها حتى الآن .. وبذلك تعز

باستشـهادها نفس مؤمنة، إذ ذهب على هذا الدرب بنفس راضية مطمئنة من هو أصغر عمرا من صدام حسـين. فإن أرادها شهيدة، فإننا نحمده ونشـكره قبلاً وبعداً .. فصبراً جميلاً، وبه نستعين على القوم الظالمين في ظل عظمة الباري سبحانه ورعايته لكم ... ومنها أن تتذكروا أن الله يسـر لكـم ألوان خصوصياتكم لتكونوا فيهـا نموذجاً يحتذى بالمحبة والعفو والتسـامح والتعايش الأخوي فيما بينكم .. والبناء الشـامخ العظيم في ظل أتاحه الرحمن من قدرة وإمكانات .. ولم يشـأ أن يجعل سـبحانه هذه الألوان عبثاً عليكـم، وأرادها اختباراً لصقل النفوس، فصار من هـو من بين صفوفكم، ومن هو من خلف الأطلسـي ومن هم الفرس الحاقدون بفعل حكامهم الذين ورثوا إرث كسـرى، بديلاً للشـيطان، فوسوس في صدور من طاوعه على أبنـاء جلدته، أو علـى جاره، أو سهل لأطماع وأحقاد الصهيونية أن تحرك ممثلها في البيت الأبيض الأمريكي ليرتكبوا العدوان، ويخلقوا ضغائن ليست من الإنسانية والإيمان في شيء..

وعلى أسـاس معاني الإيمـان والمحبة والسـلام الذي يعز ما هـو عزيز، وليس الضغينة، بنيتم وأعليتم البناء من غير تناحر وضغينة. وعلى هذا الأسـاس كنتم ترفلون بالعز والأمن في ألوانكم الزاهية في ظل راية الوطن في الماضي القريب، وبخاصة بعد ثورتكم الغراء، ثورة السـابع عشـر الثلاثين من تموز المجيدة عـام ١٩٦٨، وانتصرتم وأنتم تحملونها بلون العراق العظيم الواحد .. أخوة متحابين، إن كان في خندق القتال أو في سوح البناء .. وقد وجد أعداء بلدكم من غزاة وفرس أن وشائج وموجبات صفات وحدتكم، تقف حائلاً بينهم وبين أن يستعبدوكم، فزرعوا ودقوا إسفينهم الكريه القديم الجديد بينكم، فاستجاب له الغرباء من حاملي الجنسية العراقية وقلوبهم هواء أو ملأها الحاقدون في إيران بحقد. وفي ظنهم، خسؤوا، أن ينالوا منكم بالفرقة مع الأصلاء في شـعبنا بما يضعف الهمة ويوغر صدور أبناء الوطن الواحد علـى بعضهم بدل أن توغر صدورهـم على أعدائه الحقيقيين بما يسـتنفر الهمم باتجاه واحـد، وإن تلونت بيارقها وتحت راية الله أكبر، الراية العظيمة للشعب والوطن ..

أيها الأخوة، أيها المجاهدون والمناضلـون، إلى هذا أدعوكم الآن، وأدعوكم إلى عدم الحقد، ذلك لأن الحقدَ لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل، ولأنه يعمي

البصر والبصيرة، ويغلق منافذَ التفكير، فيبعد صاحبه عن التفكير المتوازن واختيار الأصح وتجنب المنحرف، ويسد أمامه رؤية المتغيرات في ذهن من يتصوّر عدواً، بما في ذلك الشخوص المنحرفة عندما تعود من انحرافها إلى الطريق الصحيح، طريق الشعب الأصيل والأمة المجيدة ..

وكذلك أدعوكم أيها الأخوة والأخوات، يا أبنائي وأبناء العراق .. وأيها الرفاق المجاهدون .. أدعوكم أن لا تكرهوا شعوب الدول التي اعتدت علينا، وفرّقوا بين أهل القرار والشعوب، واكرهوا العمل فحسب، بل وحتى الذي يستحق عمله أن تحاربوه وتجالدوه، لا تكرهوه كإنسان .. وشخوص فاعلي الشر، بل اكرهوا فعل الشر بذاته، وادفعوا شره باستحقاقه .. ومن يرعوِ ويصلح، إن كان في داخل العراق أو خارجه، فاعفوا عنه، وافتحوا له صفحة جديدة في التعامل، لأن الله عفوّ ويحب من يعفو عن اقتدار، وإن الحزم واجب حيثما اقتضاه الحال، وإنه لكي يقبل من الشعب والأمة، ينبغي أن يكون على أساس القانون، وأن يكون عادلاً ومنصفاً، وليس عدوانياً على أساس ضغائن أو أطماع غير مشروعة .. واعلموا أيها الأخوة أن بين شعوب الدول المعتدية أناساً يؤيدون نضالكم ضد الغزاة، وبعضهم قد تطوع محامياً للدفاع عن المعتقلين ومنهم صدام حسين، وآخرون كشفوا فضائح الغزاة أو شجبوها، وبعضهم كان يبكي بحرقة وصدق نبيل وهو يفارقنا عندما ينتهي واجبه .. إلى هذا أدعوكم شعباً واحداً أميناً ودوداً لنفسه وأمته والإنسانية .. صادقاً مع غيره ومع نفسه.

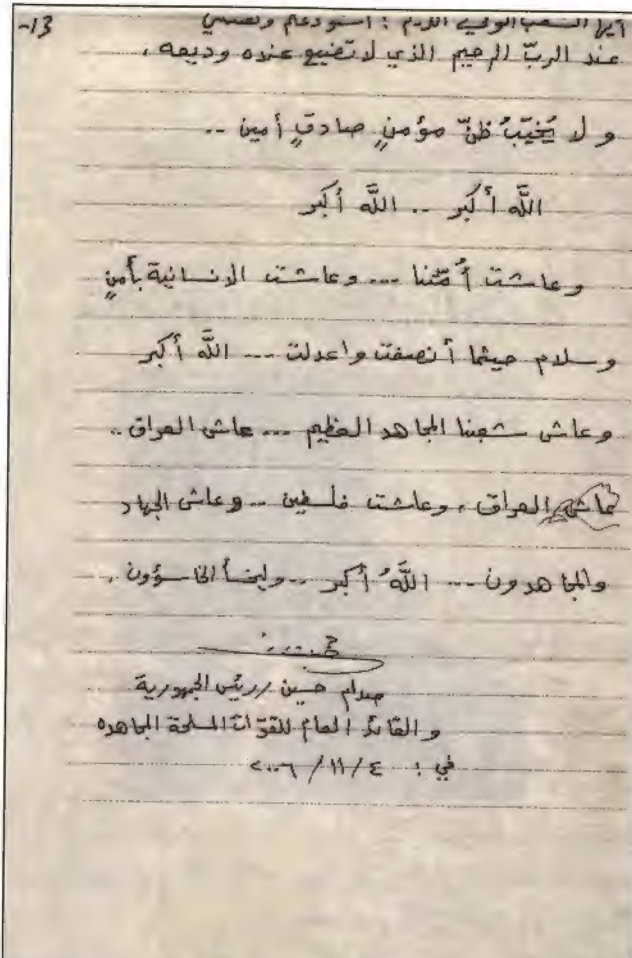
أيها الشعب الوفي الكريم: أستودعكم ونفسي عند الرب الرحيم الذي لا تضيعُ عنده وديعة ولا يخيب ظن مؤمن صادق أمين ..

الله أكبر .. الله أكبر .. وعاشت أمتنا .. وعاشت الإنسانية بأمن وسلام حيثما أنصفت وأعدلت .. الله أكبر .. وعاش شعبنا المجاهد العظيم .. عاش العراق .. عاش العراق .. وعاشت فلسطين وعاش الجهاد والمجاهدون .. الله أكبر .. وليخسأ الخاسؤون.

صدام حسين / رئيس الجمهورية

والقائد العام للقوات المسلحة المجاهدة

٤/ ١١/ ٢٠٠٦


-13

أيها الشعب الوفي الأمين: أستودعكم ونفسي
عند الربّ الرحيم الذي لا تضيع عنده وديعة،

ولا يُخيّبُ ظنّ مؤمنٍ صادقٍ أمين..

اللّه أكبر .. الله أكبر

وعاشت أُمّتنا ... وعاشت الإنسانية بأمنٍ

وسلام حيثما أنصفت وأعدلت ... اللّه أكبر

وعاش شعبنا المجاهد العظيم ... عاش العراق..

عاش العراق، وعاشت فلسطين .. وعاش الجهاد

والمجاهدون ... اللّهُ أكبر .. وليخسأ الخاسئون.

صدام حسين / رئيس الجمهورية
والقائد العام للقوات المسلحة المجاهدة
في: ٤/١١/٢٠٠٦

صورة عن الصفحة الأخيرة من الوصية

الفصل السابع والعشرون

هيئة الدفاع .. كلمة حق



سيحوّلون صدام حسين إلى رمز لمئات السنين لأنه دافع عن قضية شعبه وأمته الساكنة في ضميره، هي والقضايا العادلة..
فالحمد لله أولاً وآخراً على هذه الصورة
التي لم تهتز قيد قطرة في البحر.

(صدام حسين بعد التصديق على قرار الاغتيال)

...... ، تشكّلت هيئة الدفاع برئاسة الأستاذ خليل الذي

تولاّها منذ تشكّلت، ولم يكن تعيينه بقرار دولة ولا بقراري

وإنما لدوره الوطني الشجاع ...... إنّ من يدافع ....

الآن مهدد بالموت ولذلك لا يكون في مثل هكذا مهمة إلاّ

الشجعان وخليل في مقدمتهم، جزاهم الله خير جزاء وأرضاهم في

الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب، وعندما يراجعوني في حالة

أقول لهم رأيي، وأترك لهم القرار في كل شيء، ولربما

مرّة واحدة بصيغة توجيه، إنني أؤدي لنفسي ......

ثورة خير الرجال، وسبحان من لا يخطئ، وإنني أتعامل مع

الأستاذ خليل وكأنه ابني في الثقة، إنه ذو شرف عالٍ

وأمين

والسلام عليكم.

٥/٧/٢٠٠٦م

صورة منها إلى الأستاذ

خليل الدليمي للعلم والتصرف.

صورة عن رسالة الرئيس صدام حسين تتعلق باستقلالية عمل الهيئة

وتم حجب عبارتين لاعتبارات خاصة بالرئيس

منذ تأسيس هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه، كنا على صلة وتواصل مع الناس المهتمين والحريصين على سلامة العراق وقيادته الشرعية من أنحاء العالم كافة. كان منهم رجال القانون والقضاة ورجال السياسة والشعراء والناس العاديون. وكانت آراؤهم تصلنا، فنأخذ بما هو مفيد منها. وقد شارك في بعض دفوعنا نخبة من أبرز رجال القانون والكثير الكثير من أعلامه. كنا نستلم المكالمات والتوصيات والتوجيهات، سلبية كانت أم إيجابية. وكانت تلك المكالمات وخاصة تلك التي تجري معي، يطلب فيها أصحابها أن يقوم الرئيس صدام حسين بتوجيه رسائل توضيحية للزعماء ومنهم العرب والأوروبيون وبابا الفاتيكان يوضح فيها حقائق الأمور، منها ما تعلق بالعدوان على العراق، وما حصل من تدمير، والتخوف من مستقبل مجهول للعراق. وكنا ننقل بعضاً من هذه الملاحظات إلى الرئيس الذي كان يريد أن يطلع على كل التفاصيل كي يتواصل مع الأحداث أولاً بأول.

فوضت أحد الزملاء من المحامين بنقل هذه الملاحظات إلى الرئيس في ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦، وسؤال الرئيس في ما إذا كان يرغب بتوجيه رسالة خطية إلى بابا الفاتيكان يوضح فيها ما جرى، وأن يخبر الرئيس بأنني مستعد لنقل رسالته إلى البابا لعلها وغيرها من الرسائل تساهم في الاسراع في تدخل الأوروبيين لتغيير السياسة الأمريكية في العراق، وتكون على غرار الرسائل التي وجهها الرئيس من قبل إلى الشعب الأمريكي والشعب العراقي. لكن يبدو أن الرئيس كان له رأي آخر، حيث قال: «ماذا أقول لرفاقي .. أنا لن أناشد أحداً سوى ربي».

هل كان الرئيس يتدخل في عمل الهيئة ؟

عندمـا كنا نريـد أن نتخذ قراراً يتعلـق بعمل الهيئـة، كنا نجتمع فـي مقر الهيئة ونتـدارس القـرار وخطواتـه وطريقـة تطبيقـه ثـم إيجابياتـه وسـلبياته. وكنـا نعرض الموضـوع على الرئيس، فيقوم أحيانـاً بطرح حل توفيقي في حالـة اختلاف وجهات النظـر. وكنا نطلعه علـى كل خطوة نروم القيام بها ونسـتمع لملاحظاتـه وتوجيهاته، ولم نشـهد يوماً أنه قام بفرض رأي علينا بل كان يحتـرم آراءنا، ويقدر جهودنا. وكان يوصي كل الأطراف بعدم التدخل في عمل الهيئة ورئيسها .

يقول الرئيس :

«عندما يراجعونني في حال، أقول لهم رأيي، وأترك لهم القرار في كل شـيء، عدا مرة واحدة وكانت بصيغة توجيه».

وفي يوم، كنت أعاني من ضيق شـديد بسـبب ما أتعرض له من ضغوط كثيرة، وكنت أسير مع الرئيس في القاعة التي نلتقي فيها، نظر إلي مرتين متتاليتين، ثم قال:

«ما بك يا أبا علاء، أراك مهموماً اليوم رغم محاولتك إخفاء ذلك عني. وأقول أعانـك الله على هذه المهمة، وربما تتعرض لظروف صعبة جداً. ما عليك يا أبا علاء إلا أن تتحمل وتستمر بصبرك وتبقى كما عهدتك متوكلاً على الله».

بلـغ الضغط علـي وخاصة بعد الشـهر الخامس من عام ٢٠٠٦ حـدّاً ما عدت أستطيع التحمل، وكان تداخل الصفوف الحالة الأصعب التي واجهتني. وكنت أتردد في أن أطلب من الرئيس إعفائي من هذه المهمة النبيلة مع ذكر الأسـباب، أو أواصل المسـيرة وأتحمل ما لا يطاق. لكن الثقة التي خصني بها هـذا القائد العظيم، منحتني القوة، وحسبي أنني أرضيت الله وأرضيته .

لقـد منعت من مقابلة الرئيس في الأسـابيع الأخيرة من دون سـبب، أي ثلاث مقابلات متتالية في الشـهر الأخير. وأتسـاءل من الذي حـرّض الأمريكان على منعي كرئيس هيئة دفاع من مقابلته، وما هي الدوافع ؟ وكذا كان الحال مع نائب رئيس هيئة الدفاع المحامي الأستاذ مجيد السعدون مع موكله السيد طه ياسين رمضان. لكن، لا بد أن يكشف التاريخ عما جرى في الخفاء وأن تظهر الحقيقة كاملة .

جنود الحق والعدالة

لا بد هنا، في نهاية المطاف، من قول كلمة حق في أخواني المحامين من هيئة الدفاع عن الرئيس الشهيد صدام حسين وكافة المعتقلين العراقيين، أو الذين عملوا مع هيئة الدفاع في فريق الدفاع. لقد كانوا جنوداً مخلصين وأبطالاً بكل معنى الكلمة. وكانوا يعملون كخلية نحل، شمّروا عن سواعدهم، ووضعوا حياتهم خدمة لهذه القضية، وكان لهم صولات وجولات سواء أكانوا من المؤسسين الأوائل للهيئة من العراقيين والعرب والأجانب، أم من الذين التحقوا بها مؤخراً، بعد أن أتيحت لهم الفرصة وخاصة زملائي العراقيين الأبطال جميعاً وبلا استثناء من الذين كانوا أعضاء في هيئة الدفاع أو الذين عملوا مع الهيئة في الفريق، فتركوا عوائلهم بكل ما تعانيه خاصة الأطفال الذين حرموا من مدارسهم لمدة سنتين أو ثلاث، بسبب التهديدات والمخاطر الأمنية داخل العراق، وتعرض بعضهم للاختطاف، أو بسبب صعوبة الدراسة خارج العراق، أو بسبب التنقل من دولة لأخرى، أو لأسباب مادية حالت دون تسديد نفقات الدراسة المرتفعة في بعض الدول.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن قسماً من أعضاء هيئة الإسناد للدفاع عن الرئيس وكافة المعتقلين والأسرى، دافع عن الرئيس صدام حسين، بينما القسم الآخر دافع عن بقية المعتقلين. أما فريق الدفاع، فهو الذي قابل الرئيس داخل المحكمة ودافع عنه، وأعضاؤه ليسوا جميعهم أعضاء في الهيئة. أما الهيئة الثالثة فهي «هيئة الطوارىء»، وتضم الأساتذة: رمزي كلارك، أحمد بن بيلا، الدكتور مهاتير محمد ورولان دوما. ومهمة هذه الهيئة مراقبة مدى تطبيق العدالة في المحكمة. وكان لبعض الزملاء المحامين دور بارز في تأسيسها، منهم المحامي الأستاذ زياد الخصاونة، والبروفسور كيرتيس دوبلير والدكتور نجيب النعيمي، بالإضافة إلى بقية أعضائها. وقد استطاعت هذه الهيئة أن تفضح كل مخالفات المحكمة وانتهاكاتها، وخاطبت أغلب الشخصيات والمنظمات والهيئات الدولية بالإضافة إلى زعماء العالم، وعاضدت هيئة الإسناد في نشاطها..

وهنا لا بد أن أخص في مقدمة من أذكرهم المحامين الشهداء الأبطال الذين قدموا أنفسهم ودماءهم الزكية فداء للعراق، وهم الشهيد خميس العبيدي نائب رئيس

هيئة الدفاع (استشهد عام ٢٠٠٦)، والشهيد سعدون الجنابي والشهيد عادل الزبيدي (استشهدا عام ٢٠٠٥)، وتطول القائمة لتشمل عدداً من إسناد الهيئة. وهؤلاء الشهداء الأبطال تركوا خلفهم عوائلهم دون مأوى أو أمان أو معيل. كما لا يفوتني أن أحيي بكل إجلال وتقدير جهود زملائي وأخواني أعضاء هيئة الدفاع العراقيين الأبطال الذين دافعوا بكل شراسة داخل المحكمة، وقالوا كلمة حق في وجه سلطان أمريكا الجائر، وأتباع أمريكا وعملائها، يتقدمهم الأساتذة المحامون الدكتور مجيد السعدون الناطق باسم الهيئة ونائب رئيسها، وبدر عواد البندر الذي دافع تارة عن والده الشهيد وتارة عن الرئيس الشهيد، وثامر الخزاعي. كما إنني أوجه كل التقدير والاحترام لكل المحامين العراقيين سواء كانوا من أعضاء الهيئة أو من إسنادها الذين لا نستطيع ذكر أسمائهم لدواع أمنية. بالإضافة إلى مئات المحاميات والمحامين العراقيين، وأخص بالذكر محامي الأنبار النشامى نواة الهيئة وعرينها الأساسي، وقد حجبت أسماؤهم لاعتبارات أمنية. وأوجه شكري وتقديري كذلك إلى الأستاذ المحامي ودود فوزي شمس الدين، عضو فريق الدفاع الذي عمل مع الهيئة بروح المقاتل، وكذلك الدكتور علي البياتي. كما أحيي الدكتور محمد العبيدي لمقالاته الرائعة وبحوثه التي كانت عونا لنا في مهمتنا التاريخية، والشكر موصول لكل من كتب ولو بكلمة واحدة في معركتنا هذه. كما نشكر منبر العراق الحر الثائر وصوته الهادر، منبر ثغر العراق (البصرة)، ولكل كتّابه ومناضليه الأماجد. كما أوجه تقديري لكل من عمل إلى جانبنا من المحامين الموكلين من قبل عوائل الأسرى، للدفاع عن أعضاء القيادة والوزراء والقادة العسكريين الأسرى.

كما لا يفوتني أن أشير إلى أن جميع زملائي المحامين الأبطال من العراقيين والعرب والأجانب، محاميات ومحامين الذين عملوا معنا سواء كانوا أعضاء في هيئة الدفاع أو في فريق الدفاع، قد تطوعوا بمحض اختيارهم للدفاع عن الرئيس صدام حسين الرئيس الشرعي للعراق، دون أن يتلقوا أية أتعاب عن جهودهم الجبارة سواء من الهيئة أو من عائلة الرئيس أو من أي طرف آخر، إيماناً منهم بأن الدفاع عن الرئيس، إنما هو دفاع عن شرف مهنة القضاء ومهنة المحاماة، في وجه سلطة ظالمة تطغى على سلطة الحق والقانون. كما كان جميع المحامين، نساء ورجالاً، عرباً

وأجانب، يدركـون أن تطوعهم للدفاع عن الرئيس صدام حسـين، إنمـا هو دفاع عن العراق وشـعبه لما تعرض له من عدوان همجي وحشـي، وعدوان متواصل منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ومؤامرات من قوى الشـر والظلام، ولحرب إبادة ضد شـعبه الصابر الثائر، وضد منجزاته التي بناها شعب العراق عبر تاريخه الطويل .

فإلـى زملائـي هـؤلاء، كل الحب والتقديـر، مني ومن شـعب العـراق والأمة وعوائل الأسرى والشهداء .

كان زملائـي من المحاميـن العراقيين والعـرب والأجانـب، يواصلون العمل فـي مكتـب الهيئة حتى وقـت متأخر من الليـل، ليحضـروا لوائح الدفاع كمـا ينبغي. أمـا البعض الآخر مـن الزملاء، فكانـوا يطيرون لأكثر من أربع عشـرة سـاعة، وربما أكثر من عشـرين سـاعة، ليصلوا من أقصى الأرض إلى الأردن حيث نقطة الانطلاق نحو معتقل الرئيس في العراق. وكان بعضهـم يزداد إصراراً على أداء مهمته، مناصراً للحق، غير آبه لسنوات عمره كالفارس المحامي رمزي كلارك .

وهناك بعض من أعضاء الهيئة، كان يترك عمله ومرافعاته، كمحام دولي شهير، لينضـم إلينا فنـزداد غنى بتجربتـه وخبرته وشـجاعته، مثل المحامـي الدكتور نجيب النعيمي، وكذلك مواقف المحامية الأسـتاذة بشـرى الخليل التي كان مجرد وجودها داخل المحكمة، كافياً ليفقد القاضي رؤوف أعصابه. وكذلك الدورالإسـنادي الرائع والمميـز للمحامـي الأسـتاذ سـعد الأعظمـي، والمحامي الدكتـور قيـس العلواني. وكذلك أسـاتذة القانون الدولي الدكتور غسـان الجندي من الأردن والدكتور حسـن عمر من مصر. هذه المواقف كانت تعزز من موقفنا جميعاً رغم كل محاولات الدس بين المحامين .

كان لـلأردن، بشـعبه الأصيـل، دور بارز فـي هذه المهمـة الجليلـة. يتقدمهم الأسـتاذ محمـد نجيب الرشـدان الـذي كان واحداً مـن أبرز رجـال القانـون، وأحد مؤسسـي الهيئة. وتم اختياره ليكون منسـقاً للهيئة، عربي قومي أصيل شـجاع، ولكن لأسـباب معينة، قامـت عائلـة الرئيس بعزلـه. تولى بعـده المهمة الصعبـة، أحد أبناء عشائر الأردن الأصيلة المحامي الأسـتاذ زياد الخصاونة، الذي واصل عمل الأستاذ

الرشـدان بكل أمانة وإخلاص ونشـاط مميز، وفي عهده تم توحيـد الهيئتين، العربية الدوليـة وهيئـة الدفاع فـي العراق التـي أسسـها المحامي خليـل الدليمي فـي مدينة الرمادي، والذي أصبح في ما بعد نائباً لرئيس هيئة الإسناد. وقد بلغت الضغوط على هيئة الإسـناد وعلى الأسـتاذ الخصاونة، حدّاً اضطر معه الأسـتاذ زياد الخصاونة إلى توجيه رسـالة خطية إلى عائلة الرئيس ورسـالة أخرى إلى الرئيس صدام حسين طالباً تجميد عضويته، لكنه واصل نشاطه الإعلامي المكثف، وتحمل الكثير في سبيل هذه المهمـة النبيلة. ونذكر كذلك الأسـاتذة من مؤسسـي الهيئة: المحامـي الكبير صالح العرموطـي والمحامـون الأبطـال زياد النجـداوي، حاتم شـاهين، عصـام الغزاوي، عمر أبـو الراغب وصالـح المغربي، بالإضافة إلـى الأعضاء وهـم المحامي الدكتور محمـد أبو جبارة والمحامي حاتم الغويري والمحامي سـميح خريس وعدد كبير من المحامين الأردنيين. وقد نالت مداخلات المحامي الأستاذ أمين الديب، كأول محامٍ متطوع مـن مصر، والذي وقـف أمامه المدعي العـام الذي نصّبه الاحتـلال، محرجاً أمام أسـئلة هذا المحامي الشـجاع، نالت إعجاب الرئيس وازداد تقديراً لشعب مصر من خلاله، وكذلك المحامي الأستاذ محمد جنيدي ، فكان لهما الدور المكمل لهذا التجمع الرائع للمحامين.

ولا أنسى دور أبناء تونس العربية، المحامي أحمد الصديق والمحامي الدكتور فوزي بن مراد. أما في ليبيا، فقد كان للدكتورة عائشة القذافي الدور الأبرز في تأسيس الهيئة وإسـنادها، والتي سـعد الرئيس بتطوعها للدفاع عنه، بالإضافة إلى زملائها من محامي ليبيا من الأعضاء المؤسسـين، المحامي الأسـتاذ محمـد العلاقي والمحامي الأسـتاذ صالح البرغشـي، ثم عضو الهيئة الدكتـور عبد الله حبيب. كذلك لا ننسـى دور السـودان متمثـلا بعـدد مـن خيرة رجـال القانـون، يتقدمهـم المحامي الأسـتاذ تيسـير مدثر أحد مؤسسـي الهيئـة، ونقيـب المحامين السـودانيين المحامي الأسـتاذ فتحي خليل. وكذلك من المغرب المحامي الأسـتاذ خالد السـفياني . ومن البحرين المحامـي الأسـتاذ عيسـى بو رشـيد أحـد مؤسسـي الهيئة. ورجـال اليمـن الأصلاء يتقدمهم الأساتذة: المحامي محمد حزام ثم المحامي عبد الله نعمان وزملاء آخرون كثيـرون. وكذلك من الإمـارات العربيـة المتحدة المحامـي الدكتـور إبراهيم الملا،

ومن السعودية المحامية الأستاذة ريم وكل زملائها الأبطال، ولا نريد ذكر أسماء الكثيرين حتى لا نسبب لهم أي حرج. ومن لبنان، نذكر المحامي الدكتور عدنان الضناوي أحد مؤسسي الهيئة. ومن فرنسا المحامي الأستاذ إيمانويل لودو وزميله المحامي الأستاذ ماثيو، والمحامي الأستاذ أندريه شامية ووزير الخارجية الفرنسي السابق الأستاذ رولان دوما الذي رفض بكل شجاعة أن يتم نقله إلى مكان الرئيس بطائرة أو بسيارة أو أية وسيلة أخرى تحمل العلم الأمريكي .. فكان الرئيس يقدر موقفه هذا، ويقول: «أقدر هذا الموقف الرائع، وأعتبر وكأنه قد جاء ودافع عني هنا، فله كل التقدير ولفرنسا محبتنا ومحبة كل الشعوب العربية». ومن إسبانيا المحامي الأستاذ خافيير سافدرا. ومن اليابان، عدد من المحامين. ولا ننسى دور الماجدات المحاميات اللواتي كن يزغردن ويشجعن أخوانهن في هيئة الدفاع وكان البعض منهن يصررن على المشاركة المباشرة، لكننا كنا نقدر ظروفهن. ولن نذكر أسماءهن لأسباب أمنية، كونهن يعشن داخل العراق. ونذكر كذلك دورالمحامي الأستاذ عبد الحق العاني، والمحامي صوت الحق العربي الهادرمن لندن الأستاذ صباح المختار، والمحامي الدكتور محمد الشيخلي الذي نال إعجاب العراقيين بقوله الحق وهو وسط النار .

ولا ننسى الدور الكبير لاتحاد المحامين العرب الذي لم يقصر معنا في قضية الدفاع عن الرئيس صدام حسين، وعن العراق. وكانت أول منظمة تعلن بكل وضوح عدم اعترافها بما يسمى بالمحكمة، وبما يحصل في العراق، يتقدمهم في ذلك الأساتذة سامح عاشور وعبد العظيم المغربي وبقية زملائهم الذين كان لهم مواقف مشرفة ورائعة. والشكر كذلك لنقابات المحامين العرب وفي طليعتهم نقابة المحامين الأردنيين الشجعان. ولا ننسى أن أغلب المحامين الذين تطوعوا للدفاع عن الرئيس، من العرب والأجانب لم تصدق وكالاتهم بسبب العراقيل التي وضعتها المحكمة.

ولا يفوتني أن أوجه شكري وتقديري إلى المحامين الماليزيين، وعلى رأسهم الدكتور مهاتير محمد، والدكتور زكريا خليل نقيب محامي ماليزيا، وكذلك الدكتور مثايوس. وكذلك كل الشكر والتقدير للسيد أحمد بن بيلا، والسيد نلسون مانديلا والسيد جورج غالوي، ولكل الشخصيات التي وقفت معنا .

كل هـؤلاء المحاميـن كانوا أعلامـاً شـجعاناً ونموذجاً لحماة الحـق والعدل. وأعتـذر لمن لـم أذكر اسـمه خوفـاً عليـه أو لعددهم الكبيـر. وكلنا يقين أن شـعب العراق، وشـرفاء العـراق، والأمـة العربية بكل أقطارها، لن ينسـوا دور هيئـة الدفاع، فهي التي وضعـت اللبنة الأولى في بنيـان الدفاع عن حق المظلوميـن في الدفاع عن أوطانهـم، في حيـن كانت الجهة الأخرى تلغي الدسـتور العراقي، وتشـكل محاكمة زائفة تحت حراب الأجنبي الغازي .

سيبقى المواطن العربي يعتز بهيئة الدفاع هذه. فالدفاع عن صدام حسين، يعني الدفاع عن رمز الأمـة، الذي ما خان العهد الذي قطعه لشـعبه، وبقي حتى آخر لحظة من عمره وفياً لمبادىء شعبه وأمته .

ولا ننسـى الـدور البـارز الذي سـيخلد فـي التاريـخ، لكـل رجــال الإعـلام ورجال الدين والسياسة وغيرهم الذين أثرونا بالدعم المعنوي، وكذلك الذين وقفوا مع شـعب العراق فـي محنته، ومـع المقاومـة العراقية البطلـة، ومع الرئيس الشـهيد صدام حسين .

كمـا إنني أوجـه الشـكر والتقدير لكل مـن وقف معنـا ومع عوائل الأسـرى، والعوائل العراقية، وعائلة الرئيس. والشـكر لكل الدول العربية التي وقفت معنا ومع العراق. وكذلك كل الشـكر للمملكة الأردنية الهاشـمية التـي احتضنت هيئة الدفاع، وتحملـت الكثير من الضغوط بسـبب وجود هيئـة الدفاع على أرضها، والشـكر إلى أبناء شـعبها وإلى عشـائرها الكريمـة الوفية للعـراق وشـعب العراق وقائـد العراق. وكذلـك فإنني وزملائي نتوجه بتحية خالصة للأسـرى الصابريـن الصامدين الأبطال في زنازين الاحتلال وحكومته.

وإذا كان لا بد من كلمة أخيرة ، بعد هذه الرحلة الشاقة، نقول :

لقد تعرضنا لشـتى محـاولات الأذى من أعداء العراق وأعـداء الرئيس صدام حسـين، وتألمنا أشد الألـم من كل من سـبب لنا الأذى أو حاول إيذاءنا بشتى الطرق، وآذى الرئيس قبلنا، لكننا صبرنا وتحملنا من أجل العراق، ومن أجل الرئيس الشهيد صدام حسين، ونأمل أن نكون قد أدينا الأمانة. وسنحاول أن ننسى جراح تلك الأيام،

ونواصل المسيرة حتى يتحرر كل أسرانا ويتحرر العراق، بلد الحضارات وجمجمة العرب وحاضرتهم ومركز حضارتهم الكبرى.

وفي الختام نقول إن هذه المذكرات وتلك التي كتبت بخط الرئيس الشهيد هي الوحيدة التي تقدم الحقيقة بيد الشهيد صدام حسين ولسانه.

وفي حين نشرت، وستظل تنشر هنا وهناك، أقاصيص هزيلة من مخترعات هذا الطرف أو ذاك حول حياة الشهيد وسجنه وشهادته، فإنها كلها، عدا مذكرات الرئيس وحدها، وهذا الكتاب جزء منها، لن تكون سوى محاولات بائسة إما للاتجار المبتذل، والمفهوم، وإما لتشويه الصورة على النحو نفسه الذي سعت إليه آلة الدعاية الغربية قبل غزو العراق وبعده.

وسيكون من المفهوم تماماً لماذا تحظى تلك المحاولات بالكثير من الاهتمام والتطبيل. فغايتها التي لا تغرب عن البال هي التضليل، والتضليل جزء لا يتجزأ من أسلحة المعركة لبقاء الاحتلال والدفاع عن جرائمه وجرائم تابعيه. وإذا كنا في خندقين، فتلك المحاولات مكتوبة من الخندق المضاد. أما هذه، فمن خندق الشهيد نفسه، وهذا هو الفرق الوحيد، وهو فرق يساوي بمفرده كل شيء.

وبطبيعة الحال، فإن هذه المذكرات لا تتضمن كل ما أدلى به الشهيد، ولا كل ما كتبه، ولا كل ما أراد أن يخرجه إلى النور. فقد كانت هناك قضايا تتعلق به، وكان من دواعي الأمانة والمهنية أن تبقى ملكاً خاصاً.

ثم كانت هناك قضايا أخرى تتصل بالمقاومة ومعترك النضال الذي ما يزال رفاق صدام حسين يضعون دماءهم في مقدمته، الأمر الذي أجبرنا على مراعاة متطلبات هذا المعترك. وفي حين أن غايتنا من هذا العمل كانت تقديم الحقيقة، خالصة ومجردة، وبما أن المعركة من أجل حرية العراق ما تزال جارية، فقد أردنا لهذا الكتاب أن يكون جزءاً منها انطلاقاً من خندق الشهيد.

سيكون لهذه المذكرات ما بعدها، فما يزال هناك الكثير مما يجدر كشفه وتقديمه كسجل من أهم سجلات التاريخ، في قضايا ما تزال موضوعاً للكثير من النقاش.

لم أحسب أن الأقدار ستمنحني شرفاً بأن يختارني الشهيد لكي يملي علي هذه المذكرات وغيرها. ولم أحسب أن هذا الشرف سيكون قاسياً وظالماً إلى هذا الحد. فقد كنا، ونحن نستجمع الحوادث والمنعطفات، ندرك أننا نتسابق مع الوقت. وكان الشهيد يعرف جيداً نهاية قدره، وكان ينتظره بصدر يملؤه الإيمان بعدالة موقفه، وبصواب خياراته، وجدارة التحديات التي واجهها العراق تحت قيادته بالتضحيات، حتى ولو كانت تلك التضحيات تعني حياته نفسها. والكثير من رفاقه يعرفون، وما يزالون يذكرون، كم مرة وضع الشهيد حياته على راحة كفه، مغامراً بها أحياناً من أجل أن يكون على الخط الأمامي في مواجهة الموت. وهم يعرفون أيضا أن الموت، وإن ظل يتربص به، فقد كان الشهيد يمضي قدماً في تحديه. وكان يعرف، بمحض إيمانه بإرادة الباري عز وجل، أن الموت حق، وأنه واصل في آخر الأمر إليه.

ولئن ظلمتنا الأقدار بفقدانه، إلا أن الشهيد ما كان لينتظر موتاً أفضل من هذا. فقد كان هو الذي ذهب إليه بنفسه. وهو الذي اعتلى منصته شامخ الروح، راسخ القدم. وهو الذي رسم معالمه ليكون نبراساً للحرية والشرف والشجاعة والكرامة. فهل يمكن لرصاصة تغتاله أن تفعل ما فعله ذلك الإعدام؟

لقد خسروا وربحنا. خسروا حرباً وربحنا بطلاً. خسروا مؤامرة وربحنا مقاومة. خسروا حفنة أكاذيب وأباطيل عن «الديمقراطية»، وربحنا كلمة دفاع عن الحق اندلعت في وجوههم صارخة ومدوية. وسيخسرون في آخر الأمر هذا الاحتلال أيضاً، وسنربح الحرية، وسنريهم كيف تكون العدالة والمساواة، قيم الحق لا قيم نفاق مما يفعلون. وسنريهم كيف سنعود لنبني العراق مثلما فعلنا ١٢ مرة من قبل، منذ الغزو المغولي إلى اليوم.

وهذا فصل في التاريخ. وسيأتي فصل آخر يصنعه اليوم كل أولئك الذين يضعون حرية العراق وسيادته واستقلاله مثل جمرة في قلوبهم، ويفتدونها بأنفسهم، وكل أولئك الذين يستلهمون من دمائهم روح الخلود.

ومثل كل شيء، فقد أساء الغزاة التقدير هنا أيضاً. فقد كشفناهم كجبناء

ووحوش ولصوص، وقدم الشهيد نفسه كرجل بسالة وبطولة خارقة. وكان كل شيء واضحاً وضوح الشمس على مرأى من الجميع .

العالم كله رأى من هو صدام حسين. والعالم كله رأى من هم الذين قتلوه. العالم كله رأى على أية أرض للحرية يقف الشهيد ورفاقه، والعالم كله رأى من أية مهزلة وانحطاط يأتي الجلادون .

ومثلما سيظل اغتيال صدام حسين ذكرى خالدة إلى الأبد، فإن اعتلاءه منصة الموت سيظل تحدياً ملهماً إلى الأبد أيضاً. وسيظل خزي الجرائم اليومية التي يرتكبها الاحتلال وأزلامه ضد الأبرياء يلاحقهم إلى الأبد .

مات صدام لكنه لم يمت. ويعيشون هم وكأنهم ما عاشوا. هذا هو الفرق الوحيد، وهو فرق يساوي بمفرده كل شيء .

الملاحق

ملحق رقم (١): رسائل من صدام حسين المقاوم.

ملحق رقم (٢): بيانات النعي.

ملحق رقم (٣): نص مقابلة الرئيس صدام حسين مع السفيرة الأمريكية غلاسبي في تموز / يوليو ١٩٩٠.

ملحق رقم (٤): من نص الوثيقة التي خطها الأسير من رفاق صدام حسين في المعتقلات الأمريكية.

ملحق رقم (١)

رسائل من صدام حسين المقاوم

في الماضي القريب، وفي إحدى جلسات المحاكمة المهزلة، قال الرئيس صدام حسين بحدة للقاضي الأول رزكار محمد أمين: «تذكر بأنك عراقي». عراقي.. أي أنك من البلد الذي كان منارة لكل الحضارات اللاحقة، وكان رائداً في كل المعارف الإنسانية، وكان جنة الله على الأرض بخيراته، وثرواته، وطبيعته الخلابة، وقبل كل شيء بإنسانه العظيم حيث بنى العراق حضارةً عبر قرون موغلة في التاريخ، وبنى العراق الحديث «طابوقة طابوقة» كما يقول الرئيس صدام حسين.

كان الرئيس صدام حسين يحمل في أعماقه شخصية الفارس الشجاع، تشبعت روحه بعظماء التاريخ. قرأ عن الحضارات المختلفة، وتأثر بالحضارة العربية الإسلامية. وقرأ التاريخ وثورات الشعوب ضد الظلم والقهر. اطلع على حركات التحرر العالمية والعربية، وكانت تشغله قضية فلسطين ويعتبرها قضية العرب الأم. سمع القصص المختلفة عن بطولات الشعب العراقي، وكان ما يزال طفلاً يحضر مجالس الكبار، يحكون عن العثمانيين ومن ثم البريطانيين، وعن مقاومة الشعب العراقي للاحتلال. وكان يلمس بحسه المرهف ما يعانيه الشعب من فقر وجوع ومرض .. وقد كان واحداً منهم. كل هذه الأمور أسست مقومات شخصية صدام حسين الذي نعرفه .. لذلك لم يفاجأ أحد حين انحاز بعد الاحتلال إلى صف المقاومة، إذ كان يدرك بأن المؤامرات تحاك ضد العراق منذ زمن نبوخذ نصّر حتى عصر صدام حسين .. وحين اختفى بعد الاحتلال، اتهمه المنافقون وذيول العدو بأنه هرب خارج العراق .. رمى عرض الحائط كل الإغراءات التي قدمت له لكي يغادر العراق وينعم في بلدان العالم «المتحضر»، لكنه اختار الانضمام

لصفـوف المقاومين الأبطال ليبقى قريباً من تراب بلده، يحضنـه، يدافع عنه ببندقيته، يبث روح الأمل والتفاؤل بين المجاهديـن .. فقائدهم بينهم، وليس في القصور التي توهّم البعض أنه قد عاش فيها، وأنّى لـه ذلك وقد عاش عمره محاطاً بأعداء الخارج والداخل، يتربصون بالعراق .. عاش فترة المقاومة بين أبناء شـعبه، مؤكداً أن العراق سيتحرر مهما طال الزمن وتفشت الخيانات وتآمر المتآمرون بكل حقدهم وثأرهم.. وأدرك أن المقاومة المسـلحة هـي الطريق الوحيـد لمحاربة الامبرياليـة والصهيونية والعنصرية الفارسية، وتحرير الأمة من شرورهم .

أثناء تنقل الرئيس بين المجاهدين الأبطال في مناطق من العراق الحبيب، كان يوجه رسـائل إلى شـعب العراق ورجال المقاومة العراقية والمقاومين العرب، وإلى الأمـة العربية، يبث روح الأمـل فيهم ويعدهم بالنصر القريب .. وهذه الرسـائل بثتها بعض وسائل الإعلام العربية، بعضها خطي والبعض الآخر صوتي، حسب ما تقتضي الحالة التي كان عليها الرئيس أثناء تنقله بين صفوف المقاومة. وفي ما يلي مقتطفات ذات دلالات مهمة من هذه الرسائل.

الرسالة الأولى

أيها الأصدقاء ومناهضو الشر في العالم ، السلام عليكم .

ها قد لاحظتم كيف استخف بوش الأرعن بمواقفكم وآرائكم التي أطلقتموها ضد الحرب وبدعوتكم الصادقة للسلام، وارتكب جريمته النكراء في هذا اليوم .

إننا نعاهدكم باسـمنا وباسـم القيادة العراقية وباسـم شـعب العـراق المجاهد وجيشه البطل في عراق الحضارة والتاريخ والإيمان، بأننا سنقاوم الغزاة وسنوصلهم بإذن الله إلى الحد الذي يفقدون صبرهم، مع فقدهم أي أمل في تحقيق ما خططوا له ودفعتهم إليه الصهيونية المجرمة وأصحاب الغرض إلى الحضيض ..

أطلق لها السيف لا خوف ولا وجل
أطلق لها السيف وليشهد لها زحل
أطلق لها السيف قد جاش العدوّ لها
وليس يثنيه إلا العاقل البطل

أسرج لها الخيل ولتطلق أعنّتها
كما تشاء ففي أعرافها الأمل
دع الصواعق تدوّي في الدجى حمما
حتى يبان الهدى والظلم ينخذل
واشرق بوجه الدياجي كلما عتمت
مشاعل حيث يعشى الخائر الخطل
واقدح زنادك وابق النار لاهبة
يخافها الخاسىء المستعبد النذل
أطلق لها السيف جرّده وباركه
ما فاز بالحقّ إلا الحازم الرجل
واعدد لها علماً في كلّ سارية
وادع إلى الله أن الجرح يندمل.



٢٠/٣/٢٠٠٣ (من خطاب بثه التلفاز العراقي قبل إعلان الاحتلال)

الرسالة الثانية

إلى الأستاذ عزّة الدوري في اليوم الثاني لاحتلال بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وإن الله يفعل ما يريد ﴾

الرفيق النائب، السلام عليكم

كنت أردت أن أوجه إليكم مضمون ما كلفت به وزير الدفاع ليوجزكم به بصورة خطية، وقد كتبت الرسالة إليكم، إلا أن الرفيق علي سلمك وسلمه الله من العاديات، رأى أن أتريث قليلاً ولعله أراد أن يستخدم قدرات فرع واحد في منطقة المشاهدة على أمل أن يكسر ظهر الأمريكان الغزاة في بغداد، وقد وجدته اليوم بعد أن تحريت في بغداد عن بقايا القوة بأي شكل من الأشكال أن لا أمل من الانتظار وبخاصة أن أوفر لك فرصة سبق النظر تجاه القطعات التي تقودها أنت ومن يعاونك وبخاصة الرفيق سمير نجم .. إن لم يحل بها ما حل في القطعات الأخرى .

أعانقك وأشد على يديك ونلتقي حسبما يشاء الله، إما في جنة الخلد التي وعد الله بها المجاهدين والمتقين والصابرين، أو كمشروع دائم للشهادة، مجاهدين نعود من جديد إلى حمل الراية في ظرف جديد هو ظرف البداية التي نتجت عنه ثورة ١٧ – ٣٠ تموز المجيدة .. سنتواصل إن شاء الله لاحقاً، إلا أن الأمر مع التدبر بحاجة إلى الصبر الجميل، وإننا إن شاء الله لفاعلون. والله أكبر .. وليخسأ المجرمون .. وعاشت أمتنا المجيدة .

صدام حسين

١٠/ ٤/ ٢٠٠٣

الرسالة الثالثة

مثلما دخل هولاكو بغداد دخلها المجرم بوش بعلقمي بل وأكثر من علقمي.

لم ينتصروا عليكم، يا من ترفضون الاحتلال والذل ويا من في قلوبكم وعقولكم العروبة والإسلام، إلا بالخيانة. ووالله إنه ليس انتصاراً طالما بقيت المقاومة في نفوسكم. وأصبح الآن ما كنا نقوله حقيقة، فلسنا نعيش بسلام وأمن طالما الكيان الصهيوني المسخ على أرضنا العربية، لهذا لا انفصال بين وحدة النضال العربي.

يا أبناء شعبنا العظيم

انتفضوا ضد المحتل، ولا تثقوا بمن يتحدث عن السنة والشيعة، فالقضية الوحيدة التي يعيشها الوطن عراقكم العظيم الآن هي الاحتلال. وليس هناك أولويات غير طرد المحتل الكافر المجرم القاتل الجبان الذي لم تمتد يد أي شريف لمصافحته، بل يد الخونة والعملاء.

٢٨/ ٤/ ٢٠٠٣

الرسالة الرابعة

في معركة المطار، خاض المتطوعون العرب نزالاً عنيداً جباراً مع أخوتهم أبناء العراق في الجيش والشعب، حتى بلغت خسائر المجرمين الأمريكان أكثر من ألفي قتيل وأعداداً أكثر من الجرحى، ومعدات لو سمحوا للمصورين أن يلتقطوا فيها الصور، لكانت صوراً محرقة قد تمت لهم في هذه المنازلة. ولكن الخيانة من أناس هان عليهم دينهم ووطنهم وأمتهم وعرضهم لقاء ثمن مهما كبر فهو بخس بحجم ما ألحقوا بالعراق والأمة من أذى. لقد قاتلنا برجولة وشرف وعزة وكرامة، ولن ننهزم طالما بقي الإيمان بالله في نفوسنا والجهاد خيارنا والمقاومة ردنا .. تصوروا إن من يطلقون على أنفسهم معارضة عراقية جاءوا يقدمون الدعم لمحتل ليسرقهم ويحتل بلدهم ويفصلهم عن أمتهم، ويعترف بالعدو الصهيوني. كلهم سواء

كانوا قد لبسوا العمامة أو القبعة الأمريكية، لا فرق بينهم طالما سببوا لشعبهم هذا الألم والاحتلال... وأدعوكم يا أبناء العراق أن تجعلوا المساجد مراكز للمقاومة والانتصار للدين والإسلام والوطن، وأن تشعروا العدو أنكم تكرهونه فعلاً وقولاً.

٧/ ٥/ ٢٠٠٣

الرسالة الخامسة

يا شعبنا العربي العظيم

لقد عاهدت الله أن أموت شهيداً ولا أسلم للعدو الأمريكي والبريطاني الجبان والقاتل. وإذا كانت الجولة الأولى حفلت بالخيانة من قبل أناس باعوا دينهم وأمتهم ووطنهم وعرضهم، فإن النهاية لا يكتبها إلا المؤمنون بالله والذين سيطردون الغزاة القتلة اللصوص. وأنا أودع شباباً وشابات للقيام بعملية ضد العدو الجبان القاتل، تذكرت كل لحظات التاريخ الإسلامي العربي الناصع. فالمستقبل يصنعه مثل هؤلاء، كما سيصنعه أبناء الشعب الفلسطيني المجاهد العظيم .. أنت مطالب أخي العربي مثقفاً كنت أو أديباً أو صحافياً أو مصوراً أو رساماً بفضح المحتل الجبان وجرائمه. ولا تسمحوا لمن يؤيد المحتل أو يبرره أن يكون بينكم. وارفضوا يا من هي الرياضة مجالكم، المحتل، وقاطعوه وقاطعوا فرقه وكل من يؤيده. ولتشمل المقاطعة كل المجالات. ليكن صوتكم جميعاً ضد الاحتلال.

٩/ ٥/ ٢٠٠٣

الرسالة السادسة

إلى المجاهدين في كل مكان أبناء العروبة الشجعان

إلى أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونحن نقاتل ونصطاد العدو الأمريكي والبريطاني الجبان، ندعوكم لتفعيل دوركم السياسي في مقاطعة كل من تنصبه القوات الغازية المجرمة لإدارة أي من المجالات العراقية الحكومية أو الشعبية.

كما ندعوكم يا أخوة الجهاد لطرد كل خائن أيد الاحتلال أو جاء معه ممن يسمّون أنفسهم زوراً بالعراقيين.

قاطعوهم، ودعوا لنا حمل السلاح لتدمير أمريكا المجرمة ومن معها.

وأشعروا يا أخوة الجهاد كل أمريكي وبريطاني أنه سيبقى يعيش في أرض العرب خائفاً قلقاً مرعوباً ما لم ينسحبوا من العراق ويعدلوا مواقفهم من الاحتلال الصهيوني المجرم لفلسطين العربية..

٢٠٠٣/٥/٢٥

الرسالة السابعة

لقد عاهدنا الله أن لا نجعل القوات الأمريكية والبريطانية المجرمة تهنأ وتسرق خيرات العراق العظيم، لهذا يخوض أبناء الشعب من رجال الجيش والحرس الجمهوري وكتائب الفاروق ومجموعة التحرير وأعضاء حزب البعث ومجاميع الحسين قتالاً حقيقياً هي معركة في سفر المنازلة الكبرى لطرد القوات الغازية الكافرة من العراق..

يا أبناء الأمة العربية والإسلامية والشرفاء في كل مكان، لاحظوا بشاعة جرائم أمريكا في العراق، ولاحظوا جرائم المجرم شارون، إنهما في وقت واحد، فالمقصود هو الإسلام والعروبة والأوطان والإنسان...

وسيندم بوش المجرم الكافر اللص القذر ومعه تابعه الصغير الفاجر بلير شر ندم، وستندم الحكومات التي أرسلت قوات لتبقي الاحتلال أطول مدة...

ما معنى أن يقتل المحتل أكثر من مئتي أسير، وأكثر من مئة وخمسين مدنياً في ٧٢ ساعة، ما معنى كل هذا يا أحرار العراق والعرب والإسلام والعالم..

٢٠٠٣/٦/١٢

الرسالة الثامنة

أبشركم أيها الأخوة والأبناء، الماجدات والنشامى، أبشركم بأن خلايا المقاومة والجهاد تشكلت على نطاق واسع فعلاً من المجاهدين والمجاهدات، وباشرت أعمالها المشرفة في منازلة العدو والعدوان. ولا بد أنكم تسمعون عنها، وإن كان ما تسمعونه عنها وبخاصة ما تلحقه من خسائر في صفوف الغزاة الكافرين، هو يسير نسبة لحقيقته الفعلية، إذ لا يمر يوم من الأيام في الأسابيع الأخيرة إلا ويسيل دم الكافرين على أرضنا الطاهرة بفعل جهاد المجاهدين، وإن ما سيأتي في الأيام القادمة سيكون بإذن الله وبعونه وقدرته عسيراً على الغزاة الكفرة.

لذلك أدعوكم للتغطية على المجاهدين الأبطال، وعدم إعطاء الكافرين الغزاة وأعوانهم أي معلومة عنهم، وعن نشاطهم أثناء تنفيذهم العمليات الجهادية وقبلها وبعدها، والكف عن الثرثرة بالأسماء أو أي معلومات حقيقية عنهم، لأن المجاهدين يقومون بعملهم وفق ما يرضي الله والشعب والأمة والوطن..

١٤/٦/٢٠٠٣ (رسالة صوتية)

الرسالة التاسعة

أنعي لكم أيها الأخوة والأبناء.. وأزف لكم النبأ الشاق وهو أمنية كل مؤمن مجاهد في سبيل الله حيث ارتفعت أرواح كوكبة أخرى جديدة من الشهداء إلى بارئها.. طيور خضر.. في سماء وضيافة الرب الرحيم هناك حيث الجنة وفيها الصديقون الشهداء ومن رضي الله عنه فأرضاه.

لقد جاء موقف هذه الكوكبة مثلما هو موقف كل الشهداء الأبرار الذين يشدون النفس جهاداً في سبيل الله صادقين مؤمنين، جاء وفياً صادقاً أميناً للعهد والوعد الذي قطعوه على أنفسهم وقطعناه بعد الله أمامكم وجعلنا النفس والمال والولد فداء في حومة الجهاد المؤمن في سبيل الله والوطن والشعب والأمة، ووقف أبناؤكم وأخوانكم أيها الأحبة العراقيون، وقف أخوانكم عديّ وقصيّ ومصطفى ابن قصيّ وقفة الإيمان التي ترضي الله وتسر الصديق وتغيظ العدا في ساحة الجهاد في أمّ الرماح الموصل الحدباء، وذلك بعد قتال باسل مع العدو استمر لمدة ست ساعات

كاملة، ولم تستطع جيوش العدوان المحتشدة عليهم مع كل أنواع الأسلحة للقوات البرية أن تنال منهم إلا بعد أن استخدموا على البيت المتواجدين فيه الطائرات. وهكذا وقفوا الوقفة التي شرف الله بها هذه العائلة الحسينية ليتواصل الحاضر تواصلاً بهياً أصيلاً مؤمناً ومشرفاً معاً ...

٢٠٠٣/٧/٢٥

الرسالة العاشرة

في ظروف الكوارث والحروب، يسعى المسؤولون المخلصون لشعبهم ولأمتهم إلى إنقاذ الأغلى والأثمن مما يمكن إنقاذه، واعتبار التضحيات والخسائر من المستوى والوصف الآخر مفهوماً بضوء وطبيعة كل كارثة وحالة صعبة، ولأن ما وقع على شعبنا وما أصابه من تضحيات وخسائر بسبب العدوان الأجنبي كبيرة وصعبة بقياس أمثالها ومنها ما مر بشعبنا بتاريخه الحديث قبل هذا، فإن مبدأ إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما هو ثمين واجب من واجبات المسؤولين عن هذا الشعب ... لقد اختل توازن فئة من الناس في أيام الحرب التي حصلت بين كتل الجيوش على طرفيها وما بعد ذلك بزمن، فلم يتوقف اختلال التوازن ولن يوقفه إلا وقفة من وضع نفسه مجاهداً في خدمة المبادىء التي ترضي الأمة والشعب بعد رضا الله... أقول لم ولن يوقف اختلال التوازن الذي أشرنا إليه إلا موقف وفعل المؤمنين المخلصين المجاهدين الذين عملوا وجاهدوا لمواجهة الاحتلال ولطرد الغزاة خارج العراق، ليعود العراق في وجهه المؤمن معافى بعد أن ابتلي ببلواه فأصابه ما أصابه. ومن بين ذلك اختلال نفوس ساقها الشعور بالإحباط أو اليأس أو القول، لأن ابن الشعب أحق وأولى من المحتلين بمال الدولة التي يسعى المحتلون إلى تدميره أو الاستيلاء عليه وتوظيفه لأغراضهم الدنيئة بما فيه تسخيره لأتباعهم الخونة الأشرار الذين رافقوا دباباتهم، فكانوا أذلاء أخساء على وطن الإيمان وأبناء جلدتهم ...

٢٠٠٣/٧/٢٧

(بيان إلى شعب العراق الوفي العظيم)

الرسالة الحادية عشرة

(يخاطب الرئيس الأمريكي)

أقول باسم شعب العراق العظيم إنك كذبت على نفسك وشعبك والناس أجمعين، أنت ومن ورطته معك، أو هناك من كذب عليك. ومثلما ورطتك الصهيونية وورطت سياسة أميركا الخارجية في معاداة الأمتين الإسلامية والعربية والاستخفاف بالعالم، ورطتك في معاداة العراق والعدوان عليه ...

إنه إزاء مأزق العدوان ومستوى الخسائر التي تلحق بجيشك الذي صار عجزه واضحاً لأنه بلا قضية مشرفة في مواجهة شعب الحضارات، فإن الموقف دفاعاً عن كل ما هو شرف ومشرف يجعل إعلانكم الهزيمة بصورة رسمية وعلنية وانسحابكم من بلدنا لا مفر منه ..

١٧/ ٩/ ٢٠٠٣ (رسالة صوتية)

الرسالة الثانية عشرة (الأخيرة قبل الأسر)

إنهم يقولون وتتعالى الأصوات في العالم نفس الذي قلناه لهم قبل العدوان، بأن العراق خال من الأسلحة التي يدعون، وسيكون العراق عصياً أيضاً على نواياهم الشريرة لاستعماره واستقرار جيوشهم ونفوذهم فيه إن شاء الله .. ولذلك راح كذّاب الولايات المتحدة الأمريكية وكذّاب بريطانيا يتناوبان الأدوار والجولات في العالم لاستجداء الأموال والجنود والمواقف... إن العملاء الذين جاءوا بهم ليس لهم وزن الحد الأدنى وتأثيره عند شعب العراق العظيم الأمين الوفي، بل ولا يستطيع أحد منهم حتى أن يتمشى في شوارع بغداد أو أي مدينة عراقية، فراحوا يتداركون خيبتهم ويطوف مندوبوهم على أقطار عربية باحثين عما أسموه «نصيحة» حول العراق. ونقول لهم ولغيرهم: رغم أن العراق جزء من أمته ويلعب عندما تتهيأ له الأسباب دور الطليعة أو جزءاً حيّاً من الطليعة فيها، فإن للعراق إذا جاز التعبير خلطة كيميائية خاصة به لا يحل مفاتيحها ورموزها إلا من هو من أبنائه أو المؤمنون الصالحون من أبناء أمته لو استعانوا وتشاوروا بنزاهة مع العراقيين المخلصين الأمناء ..

أواسط شهر رمضان الكريم (تشرين الثاني ٢٠٠٣)



بسم الله الرحمن الرحيم

في جنة الخلد التي وعد الله بها المجاهدين والمتقين
والصابرين أحياء كمشروع دائم للشهادة
مجاهدينا نعاود من جديد الحمل الراية في طرف
جديد هو طرف البداية التي نتجت عنه ثورة
١٧ - ٣٠ - تموز المجيدة ... سنتواصل
إن شاء الله لاحقاً وإلا لمن الأمر مع التوجيه
بحاجة إلى الصبر الجميل، وإننا إن شاء الله
لفاعلون والله أكبر ... الله أكبر وليخسأ
المجرمون وعاشت أمتنا المجيدة.

١٠/٤/٢٠٠٣

صورة عن رسالة الرئيس صدام حسين إلى رفيق دربه الأستاذ عزة إبراهيم الدوري في ١٠/٤/٠٣

ملحق رقم (٢)

بيانات النعي



سلام عليك أيها القائد يوم وقفت شامخاً
أمام أعاصير الشر والظلام،
وسلام عليك يوم أدّيت الأمانة
وقد دفعت لها أهلك ومالك ونفسك ثمناً.

المعتز بالله عزّة الدوري

عزّة إبراهيم الدوري

ينعى

رفيق دربه صدام حسين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

صدق الله العظيم

يا أبناء شعبنا العراقي العظيم، يا أبناء أمتنا المجيدة، أيها الأحرار في العالم، يا رجال البعث ومناضليه ...

في هذا الشهر الفضيل، وفي اليوم الأول من أيام عيد الأضحى المبارك في أيام الحج الأكبر، أنعي إليكم بمزيد من الحزن والأسى والأسف أخي ورفيقي قائد الجمع المؤمن، وحادي ركب الأمة نحو ذرى العز والمجد ..

لقد أقدمت الأيدي الآثمة المجرمة، الإدارة الأمريكية وحلفاؤها الإنجليز والصهاينة والفرس الصفويون، على اغتيال أحد قادة الأمة التاريخيين، وعلماً من أعلامها، شجاعاً فارساً أبياً، أبى أن ينحني أو يطأطىء رأسه لجمع الشرك والكفر والظلم والطغيان والعدوان. لقد وقف أمام موجة الشر العاتية ضارباً أروع الأمثلة في الصمود والتضحية والبسالة والبطولة والعزة والكرامة والشرف والإباء ...

لقد اغتيل هذا القائد الفذ الذي سيبقى خالداً مع سعد وخالد والمثنى والقعقاع

وصلاح الدين وعبد الناصر، وسيبقى رمزاً للصمود والتضحية والجهاد الدائم الخالد حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أو يأذن الله بنصره العزيز ..

وليعلم العدو المحتل وعملاؤه، أن اغتيال القائد لن يزيد البعث وشعبه العظيم وأمته المجيدة إلا عزماً وتصميماً وتصعيداً للجهاد والنضال حتى تدمير العدو وتحرير الوطن العزيز، وإقامة دولة الإيمان والحرية والديمقراطية والحضارة .

أيها الرفاق الأعزاء في البعث العظيم، قيادات وقواعد، أينما كنتم في عراق المجد ووطن العروبة ..

باغتيال القائد اليوم على أيدي المحتلين وعملائهم وجواسيسهم .. ظنوا أنهم سيغتالون البعث وظنوا أنهم سيغتالون المبادىء المقدسة لرسالة الأمة، وظنوا أنهم سيغتالون العروبة في عراق العروبة والإسلام، وظنوا أنهم سيغتالون العراق المجيد قلب الأمة وذراعها الطويلة. خسؤوا وباؤوا بغضب من الله. إن البعث باق بمبادئه الرسالية الإيمانية، وستبقى الأمة أمة الحضارات، وسيبقى الشعب شعب التاريخ العريق شعب المبادىء والقيم والمثل والتقاليد الكريمة ...

نقسم بالله العلي القدير، وبكتابه العزيز الكريم، وبقيم الإسلام والإيمان والعروبة، على أن نواصل الجهاد المقدس وتصعيد الجهاد والمطاولة في الجهاد حتى التحرير الشامل والكامل والعميق لوطننا العزيز. وليرجع العدو المجرم وعملاؤه الصغار وجواسيسه الأذلاء إلى تاريخ هذه الأمة المجيد الزاخر بالعطاء والابداع والرجولة والثبات على المبادىء والقيم والأهداف، ولينظروا إلى منعطفات هذا التاريخ كيف قدمت هذه الأمة وشعبها الأبي وفي طليعته شعب العراق، أنهاراً من الدماء وقوافل من الشهداء والرموز والقادة على مذبح مبادئها وقيمها وحريتها. ولنضرب لهم مثلاً من سفر التاريخ المجيد، حين انتقل القائد الأعظم والرسول المكرم قائد القادات على الإطلاق، وسيد السادات على الإطلاق، قام أحد رجاله الشجعان خطيباً يتلو من آيات القران الكريم «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله

شيئاً»، «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»...

فنقول اليوم للأعداء أولاً ثم للدنيا كلها، من كان يجاهد ويناضل من أجل القائد صدام حسين، فإن صدام حسين أدى دوره شهيداً مجيداً سعيداً كقادة الأمة العظام، ومن كان يجاهد من أجل الأمة ووحدتها وحريتها ومستقبلها، فإن الأمة باقية حية لا تموت حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ..

فاجعلوا أيها الرفاق من يوم استشهاد القائد يوماً لتثوير المسيرة يداً بيد مع كل المجاهدين البواسل، وطنيين وقوميين وإسلاميين. توخوا المحتل الغاشم أولاً ثم عملاءه وجواسيسه المعروفين، وحافظوا على أمن الشعب وممتلكاته ومصالحه، ولا تجعلوا للإرهاب مكاناً بين صفوفكم، وليكن يوماً للتوحد والتآلف والتوادد في ميدان القتال المباشر ثم في كل الميادين الأخرى ...

أدعو الأخوة الأعزاء قادة الجهاد الشجعان والمقاتلين البواسل في كل فصائل الجهاد إلى العمل الجاد والمخلص لإقامة جبهة الجهاد والمقاومة التي ينتظرها شعبنا وأمتنا بفارغ الصبر والتطلع وفي كل ميادينها العسكرية والسياسية والإعلامية لتوحيد الجهود واستثمار الإمكانات استثماراً عالياً لكي نسرع في تدمير العدو وتحرير وطننا العزيز ...

إلى الشرفاء من أبناء أمتنا، أحزاباً ومنظمات وحركات وتيارات، وحدوا النضال، وصعدوا عملكم للمقاومة الباسلة المنتصرة لكي ننفذ حكم الإعدام بالمحتلين وعملائهم وجواسيسهم فوق كل شبر من أرض العراق الطاهرة، ولتنطلق الأمة في ثورتها من العراق الثائر، من العراق المنتصر، لتحقيق وحدتها وحريتها وبناء مستقبلها وإقامة دولتها الحضارية الإيمانية ولمواصلة حمل رسالتها بين الأمم والشعوب هدياً وعدلاً وحرية وسلاماً وأماناً وحضارة تصون إنسانية الإنسان وتفجر طاقاته وإبداعاته وتنشر وتشيع قيم الفضيلة ومكارم الأخلاق، فتسمو مع سمو رسالتها وتخلد مع خلود عقيدتها ..

سلام عليك أيها القائد يوم وقفت شامخاً أمام أعاصير الشر والظلام، وسلام عليك يوم أديت الأمانة وقد دفعت لها أهلك ومالك ونفسك ثمناً ..

عهداً لله القوي العزيز، ولك ولكل شهداء الأمة وقادتها العظام، سنبقى حرّاساً أمينين على رسالة السماء الخالدة حتى يأذن الله جلّت قدرته بنصره المؤزّر وهو القوي العزيز.

سلام على شهداء البعث، وسلام على شهداء فلسطين العزيزة، وسلام على شهداء الأمتين العربية والإسلامية، والسلام الدائم على المجاهدين الأبطال البواسل وطنيين وقوميين وإسلاميين.

واعلموا أيها المجاهدون المؤمنون «إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص».

المعتز بالله

عـزّة إبراهيم الدوري

خادم الجهاد والمجاهدين

بيان نعي من

الدكتور مهاتير محمد

رئيس وزراء ماليزيا السابق
عضو الهيئة الدولية للدفاع عن الرئيس صدام حسين
في ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٦

في يوم العيد المبارك، راقب العالم بهلع عملية قتل الرئيس العراقي صدام حسين الوحشية بادّعاء ارتكابه جرائم ضد الإنسانية حيث أقر هذا القتل العلني مجرما الحرب الرئيس بوش ورئيس الوزراء بلير.

هذا الفعل السادي الذي أعلن إلى العالم كله، هو مهزلة للعدالة قصد منه استعراض القوة الإمبريالية للولايات المتحدة ويفيد في تحذير الشعوب المحبة للسلام بأن علينا إما أن ننحني لإملاءات بوش أو نواجه عواقب الإعدام العلني .

كان القتل أيضاً إهانة إلى كل المسلمين، لأنه حدث في يوم العيد المبارك حيث يكرّس المسلمون أنفسهم للصلاة والمغفرة، ويبدو جلياً كذلك أن مجرم الحرب بوش لا يملك أي تعاطف تجاه المسلمين في حجهم إلى مكة. هذا الفعل البربري هو تدنيس للمقدسات.

إن عملية المحاكمة برمتها كانت مهزلة للعدالة، وليست أقل من محكمة شكلية صورية. وقد قتل مستشارو الدفاع بوحشية. شهود هددوا، وقضاة أقيلوا لأنهم كانوا نزيهين واستبدلوا بقضاة دمى. ومع ذلك، قيل لنا إن العراق غزي للترويج للديمقراطية والحرية والعدالة .

بلاد مسالمة تحولت الآن إلى منطقة حرب. أكثر من ٥٠٠٠٠٠ طفل ماتوا

جراء العقوبات الاقتصادية الإجرامية. وآخر النتائج التي نشرت في المجلة الطبية «لانسيت» تكشف أن أكثر من ٦٥٠٠٠٠ عراقي ماتوا منذ الاحتلال غير الشرعي عام ٢٠٠٣ .

لقد قتل مجرم الحرب بوش عراقيين أكثر مما فعل الرئيس صدام في حياته، هذا إذا كان حقاً مذنباً في أية جريمة. إذا كان الرئيس صدام حسين مذنباً بجرائم حرب، عندئذ، على العالم أن يعتبر بوش وبلير وهوارد مذنبين على حد سواء، ولا تستطيع محكمة الجزاء الدولية إلا أن تقاضي مجرمي الحرب هؤلاء. إن التراخي إلى هذا الحد، من قبل محكمة الجزاء الدولية، في مواجهة بوش وبلير وهوارد يفضح سياسة الازدواجية للمحكمة المذكورة، عندما لا تتردد في محاكمة جرائم حرب ارتكبت في دارفور ورواندا وكوسوفو.

فإذا كنا ندعم حقوق الإنسان والعدالة، علينا أن ندين هذا القتل الوحشي للرئيس صدام حسين. ولا يمكن أبداً أن يكون هناك عذر لهذا الظلم تحت أية ظروف. إن مجرم الحرب بوش ونظام الدمى في العراق استهزأوا بحكم القانون.

هيئة الإسناد للدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه وكافة الأسرى والمعتقلين في العراق

تنعى

الرئيس صدام حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

(سورة آل عمران)

مضى الرئيس شهيداً بإذن الله، بعد أن حاكم من حاكموه قبل أن يحاكموه، مستخدماً قوة القانون والحق في مواجهة القوة والتعسف وسلب الحقوق المقدسة، وأولها وأبسطها حق الدفاع عن النفس.

وقد ظلت مسرحية المحاكمة تشهد تصاعداً مكثفاً في مخالفة كل القوانين الدولية والقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، وإن وتائرها كانت تسير خطوة خطوة بحسب الإدارة الأمريكية ومن جاء معها، وليس وفق تقويم أو تقييم من أي نوع. ومن هنا جاء رفض كل المطالب المشروعة التي قالت بها كل المنظمات الدولية المعنية وبخاصة وكالات الأمم المتحدة المتخصصة من دون استثناء.

لقد ظل الشهيد رابط الجنان، صادق اللسان، واضح البيان، مؤكداً ما عرفه كل المطلعين من أن قرار المحكمة متخذ سلفاً منذ نهاية القرن الماضي بعد تأميم النفط

وبناء دولة المؤسسات وامتلاك ناصية العلم ومحو الأمية وبناء العراق الحديث القوي والتصدي للمخططات المتآمرة على المصالح الوطنية والقومية، إن لم يكن قبل ذلك. وسيكشف التاريخ المزيد من تفاصيل وفصول هذا الاغتيال، وسيتأكد القاصي والداني أن صدام حسين عاش صادقاً واستشهد صادقاً نظيف اليد متمسكاً بالمبدأ، وأنه لم يجاف حقائق الواقع والقانون عندما أكد بطلان المحكمة بصفتها قراراً أمريكيا وبأن الحكم ضده صادر لا محالة.

لقد اختار الشهيد طريق الشهادة عن وعي وإصرار مؤكداً أن صراع القانون مع القوة لن ينتهي بهذه الجولة أو غيرها. إن هيئة الدفاع لن تطوي صفحة هذه القضية، وستواصل نضالها القانوني بكل السبل القانونية المتاحة محلياً ودولياً إلى أن يصل الرأي العام إلى الحقيقة كاملة، وحتى تتضح كل أبعاد هذا الاغتيال السياسي، بعد أن يثبت أن الهدف كان التخلص من صدام حسين بكل ما يمثله كرمز وليس كشف الحقائق. وقد فضح تعجلهم مدى استماتتهم لتحقيق هذا الهدف في محاولة لوأد الحقيقة والوقائع كلها، بدل العمل على كشفها.

وإذ تأمل هيئة الدفاع من جميع المنظمات والشخصيات الحقوقية والقانونية مواصلة وتكثيف العمل للوصول إلى كل الحقائق، فإنها تؤكد أننا قد ننسى ما قاله الخصوم، ولكننا لن ننسى صمت الأصدقاء.

سيبقى صدام حسين الشهيد رمزاً لكل المناضلين في وجه قانون القوة والغطرسة الأمريكية. استشهد واقفاً كنخل العراق. في عليين إن شاء الله.

هيئة الدفاع عن الرئيس الشهيد صدام حسين

في ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٦

ملحق رقم (٣)

نص مقابلة الرئيس صدام حسين
مع السفيرة الأمريكية غلاسبي
في تموز / يوليو ١٩٩٠

في أواخر شهر تموز/ يوليو ١٩٩٠، استدعى الرئيس صدام حسين السفيرة الأمريكية أبريل غلاسبي .. وأبلغها الرئيس ما يأتي :

«لقد تعاملنا مع بعضنا البعض خلال الحرب العراقية الإيرانية على مستوى وزارة الخارجية. وكنا نأمل في تفاهم مشترك أفضل وكذلك إتاحة فرص أكبر للتعاون من أجل مصلحة شعبينا وسائر الشعوب العربية. لكن هذه العلاقات عانت صدوعا مختلفة وخاصة في عام ١٩٨٦، وبما عرف بـ (إيران غيت) وذلك بعد عامين من إقامة العلاقات بيننا .

وإيران-غيت حدثت خلال السنة التي احتلت فيها إيران شبه جزيرة الفاو العراقية. فكان من الطبيعي أن نقول في حينه إن العلاقات القديمة وتشابك المصالح المتبادلة يمكن لها أن تستوعب أخطاء كثيرة. لكن حين تكون المصالح محدودة والعلاقات ليست قديمة، فلن يحدث التفاهم العميق. ويمكن أن يكون للأخطاء أثر سلبي. ففي بعض الأحيان يمكن أن يكون أثر الخطأ أشد من الخطأ نفسه .

«ورغم ذلك قبلنا الاعتذار الذي نقله مبعوث الرئيس الأمريكي في ما يتعلق بإيران غيت، وطوينا صفحة الماضي، وقلنا ينبغي ألا ننبش الماضي إلا حين تذكرنا الأحداث الجديدة بأن الأخطاء السابقة لم تكن مجرد صدفة. ففي الولايات المتحدة، قامت أطراف معينة بتحريض دول الخليج وتخويفها من العراق وبعدم تقديم المساعدة له، ونحن لدينا أدلة على هذه النشاطات .

«نعم، لقد خرج العراق من الحرب مثقلاً بديون كثيرة. وكما قلت كان جزءاً منها هي المساعدات التي قدمتها الدول العربية والتي تعتبر ديوناً أيضاً. وأنت تعرفين وهم كذلك، بأنه لولا العراق لما استطاعت هذه الدول أن يكون لديها هذه المبالغ، ولكان مستقبل المنطقة كلها مختلفاً تماماً.

«ثم بدأنا نواجه سياسة تخفيض أسعار النفط، ورأينا الولايات المتحدة تتحدث باستمرار عن الديمقراطية، لكنها لم تفسح أي مجال لسماع وجهة النظر المقابلة. وبدأت الحملة ضد صدام حسين من قبل وسائل الإعلام الأمريكية الرسمية. واعتقدت الولايات المتحدة أن الوضع في العراق يشبه ذلك في بولندا أو رومانيا أو تشيكوسلوفاكيا. ومع أننا تضايقنا من هذه الحملة، إلا أننا لم نقلق كثيراً لأننا كنا نأمل أن يكون لدى صانعي القرار في أمريكا فرصة لمعرفة الحقائق، والحكم في ما إذا كانت هذه الحملة الإعلامية ذات أثر على روح العراقيين. وقد أملنا في أن تتخذ السلطات الأمريكية القرار السليم في ما يتعلق بعلاقتها مع العراق، لأن الذين تربطهم علاقات طيبة يحتملون الاختلاف في بعض الأحيان، لكن عندما تؤدي السياسة المخطّطة والمتعمّدة إلى تخفيض أسعار النفط من دون أسباب تجارية وجيهة، فذلك يعني حرباً أخرى ضد العراق، فالحرب العسكرية تقتل الناس بإراقة دمهم، بينما تحطم الحرب الاقتصادية إنسانيتهم بحرمانهم من فرصة التمتع بمستوى معيشي جيد. وكما تعرفين، لقد أريقت أنهار من الدم في حرب استمرت ثماني سنوات، لكننا لم نفقد إنسانيتنا، والعراقيون يملكون الحق في العيش بكرامة، ولن نقبل من أحد أن يجرح الكرامة العراقية أو الحق العراقي في التمتع بمستوى حياة كريمة.

«كانت الكويت والإمارات العربية المتحدة واجهة لهذه السياسة التي ترمي إلى الحط من موقف العراق وحرمان شعبه من العيش في مستويات اقتصادية أعلى. وأنت تعرفين أن الكويت تتوسع على حساب أرضنا، وهي ليست دعاية. وألفت نظرك إلى وثيقة تحدد خط الدوريات العسكرية، وهو خط الحدود الذي وافقت عليه الجامعة العربية عام ١٩٦١، والذي بموجبه لا يسمح للدوريات العسكرية تجاوز هذا الخط. والآن، عليك أن تشاهدي بنفسك الدوريات الحدودية الكويتية

والمنشآت النفطية الكويتية المقامة كلها قريبة من هذا الخط لتثبت أن تلك الأرض هي كويتية .

«إننا نعتقد أن على الولايات المتحدة أن تدرك أن الناس الذين يعيشون في ترف وأمن اقتصاديين، يستطيعون الوصول إلى تفاهم مع الولايات المتحدة حول ماهية المصالح المشتركة المشروعة، لكن المحرومين اقتصادياً والجائعين، فإنهم لا يستطيعون الوصول إلى التفاهم ذاته. ونحن لا نقبل التهديدات من أحد، ونأمل أن لا تحمل الولايات المتحدة أوهاماً كثيرة. وسوف نسعى إلى أصدقاء جدد وليس لزيادة عدد أعدائنا .. لقد قرأت تصريحات أمريكية تتحدث عن الأصدقاء في المنطقة، وبالطبع فهو حق لكل منا أن يختار أصدقاءه، لكنك تعرفين أنكم لستم من حميتم أصدقاءكم خلال الحرب مع إيران. وأؤكد لك بأن لو اجتاحت إيران المنطقة، فإن قواتكم الأمريكية ما كانت لتوقفهم إلا باستخدام الأسلحة الذرية. وأنا لا أقلل من شأنكم، ولكنني آخذ بعين الاعتبار جغرافية المجتمع الأمريكي وطبيعته، فمجتمعكم لا يستطيع أن يقبل موت عشرة آلاف شخص في معركة واحدة .

«أنت تعرفين أن إيران وافقت على وقف إطلاق النار، لكن ذلك لم يحدث لأن الولايات المتحدة قصفت إحدى منصاتها النفطية، وإنما حصلت الموافقة بعد تحريرنا لمنطقة الفاو العراقية. فهل هذه المكافأة التي يستحقها العراق على دوره في ضمان استقرار المنطقة وحمايتها من طوفان لم يسبق له مثيل ؟ ثم ماذا يعني قول أمريكا بأنها ستحمي أصدقاءها سوى التحامل على العراق ؟ هذا الموقف وغيره، بالإضافة إلى المناورات وتصريحات معينة، شجعت الإمارات العربية والكويت على تجاهل الحقوق العراقية .

«أقول بوضوح إن حقوق العراق الواردة في المذكرة، سنحققها واحداً واحداً، وقد لا يحدث هذا في الوقت الحاضر أو خلال شهر أو سنة، لكننا سنأخذ كل حقوقنا، ونحن لسنا من الذين يتخلون عن حقوقهم، وليس هناك سلطة تاريخية أو شرعية لكي تحرمنا الإمارات العربية والكويت من حقوقنا. فإذا كانوا محتاجين، فنحن محتاجون أيضاً.

«علـى الولايـات المتحـدة أن تفهـم الوضـع بشـكل أفضـل، وتعلـن من هم أصدقاؤهـا ومـن هم أعداؤهـا. وينبغـي عليهـا ألا تعـادي الآخرين الذيـن يحملون وجهات نظر مختلفة إزاء الصراع العربي الإسرائيلي. ونفهم من تصريحاتها أنها تريد استمرار تدفق النفط، وأنها تسعى إلى صداقة مع دول المنطقة، وتريد تعزيز مصالحها المشتركة. لكننا لا نفهم محاولتها تشجيع بعض الأطراف على إيذاء مصالح العراق. تريـد ضمان تدفق النفـط، وهذا أمر نعيه، لكن ينبغي عليها ألا تسـتخدم وسـائل مثل اسـتعراض العضلات وممارسـة الضغوط. فإذا اسـتخدمتم الضغط فسوف نستخدم الضغط والقوة. أنتم تستطيعون إيذاءنا مع أننا لا نهددكم، لكننا أيضا نستطيع إيذاءكم، وكل يستطيع ذلك حسب قدرته وحجمه. ونحن لا نستطيع أن نقطع كل هذه المسافة ونصل إليكم في الولايات المتحدة، لكن عرباً فرادى يستطيعون ذلك.

«تستطيعون أن تجيئوا إلى العراق بالطائرات والصواريخ، لكن لا تدفعونا إلى نقطة عدم الاكتراث. فحين تريدون أن تجرحوا كرامتنا، وتدمروا فرصة العراقيين في حيـاة كريمـة، عندها لن نكتـرث إذا أطلقتم مائة صـاروخ مقابل كل صـاروخ نطلقه، فالحيـاة بـلا كرامة لا قيمة لها. فمـن غير المعقـول أن نطلب من أبناء شـعبنا، بعد أن نزفوا أنهاراً من الدم طوال الثماني سنوات، أن يقبلوا العدوان من الكويت والإمارات العربيـة أو الولايـات المتحدة أو إسـرائيل. ونحن لا نضع كل هـذه الأقطار في نفس القـارب، لكننا متألمون من هذا الخلاف الذي بيننا وبين الكويت والإمارات العربية، ويجب التوصل إلى حل ضمن إطار عربي من خلال محادثات ثنائية مباشـرة. ونحن لا نضـع أمريكا ضمن أعدائنا، بل في المكانة التي نريـد من أصدقائنا أن يكونوا فيها. لكن التصريحات الأمريكية في العام الماضـي أوضحت بأنها لا تعتبرنا أصدقاء لها، وهم أحـرار في ما يفعلون. ونحن حين نسـعى إلى الصداقة، فضمـن الكرامة وحرية الاختيار. نريد تعاملا وفق منزلتنا مثلما نتعامل مع الآخرين، ونفكر بمصالح الآخرين عندمـا نهتـم بمصالحنا، ونتوقـع من الآخريـن المعاملة ذاتهـا. فماذا يعني اسـتدعاء وزير الحـرب الصهيوني إلى الولايات المتحدة الآن؟ ومـاذا تعني هذه التصريحات المحمومـة التي انطلقت من إسـرائيل خـلال الأيام القليلـة الماضيـة والحديث عن حرب متوقعة الآن أكثر من أي وقت مضى؟

«إننا لا نريد الحرب لأننا نعرف ما تعنيه، لكن لا تدفعونا إلى اعتبار الحرب هي الوسيلة الوحيدة المتبقية لنعيش بكرامة ونوفر لشعبنا حياة كريمة. ونحن مصممون على العيش بكرامة أو الموت بكرامة أيضاً. ولا نطلب منكم حلاً لمشكلاتنا، فهي تحل في إطار عربي، لكن لا تشجعوا أحدا على الإقدام على عمل أكبر منه. ولن يعاني أحد من مصادقته للعراق. وما زال الرئيس الأمريكي في تقييمي لم يرتكب خطأ تجاه العرب، مع أن قراره بتجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية كان قراراً خاطئاً. ويبدو أنه اتخذ لإرضاء اللوبي الصهيوني، أو أنه جزء من استراتيجية ترمي إلى تهدئة غضب الصهاينة قبل الإقدام على محاولة ثانية(إعادة الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية). وآمل أن يكون الاستنتاج الثاني هو السليم. وعلى كل كان القرار خاطئاً.

«إنكم ترضون الغاصب اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، ومن خلال وسائل الإعلام أيضاً. فمتى تثنون على العرب مرة واحدة، مقابل ثلاث تصريحات استرضائية للغاصب الصهيوني ؟ ومتى يكون السعي إلى حل أمريكي عادل ينصف حقوق مئتي مليون إنسان بالطريقة التي تنصفون بها حقوق ثلاثة ملايين يهودي ؟ نعم، نحن نريد الصداقة، لكننا لن نطارد أحداً من أجلها، ونرفض العداء المسلح من أحد، وإذا ووجهنا بعداء فسوف نقاوم. وهذا حقنا سواء جاء العدوان أمريكيا أو من الإمارات العربية أو من الكويت أو إسرائيل. لكنني لا أضع هذه الدول على مستوى واحد. لكن حين تحاول هاتان الدولتان العربيتان إضعاف العراق، فإنهما بهذا السلوك تساعدان العدو. عندها يكون من حق العراق أن يدافع عن نفسه.

«إنني آمل أن يقرأ الرئيس بوش بنفسه هذا الكلام، ولا يترك الأمر بين أيدي عصابة في وزارة الخارجية، مستثنيا كيلي، لأنني أعرفه وتبادلنا وجهات النظر سابقاً».

ماذا كان رد السفيرة الأمريكية ؟

أشكرك يا سيدي الرئيس، ويسعدني كدبلوماسية أن ألتقي بكم وأتحدث مباشرة معكم. وأنا أفهم رسالتكم بوضوح، فقد درست التاريخ في المدرسة حيث

علّمونـا أن نقـول الحريـة أو المـوت. وإنني أعيش فـي العراق منذ سـنوات ومعجبة بجهودكم الخارقة لإعادة بناء بلدكم، وأعـرف حاجتكم إلى المال، وينبغي أن نجدد الفرصة لإعادة بناء بلدكم. لكن ليس لنا أي رأي حول الصراعات العربية العربية مثل خلافكم الحدودي مع الكويت، فهو شأن داخلي .

ثم أبدت السـفيرة قلق بلادها من الحشـود العسـكرية في جنوب العراق، وما سـمعته من اعتبار العـراق لمواقف دولة الإمـارات العربية والكويـت يعادل العدوان العسكري على العراق .

ردّ الرئيس قائلاً:

«لا نطلب من الناس ألا يقلقوا حين يتعلق الأمر بالسـلام، فهذا شـعور إنساني نبيل نشـعر به جميعاً، ومن الطبيعي أن تشـعروا كقوة عظمـى بالقلق، ولكن لا تعربوا عن قلقكم بطريقة تجعل المعتدي يعتقد أنه يتلقى الدعم على عدوانه .. نريد التوصل إلـى حل عـادل يعطينـا حقوقنا ولا يحـرم الآخرين مـن حقوقهم. ولكننـا في الوقت ذاته نريـد من الآخريـن أن يعرفوا بـأن صبرنا بدأ ينفـد إزاء هذا التصـرف الذي يضر بالحليب الذي يشربه أطفالنا، وبراتب التقاعد الذي تتلقاه الأرملة التي فقدت زوجها خـلال الحرب، والرواتـب التقاعدية التي يتلقاهـا اليتامى الذين فقـدوا والديهم. إننا كبلـد نملك الحق في الازدهار، وقد خسـرنا كثيراً من الفـرص نتيجة الحرب، وعلى الآخرين أن يقدروا دور العراق في حمايتهم»[1] .

---

(١) لمراجعة تفاصيل مقابلة الرئيس صدام حسـين مع السـفيرة الأمريكية، يراجع الكتاب السـابق (المنازلة الكبرى).

ملحق رقم (٤)

من نص الوثيقة
التي خطها الأسير من رفاق صدام حسين
في المعتقلات الأمريكية

صدام حسين

في ميزان التاريخ

بقلم: أسير من رفاق

صدام حسين

"بسم الله الرحمن الرحيم"

ما القارعة

"القارعة ۝ وما أدراك ما القارعة ۝

يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ۝

وتكون الجبال كالعهن المنفوش ۝

فأما من ثقلت موازينه ۝ فهو في عيشة

راضية ۝ وأما من خفت موازينه ۝

فأمه هاوية ۝ وما أدراك ماهية ۝

نار حامية ۝

سورة القارعة

الصفحة الأولى من الوثيقة

إذا كتب تاريخ أحداث القرن العشرين بإنصاف وموضوعية سيذكر صدام حسين كواحد من أعظم قادة هذه الحقبة وإذا كتب تاريخ الأمة العربية في هذه المرحلة سيذكر صدام حسين كأحد أعظم قائدين عربيين هو وجمال عبد الناصر.

وكما رأينا الكم الهائل من التهم والإساءات التي وجهت إلى جمال عبد الناصر في حياته وبعد مماته نجد مثلها بل أكثر وأشد ضراوة مما وجه إلى صدام حسين لقد أتهم صدام حسين بأنه دكتاتور وجلاد وحاكم أغرق بلاده في حروب عديدة قتل فيها مئات الألوف من العراقيين والإيرانيين وغيرهم كما يتهم بتدمير بلاده في هذه المغامرات وفي بناء القصور وما شابه ذلك من التهم المعروفة ومن المعايير التي لا تقبل لوضعها في الحياة وفي تقييم أنظمة الحكم قديماً وحديثاً المعروف

أولاً على أولئك الذين وجهوا أو يوجهون مثل هذه التهم من العراقيين والعرب والأجانب ولعل المعيار الصحيح لمعرفة الحقيقة في هذا الشأن هو صدق القول المشهور لأعظم شعراء العرب أبو الطيب المتنبي الذي قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل.

الصفحة الثانية من الوثيقة

عاشوا معه كل الأحداث وشاركوه في بعضها أو أغلبها
ولعل هذه المحاولة من رسمه ستواصل من رفاقه الذ
مقدمين لسفر حديث وحاضراً لصولات الرفاق ان يتحدثوا ولم
يلتقوا دائماً رجل صدام حسين ومن أغتيل غدراً على
أيدي المحتلين الأمريكان والعملاء من العراقيين وسيقول
التاريخ انهم كانوا التزاماً في مواجهة علاقته رحم الله صدام
حسين لقد كان في حياته قائداً عظيماً وفي أغتياله رجلاً
شجاعاً لا يهاب الموت فقد صار صدام حسين شهيد
العصر وإذا كان الأقزام من المحتلين الامريكان وعملائهم العراقيين
قد أسقطوا تماثيل صدام حسين ونزعوا صوره وحذفوا اسمه
من كثير من المعالم فإن التاريخ سيعيد اسم صدام .. وذكراه
ومنجزاته شامخة لا تطالها أيدي الأقزام الجبناء.

الصفحة الأخيرة من الوثيقة ـــ وعدد صفحاتها ٢٥ صفحة

لقاءات مع بعض القادة



السيدة أنديرا غاندي



الزعيم فيديل كاسترو



الرئيس هوغو شافيز



الرئيس معمر القذافي



صدام حسين في سنوات المرحلة الابتدائية وصورة عن البطاقة المدرسية



صبحة طلفاح، والدة صدام حسين



صدام حسين في القاهرة عام ١٩٦٠



صدام حسين وزوجته ساجدة خير الله عام ١٩٦٣





صدام حسين يلاعب كريمتيه



في احتفال بعيد ميلاد إحدى بناته مع أفراد أسرته



الرئيس وعائلته





صدام حسين مكبلاً بالسلاسل مع حراسه





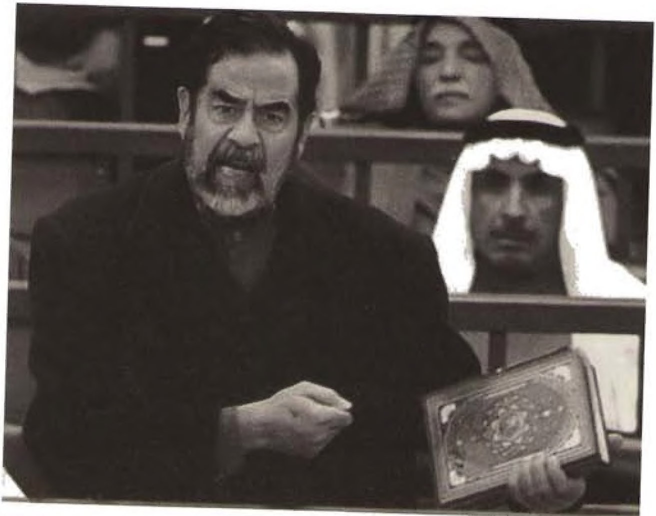
صدام حسين يتحدى المحكمة ويفند أباطيلها

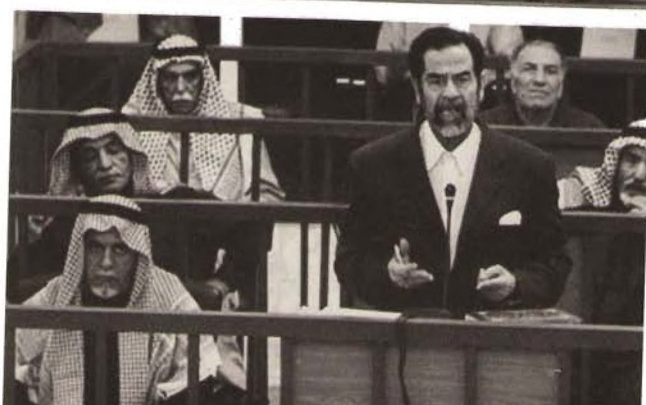


أثناء سير المحاكمة

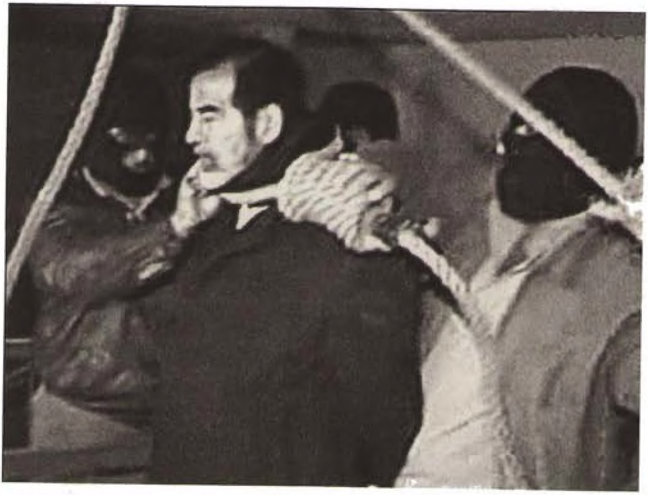


يضحك هازئاً من المحكمة التي كوّنها الاحتلال





بيده المصحف وهو يردّ على الادعاءات والتهم الكاذبة





اللحظات الأخيرة ...



جثمان الشهيد الرئيس صدام حسين بعد تنفيذ الإعدام مباشرة



ضريح الشهيد الرئيس صدام حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

"ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"

صدق الله العظيم

الى رئيس "المحكمة" الجنائية العليا الخاصة

لاحقاً بإشعار سابق بعثته إليكم قبل انعقاد محكمتكم في آخر جلساتها قبل تأريخ اليوم، أعلمكم بعدم بقراري بعدم بتعليق حضوري اليها لعدم توفر المستلزمات الإجرائية والأجواء والموضوعية القانونية الصحيحة، التي تتيح أمام محامي حضور جلساتها لتبيان الحقائق مثلما هي وليس مثلما خطط لها محرروها الغزاة وأذنابهم الطائفيين، ولقد بيّن محامو الدفاع كل ذلك في المذكرة التي رفعوها اليكم، وهي حقائق ووجهة نظر طبقاً للقانون والحقوق الثابتة لمحامي الدفاع، ولمن يسمى بالمتهمين ومنهم صاحب الطلب، رئيس جمهورية العراق، صدام حسين، ولذلك فهي تعبّر عن وجهة نظرنا أيضاً، وعلى هذا فضلاً عن عدم شرعية محكمتكم، فإني أعلمكم بقراري تعليق حضوري جلسات محكمتكم اللاحقة، وإضرابي عن الطعام أنا ورفاقي من يوم ٨/٧/٢٠٠٦، داخل وحتى يستجاب الى طلباتنا المشروعة، أو تتخذون القرار الذي خطط له وأراده أسياد من يقبلوه بإرادتهم ويرضخ لها.

صدام حسين / رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة المجاهدة.

نسخة منه الى الأستاذ المحامي خليل الدليمي / رئيس هيئة الدفاع.

ISBN 978-99942-927-8-3 ردمك

9 789994 292783

الناشر: شركة المنبر للطباعة المحدودة - الخرطوم